



سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة
(٣٤١)

جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة البحوث والدراسات

ضوء الطيب من سيرة الحبيب

استعراض وتحليل لسيرة النبي محمد
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

تأليف

عدنان أحمد ياسين الفلاحي

٢٠١٦م

١٤٣٧هـ

الطبعة الأولى



دائرة البحوث والدراسات

الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

برقم 593

لسنة ٢٠١٦

جميع مطبوعات الدائرة محكمة علمياً

الآراء التي في هذا المطبوع

تعبّر عن رأي كاتبها

٢٣٩

ف٧٢٦

الفلاحي، عدنان احمد ياسين

ضوع الطيب من سيرة الحبيب. استعراض وتحليل لسيرة النبي محمد صلى الله

عليه وعلى آله وصحبه وسلم. - بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠١٦،

٦١٤ ص ٢٥ سم (سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ٣٤١)

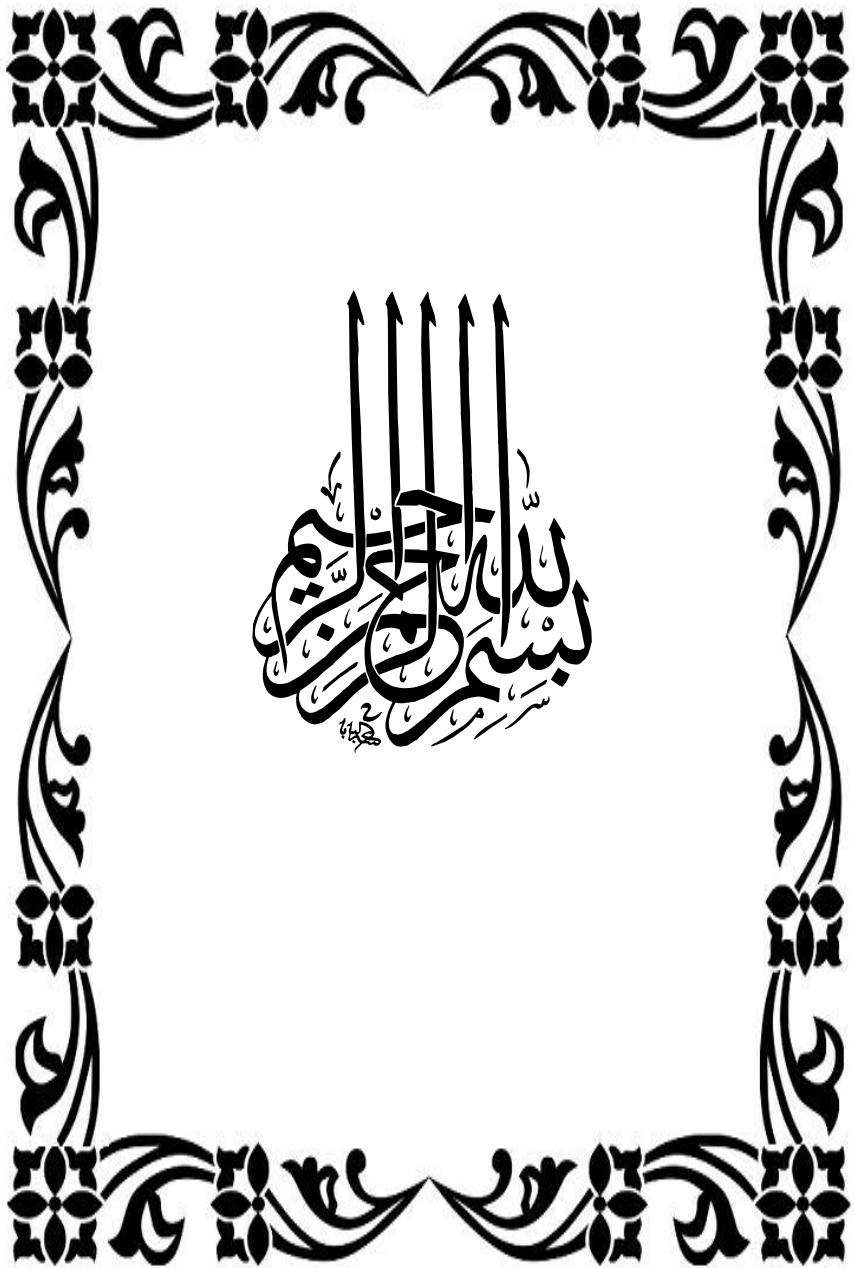
١. الاسلام- تاريخ أ. العنوان ب. السلسلة

العراق - بغداد - سبع ايكار - ديوان الوقف السني

E.mail: mabdaw@yahoo.com

صندوق البريد - ٥٣٠٠٨ باب المعظم

حقوق الطبع محفوظة للدائرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

الى كل من احس بشوق الى الحبيب محمد ﷺ فسافرت
روحه بلهفٍ تجوب الأرجاء تبحث عن الحبيب.. على امل لقا
او وصال.

الى كل من تلفتت فأحس بغربة وفراغ لا يملأه الا رؤية
الحبيب صلى الله عليه وسلم.

الى كل من اسهره وجده بالحبيب فتفجرت دموعه تحكي
عن شوق لا يعرفه الا من ذاقه.

الى كل من أرسل يده في وحشة الليل تبحث في الظلام
عن يد الحبيب محمد ﷺ علته يلتقيها فيحظى بشرف اللثم
والتقبيل

الى كل من احس بشوق ووجد للحبيب محمد لا يطفئه
الا رؤية الحبيب وشم عطره... والنظر اليه، والبكاء بين يديه
الى كل من تمنى ان يعيش مع الصحابة فيحظى بجميل
اللقاء ويكتحل بالنظر الى الجمال الأسمى و الجلال الأنفس.

الى كل من أحبب وهام واشتاق للحبيب الأجل والنبي
الأكمل... سيدي وحببي و مولاي النبي محمد صلى الله عليه
وآله وسلم

الى عشاقه

اهدي كتابي



المقدمة

المقدمة

الحمد لله غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ حمداً يرضاه لنفسه سبحانه وكما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ويرضى به عنا.

واصلي وأسلم على النبي الأكمل والخير الأشمل الذي أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً... الذي اصطفاه رب العالمين والقي محبته في قلوب المحبين والشوق اليه في قلوب المجتبيين سيدي ومولاي جد الحسنين الأحسنين ابي القاسم محمد صلى الله عليه وسلم .

الذي تاهت في عشقه ارواح المقرّبين وحنّت اليه قلوب العارفين... حتى ان صحابته بكوا وغَمّوا اذ عَلِموا انهم سَيُعْطَوْنَ الجنة ويُحْرَمُونَ رؤية الحبيب محمد ﷺ لِعُلُوِّ مقامه، فما طعم الجنة بلا رؤيتك يا حبيب القلوب ويا قبة الارواح.

وعلى آله المحبوبين بحبه والمندوبين لقربه، في كل وقت وحين.

وعلى صحابته المجتبيين الغرّ المحجلين و بعد...

فهذه محاولة للاقتراب من شخصية الحبيب محمد ﷺ والتشرف بمعرفة بعض جوانبها من خلال معرفة مواقفه وتصرفاته في أحواله المختلفة وكما أمر الله سبحانه وتعالى بالتأسي بالنبي ﷺ والافتداء به والاستفادة من هديه الشريف.

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ

وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ الأحزاب: ٤٥ - ٤٦ .

وقوله جلّ وعلا:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَبِيرًا ﴿٢١﴾ الأحزاب: ٢١ .

ورغم ان السيرة المشرفة وحدة من نسيج اعجاز كامل ونور متصل،
الا اني ومن أجل تسهيل المهمة في فهم دقائقها وجوانبها قسّمتها الى
ثلاث مراحل:

الأولى . من الولادة المباركة وحتى نزول الوحي الكريم بالتكليف

الشريف بالنبوة والرسالة

الثانية . من بدء التكليف بالرسالة وحتى الهجرة المباركة الى المدينة
المنورة، واشتملت على الدعوة سراً الى الله ثمّ الدعوة علناً حيث عمل النبي
ﷺ على نشر الدعوة بين الناس، وتهذيب نفوس الصحابة الذين استجابت
قلوبهم لداعي الله وتوروا بالإسلام، وكان ﷺ في كل ذلك وما بعده
متوجهاً الى الله بعبادة وتبتل لا يحيط بها عقل باحث ولا مُتتبع، محتسباً
لله صابراً على ما لا يطيقه غيره من العذاب والأذى... فكان ﷺ الهادي
الى الله والمعلم الذي هذب وعلم وخرّج الصفوة من المؤمنين المهديين
المعجزين بحبهم لربهم والترفع عن الدنيا والزهد فيها، وكان العابد الصابر
الذي زرع في قلوب من حوله خيراً وهدياً ونور.

الثالثة . من الدخول الى المدينة المنورة وحتى التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى، حيث اسس ﷺ أول مجتمع مسلم فكان القائد والزعيم والمشرع فَوَضَعَ أول دستور متكامل للأمة عُني فيه بتقسيم السلطات وتنظيم العلاقات بين السلطة والناس وبين طوائف المدينة فيما بينها وبين المدينة وما حَوْلَهَا، متصدياً ﷺ في ذات الوقت لدائرة الأعداء التي اتسعت فشملت اضافة لقريش كل جُند الشيطان ممن تصدّى للنور لإطفائه وللخير لوئدهِ ممن تحالف مع قريش من قبائل العرب، واليهود بدسائسهم، وقبائل العرب المُغلقة على كفرها، وامبراطورية الروم... وغيرها من قوى الباطل التي حاولت غزو المدينة أو قتل الاسلام أو وقف انتشاره.

مُستعرضاً غزواته ﷺ وقاتله في الدفاع عن الاسلام وعن المدينة أو في تحييد من منع وصول الهدي والنور والاسلام الى الناس.

ولم يشغله ﷺ ذلك عن السعي لنشر الاسلام بين القبائل والامم حيث اتسعت دائرة الدعوة مثلما اتسعت دائرة الأعداء، ولم يزل على عهده يُنقي النفوس ويبني نموذجاً من العُبَاد ادهشوا العقول بصفائهم ونقائهم، وبتجهاً لربه بأسمى وأكمل العبادة، ولم يشغله أمرٌ عن أمرٍ فبلَّغ الكمال في كل شأن، رغم ما عاناه من شظف العيش ودسائس الأعداء وفقد الأُحبة... وفوق كل ذلك ألمه وحسرتة على من لم يؤمن لأنه سيكون من أصحاب النار، وهو ﷺ المملوء رحمة وخيرا و محبة.

ثم حاولت ان أفرد قسماً لما أورده الصحابة في محاولة وصف خَلْقِهِ و خُلُقِهِ الشريف ﷺ أو الاقتراب من ذلك.

ورغم صعوبة البحث في شخصية النبي ﷺ التي سمت بعظمتها و سموها ورفعتها حيث بلغت الكمال في كل خُلُقٍ حتى ان العقول لتَنحار في فهم رحمته بأعدائه وشجاعته حين يتهاوى الشجعان وصبره على ما لا تطيق الجبال تحمله، فهو الاعجاز وهو الجمال وهو الكمال...

فكيف ترانا نصف الجمال والنور والكمال.

وكيف بعجزني المطلق أصف الكمال الأتم .

وكيف بفهمي الأدنى أصف الجمال الأسنى .

وكيف نَصِفُ نوراً وبهاءً وكمال.

وكيف نَصِفُ العِظْمَةَ اللا متناهية والتي لا يعرفها الا خالقها

سبحانه وتعالى

إلا اني حاولت احلى ما أستطيع لأغلى من أحب

معتذراً عن كل تقصير... لأن الحبيب أكمل من ان نحيط بشمائله.

عدنان أحمد ياسين أفلاحي

بغداد

٢٠١٤ - ١٤٣٥



لماذا الاهتمام بالسيرة النبوية

لماذا الاهتمام بالسيرة النبوية

تكتسب دراسة السيرة النبوية المشرفة أهميتها من أهمية صاحب السيرة العطرة عليه أفضل الصلاة وأتم السلام والذي أمر الله سبحانه وتعالى بالافتداء به امتثالاً لقوله عز وجل ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ١١﴾ الأحزاب ٢١ مما يستلزم متابعة وبحثاً يوصل لمعرفة أدق تفاصيل ومراحل الحياة الإنسانية للنبي الكريم ﷺ ليتسنى أخذ العبر منها والتأسي بها والاحتكام إليها في بحر المشاكل المتلاطم لحياتنا اليومية، وحتى نعرض أنفسنا وسلوكنا على سيرة النبي الأكمل ﷺ لتكون نوراً يضيء لنا دروب الحياة عسى أن يفتح لنا باب القبول والدخول في زمرة ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٣﴾ النساء ١٣، ومن الذين تترفف فوقهم راية السعد والفرح المستديم من أهل الرضوان الأكبر والعفو الأشمل ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ النساء ٦٩ .

كما أن معرفة تفاصيل حياة النبي ﷺ ومعرفة الإعجاز في أخلاقه وما يحمله من رحمة عظيمة وصدق كامل وكرم يحير العقول وقوة متناهية و رقة و رأفة و حنان غامر فان هذه المعرفة ستقود إن شاء الله لمحبة النبي محبة منجية تدخل صاحبها في أهل الإيمان، فمحبه ﷺ باب الخير الموصل للإيمان فلقد جاء في صحيح البخاري ومسلم . كتاب

الإيمان عن أنس أن النبي ﷺ قال ((لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)).^(١)

ومن ذا الذي يقترب من النبي ﷺ ولا يحبه ومن الذي يتفحص أخلاق النبي ﷺ ولا تغمره أنوار المحبة المحمدية وبتيه قلبه في عوالم العشق الأسمى، إلا من لم يبسر للخير ولم يوفق للفوز.

أورد الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والطبراني في المعجم الأوسط والبيهقي في سننه من حديث أبو عقيل زهرة بن معبد، عن جده عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

" لا يؤمن أحدكم حتى أكون عنده أحب إليه من نفسه "

فقال عمر: فلأنت الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الآن يا عمر "

ان سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تكتسب اهمية استثنائية تتفرد بها عن غيرها من سير الانبياء والمرسلين والمصلحين مما يجعلها جديرة بالاتباع والتأسي بأحداثها اكثر من سواها لصدق توثيقها وصحة احداثها وبما يجعلها أصح وأصدق من أي سيرة اخرى لكونها وصلت الينا وتوثقت احداثها بأكمل الطرق العلمية واقواها ثبوتاً وصحة كالقران الكريم الذي بين ملامح الشخصية المحمدية المكرمة واخلاق النبي وصفاته

(١) مسلم باب وجوب محبة رسول الله ١ / ٦٧ برقم ٤٤ .

صلى الله عليه وسلم كما تحدثت آياته وبشكل مجمل ومن غير الخوض بالتفاصيل عن معاناة النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين وما تعرض له من أذى وهجرته الشريفة وما خاض بعدها من جهاد ومجاهدة فتحدثت عن معركة بدر وأحد والأحزاب وعن صلح الحديبية وفتح مكة والكثير من احداث السيرة ووقائعها وبشكل مجمل وعام.

والرافد الثاني للسيرة المكرمة السنة النبوية التي وردت في كتب الحديث النبوي الشريف كالكتب الستة:

البخاري ومسلم وابو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه اضافة لما جاء بموطأ مالك ومسنند الامام احمد والتي ألقت الضوء على جوانب من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته ونضاله في بناء الانسان والمجتمع مما وثق وشرح جزء كبير من حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وهناك مصدر آخر للسيرة الشريفة هي كتب السيرة التي عنيت بحفظ وتوثيق السيرة الشريفة وبأدق تفاصيلها من خلال تتبع احاديث الصحابة في شرحهم لجوانب وتفصيل حياة النبي صلى الله عليه وسلم والتي تناقلها التابعون عن الصحابة ودونوها بصحائفهم كما فعل ابان بن عثمان بن عفان المتوفي سنة (١٠٥ هجرية) و عروة بن الزبير بن العوام المتوفي سنة ٩٣ هجرية، وبما أسس فيما بعد لظهور مجموعة من المهتمين بتدوين السيرة الشريفة وشرح احداثها والذين أفردوا لها تصانيف وكتب تقوم على فصول وأبواب كأبي محمد عبد الملك بن ايوب الحميري البصري المتوفي سنة (٢١٣ هجرية) في كتابه (السيرة النبوية) والذي غلبت عليه تسمية سيرة بن هشام، وصاحب كتاب طبقات ابن سعد

(محمد بن سعد الزهري المتوفي ببغداد سنة ٢٣٠ هجرية، اضافة لصاحب كتاب تاريخ الطبري لمؤلفه ابو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هجرية، ثم العشرات بعدهم من الكتاب والعلماء المهتمين بالسيرة الشريفة والذين وضعوا فيها عشرات المؤلفات).

ان كل هذا التوثيق الدقيق والصحيح للسيرة الشريفة أكسبها مصداقية ووضوح بما يمنح المتابع معرفة بكل تفاصيلها وأدق أحداثها وبما لم يتأتى ويتحقق لسير الأنبياء والرسل والمصلحين السابقين والتي دخل الزيف على اكثرها بل حتى ان الكتب السماوية التي جاء بها هؤلاء الرسل طالها التزييف والتحريف، فكانت سير حياتهم تحمل من الزيف والكذب اكثر مما حملته كتبهم ورسالاتهم، ويظهر هذا بشكل جلي وواضح في التوراة والانجيل وبما يرمي بشك أكثر على سير اصحاب ديانات أقل انتشارا، وكذلك على سير فلاسفة ومصلحين أتباعهم اقل عددا من اتباع اليهودية والمسيحية.

ومن جانب آخر فان حياة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم معروفة جميع جوانبها وكل أحداثها وبوضوح تام.

فمعروف كل ما يتعلق بأبي النبي وأمه وقصة زواجهما وما يتعلق بعائلتيهما، وكل مراحل الحياة النبوية شديدة الوضوح ومعروفة جميع تفاصيلها من طفولته صلى الله عليه وسلم مروراً بشبابه ثم زواجه ومبعثه الشريف وتكليفه صلى الله عليه وسلم بالرسالة ثم نضاله في نشر الاسلام وهجرته ثم غزواته وكل مراحل حياته وبوضوح تام وكامل بل تعدى ذلك

الى معرفة طريقة أكله وشربه صلى الله عليه وسلم وما يحب من الطعام، وحتى مشيته ولون ملابسه.

وهذا مالا يستطيع معرفته المتابع لسير حياة الانبياء والمرسلين وباقي المصلحين وبنفس وضوح سيرته صلى الله عليه وسلم.

كما ان السيرة الشريفة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم انفردت بميزة عن باقي السير هو غناها و شمولها لكل مراحل وجوانب الحياة البشرية والانسانية.

فالباحث والمتابع يعرف طفولة النبي وصباه وشبابه، كما نجد في سيرته محمد الزوج والأب والمصلح والمربي والقائد ورئيس الدولة الذي يضع القوانين ويقود الجيوش ويحارب... حياة غنية بكل النواحي فيمكن ان يقتدي به الطفل والشاب والزوج والمربي والمشرع والقائد ورئيس الدولة، فالكل يجد في حياة النبي ما يرشده الى الخير والسعادة والنور... وهذا الشمول لا يظهر في حياة غيره من أهل السير الأخرى.

فذلك الوضوح والغنى والشمول لا نجده في سير الرسل وعظماء التاريخ مثل بوذا وأفلاطون و كونفوشيوس ونابليون وغيرهم من الذين إن صلحوا للقدوة فلا يصلحون إلا بجانب ممكن أن يقتدى بهم من خلاله.

أما هذا الشمول وهذا التكامل فلا نجده إلا في سيرة النبي الكامل خاتم الأنبياء وسيد الرسل عليه وآله أفضل وأجل الصلوات وأتم التسليم.

(إن سيرة النبي محمد ﷺ تحمل دليل نبوته ورسالته فهي تحكي سيرة إنسان كامل سار بحياته من نصر الى نصر بلا خوارق ولا معجزات غالباً، بل عبر النضال اليومي والجهد والمثابرة والصبر والعمل الدعوب

وبطرق طبيعية فلقد دعا فأوذي وبلغ فأصبح له أنصار واضطر الى الحرب فحارب وكان حكيماً موفقاً في قيادته فانتشرت دعوته بتخطيط وجهد وعمل مضني حتى انتشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية بالإيمان لا بالقهر والغلبة، ومن عرف المقاومة التي لاقتها الدعوة الى الإسلام، ومن عرف عدم التكافؤ بين المسلمين وبين محاربيهم في كل معركة انتصروا فيها، ومن عرف قصر فترة الدعوة التي لم تتعدى ثلاث وعشرون سنة، أيقن أن محمداً رسول الله حقاً، وان ما أمده الله به من ثبات و قوة وتأثير ونصر ليس إلا لأنه نبي الله حقاً.

إن سيرة رسول الله ﷺ تثبت صدق رسالته عن طريق عقلي، وما وقع من المعجزات لم يكن الأساس الأول في إيمان العرب بدعوته، بل إنا لا نجد له معجزة آمن معها الكفار المعاندون، على إن المعجزة إنما تكون حجة على من شاهدها، ومن المؤكد أن المسلمين الذين لم يروا النبي ولم يشاهدوا معجزاته، إنما آمنوا بصدق رسالته للأدلة العقلية القاطعة على صدق دعواه النبوة، ومن هذه الأدلة العقلية: القرآن الكريم، فانه معجزة عقلية تلزم كل عاقل منصف أن يؤمن بصدق محمد ﷺ في دعوى الرسالة. وهذا يختلف تماما عن سير الأنبياء السابقين فهي تشير الى إن الناس إنما آمنوا بهم لما رأوا على أيديهم من معجزات وخوارق دون أن يحكموا عقولهم في مبادئ دعواتهم فتذعن لها، وأوضح مثل على ذلك السيد المسيح عليه السلام فان الله حكى لنا في القرآن الكريم أنه جعل الدعامة الأولى في إقناع اليهود بصدق رسالته أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي المرضى ويحي الموتى و ينبئهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم، كل ذلك

بإذن الله جل شأنه، والأناجيل تروي لنا أن هذه المعجزات وحدها التي كانت سبباً في إيمان الجماهير به دفعة واحدة^(١).

(١) السيرة النبوية دروس و عبر ص ٢١ .

نظرة على الوضع السياسي والديني والاجتماعي للعالم وجزيرة العرب قبل بزوغ فجر الإسلام

من أجل معرفة ضرورات المبعث الشريف للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وما أحدثته بعثته المباركة من أثر في حياة البشر وكيف أنها غيرت مسار التاريخ وأضافت للإنسانية مالم تعرفه قبلاً من قيم الخير والسعادة والرفقي والسمو والارتقاء سنحاول أن نستعرض باختصار الوضع الديني والأخلاقي وتوزيع القوى لشعوب العالم ونلقي نظرة عامة على الوضع العام لعرب الجزيرة وما حولها قبل ظهور فجر الإسلام.

الوضع الأخلاقي والديني في العالم قبل الإسلام:

كان الجهل متفشياً في العالم قبل الإسلام فكانت البشرية تتخبط في دجى ليل حالك من ظلمات الظلم وكان الإنسان يباع ويشترى بأبخس الأثمان والآلاف يذبجون على نصب أهواء المتنفذين من ساسة وقادة وكانت المجتمعات تقسم إلى طبقات بعضها يملك كل شيء بما في ذلك مقدرات الآخرين وأرواحهم، وآخرون لا يملكون سوى بؤسهم وحرمانهم وقدر هائل من الأحزان.

وكان الربا والسرقه والبغاء والقتل لغة العصر ومن ظواهره الطبيعية وما سوى ذلك من انسحاق لقيم الخير التي أمر الله سبحانه وتعالى في كل الشرائع السماوية التي حرفت وبدلت وأفرغت من كل محتوى خير وعدل وانشغل قاداتها بالصراع على مكاسب الدنيا والتقاتل على المصالح،

فكانت الصراعات والقتل والسرقة تجري باسم الدين وأصبح رجال الدين يمثلون أعلى أشكال الغنى والترف ويعيشون حياة مملوءة بكل وسائل الترف واللهو وشرّعوا باسم الدين قوانين وشرائع لم يأمر بها الله حتى أصبحت الأديان وسيلة للقتل والسرقة وتوسيع النفوذ على حساب الفقراء الذين كانوا يذبحون باسم الدين، وتسابق القساوسة والرهبان والملوك والأمراء في ظلم الفقراء وسلبهم أبسط ما يمكنهم من العيش.

اليهودية:

فقدت أساسها وجوهرها من توحيد وعدل وأمانة وعدم انجرار إلى الأهواء ومحاربة الغرائز التي تجر للانحطاط، فحرفت التوراة ونسب الله تبارك وتعالى ما لا يليق به، وأحلّ العلماء لأنفسهم الربا وسرقة أموال الذين لا يدينون بدينهم وبرعوا في الفتن والدسائس وكل ذلك باسم اليهودية.

المسيحية:

اخترق منها نور التوحيد وصدق الإخلاص ونادوا بالثالوث وتقسّموا فرقا تتنازع بينها على مذاهب شركية وأفكار لا تقترب مما أنزل الله وأمر به، وشرّعوا كل أساليب السرقة وفرض السطوة والنفوذ. وأصبح خلاص الناس وخيرهم بالابتعاد عن تلك الأديان والبحث عن تشريعات وضعية بها من العدل أكثر مما عليه تلك الأديان أو ما أصبحت عليه بعد تحريفها.

المجوسية:

حيث كانوا يعبدون النار و يقيمون لها معابد وهياكل ويقربون لها القرابين والنذور ، ومنهم من كان يعبد الشمس.

البوذية والبرهمية:

انتشرت في الهند وآسيا الوسطى وهي عبادات وثنية تقدر الأصنام وتعبدها.

وعلى العموم كانت الإنسانية قبل بزوغ فجر الإسلام، تعيش مرحلة من أحط مراحل التاريخ البشري وفي جميع المجالات الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية .

وطغى المنهج العبثي والفوضوي وعمت الجهالة والخرافة على الأفكار والعقائد وما خلفه ذلك من انحلال اخلاقي واستغلال وعبودية وفجور مما اشاع الظلم والمظالم وعم الجهل والجهالة.

وصار ضروريا ظهور منقذ يخلص الناس من هذا الهوان ويعيد للانسانية شكلها الطبيعي المبني على العدل والمساواة ويحقق انسانية الانسان.

وليس أدلّ على المستوى المتدني والفساد المستشري بين الجميع وبلا استثناء مما جاء في حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فيهم يوما وجاء في خطبته (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته (أعطيته) عبداً حلالاً، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم

الشياطين فاجتالهم (أخرجتهم) عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب^(١).

الحضارات السائدة قبل البعثة المحمدية:

يمكن تقسيم الحضارات السائدة قبل البعثة النبوية الشريفة إلى:

١ - الإمبراطورية الرومانية:

وهي الإمبراطورية البيزنطية وكانت تسيطر على اليونان والبلقان وآسيا وسوريا وفلسطين وحوض البحر الأبيض المتوسط ومصر وكل أفريقيا الشمالية. وكانت عاصمتها القسطنطينية، استعبدت الشعوب التي احتلتها وفرضت عليها الضرائب وبشكل متعسف واتسمت سياستها بالجور والظلم فكثرت الاضطرابات والفتن في أرجاء الامبراطورية وانتشر الظلم والجور فجاعت شعوب البلدان المستعمرة نتيجة المظالم والقسوة ونظام الضرائب المفروض على المستعمرات.

اما المجتمع الروماني فكان اغلبه منصرفا الى اللهو واللعب وارتياح ساحات المصارعة التي يتقاتل فيها الرجال حتى الموت بوحشية وضراوة .

(١) صحيح مسلم كتاب الجنة ٤/٢١٩٧ برقم ٢٨٦٥، والسنن الكبرى باب قراءة

القرآن ٥/٢٦ برقم ٨٠٧٠ والمعجم الأوسط ٣/٢٠٦ برقم ٢٩٣.

٢ - الإمبراطورية الفارسية:

وكانت أكبر وأعظم من الإمبراطورية الرومانية، وكان الملوك فيها يحكمون بالوراثة ويعتبرون أنفسهم من نسل الآلهة فهم فوق البشر، أما الشعوب فحقوقهم مستلبة وهم وقود لحروب طاحنة مستمرة ففي حين كانت موارد البلاد ملكاً للملوك الذين كانوا يعيشون بثراء وبذخ فاحش كانت الشعوب تعيش اسوأ حالات الفقر والجوع، وانتشرت فيها ديانات منحرفة كعبادة العناصر في الطبيعة كالنار والشمس، والزرادشتية ثم العقيدة المانيّة التي ظهرت في القرن الثالث الميلادي والتي تدعو إلى الإباحية.

٣ - الهند:

عاشت الهند أحط أدوارها سياسياً واجتماعياً وأخلاقياً وابتداءً من القرن الميلادي السادس فانتشرت الخلاعة حتى في المعابد وبصبغة دينية وانتشرت عادة إحراق المرأة المتوفى زوجها. وامتازت الهند بتفاوت فاحش بين طبقات الشعب وفق قوانين مدنية ودينية وسياسية وساد الظلم والتزمت والتعصب الدموي، وأصبحت الهند منغلقة على ذاتها بعيدة عما يجري حولها في العالم، فعمّ الانحطاط والتدهور في كل مجالات الحياة.

وقد تحدث استاذ التاريخ في احدى جامعات الهند عن عهد ما قبل الاسلام في الهند فقال: (كان اهل الهند منقطعين عن الدنيا، منطوين على انفسهم، لا خبرة عندهم بالأوضاع العالمية، وهذا الجهل اضعف موقفهم فنشأ فيهم الجمود وعمّت فيهم امارات الانحطاط والتدهور، كان

الادب في هذه الفترة بلا روح، وكان هذا شأن الفن المعماري والتصوير والفنون الجميلة الاخرى).^(١)

العرب... قبل البعثة الشريفة

العرب لغة: الصحاري والقفار والأرض المجدبة التي لا ماء فيها ولا نبات، وأطلق هذا اللفظ منذ أقدم العصور على جزيرة العرب، كما أطلق على القوم الذين قطنوا تلك الأرض واتخذوها موطناً لهم. وجزيرة العرب يحدها غرباً البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء، وشرقاً الخليج العربي وجزء كبير من بلاد العراق الجنوبية، وجنوباً بحر العرب الذي هو امتداد للمحيط الهندي ، وشمالاً بلاد الشام وجزء من بلاد العراق، وتقدر مساحتها ما بين مليون ميل مربع إلى مليون وثلاثمائة ألف ميل مربع.

وطبيعة الجزيرة وكونها محاطة بالرمال والصحارى من كل جانب جعلها حصناً منيعاً لا يسمح للأجانب أن يحتلوها ويبسطوا سيطرتهم عليها، لذلك نجد سكان الجزيرة أحراراً في جميع الشئون منذ أقدم العصور، مع أنهم كانوا مجاورين لإمبراطوريتين عظيمتين لم يكونوا يستطيعون دفع هجماتها لولا هذا السد المنيع. (وقد قسم المؤرخون أقوام العرب بحسب السلالات التي ينحدرون منها:

(١) السيرة النبوية عرض حقائق ص ٣٨ عن السيرة النبوية للندوي .

١- العرب البائدة: وهم العرب القدامى الذين لم يمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم مثل: عاد وثمود وطسم وجديس وعملاق وسواها.

٢- العرب العاربة: وهم المنحدرون من صلب يعرب بن يشجب بن قحطان ويسمون العرب القحطانية.

٣- العرب المستعربة: وهي العرب المنحدرة من صلب إسماعيل عليه السلام وتسمى بالعرب العدنانية (١).

الحالة السياسية:

سكان الجزيرة كانوا بدواً وحضراً إلا أن النظام السائد في الحالتين هو النظام القبلي حيث ظل الولاء للقبيلة ولم ينسجم سكان المدن كأهل يثرب والطائف وغيرها كمجتمع واحد وشعب واحد.

وكانت القبيلة كيان سياسي مستقل تربط أفرادها رابطة الدم والعصبية للقبيلة والشعور بالمنفعة الواحدة والمصلحة المشتركة وفق أعراف تحدد الحقوق والواجبات للأفراد وبما يشكل الهيكل الاجتماعي والسياسي للقبيلة.

وللقبيلة زعيم مطاع يمتاز بالجود والكرم والشجاعة والمروءة وله مكانة متميزة وحقوق معنوية ومادية حيث يكون له الكثير من غنائم القبيلة وبما يؤمن له المنزلة المتميزة والمكانة الأعلى.

(١) الرحيق المختوم ص ١١ - ١٢ .

وكان العرب المجاورين للروم والفرس يعانون من الظلم والاستغلال ونهب الثروات ويعيشون عيشة العبيد بلا حقوق في ظل حكم استبدادي فاسد.

والقبائل المجاورة للمناطق المستعمرة تتقاذفها الأهواء والأغراض فمرة يميلون لأهل العراق وتارة مع حكومة الشام.

والقبائل داخل الجزيرة العربية ورغم ان جو الحرية كان سائداً داخل القبيلة ومسيطرأ على تفكير ابنائها واعتزاز افرادها بحرياتهم الا هذه القبائل كانت مفككة الأوصال في صراع دائم وقتال مستمر لأسباب شخصية أو قتال لطلب العيش والرزق، فما كانت القبيلة تأمن من هجوم قبائل أخرى تذبح رجالها وتغنم أنعامها و مؤنها فكان القتل والقتال صفة أفراد الكثير من القبائل ولأسباب واهية وقد يستمر القتال أحياناً لسنوات. وحتى في الاماكن التي شهدت تطوراً حضرياً نسبياً وكان نظام الحكم فيها ملكياً فكان انتماء الفرد للعشيرة طاعياً على انتمائه للمدينة.

وكان في جزيرة العرب حين بزغ فجر الاسلام اضافة للقبائل التي تستوطن الصحارى والتي كان افرادها يعيشون في ظل اعراف تنظم علاقاتهم في جو من الحرية التي نشأت عن جو الصحراء المنفتح و التجوال وبشكل منفرد او جماعات مما عزز روح الحرية و رفض الاستعباد في نفوس ابنائها وعقولهم، كانت هناك مجموعة مدن يحكمها ملوك وطوائف فكان:

مَلِكٌ في ارض اليمن يتبع سياسياً للإمبراطورية الفارسية ثم تحولت اليمن الى ولاية فارسية يحكمها والي فارسي، و مَلِكٌ في أرض الحيرة من

آل لخم يتبع سياسياً للإمبراطورية الفارسية، وملك في الشام من الغساسنة والذين كانت دومة الجندل قاعدتهم، وكان ملوك الحيرة عمالاً لملوك الفرس يحكمون باسمهم.

وفي مكة سلطة تحضى باحترام العرب ولها زعامة دينية وديوية تخدم البيت الحرام وتشرف على شئون الوافدين من الحجيج. وكانت السيادة والرئاسة الدينية في مكة لقريش، فكانت السقاية والرفادة موكوله الى بني عبد مناف وهم بطن من بطون قريش. والسقاية هي انهم كانوا يملأون للحجاج حياضاً من الماء يحلونها بالتمر والزبيب فيشرب منها من يفد الى مكة، واما الرفادة فهي طعام يصنع للحاج على طريقة الضيافة وكان قصي جد النبي صلى الله عليه وسلم قد فرض على قريش خراجاً تخرجه في الموسم من اموالها الى قصي فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد.

(وكانت دار الندوة والحجابه واللواء والسقاية والرفادة مجتمعة بيد قصي جد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته اقتسموها فكانت السقاية والرفادة الى بني عبد مناف ثم آلت بعد الاقتراع عليها الى هاشم بن عبد مناف ثم تحولت بعد وفاته الى اخيه المطلب بن عبد مناف ثم وليها بعده عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد رسول الله وبعده ابنائه حتى اذا جاء الاسلام كانت بيد العباس بن عبد المطلب) (١)

(١) انظر السيرة لابن هشام / ١ / ١٧٩.

(وكانت لقريش مناصب سوى ذلك وزعوها فيما بينهم، وكونوا بها
دويلة بل بتعبير أصح: شبه دويلة ديمقراطية وكانت لها من الدوائر
والتشكيلات الحكومية ما يشبه في عصرنا هذا دوائر البرلمان ومجالسها،
وهذه لوحة من تلك المناصب:

- ١ . الإيسار، أي تولية قدام الأصنام للاستقسام، كان ذلك في بني جمح
- ٢ . تحجير الأموال، أي نظم القربات والنذور التي تهدى الى الأصنام،
وكذلك فصل الخصومات والمرافعات، كان ذلك في بني سهم.
- ٣ . الشورى كانت في بني اسد.
- ٤ . الشناق، أي نظم الديات والغرامات، كان ذلك في بني تيم.
- ٥ . العقاب، أي حمل اللواء القومي كان ذلك في بني أمية.
- ٦ . القبة، أي نظم المعسكر وكذلك قيادة الخيل، كانت في بني مخزوم.
- ٧ . السفارة، كانت في بني عدي. (١)

الحالة الدينية:

ابتليت الجزيرة العربية بتخلف ديني شديد ووثنية سخيطة لا مثيل لها،
وانحرافات خلقية واجتماعية وفوضى سياسية وتشريعية، حتى قلّ شأنهم
وصاروا يعيشون على هامش التاريخ، ولا يتعدون في أحسن الأحوال أن
يكونوا تابعين للدولة الفارسية أو الرومانية، وصاروا مقلدين لما عليه آبائهم
بكل ما كانوا عليه من ضلال وزيف.

(١) تاريخ أرض القران ٢ / ١٠٤ . ١٠٦ عن الرحيق المختوم.

وكانوا عبدوا الأصنام كما عبدها ابائهم فكان لكل قبيلة صنم،
اصنام كسواع وودّ ويغوث ويعوق ونّسر واسفأ ونائلة ومناة واللات والعزى
إلى جانب أصنام أخرى لا تحصى يحملونها في ترحالهم وأخرى يتزكونها
في بيوتهم.

فنسوا الله سبحانه وتعالى وحُرّف دين إبراهيم عليه السلام وأصابه
التغيير والتبديل وصار الحج موسماً للمفاخرة والمنافرة والمباهاة وانحرفت
المعتقدات الخنيفية عن حقيقتها.

أما الأحناف الذين لا يعبدون الاصنام فلم يعودوا غير قلة او افراد.
وكانت هناك قبائل من اليهود استقرت في يثرب وخيبر وتيماء
وأنشأت فيها القرى والآطام والقلاع فانتشرت عن طريقهم الديانة اليهودية
بين قسم من العرب وأصبح لقبائل اليهود شأن في الأحداث السياسية التي
سبقت ظهور الإسلام.

ومن أشهر القبائل اليهودية: يهود خيبر والنضير وقریظة وقينقاع.

كما دخلت اليهودية إلى اليمن وانتشرت فيها.

ولم تتعدى الديانة اليهودية كونها نظاماً لجمع الأموال بالربا والسرقة
والرياء والدسائس بين الآخرين،

أما الديانة النصرانية فقد جاءت إلى الجزيرة عن طريق احتلال
الحبشة والرومان، وقد اعتنق النصرانية العرب الغساسنة وقبائل تغلب
وطى لمجاورتها للرومان، بل اعتنقها ملوك الحيرة.

ولما احتلت الأحباش اليمن نشروا فيها الديانة المسيحية بشكل واسع
وبلغ من نشاطهم أن بنوا كعبة في اليمن دعوا إلى الحج إليها.

وكانت المسيحية قد أفرغت من محتواها السماوي الذي يقوم على تعظيم الله ووحدانيته والزهد فيما سواه ونادت بعلاقة غريبة بين الله والانسان.

أما المجوسية فقد انتشرت في بلاد العرب الذين جاؤوا الفرس كأهل العراق والبحرين وهجر وما جاورها من سواحل الخليج العربي. فصار الجميع يتخبط في ظلمات وظلم وإتباع للشهوات والرياسة وعبادة المال وعاشوا الضلال بأحلك أشكاله ولم يبق من صفاء الأنفس والتوحيد والإخلاص والبحث عن الحقيقة وإتباع فطرة الخير إلا القليل الذي لا يكاد يبين بين هذا الكم الهائل من الظلمات.



السيرة الزكية
قبل النبوة

النسب الشريف

هو خير الخلق، وإمام الرسل وخاتم الأنبياء سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم.

أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، يصل نسبه إلى عدنان وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

فهو ((مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مِرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُرَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ)) (١)

أما ابن هشام في سيرته فقد زاد في النسب الشريف حتى أوصله بالنبي إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم:

((مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ وَاسْمُ هَاشِمٍ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُ عَبْدِ مَنَافٍ الْمُغْبِرَةُ بْنُ قُصَيِّ، (اسْمُ قُصَيِّ: زَيْدٌ) بْنُ كِلَابِ بْنِ مِرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُرَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ وَاسْمُ مُدْرِكَةَ عَامِرُ بْنُ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ أَدِّ (وَيُقَالُ أَدُّ))

بْنِ مَقْوَمِ بْنِ نَاحُورَ بْنِ تَيْرِحَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - خَلِيلِ الرَّحْمَنِ - (٢)

(١) البخاري باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ٣ / ١٤٩٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٢.

أما أمه ﷺ فهي آمنة بنت، سيد بني زهرة، وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، يلتقي نسبها بنسب أبو النبي ﷺ بالجد الرابع وهو كلاب. وهي يومئذ افضل نساء قريش نسباً ابنة سيد قومه نسباً وشرفاً. واعمامه ﷺ كرام وجهاء من اشراف قومهم ومن خيرهم خُلُقاً وكرماً وبذلاً وشجاعة وتُبلأً وكانوا تسعة اسلم منهم حمزة والعباس... وهؤلاء الاعمام هم

١- حمزة بن عبد المطلب وكنيته ابو عمارة و ابو يعلى.

وهو صنيديد قريش وفارسها القوي النبيل وكان اخاً للمصطفى من الرضاعة اذ ارضعتها ثوية سوية.

٢- العباس بن عبد المطلب و كنيته ابو الفضل وهو أسنُّ من النبي بثلاث سنين.

٣. ابو طالب بن عبد المطلب و اسمه عبد مناف وكان من ابطال قريش و رؤسائهم وخطبائهم وفصحاءهم وعقلائهم وكان يلقب بسيد الأباطح وكان يعيش من التجارة ولد قبل عام الفيل بخمس وعشرين سنة والخلاف كثير في اسلامه ولكن لا خلاف في حمايته للمصطفى وحبه له و صبره على عداوة قريش و اذاها.

٤. ابو لهب بن عبد المطلب: اسمه عبد العزى وكنيته ابو عتيبة.

٥- الحارث بن عبد المطلب وهو اكبر اولاد عبد المطلب وبه يُكْتَى.

٦- الزبير بن عبد المطلب.

٧ - الحجل بن عبد المطلب ويسمى المغيرة ويقال الغيدق لسعة ماله وكثرة خيره وكان اجود قريش واكثرها مالاً وطعاماً.

٨ - المقوم بن عبد المطلب.

٩- ضرار بن عبد المطلب وهو شقيق العباس لأبويه...

و عمات المصطفى ستة وهن من كرائم قريش،
والثابت انه لم تُسلم منهن سوى صفية وعاتكة وأروى بنات عبدالمطلب
وهن:

١- صفية بنت عبد المطلب: وامها هالة بنت وهيب بن عبد مناف وهي
اخت حمزة بن عبد المطلب من ابويه.

٢- أروى بنت عبد المطلب وامها فاطمة بنت عمرو بن عائذ.

٣- عاتكة بنت عبد المطلب وامها فاطمة بنت عمرو بن عائذ.

٤- ام حكيم بنت عبد المطلب وامها فاطمة بنت عمرو بن عائذ.

٥- برة بنت عبد المطلب وامها فاطمة بنت عمرو بن عائذ.

٦- اميمة بنت عبد المطلب (١)

القبيلة

ينتسب صلى الله عليه وسلم إلى قبيلة قريش المشهود لها بالشرف
والجاه والمجد الأصيل والمكانة الرفيعة بين العرب.

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال ان النبي ﷺ قال:

((ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل.

واصطفى قريشاً من كنانة.

واصطفى بني هاشم من قريش.

(١) انظر حياة الرسول المصطفى ١ / ٩٠ - ٩٧.

واصطفاني من بني هاشم،
فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تتشقق عنه الأرض، وأول شافع،
وأول مشفع)) (١)

وقد بين النبي ﷺ علو مكانة قريش وفضليتها.
فعن رفاة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
((أيها الناس إن قريشا أهل أمانة فمن بغاها العواثر أكبه الله
لمنخريه)) يقولها ثلاث مرات (٢)

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ((من يريد هوان قريش يهنه الله)) وأخرجه السري وقال
أهان الله.

وعن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
((من أهان قريشا أهانه الله)) (٣)

و عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التميمي أن قتادة بن النعمان
وقع بقريش وكأنه نال منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((مهلا يا
قتادة لا تشتم قريشا فانك لعلك ترى منهم رجالا (أو يأتي منهم رجال)

(١) صحيح ابن حبان ١٤ / ٣٩٢ برقم ٦٤٧٥ وسنن الترمذي ٥ / ٥٨٣ برقم
٣٦٠٥.

(٢) مجمع الزوائد ١٠ / ٢٦ و مصنف عبد الرزاق ١١ / ٥٦ برقم ١٩٨٩٧.

(٣) مسند الامام احمد ١ / ١٧٦ برقم ١٥٢١ ومصنف عبد الرزاق ١١ / ٥٨
برقم ١٩٩٠٥.

تحقر عملك مع أعمالهم وفعلك مع أفعالهم وتغبطهم إذا رأيتهم لولا أن
تطغى قريش لأخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل)).^(١)

وأسرة النبي صلى الله عليه وسلم تعرف بالأسرة الهاشمية نسبة إلى
جده الثاني هاشم الذي تولى السقاية والرفادة بمكة، وكان موسراً ذا شرف
كبير، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة وكان اسمه عمرو فسُمي
هاشماً لهشمه الخبز، وهو أول من سنّ الرحلتين لقريش رحلة الشتاء
والصيف، وولي بعد حين عبد المطلب السقاية والرفادة فأقام لقومه ما كان
آباؤه يقيمون قبله لقومهم، وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه،
وأحبه قومه وعظم مكانه بينهم.

مولده

(ولد ﷺ بشعب بني هاشم في مكة صبيحة يوم الاثنين ١٢ ربيع
الأول في عام الفيل)^٢

وكانت قابله (المولدة) الشفاء بنت عمرو وهي أم الصحابي عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وحين بشرُوا به جده عبد المطلب دخل الكعبة وحمد الله وشكره، و
سماه باسم محمد ﷺ ولم تكن العرب تعرف هذا الاسم قبلاً.

وعقّ عنه وختته يوم سابعه.

(١) ذخائر العقبى ١ / ١١.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١ / ٢٠٣

أما حاضنته فهي أم أيمن الحبشية.

وكان مولده ومبعثه قد دعا به إبراهيم الخليل ﷺ في قوله:

﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣١﴾ البقرة ١٢٩.

كما بشر به النبي عيسى بقول الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ

الْتَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

وقد وقعت عند المولد الشريف حوادث تنبئ بوقوع أمر عظيم.

((لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ انكسر ايوان كسرى

وسقطت منه اربع عشرة شرافة

وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام،

وغاضت بحيرة ساوة،

ورأى المويذان إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت دجلة

وانتشرت في بلادها، فلما أصبح كسرى أفزعه ما وقع،

فسأل علماء اهل مملكته عن ذلك ((^(١)

الرضاعة أول من أرضعته ﷺ بعد أمه، ثوبية (مولاة أبي لهب) بلبن

ابن لها يقال له مسروح، وكانت أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب،

وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الله المخزومي.

(١) فتح الباري باب علامات النبوة ٦ / ٥٨٤

ثم أرضعته حليلة السعدية بنت ذؤيب (من بني سعد ابن بكر) حتى
القطام وإخوانه من الرضاعة:

عبد الله ابن الحارث، و أنيسة بنت الحارث، و جذامة بنت الحارث
(غلب عليها لقب الشيماء)

وكانت عادة أشرف مكة أن يعهدوا بأطفالهم إلى نساء البادية ليقمن
على رضاعتهم ، لأن البادية أصلح لنمو أجسام الأطفال وأبعد عن
أمراض الحضر التي كثيرا ما تصيب أجسامهم، فضلا عن إتقان اللغة
العربية وتعود النطق بالفصحى منذ نعومه أظفارهم.

وكان مقدار العناية والرعاية بالطفل يختلف من قبيلة لأخرى.
لذا حرص أشرف مكة على أن يكون أطفالهم عند أكثر هذه القبائل عناية
، ورعاية وكانت أشهر قبيلة في هذا الأمر هي قبيلة بني سعد .

وكانت لبني سعد شهرة ليست بسبب العناية والرعاية بالطفل فقط،
بل حازت الشهرة لأن لغتها كانت عربية خالصة لم تشبها شائبة فضلا
عما اشتهرت به من أخلاق كريمة طيبة، لذا حرص عبد المطلب على أن
يكون محمد في بني سعد فلما جاءت حليلة السعدية لتأخذه وأحست هذا
الحرص طمعت في جزل العطاء فتمنعت في أخذه فلما أجزل لها جده
أخذته وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يفخر برضاعته في بني
سعد. ويذكر بعض المؤرخون أن محمداً صلى الله عليه وسلم عرض على
جميع المرضعات اللاتي وفدن على مكة فأبين ان يأخذنه ليطمه وفقره،
وأنهن كن يطمعن في أبناء الأغنياء وأن حليلة ما عادت إليه الا لأنها لم

تجد طفلا غيره ولا اعتقد ان هذا صحيح فمحمد صلى الله عليه وسلم كان يتيماً لكنه لم يكن فقيراً.

فهو في كفالة جدة عبد المطلب سيد مكة وكبيرها ، ومثله من يُطمع في عطائه وقد ذكرت المصادر أن جيش أبرهة في حملته على الكعبة قد حاز مائتين من الإبل لعبد المطلب.

كما أنه فدى ابنه عبد الله بمائة من الإبل.

وذبح مجموعة كبيرة منها في زواجه لا يُصدُّ عنها إنسان ولا حيوان ، فمن كان ذلك حاله أيعقل أن يكون فقيراً تترك المرضعات ولده؟ ذلك فضلا عن إرضاع الأطفال في البادية عادة أشرف مكة وأغنيائها، أما الفقير فكانت كل أم ترضع طفلها.

قضى محمد ﷺ في حضانة ورعاية (حليمة بنت أبي ذؤيب

السعدية) وزوجها (الحارث بن عبد العزى) أربع أو خمس سنوات ثم حدث ما جعلها تعجل بإرجاعه إلى أمه في مكة فمن حديث أنس رضي الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الصبيان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه واعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال انس فكنت ارى اثر المخيط في صدره)

(¹) مسند الامام احمد ٣ / ٢٨٨ برقم ١٤١٠١ وصحيح ابن حبان ١٤ / ٦٣٣٦ برقم ٢٤٩

و لعل شق الصدر يشير إلى الحصانات التي أضفاها الله على محمد ﷺ
فحصنته ضد مساوئ الطبيعة الإنسانية ومفاتن الحياة الأرضية
وقد تعلق قلب حليلة ومن حولها بالحبيب النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يكن هيناً عليها ان ترده الى مكة وخصوصاً بعدما رأت من آيات من
البركة والخير مع مقدم النبي صلى الله عليه وسلم الى ديارهم مما حفلت
به كتب السيرة مما جعلهم يطمعون بطول بقائه بينهم، وان تتعلق قلوبهم
به .

تقول حليلة السعدية (ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما اعلم
أرضاً ما أرض الله اجذب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا
به معنا شباعاً لبناً فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة من لبن ولا
يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم
ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي نؤيب ، فتروح اغنامهم
جياً ما تبض بقطرة من لبن وتروح غنمي شباعاً لبناً . فلم نزل
نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه ،
وفصلته)^١

حياته

توفي والده ﷺ وهو جنين ببطن أمه فولد يتيماً. وتوفيت أمه وعمره
ست سنوات. فكفله جده عبد المطلب الذي رق عليه وقرّبه وأحبه .

(١) السيرة لإبن هشام ١ / ١٦٤

وحين بلغ الثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام توفي جده عبد المطلب فكفله عمه أبو طالب الذي قام بحقه على أكمل وجه وضمه إلى أولاده وأختصه بتفضيل ومحبة وتقدير، واشتغل في صباه برعي الأغنام مساعدة منه لعمه، فلقد رعى الغنم لأهل مكة وهو غلام وأخذ حقه عن رعيه.

ففي الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم قال أصحابه: وأنت ؟

قال: نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة))^(١)

(و عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش: يا أبا طالب، أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام، كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قثماء، حوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فأسند ظهره بالكعبة، ولاذ بإصبعه الغلام، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا و هاهنا، وأغدق واغدوق، وانفجر الوادي وأخضب النادي والبادي، والى هذا أشار أبو طالب حين قال:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل)^(٢)

وعند بلوغه الثانية عشرة من عمره الشريف اصطحبه عمه أبو طالب في رحلة التجارة إلى الشام.

(١) البخاري كتاب الإجازة باب رعي الغنم ٧٨٩/٢ برقم ٢١٤٣ .

(٢) الرحيق المختوم ص ٥٤ .

(حتى وصل بصرى وهي من الشام وكانت قصبة للبلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان.

وكان يعيش في هذا البلد راهب عرف ببخيرا وأسمه جرجيس.
فلما نزل الراكب خرج إليهم وأكرمهم بالضيافة، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك.

وبعد ان دار عليهم وتفحصهم وتمعن بهم فرداً فرداً، عرف رسول الله بصفته، فقال لعمه وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين.

فقال أبو طالب: وما علمك بذلك؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخرّ ساجداً، ولا تسجد إلا لنبي، واني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وانا نجده في كتبنا وسأل أبا طالب أن يرده و لا يقدم به إلى الشام خوفاً عليه من اليهود لأنهم سيعرفوه بلا شك وكما عرفه هو، فبعثه عمه مع بعض غلمانة إلى مكة^١

وحيث بلغ الخامسة عشر من عمره اشترك ﷺ في حرب الفجار التي وقعت في سوق عكاظ بين قريش وكنانة من جهة وبين قبائل قيس عيلان من جهة أخرى وسميت بحرب الفجار لأنهم انتهكوا فيها حرمة مكة والشهر الحرام و كان ﷺ ينبل لأعمامه اي يجهز لهم النبال^٢

(١) مختصر سيرة الرسول ص ١٦ والسيرة لإبن هشام ١ / ١٨٢

(٢) انظر السيرة لإبن هشام ١ / ١٨٢

وبعدها اشترك صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول، وهو حلف بين خمسة بطون من قبيلة قريش: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم، تعاقدوا وتحالفوا فيه على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم إلا أقاموا معه حتى ترد عليه مظلمته.

زواجه

عرف عنه ﷺ محمود الأخلاق و فاضل الصفات والصدق، ما جعل السيدة خديجة بنت خويلد تحرص على أن يذهب ﷺ بأموالها إلى الشام بتجارة .

(و خديجة كانت امرأة تاجرة تستأجر الرجال في مالها و تضاربهم اياه في شئ تجعله لهم.

فلما بلغها عن محمد ما بلغها من صدق حديثه وعظم امانته وكرم اخلاقه أرسلت اليه وعرضت عليه ان يخرج بمالها الى الشام تاجراً وتعطيه افضل ما كانت تعطي غيره من الرجال مع غلام لها يقال له ميسرة^١)

خرج المصطفى ﷺ بتجارة خديجة ومعه غلامها ميسرة وأوصى أعمامه أهل العير به. وأوصت خديجة خادمها ميسرة (لا تعصي له امرأ و لا تخالف له رأياً).

ومضت القافلة ومعها نبي الله صلى الله عليه وسلم وتلك أول مرة يفارق بها اهله جميعا ويرتحل بعيدا عنهم.

(^١) انظر السيرة لابن هشام ١ / ١٨٨

باع محمد ﷺ التجارة التي خرج بها واشترى وريح ضعف ماكان
القوم يربحون.

(ووقع خلاف بينه وبين رجل في سلعة. فقال الرجل: احلف باللات
والعزى. فقال: ما حلفت بهما قط. فقال الرجل القول قولك.
وعادت القافلة الى مكة.

ولما وقفت خديجة على الريح الكثير... أضعفت لمحمد ﷺ ضعف
ما سمّت له (١).

وبعد عودته بشهرين رأت السيدة خديجة من صدقه، وأمانته،
وعفته، وزهده، وفكره الراجح ومنطقه الصادق، ما جعلها ترغب بالزواج
منه، فوافق وتم الزواج، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرون عاما وكانت
في الأربعين من عمرها.

ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها في حياتها.
وقد أنجبت له جميع أبنائه ما عدى إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

أبنائه ﷺ من السيدة خديجة رضي الله عنها

القاسم ثم زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم عبد الله.
وقد توفي البنون صغارا.

أما البنات فأدركن زمن النبوة، فأسلمن وهاجرن.

(١) حياة الرسول المصطفى ١ / ١٤٥.

وتوفاهن الموت رضي الله عنهن قبل النبي ﷺ. إلا فاطمة رضي الله عنها فإنها عاشت بعده ستة أشهر.

تجديد بناء الكعبة:

وعند بلوغه ﷺ الخامسة والثلاثين تصدع جدار الكعبة فجددت قريش بنائه، وقرروا أن لا يدخلوا في الإنفاق إلا طيبا وحلالا. اشترك الجميع بالعمل والذي اعتبروه تشريفا لهم فكان الأشراف يحملون الحجارة على أعناقهم.

(ثم إن قريشاً جزأت الكعبة، فكان شقّ الباب لبني عبد منّاف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم وكان ظهر الكعبة لبني جُمح وسهم ابني عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي، وكان شقّ الحَجَر لبني عبد الدار بن قصي، ولبني أسد بن العزّي بن قصي، ولبني عدي بن كعب بن لؤي، وهو الحَطيّم.

ثمّ إن القبائل من قريشٍ جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلةٍ تجمع على حدة ثم بنّوها، حتى بلغ البنيان موضع الرّكن)^(١).

وحين بلغ البناء موضع الحجر الأسود تنازعوا، وأراد كل رئيس أن يتشرف بحمله ووضعه في مكانه، وزاد التنافس واستمر بضعة أيام حتى كاد يتحول إلى حرب ونزاع، ثم توافقوا على أن يحكموا أول داخل من باب المسجد، وكان الداخل رسول الله ﷺ.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٩٤

فرضي الجميع به وقالوا محمد الأمين، قد رضينا به حكما.
فطلب صلى الله عليه وسلم ثوبا ووضع فيه الحجر الأسود ثم رفع
الجميع الثوب من أطرافه، وحين بلغ الحجر موضعه أخذ النبي ﷺ
ووضعه في مكانه.
ومنع ﷺ الفتنة برجاحة عقله وحسن تدبيره، وأرضى الجميع.

أخلاقه

عرف ﷺ منذ صباه بالعقل والنزاهة والصفات الحميدة، كان جامعا
لمكارم الأخلاق ومحاسن الخصال وكريم السمائل كالصدق والأمانة وصلة
الرحم والحلم والصبر والعفة والكرم والوفاء فلقب ب(الأمين) لما جمع فيه
من أخلاق حباه وأدبه بها ربه سبحانه وتعالى فبلغ الكمال بكل خلق، حتى
إن أخلاقه وحدها قبل البعثة وبعدها كانت إعجازا ربانيا تشهد بأنه نبي.
وحينما قارب ﷺ الأربعين من عمره حبب إليه الاختلاء بنفسه، فكان
يختلي شهرا من كل عام في غار حراء مشتغلا بالتفكير والتأمل.
واستمر على ذلك ثلاث سنوات.
ولما كمل له أربعون عاما بدأت تباشير النبوة وطلّات الرسالة. حتى
أتاه الوحي بالنبوة والرسالة والدعوة إلى توحيد الله سبحانه.

أول نزول الوحي بالنبوة والرسالة

((عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ
من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق

الصباح^(١)، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ^(٢) وكان يخلو بغار حراء فَيَتَحَنَّنُ - أي يتعبد - فيه الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع إلى أهله^(٣) وَيَتَرَوَّدَ لِذَلِكَ^(٤)، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه المَلَكُ^(٥) فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ قال فأخذني فغطني^(٦) حتى بلغ مني الجهدُ ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهدُ فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، فرجع بها^(٧) النبي ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زَمُّونِي زَمُّونِي^(٨) فزملوه حتى ذهب

(١) (في الوضوح لأنها وحي من الله تعالى).

(٢) (أي حبيب الله له ان يختلي عن الناس في غار جبل حراء على ثلاثة اميال من مكة فيعبد ربه على دين أبيه ابراهيم عليهما السلام ويتفكر في مصنوعات الله).

(٣) أي يرجع اليهم.

(٤) أي يأخذ الزاد للاختلاء فاذا فرغ رجع الى خديجة رضي الله عنها فتزود و رجع لخلوته.

(٥) الحق والملك هو جبريل عليه السلام .

(٦) أي ضمّني الى صدره وعصرني حتى بلغ مني الجهد أي المشقة، فعل هذا معي ثلاث مرات.

(٧) أي رجع بهذه الآيات، يرجف فؤاده اي يضرب قلبه وفي رواية ترجف بواده وهي صفحة العنق من هول رؤية المَلَك الذي لم يره من قبل هذا.

(٨) أي غطوني بالثياب فزملوه حتى يذهب عنه الروح اي الخوف و خشيت على نفسي أي الهلاك مما رأيت كأنه شيطان مارد .

عنه الرَّوع فقال لخديجة وأخبرها الخبرَ لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلاً (١) والله ما يُخزيك الله أبداً إنك لتصلِ الرَّحِمَ وتحمِلُ الكَلَّ وتكسِبُ المَعْدومَ وتقري الضَّيفَ وتُعِينُ على نوائبِ الحقِّ .

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسدِ بن عبد العزَّى ابن عمِّ خديجة وكان امرءاً قد تنصَّرَ في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء له الله ان يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمِيَ فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ بخبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني اكون حياً اذ يُخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم ؟

قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عُودي، وان يُدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة ان توفي و فترَّ الوحي ((وعن جابر رضي الله عنه وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه عن النبي ﷺ: بينا انا امشي اذ سمعتُ صوتاً من السماء فرفعت بصري فاذا المَلَكُ الذي جاءني بغارٍ جِراءِ جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والارض فرعبتُ منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿

(١) أي لا تقل هذا فانك محفوظ بعناية الله لأنك تصل رحمك وتحمل الكل أي تعين الضعيف وتكسب العدم اي تكسب الناس المعدوم عندهم كالمروءة والنجدة ومكارم الأخلاق، وتعين على نوائب الحق أي تفرج عن الناس الكروب والشدائد لأنها من عند الله تعالى .

(٢) التاج كتاب النبوة والرسالة باب أول نزول الوحي بالنبوة والرسالة ٣ / ٢٥٢ .

يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ ① قُرْآنًا ذَرًّا ② وَرَبِّكَ فَكَبِيرًا ③ وَيُنَادِيكَ فَطِيرًا ④ وَالرُّجُزَ فَاهْجُرًا ⑤

فحمي الوحي و تتابع)) (١)

((عن يحيى رضي الله عنه قال: سألت ابا سلمة أي القرآن أنزل قبلُ؟ قال: يا أيها المدثر فقلت: أو اقرأ، قال سألت جابر بن الله أي القرآن أنزل قبلُ؟ قال: يا أيها المدثر فقلت: أو اقرأ، قال جابر أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: جاوزت بحراء شهرًا (٢)، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم ار احداً، ثم نوديت فنظرت فلم أر احداً، ثم نوديت فرفعت رأسي فاذا جبريل على العرش في الهواء فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني فصبوا علي ماء فأنزل الله عز وجل:

(١) التاج كتاب النبوة والرسالة باب أول نزول الوحي بالنبوة والرسالة ٢٥٤ / ٣.
(٢) أي جاوزت بحراء شهرًا أي اقامت فيه اعيد الله شهرًا ثم اردت الذهاب الى بيتي لأنظر مصلحته فخرجت من الغار فسرت حتى استبطنت الوادي أي صرت في بطنه في الطريق ناداني مرات فنظرت فاذا هو جبريل بالسما فانتابني الرعب وذهبت الى اهلي وطلبت ان يغطوني حتى يذهب خوفي فدثروني وصبوا علي ماء لإطفاء حرارة الخوف والهم فأنزل الله تعالى على نبيه هذه الآيات التي تأمره بتبليغ الرسالة فثبتت رسالته من هنا، وأما النبوة فمن نزول جبريل عليه في الغار بقوله ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ ولا منافاة بين حديث جابر هذا وحديث عائشة فإن ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيثُ ①﴾ أول ما أنزل للرسالة، و ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ②﴾ أول ما نزل للنبوة على صاحبهما أفضل الصلاة والسلام.

﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدَنِيُّ (١) قُرْآنًا نَذِيرًا (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِيرًا (٣) وَثِيَابًا فَطَهْرًا (٤)﴾ (١).

وهكذا بدأت مرحلة جديدة من حياة النبي ﷺ يسعى من خلالها لنشر الدين الجديد، الدين الذي يُخرج الناس من الظلمات الى النور و من عبادة الأصنام الى عبادة الملِكِ العَلامِ ومن عبادة البشر الى عبادة رب البشر. و بدأت رحلة النبي ﷺ لنشر الخير والنور بين البشر متحملاً من العذاب ما لا يطيقه غيره من أجل بناء انسان جديد انسان يعيش في دائرة النور ودنيا الخير.

(١) التاج كتاب النبوة والرسالة باب أول نزول الوحي بالنبوة والرسالة ٣ / ٢٥٥.



السيرة العطرة
قبل الهجرة

(وهي ثلاث عشرة سنة تقريبا)

الدعوة إلى الله سرا

❁ بدأ النبي ﷺ دعوة المقربين إلى عبادة الله والدخول بالإسلام، لأن الله سبحانه وتعالى اختار أن تبدأ الدعوة سرا فلا يطلع عليها إلا من توسم فيهم خيرا ممن عُرفَ بحب الخير والبحث عن الحقيقة من الموثوق بهم من الأهل والأصدقاء والعشيرة.

فآمن له أم المؤمنين خديجة وأبو بكر وعلي ابن أبي طالب وزيد ابن حارثة الكلبي، رضي الله عنهم •

وكانت زوجة رسول الله المخلصة ام المؤمنين خديجة تتابع مع النبي ﷺ مراحل نبوة زوجها فأمنت بما أنزل اليه واتبعت النور الذي جاء به وصدقته وأزرتة وسخّرت كل ما لديها لخدمته وعاشت معه كل مراحل الدعوة مؤمنة صابرة حتى اختارها الله سبحانه وتعالى للقاءه.

وجاء في سيرة ابن هشام ان أول رجلٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلّى معه وصدّقَ بما جاءه من الله تعالى: (علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه وهو يومئذ ابن عشر سنين.

وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام.. (١)

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٤٦.

والحاصل مما أوردته واجمعت أكثر كتب السيرة عليه ان اول من آمن لرسول الله ﷺ من النساء ام المؤمنين خديجة وقبل الرجال ايضا، واول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة، واول من اسلم من الغلمان علي بن ابي طالب والذي كان دون البلوغ وقتها، وجميع اولئك كانوا من اهل بيت النبي ﷺ اما من الرجال الأحرار فأول من أسلم ابو بكر الصديق رضي الله عنهم، ثم راحت دائرة الصحابة تتسع رويدا رويدا من المسلمين السابقين الأولين إلى الهدى والخير كعثمان ابن عفان والزبير ابن العوام وعبد الرحمن ابن عوف وسعد ابن أبي وقاص وطلحة ابن عبيد الله، فكانوا الرعيل المبارك الأول وطلیعة الإسلام.

(ومن أوائل المسلمين بلال ابن رباح الحبشي وأبو عبيدة ابن الجراح والأرقم ابن أبي الأرقم وعثمان ابن مظعون وسعيد ابن زيد وامراته فاطمة بنت الخطاب وخباب ابن الأرت وعبد الله ابن مسعود وخلق سواهم، وعدهم ابن هشام أكثر من أربعين نفرا) (١)

❁ كان ﷺ يربي الصحابة ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويقودهم إلى منازل نقاء القلوب و علو الأخلاق وعفة النفوس والصدق، كان ﷺ يخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم حب الله والثبات على الحق والاستقامة عليه. فتخرجت من المدرسة المحمدية نجوم من الصحابة أنارت للناس دروب الخير والصلاح ونشرت قيم الحب والفلاح، حملت

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٥٠

راية الإسلام فغزت القلوب وأذهلت بأخلاقها العقول والألباب، وقد قال الحق تبارك وتعالى فيهم:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ الكهف ١٨ .

❁ (وكان الوحي قد تتابع وكثر نزوله بعد أوائل المدثر . وكانت الآيات وقطع السور تنزل في هذا الزمان آيات قصيرة، ذات فواصل رائعة منيعة، وإيقاعات هادئة خلابة تتناسق مع ذلك الجو الهادئ الرقيق، تشتمل على تحسين وتركيز النفوس، وتقبيح تلوئثها برغائب الدنيا، تصف الجنة والنار كأنهما رأي العين، تسير بالمؤمنين في جو آخر غير الذي فيه المجتمع آنذاك.

وكان من أوائل ما نزل، الأمر بالصلاة، قال مقاتل ابن سلمان: فرض الله في أوائل الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (غافر ٥٥) (١)

وكانت بداية الوحي وأول ما تلقى الرسول الكريم ﷺ من ربه:

﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ

بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ العلق.

(١) الرحيق المختوم ص ٧١ .

ثم تلاها قول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَرَبَّكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمَنَّ عَلَى الْمُنْكَرِ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ المدثر .

وذلك أمر من الله سبحانه وتعالى الى رسوله بأن ينذر الناس جميعا من مخالفة الله ويُبصِّرهم بعواقب الخروج عن أوامر الله وحدود شرعه، وان الله سبحانه وتعالى اكبر من كل ما سواه وأن له العزة والكبرياء، كما إنها تشير إلى التطهر وهجران الرجز وهذا ما ينبئ عن طهارة النفس باطنا وظاهرا وان الله سبحانه وتعالى سيزكي نفس رسوله ويرقيها إلى مستوى من الكمال كما يريد الله لحبيبه.

وفي الآيات أمرٌ بالصبر وهو إشارة لما سيلقاه الحبيب المصطفى وصحبه من الأذى والجهد والابتلاء في تبليغ الدعوة والصبر عليها. (ويقال إن أول ما نزل بعد المدثر سورة الفاتحة وهي سورة تجمع بين الحمد والدعاء وتشتمل على جميع المقاصد المهمة من القرآن والإسلام، وان أول ما أمر به النبي من العبادات الصلاة ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي، نزل بذلك جبريل فعلمه الوضوء والصلاة. فكانت الطهارة الكاملة هي سمة المؤمنين، والوضوء شرط الصلاة، والحمد والتسبيح من أورد الصلاة، وكانت الصلاة هي عبادة المؤمنين، يقيمونها، ويقومون بها في أماكن بعيدة عن الأنظار، وربما كانوا يقصدون بها الأودية والشعاب).^(١)

(١) روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ص ٣٦ .

(عن عائشة رضي الله عنها قالت أُفترِضَتْ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَا أُفْتَرِضَتْ عَلَيْهِ رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ كُلَّ صَلَاةٍ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَتَمَّهَا فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَأَقْرَّهَا فِي السَّفَرِ عَلَى فَرَضِهَا الْأَوَّلِ رَكَعَتَيْنِ). (١)

(أَنَّ الصَّلَاةَ حِينَ أُفْتَرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جَبْرِيْلُ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقْبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ فَتَوَضَّأَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ الطَّهُّورُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا رَأَى جَبْرِيْلُ تَوَضَّأً ثُمَّ قَامَ بِهِ جَبْرِيْلُ فَصَلَّى بِهِ وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَلَاتِهِ ثُمَّ انصَرَفَ جَبْرِيْلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ، فَتَوَضَّأَ لَهَا لِيُرِيَهَا كَيْفَ الطَّهُّورُ لِلصَّلَاةِ كَمَا أَرَاهُ جَبْرِيْلُ فَتَوَضَّأَتْ كَمَا تَوَضَّأَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثُمَّ صَلَّى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا صَلَّى بِهِ جَبْرِيْلُ فَصَلَّتْ بِصَلَاتِهِ) (٢)

وكان من معالم هذه المرحلة الكتمان والسرية التامة والتحرك ببطء وحذر وبحس وأمني عالي وتخطيط دقيق عرف به النبي ﷺ في هذه المرحلة وربي عليه أصحابه في كل المراحل اللاحقة.

(١) انظر مسند الامام احمد ٦ / ٢٣٤ برقم ٢٦٠٠٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٤٤.

(كانت نقطة البدء في حركة التربية الربانية لقاء المدعو إلى الإسلام، بالنبى ﷺ فيحدث للمدعو تحول غريب واهتداء مفاجئ بمجرد اتصاله بالنبى صلى الله عليه وسلم فيخرج المدعو من دائرة الظلام إلى دائرة النور ويكتسب الإيمان ويطرح الكفر، ويقوى على تحمل الشدائد في سبيل دينه الجديد وعقيدته السمحة.

كانت شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم المحرك الأول للإسلام، وشخصيته صلى الله عليه وسلم تملك قوى الجذب والتأثير على الآخرين فقد صنعه الله على عينه، وجعله أكمل صورة لبشر في تاريخ الأرض. والعظمة دائما تحبّ، وتحاط من الناس بالإعجاب ويلتف حولها المعجبون يلتصقون بها التصاقا بدافع الإعجاب والحب، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيف إلى عظمته تلك، انه رسول الله، ملتقى الوحي من الله، ومبلغه إلى الناس، وذلك بعد آخر له أثره في تكييف مشاعر ذلك المؤمن تجاهه، فهو لا يحبه لذاته فقط كما يحب العظماء من الناس، ولكن أيضا لتلك النفحة الربانية التي تشمله من عند الله، فهو معه في حضرة الوحي الإلهي المكرم، ومن ثم يلتقي في شخص الرسول ﷺ البشر العظيم والرسول العظيم، ثم يصبحان شيئاً واحداً في النهاية، غير متميز البداية ولا النهاية.. حب عميق شامل للرسول البشر، أو للبشر الرسول، ويرتبط حب الله بحب رسوله ويمتزجان في نفسه، فيصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها، ومحور الحركة الشعورية

والسلوكية كلها. كان هذا الحب الذي حرك الرعيل الأول من الصحابة هو مفتاح التربية الإسلامية ونقطة ارتكازها ومنطلقها الذي تنطلق منه (١).

الدعوة جهاراً

❁ بعد ثلاث سنوات من العمل سرا، عمل فيها النبي ﷺ على الاصطفاء والتأسيس، على الاختيار الدقيق للمسلمين وتربيتهم وإعدادهم لتحمل عبء الدعوة وتكاليف الجهاد ضد النفس والشيطان والكفر... أمره الله سبحانه وتعالى بالجهار بالدعوة، فابتدأ صلى الله عليه وسلم بقبيلته وعشيرته.

❁ عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٣١٤) الشعراء، صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي (يا بني فهر، يا بني عدي) - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش فقال:

(أرأيتم إن أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟) قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا.

قال: فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد (ولما تمت هذه المرحلة الطبيعية البدائية، وتحققت شهادة المستمعين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب ص ٣٤، ٣٥.

﴿ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (٤٦) وكان ذلك تعريفا بمقام النبوة وما ينفرد به من علم بالحقائق الغيبية والعلوم الوهبية، وموعظة وإنذارا طريق أقصر من هذا الطريق ولا أسلوب أوضح من هذا الأسلوب، فسكت القوم (١).

دعاهم ﷺ إلى شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أن يؤمنوا بالله وأن يشتروا الآخرة بالدنيا فيريحوا الدنيا والآخرة ويفوزوا برضا الله وحبه.

❁ أنكرت قريش على النبي ﷺ دعوته إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام

﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴾ (٤) ﴿ اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٥) ﴿ وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمِ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَيَّ الْهَتَّكَرُ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ (٦) ﴿ مَا مَعَنَا بِهِدَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴾ (٧) ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ (٨) سورة ص، واستمر النبي ﷺ في دعوته وبدأ يجهر بها في نواديهم وتجمعاتهم يتلو عليهم كتاب الله ويدعوهم إلى الإسلام والتوحيد وراح يعبد الله أمام أعينهم فكان يصلي بفناء الكعبة نهارا جهرا وعلى رؤوس الأشهاد. وبدأ بعض الناس يستمعون لصوت الحق ويتبعون النبي بعد أن أثار الله قلوبهم وشرح للخير صدورهم فالتحقوا بقافلة النور.

(١) السيرة النبوية أبي الحسن الندوي ص ١٣٨.

مكابرة زعماء قريش وعنادهم

قبل الجهر بالدعوة وقبل الدعوة الى الاسلام كانت الجزيرة تتحدث عن نبي حان زمان ظهوره، ومكة وقريش كالأخرين كانت تنتظر مجيء النبي الموعود الذي بشر به كثيرون ،أنبياء وعلماء ورهبان ، فظهور النبي ﷺ والدعوة الى الاسلام لم تأت الكفار بمكة بأمر فاجأهم أو باغتهم، انه أمر ينتظره الكثير بل ان البعض كان يمني النفس بأن يكون هو ذلك النبي الذي تتطلع القلوب الى ظهوره، وحين ظهرت الدعوة وجاء الرسول يدعوهم الى النور، كانت قلوبهم تستيقن ان ما جاء به محمد ﷺ هو الحق وان دعوته لا تصدر الا من نبي، ورغم تيقنهم من صدقه، فقد كذبوه، ورغم انه دعاهم الى مكارم الأخلاق من صدق وأمانة ووفاء بالعهد وغيرها من أخلاق الاسلام الكريمة، ورغم ايمانهم بأن هذه دعوة لمكارم الاخلاق والتي يتمناها كل حُر وكل شريف، الا انهم كذبوه وخالفوه.

ورغم ان كلامه كان يلامس القلوب واحساسهم ان هذا الكلام فوق كلام البشر ورغم معرفتهم انه حق لم يؤمنوا.

ذات صباح ، حين كان زعماء قريش في ناديهم يتدارسون الموقف الصعب،وما آل اليه صراعهم مع قوى النور والخير، رأوا المصطفى يأخذ طريقه إلى المسجد الحرام وحيدا ليس معه صاحب.

(قال لهم (عتبة بن ربيعة بن عبد شمس) ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، وكيف عنا ؟ قالوا وقد داخلهم الخوف من إسلام حمزة بن عبدالمطلب بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلمه .

وقام عتبة حتى جلس إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال له متلطفا متوددا:

يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكان في النسب.

وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم.

فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنتظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال عليه الصلاة والسلام: (قل يا أبا الوليد، أسمع).

وقال أبو الوليد: - يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا

الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا.

وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك.

وإن كنت تريد به مُلْكا ملكناك علينا.

وإن كان هذا الذي يأتيك رأيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك

الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل

حتى يداوى منه.

سأله المصطفى صلى الله عليه وسلم (أقد فرغت يا أبا الوليد؟)

قال: نعم.

قال رسول الله (فاسمع مني)، وتلا عليه الصلاة والسلام من سورة فصلت:

﴿حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي

أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيءِ آذَانِنَا وَقُرْءِ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونُ
 ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ
 وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ فصلت.

وكان عتبة ينصت لها وقد ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما
 يسمع من المصطفى.

فلما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنزَلَ
 وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
 خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ فصلت ٣٧.

سجد محمد عليه الصلاة والسلام، ثم قال لعتبة: (قد سمعت يا أبا الوليد
 ما سمعت، فأنت وذاك).

ومضى عتبة مأخوذاً بما سمع، حتى إذا دنا من مجلس أصحابه عرفوا أنه
 جاء بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلس إليهم سألوهم ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنني قد سمعت
 قولاً والله ما سمعت مثله قط.

والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.

يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو
 فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم.

فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم
 وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به.

قالوا جميعا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.

ورد عليهم: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم)^١

وبقي عتبه، مع ذلك، على دينهم ودين آبائهم..

﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿النمل ١٤﴾

وقد يكون مردُّ عدم ايمانهم تلك المكانة الاجتماعية والسياسية لقريش بين القبائل وزعامتها الدينية وما كانت تدر عليهم من غنى وثراء وسيادة بين العرب فما مصير الهتهم المتعددة ان آمنوا بإله واحد، وقد يكون السبب ان هذا الدين يقوِّض الوضع الطبقي الذي قامت عليه حياتهم الاجتماعية فهو يساوي بينهم وبين مواليتهم ولا فرق بين عبد وحر الا بقدر ما يحسنه كل منهم، وقد يكون سببها الحسد، فلماذا محمد، وهو ليس الأكثر ثراء وفيهم من هو اكبر جاها بعرف قريش ، وربما صدق ظن ابليس فيهم فأركسوا في غيهم وكفرهم، وربما كل هذه مجتمعة وأخرى غيرها، وتلك سنّة ماضية بين الخلق ان كل دعوة خير وصلاح تقابلها قوى الظلام بمحاولات قتل وتهديم وان الامر حين جاء، كان أعظم من أن يُصدَّق وأكبر من أن يُتلقَى بالتسليم والاقرار .

ولقد قالها (ورقة بن نوفل) للمصطفى، غداة المبعث: (والذي نفسي بيده،

إنك لنبي هذه الامة، ولتُكذِّبَنَّ ولتؤدِّبَنَّ ولتُخرَجَنَّ.

سأله عليه الصلاة والسلام: (أو مخرجي هم ؟).

(^١) السيرة لابن هشام ١ / ٢٩٤

فقال ورقة: - نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي)^١
وكان (ورقة) ينطق بما قرأ من تاريخ الاديان، وعرف من طبيعة الشعوب
والجماعات: لم يأت رجل قط بمثل ما جاء به محمد رسول الله، الا
عودي.

وليست العرب أقل عنادا وتمسكا بدين الآباء، من أمم قبلها كذبت
بالحق لما جاءها.
وهذه قريش، لم تُصدّق سمعها حين جهر فيها المصطفى بدعوته.

محاربة الاسلام

✽ حاربت قريش النبي ﷺ وعملت على السخرية منه والاستهزاء برسالته
والحيلولة بين الناس وبين الاستماع إليه، وإثارة الشبهات وتكثيف
الدعايات الكاذبة حوله ﷺ... حتى آذته بشخصه الكريم وحالت بينه
وبين إيصال الدعوة إلى الناس، واعترضوا على وحدانية الله سبحانه
وتعالى، وكفروا بالآخرة وشككوا باليوم الآخر، واعترضوا على رسول
الله ﷺ ووصفوه بهتانا بما لا يليق بشخصه الكريم، ولم يصدقوا أن
القرآن منزل من العزيز الجليل.

(^١) صحيح البخاري باب كيف كان بدء الوحي ٤/١ برقم ٣ و مسند الامام احمد ٦/٢٢٣
برقم ٢٥٩٠٧

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ تَوَادُّعُوا مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنَّهُمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَعَلَّمَ أَنْ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ هود .

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادُّعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ يونس .

تداهم القران ان يأتوا مجتمعين بسورة واحدة وهم فرسان الحروف ورجال البلاغة وأهل المعلمات.

كانوا بداخلهم يعلمون انه ليس قول البشر، لكنه الكبر والعزة والغواية تمنعهم من اتباع الهدى.

الحيلولة بين الناس وسماع القران

❁ حين تسامعت قريش بخروج سيد بني دوس: الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه حاجا إلى مكة في الموسم، أسرع رجال منهم يستقبلونه على مشارفها قبل أن يدخلها، وهم يحسبون له ألف حساب. كان شاعرا شريفا لبيبا مطاعا في قومه، فلو أن مشركي قريش تركوه يستمع إلى القرآن، لأسلم وأسلمت من ورائه قبيلة دوس كلها.

قالوا: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل

وبين أبيه وأخيه وزوجه وبنيه، وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن له شيئاً.

ثم ما زالوا به، ينصحون ويحذرون، حتى أقنعوه.

فاطمأنا إلى وعده وقد أجمع ألا يكلم محمداً ولا يسمع منه.

واتجه طفيل إلى الكعبة وقد حشا أذنيه قطناً، يتقي به أن يبلغ سمعه صوت الداعي إلى الإسلام.

غير أنه ما كاد يلمح المصطفى قائماً يصلي عند الكعبة حتى اقترب منه على غير قصد، فنفذت إلى سمعه كلمات من القرآن لم يصددها ما حشا به أذنيه.

(قال يحدث نفسه مسترجعاً: واثلل أُمي! والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى القول علي، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته؟ وانتظر حتى انصرف المصطفى إلى بيته، فاتبعه ودخل عليه فقال: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا.

فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني لئلا أسمع قولك.

ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعتة قولاً حسناً، فاعرض علي أمرك.

وعرض المصطفى عليه الإسلام، وتلا عليه القرآن.

فيقول الطفيل: (فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً عدل منه.

فأسلمت وشهدت شهادة الحق.

وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيتهم إلى الاسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه) ودعا له المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ورجع (الطفيل) إلى قومه ووجهه يتألق بنور الايمان، فأقام فيهم يدعوهم إلى الاسلام) ^١

حتى كانت غزوة خيبر في مستهل السنة السابعة للهجرة فوفد (الطفيل بن عمرو الدوسي) على النبي صلى الله عليه وسلم في دار هجرته، ومعه سبعون أو ثمانون بيتاً أسلموا من بني دوس.

لامس نور الحق قلب الطفيل فاجتاز العقبة واتبع الحق وصدق به اما كفار قريش فقد أغلقوا قلوبهم أمام النور واستحبوا العمى. وإن نور الله ليشمل الجميع فليس ثمة محروم لكن ، هناك من يستلم النور ويستجيب للهدى، وهناك من يُغلق قلبه و يُوثرُ الظلالة فيحرم نفسه.

محاولات جديدة لقريش

❁ وازدادت حيرة زعماء قريش امام ثبات رسول الله ﷺ على الدعوة للإسلام، فذهب وفد منهم الى ابي طالب عم النبي وحاميه وطلبوا اليه ان يكف ابن اخيه عن سب آلهتهم وتسفيه دينهم، فأسمعهم كلاماً طيباً

^١ انظر سيرة ابن هشام ٣٨٢م و سيرة ابن كثير ٧٢م

ووعدهم خيرا، ولم يتغير شيء فقد استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله بلا فتور، وكان هناك من يستمع اليه ويتبعه، فعادوا الذهاب لعمه وقالوا إنا كنا قد استتهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا. وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين. وعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم تطاوعه نفسه على خذلان ابن أخيه..

وجاء المصطفى فسمع حديث عمه عن شكوى قومه . وكانوا قائمين لديه ثم قال: (يا عم، إني أريدهم على كلمة واحدة). قالوا بصوت واحد: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك، وعشر كلمات! فما هي؟ قال: (لا إله إلا الله).

فانتفضوا مذعورين وخرجوا غضابا ينفضون ثيابهم ويهزون رؤوسهم في رفض وإنكار: (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا. إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ). ﴿أَجْعَلِ

الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ ص: ٥

قال له عمه بعد خروجهم:

(يا ابن أخي، أبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الامر ما لا أطيق.

رد المصطفى، وقد ظن أن عمه ضعف عن نصرته:

(يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن

أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته).

واستعبر لم يملك دمه، وهو يوشك أن يفارق عمه الذي كان له أبا وكافلا وراعيًا وصديقًا.

ناداه عمه وقد رآه يمضي حزينا أسفا: أقبل يا ابن أخي.
فأقبل عليه الصلاة والسلام ليسمع كلمة عمه أبي طالب: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا^١
عرفت قريش أن أبا طالب لن يتخلى عن نصرته أبين أخيه ولن يخذله، فليس لها إليه من سبيل إلا أن تخوض حربا مع بني هاشم.
وفي حيرتها واضطرابها وعجزها وقهرها، زين لها سفهها رأيا أحمق:
ماذا لو ساومت أبا طالب على محمد، ابن أخيه، وتعطيه فتى من فتيانها بديلا عنه؟

(وليكن هذا البديل (عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي) زين شباب بني مخزوم فتوة وعقلا.

وقبل عمارة، رجاء أن تتحسم به الفتنة التي مزقت قومه قريشا.
وضحك ابو طالب من سذاجة الطلب يأخذون ابنه ليقتلوه ويعطوه ولدهم ليرييه لهم^٢

وتبين لزعماء قريش ان محمدا لن ينثني.

فلا بد من اسلوب جديد.

(١) السيرة لابن هشام ١ / ٢٦٦

(٢) أنظر مختصر سيرة الرسول ص ٦٨

❁ كانت قريش ترقب مواليها وارقائها يسارعون للاستجابة للإسلام، وان دائرة المسلمين بدأت تتسع فتعاهد السادة ووثب كلُّ الى نفر من المسلمين يعذبهم.

عذبت قريش ورؤوس الشرك فيها المسلمين وتفننت بإيذائهم والتكيل الشديد بهم. بالضرب الشديد والإيذاء والتحريق في رمال الصحراء وعلى صخورها الملتهبة والحبس وكل ما يفتق عنه ويبتدعه عقل الشر مما يقشعر له البدن ولا تصدقه العقول.

❁ كان من تلقاء هذا الاضطهاد أن يمنع رسول الله ﷺ المسلمين من إعلان إسلامهم قولاً أو فعلاً وأن لا يجتمع بهم إلا سرا، لأنه إذا اجتمع بهم علنا فلا شك أن المشركين يحولون بينهم وبين ما يريد من تركية المسلمين وتعليمهم الكتاب والحكمة وربما يفضي ذلك إلى مصادمة الفريقين، فكان عامة الصحابة يخفون إسلامهم وعبادتهم ودعوتهم واجتماعهم، أما رسول الله ﷺ فكان يجهر بالدعوة والعبادة بين ظهراي المشركين لا يصرفه عن ذلك شيء، ولكن كان يجتمع مع المسلمين سرا، نظراً لصالحهم وصالح الإسلام، ولأن التصادم مع قريش لم يكن بصالح المسلمين وكان يمكن ان يفضي الى نهاية الاسلام والمسلمين صار من الضروري ان يصار الى اجتماع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحابة سراً ، وان تكون العبادة بعيدة عن عيون قريش ، ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي على الصفا، بعيدة عن أعين الطغاة ومجالسهم، تشكل ملاذاً آمناً للمسلمين ، فكان أن اتخذها مركزاً لدعوته، ولإجتماعه بالمسلمين من السنة الخامسة من النبوة.

فيما بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله علناً ويعبد الله
بمراى من قريش وامام انظارهم .

الهجرة الى الحبشة

✽ حين خلت أشهر من السنة الخامسة للدعوة اشتد البلاء على أصحاب
رسول الله ﷺ وجعل الكفار يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع
والعطش ورمضاء مكة والنار ليردوهم عن دينهم، فمنهم من يفتن وقلبه
مطمئن للإيمان ومنهم من تحمل أذى لا يحتمل واحتسب وصبر .

(في هذه الساعة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف التي اشتملت
على ثلاث قصص فيها إشارات بليغة من الله سبحانه إلى عباده المؤمنين
فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين
مخافة الفتنة على الدين. وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا
تجري ولا تفهم حسب الظاهر دائماً بل ربما يكون الأمر على عكس
الظاهر وفيها أن الحرب ضد المسلمين الضعفاء المدحورين ستعكس
تماماً. وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده
وأن الله لا يزال يبعث من عباده من يقوم بانجاء الضعفاء من يأجوج ذلك
الزمان و مأجوجه. ثم نزلت سورة الزمر تشير في الآية العاشرة إلى
الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقة). (١)

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿ الزمر ١٠ .

(١) أنظر الرحيق المختوم ص ٨٧ .

في رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة تنفيذاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة. انعكس أذى قريش للصحابة ألماً في قلب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم المملوء شفقة على أصحابه، الرحيم بالمؤمنين، فبحث بحرص شديد عما فيه أمنهم وراحتهم فلذلك أشار عليهم بالذهاب عند الملك العادل الذي لا يظلم أحد عنده، ليأمن المسلمون على عقيدتهم وأنفسهم وكان الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام. وحاولت قريش أن تدركهم لتردهم إلى مكة وخرجوا في أثرهم حتى وصلوا البحر، ولكن المسلمين كانوا قد أبحروا متوجهين إلى الحبشة.

وعند التأمل في فقه المرويات يتبين لنا سرية الهجرة وسرية خروج المهاجرين، ففي رواية الطبري: (فخرجوا متسللين سرا)^(١). وكان هذا دوماً شأن النبي ﷺ، يخطط بدقة عالية تتم عن عقل شديد الرشد وحكمة بالغة، و يحيط الأمر بسرية تتم عن حرص شديد ويقظة مذهلة.

(فنصح لهم قائلاً: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه). فخرج الفوج الاول من مهاجرة الحبشة، وفيهم (رقية بنت محمد) صلى الله عليه وسلم، مع زوجها (عثمان بن عفان رضي الله عنه) وقد قال رسول

(١) تاريخ الطبري ٥٤٦/١ .

الله ﷺ فيهما (إنهما أول أهل بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام) (١) وابن خالها (الزبير ابن العوام بن خويلد الاسد).
ومعهم من بني هاشم: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف.
ومن بني عبد شمس: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة - أخو هند وصهر
أبي سفيان بن حرب - تصحبه زوجته: سهيلة بنت سهيل بن عمرو
العامري.

ومن بني زهرة، أحوال المصطفى: عبدالرحمن بن عوف الزهري.
ومن بني مخزوم، أصهار المصطفى: أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال،
ابن عمه المصطفى: برة بنت عبد المطلب. معه زوجه (أم سلمة، هند
بنت زاد الركب أبي أمية بن المغيرة المخزومي) التي تزوجها رسول الله
عليه الصلاة والسلام، بعد وفاة أبي سلمة من أثر جرح أصابه في أحد.
وفصل الركب من أم القرى مودعا مغاني الصبا وديار الاهل والعشيرة.
وأخذوا طريق الجنوب وقد هَوّن عليهم مشقة الاغتراب وشجن الفراق، أن
هاجروا في سبيل عقيدة آمنوا بها.
والتمسوا العوض عن فارقوا من أهل وأحباب، في هؤلاء الصحب الكرام،
رفاق السفر والاخوة في الدين والهجرة.

رحبت الحبشة بالمهاجرين الاولين، ثم ما لبثت أن استقبلت أفواجا جديدة
من الصحابة المؤمنين، فيهم: جعفر بن أبي طالب ابن عم المصطفى

(١) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي ص ٩٢ .

وزوجه أسماء بنت عميس، وعمرو بن سعيد بن العاص الاموي، وأخوه خالد.

وعبد الله بن جحش ابن عمه المصطفى أميمة بنت عبدالمطلب معه امرأته (رملة بنت أبي سفيان) أم حبيبة ابنته، التي ولدتها له في الحبشة. وعامر بن أبي وقاص الزهري.

والسكران بن عمرو العامري، معه امرأته (سودة بنت زمعة بن قيس) التي تزملت وتزوجها المصطفى بعد عام الحزن.

ويبلغ عدد المهاجرين ثلاثة وثمانين رجلاً، خرجوا من ديارهم وأموالهم مهاجرين بدينهم. وجاءت الانباء من الحبشة، أنهم وجدوا فيها داراً ومأمناً،^(١)

وبقي النبي ﷺ بمكة يعبد الله جهراً ويدعو علانية إلى توحيده، ولم يصرفه أذى قريش على شدته، ولا تعذيبهم وعدوانهم المتكرر عليه.

فتحمل ألوان العذاب بنفس صابرة وقلب راض وهمة عالية، فكان همه ﷺ تبليغ الرسالة إلى الناس.

ومما كان يدل على عظم إيذاء الكفار وشدته للنبي ﷺ ان الآيات الكثيرة التي كانت تنزل على الحبيب المصطفى ﷺ في هذه الفترة تأمره بالصبر، وتدله على وسائله، وتتهاه عن الحزن، وتضرب له أمثلة من واقع إخوانه من المرسلين ليتأسى ويصبر على أذاهم وان كان الذي صبر عليه لا تصبر عليه الجبال فلقد تفنن المشركون بتعذيبه، وكان أشد شيء

(١) أنظر مع المصطفى ١ / ١٠٤ - ١٠٦.

عليه ايلاًماً ان لا يهتدوا، كان يتألم لأنهم سيدخلون النار وهو يدعوهم الى الجنة..

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (١٠) المزمّل.

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا ﴾ (٢٤) الإنسان.

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (٧) النمل.

﴿ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ ﴾

اليم (٤٣) فصلت.

((ومما ورد عن أنس رضي الله عنه أن الكفار قد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)) (١)

ومن رواية عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال:

((بينما رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنتظرون إلى هذا المرأى؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به ثم يمهلها حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم عقبة بن أبي معيط فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام وهي جويرية فأقبلت تسعى، وثبت النبي

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل ٢٠٠/١ برقم ٢١٨.

ﷺ ساجدا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال (اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش) ثم سمي (اللهم عليك بعمر بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، و الوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، و عقبه بن معيط، و عمارة بن الوليد) قال بن مسعود فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب (وهي بئر مفتوحة) قليب بدر ثم قال رسول الله ﷺ (وأتبع أصحاب القليب لعنة) ((^(١)

وغير ذلك كثير مما احتمل رسول الله ﷺ مما لا يُحتمل من أذى قريش وأصناف العذاب حتى أنها همت بما لم تتال من قتله ومما لم يئته عن عزمه في تبليغ رسالة ربه، لكن الذي آذى النبي صلى الله عليه وسلم هو أن لا يسلموا ولا يهتدوا فهو الرحمة المهداة، ولكل الخلق في قلب الرسول مكان. فكان صلى الله عليه وسلم وهم يحاولون قتله، يوشك أن يذهب نفسه حسرة عليهم ألا يؤمنوا.

❖ لماذا الهجرة؟

أورد د. علي الصلابي في كتابه السيرة النبوية أسبابا لهجرة المسلمين إلى الحبشة غير التي ذكرنا، منها:

❖ ظهور الإيمان:

(١) البخاري كتاب أبواب سترة المصلى ١٩٤/١ برقم ٤٩٨ .

لما كثر المسلمون وظهر الإيمان فتحدث به، ثار المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم ويسجنوهم، وأرادوا فتنتهم عن دينهم، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذين آمنوا به (تفرقوا في الأرض) قالوا فأين نذهب يا رسول الله؟ قال (هاهنا) وأشار إلى أرض الحبشة. (١)

✪ الفرار بالدين:

كان الفرار بالدين خشية الافتتان فيه سببا مهما من أسباب هجرتهم للحبشة، قال ابن إسحاق:

(فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة... وفرارا إلى الله بدينهم) (٢)

✪ نشر الدعوة خارج مكة:

قال الأستاذ سيد قطب (ومن ثم كان يبحث الرسول عن قاعدة خارج مكة قاعدة تحمي هذه العقيدة، وتكفل لها الحرية ويتاح فيها أن تتخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه مكة، حيث تظفر بحرية الدعوة، وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا في تقديري كان هو السبب الأول والأهم للهجرة ولقد سبق الاتجاه إلى الحبشة، حيث هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل، والقول بأنهم هاجروا إليها لمجرد النجاة بأنفسهم، لا يستند إلى قرائن قوية، فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل الناس وجاهة

(٢) المغازي النبوية للزهري ص ٩٦.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٦٤.

وقوة ومنعة من المسلمين، غير إن الأمر كان على الضد من هذا، فالموالي المستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا، إنما هاجر رجال ذوو عصبية، لهم من عصبيتهم في بيئة قبلية ما يعصمهم من الأذى، ويحميهم من الفتنة، وكان عدد القرشيين يؤلف غالبية المهاجرين) (١)

✻ وافق الأستاذ الغضبان الأستاذ سيد فيما ذهب إليه (وفي هذه ألفتة العظيمة من (سيد) رحمه الله في السيرة ما يعضدها ويساندها، وأهم ما يؤكددها في رأبي هو الوضع العام الذي انتهى إليه أمر مهاجرة الحبشة، فلم نعلم أن رسول الله ﷺ قد بعث في طلب مهاجرة الحبشة حتى مضت هجرة يثرب، وبدر و أحد والخندق والحديبية، لقد بقيت يثرب معرضة لاجتياح كاسح من قريش خمس سنوات، وكان آخر هذا الهجوم والاجتياح في الخندق، وحين اطمأن رسول الله ﷺ أن المدينة قد أصبحت قاعدة آمنة للمسلمين، وانتهى خطر اجتياحها من المشركين، عندئذ بعث في طلب المهاجرين من الحبشة ولم يعد ثمة ضرورة لهذه القاعدة الاحتياطية، التي كان من الممكن أن يلجأ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سقطت يثرب في يد العدو) (٢)

(١) في ظلال القرآن ٢٩/١.

(٢) المنهج الحركي للسيرة النبوية ٦٧/١، ٦٨ .

◀ يميل الأستاذ دروزة إلى إن فتح مجال الدعوة في الحبشة سبب من أسباب هجرة الحبشة (بل انه ليخطر في البال أن يكون من أسباب اختيار الحبشة النصرانية أمل وجود مجال للدعوة فيها وأن يكون هدف انتداب جعفر متصلا بهذا الأمل) (١)

ومما يدعم الرأي القائل بكون الدعوة للدين الجديد في أرض الحبشة سببا وهدفا من أسباب الهجرة، إسلام النجاشي وإسلام آخرين من أهل الحبشة، وأمر آخر، فإذا كان ذهاب المهاجرين للحبشة بمشورة النبي ﷺ وتوجيهه، فبقاؤهم في الحبشة إلى فتح خيبر بأمر النبي ﷺ وتوجيهه، وفي صحيح البخاري برواية أبو موسى: فقال جعفر للأشعريين حين وافقوه بالحبشة (إن رسول الله ﷺ بعثنا هنا، وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا). (٢)

◀ ومنها، البحث عن مكان آمن للمسلمين حيث كانت الخطة الأمنية للرسول ﷺ تستهدف الحفاظ على الصفوة المؤمنة ولذلك رأى النبي ﷺ أن الحبشة تعتبر مكانا آمنا للمسلمين ريثما يشتد عود المسلمين وتهدأ العاصفة، وقد وجد المهاجرون في الحبشة ما أمنهم وطمأنهم، وفي ذلك تقول أم سلمة رضي الله عنها (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا وعبدا لله تعالى لا تؤذى). (٣)

(١) سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم ١ / ٢٦٥ و د. سليمان حمد

العودة في كتابه الهجرة الأولى في الإسلام ص ٣٤

(٢) صحيح البخاري كتاب أبواب الخمس باب إذا بعث الإمام رسولا في حاجة ٣ / ١١٤٢ برقم ٢٩٦٧.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٧٧ .

❁ اجتمعت على قريش أحداث متلاحقة حيّرت المشركين وقضت

مضاجعهم وأسلمتهم إلى تخبط و غضب.

لقد عز على المشركين أن يجد المهاجرون مأمنا لأنفسهم ودينهم، فاختاروا رجلين من رجالهم لبيبين هما عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة وحملوهما بالنفيس من الهدايا المستطرفة إلى النجاشي وجميع البطارقة في قصره ليسلموا إليهم المسلمين على أنهم غلمان سفهاء فارقوا دين آبائهم ولم يدخلوا في دين النجاشي وقومه وجاءوا بدين لا يعرفه قومهم ولا النجاشي، وان أشرف قومهم من أعمامهم أعلم بهم وبما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه وأنهم يرجون النجاشي أن يرد إليهم هؤلاء الهاريين. لكن النجاشي رأى أنه لا بد من تمحيص القضية وسماع أطرافها جميعا، فأرسل إلى المسلمين ليسمع منهم كما سمع لوفد قريش فتكلم عن المسلمين جعفر بن أبي طالب فشرح النور الذي جاء به النبي ﷺ والفرقان الذي أنزل الله على مصطفاه ليبلغ به الناس. فلان قلب النجاشي لما سمع من الحق وبكى تأثرا وبكى معه البطارقة، و رد على قريش هداياها وأكرم المسلمين وأمتهم على دينهم وأنفسهم.

إسلام الأشدين حمزة وعمر رضي الله عنهما

❁ وفي مكة ظل الأمر على حاله، رسول الله صلى الله عليه وسلم

يدعوا الى الله فيستجيب له من اراد له الله الخير.

وبقي رؤوس الشرك على عنادهم يحاربون الله ويصدون عن دينه،
ويؤذون الرسول ومن معه.

وحين كانت حركة الأحداث تسير بوتيرة واحدة، يحدث فجأة ما يفجر
الأوضاع ويخل بموازن القوى ويغير اتجاهات ومسار العلاقة بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقريش.

فقد أعلن صناديد قريش وفارسها حمزة بن عبد المطلب ﷺ عم النبي ﷺ
إسلامه، وتصاب قريش بالذهول من هول الصدمة

(وذكر ابن هشام في السيرة النبوية أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله
عليه وسلم عند الصفا، فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب
لدينه والتضعيف لأمره فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مِرَّةَ فَعَمَدَ إِلَى
نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ. فَلَمْ يَلْبَثْ حِمَزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ أَقْبَلَ مَتَوْشِحًا قَوْسَهُ رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ وَكَانَ صَاحِبَ
قَنْصٍ يَرْمِيهِ وَيُخْرِجُ لَهُ وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى
يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمِرْ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ
وَسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ وَكَانَ أَعَزَّ فَتَى فِي قُرَيْشٍ، وَأَشَدَّ شَكِيمَةً. فَلَمَّا مَرَّ
بِالْمَوْلَاةِ وَقَدْ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِهِ قَالَتْ لَهُ يَا أَبَا
عُمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ أَنْفًا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ وَجَدَهُ
هَاهُنَا جَالِسًا فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ثُمَّ انصرفت عنه ولم يكلمه مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فاختل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِدًّا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ رَفَعَ الْقَوْسَ فَضْرِبَهُ بِهَا فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً ثُمَّ قَالَ أَتَشْتَمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ؟ فَرَدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ. فَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إِلَى حَمْرَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا، وَتَمَّ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى إِسْلَامِهِ وَعَلَى مَا تَابَعَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ. فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْرَةَ عَرَفَتْ قَرِيشَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَزَّ وَامْتَنَعَ، وَأَنَّ حَمْرَةَ سَيَمْنَعُهُ فَكَفَّوْا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يِنَالُونَ مِنْهُ^(١)

وترنحت قريش بأسرها تحت هذه المصيبة فهذا حمزة فارسها وأسدّها يُسَلِّمُ كانت خسارتهم فيه لا تعوّض فحمزة ليس كالآخرين، انه المنعّة والعون لمن معه.

❁ وحين كانت قريش تعيش صدمة اسلام حمزة وتبحث في الأمر، كانت مفاجأة اخرى تنتظرهم تزيدهم المأ وحيرة، وستغير من قوانين الصراع وشكله وستلقي بظلالها بقوة على العلاقة بين الاسلام ورموز الكفر من قريش فقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ (اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام)^(٢)

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٩٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ٥٧٤ برقم ٦١٢٩ و مجمع الزوائد ٩ / ٦٣.

فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى دار الأرقم وأعلن بين يدي النبي ﷺ إسلامه فخرج المسلمون مكبرين وطافوا بالبيت ظاهرين.

(عن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسلم قال: قال لنا عمر بن الخطاب ﷺ أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامي: قلنا نعم قال كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما أنا في يوم حار شديد الحر بالهجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من بعض قريش فقال لي أين تذهب يا ابن الخطاب أنت تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك قال قلت وما ذلك قال أختك قد صبت قال فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلم عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبيان من طعامه قال وقد ضم إلى زوج أختي رجلين قال فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرءون صحيفة معهم قال فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم قال فقامت المرأة ففتحت لي قال فقلت لها يا عدوة نفسها قد بلغني أنك قد صبوت قال فأرفع شيئا في يدي فأضربها به قال فسال الدم قال فلما رأت المرأة الدم بكت ثم قالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت قال فدخلت وأنا مغضب قال فجلست على السرير فنظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطني فقالت لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر وهذا لا يمسه إلا المطهرون قال فلم أزل بها حتى أعطتني فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت الصحيفة من يدي قال ثم رجعت إلي نفسي

فإذا فيها (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) قال فكلما مررت بالاسم من أسماء الله عزوجل ذعرت ثم ترجع إليّ نفسي حتى بلغت (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) فلما بلغت إلى قوله (إن كنتم مؤمنين) فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير إستبشارا بما سمعوا منى وحمدوا الله عزوجل ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز الاسلام بأحد الرجلين إما أبو جهل بن هشام وإما عمر بن الخطاب وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فأبشر قال فلما أن عرفوا منى الصدق قلت لهم أخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو في بيت في أسفل الصفا وصفوه قال فخرجت حتى قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وعرفوا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا إسلامي قال فما اجتزأ أحد أن يفتح الباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده قال ففتحوا لى وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه قال فأرسلوني فجلست بين يديه قال فأخذ بمجمع قميصي فجذبني إليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده قال قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله قال فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة قال وقد كان الرجل إذا أسلم استخفى ثم خرجت فكنت لا أشاء أن أرى رجلا إذا أسلم ضرب إلا رأيته قال فلما رأيت ذلك قلت لا أحب أن لا يصيبني ما يصيب المسلمين قال فذهبت إلى خالي وكان شريفا فيهم فقرعت الباب عليه فقال من هذا قلت ابن

الخطاب قال فخرج إلى فقلت له أشعرت أنى قد صبوت قال نعم فقلت نعم قال لا تفعل قال قلت بلى قد فعلت قال لا تفعل فأجاف الباب دوني وتركني قال قلت ما هذا بشئ قال فخرجت حتى جئت رجلا من عضاء قريش فقرعت عليه الباب قال من هذا قلت عمر بن الخطاب قال فخرج إلى فقلت له هل شعرت أنى قد صبوت فقال أو فعلت قلت نعم قال فلا تفعل قلت قد فعلت قال لا تفعل ثم قام فدخل فأجاف الباب دوني قال فلما رأيت ذلك انصرفت فقال لى رجل تحب أن يعلم اسلامك قال قلت نعم قال فإذا جلس الناس في الحجر واجتمعوا أتيت فلانا لرجل لم يكن يكتم السر فاصغ إليه فقل له فيما بينك وبينه انى قد صبوت فانه سوف يظهر عليك ذلك ويصيح ويعلنه قال فلما اجتمع الناس في الحجر جئت إلى الرجل فدنوت منه فأصغيت إليه فيما بينى وبينه فقلت أعلمت أنى قد صبوت فقال أصبوت قلت نعم قال فرفع صوته بأعلاه قال ألا إن ابن الخطاب قد صبا قال فما زال الناس يضربوني واضربهم فقال خالي ما هذا قال فقيل ابن الخطاب فقام على مكان في الحجر فأشار بكمه فقال ألا انى قد أجرت ابن أختى قال فانكشف الناس عنى قال وكننت لا أشاء أن أرى أحدا من المسلمين يضرب الا رأيتيه وأنا أضرب قال فقلت ما هذا بشئ حتى يصيبني مثل ما يصيب المسلمين قال فأمهلت حتى إذا جلس الناس في الحجر وصلت إلى خالي فقلت اسمع فقال ما أسمع قلت جوارك عليك

رد فقال لا تفعل يا ابن أختي قلت بلى هو ذاك فقال ما شئت قال فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام (١)

وكان إسلام الأشدّين حمزة وابن الخطّاب نصراً للمسلمين، ونكسة لكفار قريش أفقدتهم القدرة على التفكير، وواقعتهم في حيرة، فكيف يوقفون زحف النور وتحوّل الناس إلى الإسلام.

❁ كانت للمشركين محاولات واجهوا بها رسالة النبي ﷺ ودعوته، مارسوها كلها جنباً إلى جنب متقلّين من أسلوب إلى أسلوب، فمن شدة إلى لين ومن لين إلى شدة، ومن جدل إلى مساومة ومن مساومة إلى جدل ومن هجوم إلى ترغيب ومن ترغيب إلى هجوم، يجادلون ثم يجاملون، وكان غرضهم من كل ذلك كف دعوة الإسلام ولم شتات الكفر ولم يبق أمامهم إلا خيار واحد هو السيف.

واستشعر أبو طالب وهو يرقب ما حوله بأن ثمة خطر يتهدد ابن أخيه. فقد رأى في تحركات زعماء قريش وقادتها وتصرفاتهم ما يؤكد أنهم يريدون قتل النبي ﷺ أو هذا ما كان يريبه ويقلقه .

ان استقراء الأحداث كان ينبئ بأن قريش قد تعمد أو يعمد احد جهّالها إلى قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسير الأحداث يقود إلى هذا الاعتقاد .

فقريش سبق ان هددت ابا طالب بالمنازلة ، ثم انهم ساوموه على ابن اخيه ليقتلوه ويعطوا ابا طالب عمارة بن الوليد بدلاً عنه ، وان عقبة بن

(١) عيون الأثر ١٥٩/١-١٦١ .

معيط خنق رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه حتى كاد ان يقتله ، وعمر بن الخطاب خرج بعدها بالسيف ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم .

وابو جهل مضى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر يريد ان يرضخه ويقتله به .

كل هذه الاحداث تؤشر عند ابي طالب تصعيداً في موقف قريش ، ومؤشراً يندر بأن ابن اخيه في خطر ، فما ينفع اسلام حمزة او عمر رضي الله عنهما ان قُتل ابن اخيه ، فقريش ماضية الى اخفار ذمته وقتل محمد صلى الله عليه وسلم .

انعكست هذه الأفكار قلقاً وخوفاً في قلب ابي طالب مما حدى به الى جمع بني هاشم وبني المطلب ودعاهم إلى القيام بحفظ حياة ابنهم محمد ﷺ .

(فأجابوه إلى ذلك كلهم مسلمهم وكافرهم وتعاهدوا وتعاهدوا عليه عند الكعبة . إلا أبو لهب فانه فارقهم وكان مع قريش)^١
كان موقف مسلمي بني هاشم طبيعياً ان يجيبوا ابا طالب ويجتمعوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايماناً و يقيناً ، اما من لم يسلم منهم فكان موقفه نابعاً من روح الحمية العربية للجوار ونصرهم لولدهم وحفاظهم على حياته .

المقاطعة والحصار

(^١) السيرة لابن هشام ١ / ٢٦٩

❁ بدى واضحاً أن بني هاشم و بني المطلب قد منعوا رسول الله ﷺ، وكانت قريشا، وقد عيل صبرها من صبر المسلمين، كرهت أن تخوض حربا مسلحة مع آل عبدالمطلب وبني هاشم، وهم من صميمها. واستقر الرأي بعد طول مداوات، على أن تفرض عليهم حصارا اقتصاديا واجتماعيا لا يرحم.

واجتمع زعماء قريش فائتمروا فيما بينهم على مقاطعة بني هاشم حتى يسلموا رسول الله ﷺ إليهم، وكتبوا صحيفة وعهود ومواثيق وتعاهدوا أن لا يتقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رافة ما لم يسلموا رسول الله ﷺ للقتل.

(تعاهدوا على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعون منهم، ولا يدعون سببا من أسباب الرزق يصل إليهم ولا يقبلوا منهم صلحا، ولا تأخذهم بهم رافة، ولا يخالطوهم ولا يجالسوهم ولا يكلموهم ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله للقتل، ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم)^١

تم هذا الميثاق، وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم - إلا أبو لهب - وحبسوا في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة.

(^١) السيرة لابن هشام ٢ / ٤٣ وزاد المعاد ٢ / ٤٦

(وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي - ويقال النضر بن الحارث - فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشل بعض أصابعه).^(١)

❁ واشتد الحصار ومنع الطعام عن أهل الشعب حتى بلغ بهم الجهد فأكلوا أوراق الشجر وكان يسمع من وراء الوادي أصوات الصبية والنساء يبكون من الجوع، وكان الرجل يمص نواة تمره فيقتات عليها يوماً أو أكثر وشدوا الحجارة على البطون، وما أسلموا الرسول ﷺ ولا تخلوا عنه.

وكان أبو طالب يخاف على رسول الله ﷺ فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله أن يضطجع على فراشه حتى يري ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فيضطجع على فراش رسول الله ﷺ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يخرج في أيام المواسم، فيلقى الناس ويدعوهم إلى الإسلام.

وبقي الرسول ﷺ على صلابته في الحق لا يثنيه جوع أو ألم أو تهديد بالقتل عن تبليغ رسالة ربه والسعي لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وإنقاذهم من النار، كان يجهد لياخذ الذين يريدون قتله إلى ما فيه سعادة الدنيا وخير الآخرة وقلبه منفرط عليهم ألا يهتدوا.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣٥١/١.

﴿ فَلَمَّا كَبَحَ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾

الكهف. ٦.

﴿ لَمَّا كَبَحَ نَفْسَكَ لِأَيْكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الشعراء ٣

﴿ مرّت ثلاثة أعوام عجاف، مليئات بالجوع والألم والصبر عانى فيها رسول الله ﷺ ومن حوله ما لا يطاق ، فكان لا يُسمعُ في الشَّعب الا صرخات الاطفال الجياع او بكاء النساء من الجوع والضعف .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف بعض اشكال الجوع الذي مر بهم في الشعب (لقد أخفت في الله وما يخاف احد ولد أوذيت في الله وما يؤذى احد ولقد أتت عليّ ثلاثون من يوم وليلة مالي ولبلال طعام يأكله احد الا شيء يواريه ابط بلال)^١

وفي المحرم من سنة عشر من النبوة حدث نقض الصحيفة وفك الميثاق، وذلك أن قريشا كانوا بين راض بهذا الميثاق والصحيفة و كاره لها فسعى في نقضها من كان كاره لها، فتنازع معهم أبو جهل يحول بينهم وبين تمزيقها، وكان أبو طالب جالس في ناحية المسجد، ذلك (أن الله ﷻ أخبر الرسول ﷺ أنه سلط على الصحيفة دودة الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم ولم يبق بها غير ذكر الله عز و جل، فأخبر النبي ﷺ بذلك عمه الذي أخبر قريش بذلك وقال لهم إن كان ابن أخي كاذبا فلکم علي أن أدفعه إليکم تقتلونه، وان كان صادقا فهل تنتهون من تظاهركم علينا وينتهي الحصار ؟

(١) فتح الباري ١١ / ٢٩٢ برقم ٦٠٨٩

فوافقوا على ذلك وتعاهدوا عليه وأخذ عليهم المواثيق.
فقاموا إلى الصحيفة فنشروها فإذا الأرضة أكلت بنود الظلم ولم تبق غير
(باسمك اللهم) وكان الأمر كما أخبر به الصادق الأمين عليه السلام (^١)
وخرج الرسول ومن معه من الشعب بعد أن تم نقض الصحيفة، ورغم أن
المشركين رأوا آية عظيمة تدل على صدق النبوة، إلا إنها لم تلامس
قلوبهم التي غلّفها الكبر، وأيُّ آية أكبر من أن يروا النبي عليه السلام بأعينهم
ويلمسوا حنانه وحبه والرحمة التي ملأت قلبه وفاضت، ورأوا أخلاقه وما
أودعه الله فيه من نور يأسر القلوب ويسكر الأرواح ؟ فإن من يرى حبيب
الله عليه السلام ولا يهتدي، فما من آية بعدها تهديه.

عام الأحران

❁ أُلح المرض بأبي طالب فلم يلبث أن وافته المنية في رجب سنة عشر
للنبوة بعد الخروج من الشعب بستة أشهر.
وبعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو بثلاثة توفيت أم المؤمنين خديجة
الكبرى رضي الله عنها في السنة العاشرة من النبوة ولها خمس وستون
سنة ورسول الله عليه السلام إذ ذاك في الخمسين من عمره.
وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال فترة قصيرة فاهتزت مشاعر الحزن
والألم في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لم تنزل تتوالى عليه

(^١) انظر السيرة لابن هشام ١ / ٣٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٦٩

المصائب من قومه الذين تجرئوا عليه وكاشفوه العداوة وسوء الخلق والأذى بعد موت أبي طالب مما زاد غمه واحساسه بالحزن.

ولما يئس ﷺ منهم، خرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه وينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي ولم ير ناصرا، بل آذوه أشد الأذى ونالوا منه ما لم ينل قومه حتى رموه بالحجارة فأدموا قدميه الشريفتين.

ولأجل توالي مثل هذه الآلام في هذا العام سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الأحزان.

(يقول عروة بن الزبير: لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب، حتى أعترضه سفيه من سفهاء قريش ونثر على رأسه ترابا ودخل بيته والتراب على رأسه، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك، ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيء أكرهه حتى مات أبو طالب).^(١)

الرسول ﷺ في الطائف

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٦٤ .

❁ كان النبي ﷺ ينوّع ويبتكر في أساليب الدعوة، لم يترك بابا قد يقود الا ان يؤمن من حوله الاطرقة، كان حريصا على ان يهتدوا ولم يدخر جهدا ولم يترك وسيلة.

قرأ عليهم القرآن وشرح لهم الحقائق وضرب الأمثلة وحاور وناقش، حارب من أجل خيرهم بكل قوته وحاربوه بكل قوتهم.

واراد صلى الله عليه وسلم ان يوسع دائرة الدعوة لينشر النور خارج مكة وليبحث عن مقر جديد للدعوة ما دامت قريش تريد ان تتنازل عن هذا المجد الذي اراده الله لها.

ففي شوال سنة عشر من النبوة خرج النبي ﷺ إلى الطائف وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلا، سارها ماشيا على قدميه جيئة وذهابا ومعه مولاه زيد بن حارثة وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام فلم تجب إليه واحدة منها.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف أقام بها عشرة أيام، لا يدع أحدا من أشrafهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا أخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له صفيين يرمونه بالحجارة وبكلمات السفه ورجموا عراقبيه حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجئوه إلى حائط على ثلاثة أميال من الطائف فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وأتى رسول الله ﷺ إلى حبله من عنب فجلس تحت ظلها ودعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزنا مما لقي من الشدة، وأسفا على انه لم يؤمن به أحد، قال: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي

وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك (١)

وأمن له عداس وهو غلام لأهل البستان نصرانيا.

ورجع رسول الله كئيبا محزوننا منكسر القلب فبعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشيين على أهل مكة، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ أم المؤمنين عائشة وهي تسأله هل أتى عليك يوما كان أشد عليك من يوم أحد: (لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت، فانطلقت - وأنا مهموم - على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فإذا بها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال قد بعثني ريك لتأمرني بأمرك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين (وهما جبلا

(١) مجمع الزوائد باب خروج النبي صلى الله عليه وسلم ٦ / ٣٥.

مكة) قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده، لا يشرك به شيئاً^(١)

(ولما انصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان في وادي نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من الجن الذين ذكر الله عز وجل وهم سبعة نفر من الجن فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا إلى ما سمعوا).^(٢)

وقص الله عز وجل ذلك في موضعين في سورتي الأحقاف والجن.

﴿وَأذْصِرْنَا إِلَىٰ آلِكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ الأحقاف.

﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلَمَّتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنهَا

(١) صحيح مسلم باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣ / ١٤٢٠
برقم ١٧٩٥ .

(٢) تاريخ الطبري ١ / ٥٥٥ .

مَقْعَدَ السَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِثْ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي
الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا ﴿١١﴾ الجن .

وكان هذا الحادث نصرا آخر أمده الله من عوالم غيبه المكنون وأيد
نبيه بنصر من نوع جديد وغير متوقع، حيث آمن له من لم يدعوه من
خلق الله والله يؤيد بنصره من يشاء وهو تعالى مسبب الأسباب وجنوده لا
يعلمها إلا هو، وعند التمعن بما يلي من آيات يجدها في ذلك الوقت
العصيب والمليء بالألم والمحبطات تتحدث عن النصر وتحمل في طيها
بشارات بنجاح دعوة النبي ﷺ وان أي قوة في الكون لا تستطيع أن تحول
بينها وبين نجاحها .

﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ الأحقاف ٣٢ .

﴿ وَأَنَاظَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ الجن .

كانت دلالة على ان النصر بيد الله يؤيد به من يشاء وساعة يشاء،
وبغض النظر عن ما يلوح من احداث، فالأسباب لا ترسم النتائج الا اذا
شاء الله فالأمر كله بيد الله.

(ولما رجع النبي ﷺ من أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه
من تصديقه ونصرته، فلما دنا من مكة مكث بحراء وبعث رجلا من
خزاعة إلى المطعم بن عدي - سيد من بني نوفل - يسأله: (أدخل مكة
في جوارك؟) فأجابه الى ذلك، وتسلح و أهل بيته وخرجوا إلى المسجد فقام
المطعم على راحلته ونادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمدا، ثم بعث

إلى رسول الله ﷺ أن أدخل فدخل ﷺ فطاف بالبيت وصلى عنده ركعتين وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده حوله مسلحون حتى دخل بيته (١).

(وبدلاً من أن يدخل النبي ﷺ منهزماً متخفياً، دخلها ويحرسه بالسلاح سيد من سادات قريش على مسمع منهم ومرأى، واختياره سيداً من بني نوفل ومبعوثاً من خزاعة، فيه حنكة سياسية مدهشة، ووعي تاريخي ودبلوماسي عميق، فجد المطعم ورئيس قبيلة بني نوفل كان قد تنازع مع عبد المطلب الذي نصره أخواله من الخزرج، فلما رأت خزاعة قوة عبد المطلب ونصرة أخواله له تحالفوا معه، بعد أن كان بينهم وبين قريش صراع تاريخي قديم. فإذا بعث الرسول ﷺ رجلاً من خزاعة إلى سيد قبيلة بني نوفل فإن هذا الفعل إشارة واضحة إلى تلك الوقائع التاريخية، كما هي تذكير بالحلف القديم بين عبد المطلب وخزاعة، ضد بني نوفل، ليفهم من ذلك أن الرسول ﷺ لا يقف معزولاً في مكة، وأنه قد يفعل ما فعله جده عبد المطلب فيتحالف مع خزاعة أو يستنصر بالخزرج، فالرسول ﷺ في الواقع لم يكن يستعطف المطعم ليدخل في جواره، بقدر ما كان يهدده ويثير مخاوفه، وحماية المطعم بن عدي لرسول الله ﷺ لم تكن مجرد نبل وتعاطف، بقدر ما كانت رعاية لمصلحته وحماية لوضعه، و صمت قريش وهي ترى الرسول ﷺ يدخل في جوار بني نوفل ويحرسونه

(١) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٢٥.

بالسلاح، لم يكن خوفاً من سلاحهم، بل خوفاً من سلاح خزاعة وسلاح الخزرج).^(١)

الإسراء والمعراج

الإسراء توجه النبي ﷺ ليلاً من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، والمعراج صعوده ﷺ إلى العالم العلوي بجسده الشريف وروحه الأطهر ثم إلى سدرة المنتهى ثم العروج به إلى الجبار جل جلاله فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى.

والإسراء مذكور في الآية الأولى من سورة الإسراء، أما المعراج فقيل: انه مذكور في سورة النجم من آياتها السابعة إلى الثامنة عشر، وقيل المذكور في هذه الآيات غير المعراج.

وأختلف في وقت الإسراء والمعراج بأي سنة حدثت .

(وأوجز وأعظم ما ورد في تعليل هذه الرحلة هو قوله تعالى:

﴿لَنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأْتَنَّا﴾ الإسراء آية ١ .

وهذه سنة الله في الأنبياء، قال عز من قائل ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥) الأنعام آية ٧٥، وقال لموسى

﴿لَنُرِيكَ مِنْ أَيْنَأْتَنَّا الْكَبْرَى﴾ طه آية ٢٣ .

وبين مقصود هذه الإرادة بقوله:

﴿وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام ٧٥ .

(١) أنظر السيرة النبوية عرض وقائع و تحليل أحداث ص ٢١٧ .

فبعد استناد علوم الأنبياء إلى رؤية الآيات يحصل لهم من عين اليقين ما لا يقادر قدره، وليس الخبر كالمعاينة، فيتحملون في سبيل الله ما لا يتحمل غيرهم، وتصير جميع قوات الدنيا عندهم كجناح بعوضة لا يعبئون بها إذا ما تدول عليهم بالمحن والعذاب).^(١)

وقصة الاسراء والمعراج تستبين تفاصيلها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مالك بن صعصعة عن أنس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال ((بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر مظطجعاً إذ اتاني آت (وهو جبرائيل) فشق ما بين هذه الى هذه)) فقلت للجارود وهو جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره (وهي منطقة اسفل الرقبة من الامام الى شعرته (اي شعر العانة)) فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايماناً فغسل قلبي ثم حُشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل ودون وفوق الحمار أبيض) فقال له الجارود هو البراق يا ابا حمزة قال له انس : نعم ((يضع خطوه عند أقصى طرفه (اي عند نهاية بصره) فحُملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح 'فقيل من هذا ؟ قال جبريل 'قيل ومن معك ، قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء ، ففتح ، فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال : هذا ابوك آدم ، فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح،والنبي الصالح ، ثم سعد بي حتى اتى السماء الثانية فاستفتح 'فقيل من هذا ؟ قال جبريل

(١) الرحيق المختوم ص ١٣.

‘قيل ومن معك ، قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت ، فردا ثم قالوا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح ‘فقيل من هذا ؟ قال جبريل ‘قيل ومن معك ، قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت اذا يوسف فقال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرداً ، ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بي الى السماء الرابعة فاستفتح ‘فقيل من هذا ؟ قال جبريل ‘قيل ومن معك ، قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فاذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بي الى السماء الخامسة فاستفتح ‘فقيل من هذا ؟ قال جبريل ‘قيل ومن معك ، قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت اذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد، ثم قال : مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعدَ بي الى السماء السادسة فاستفتح ‘فقيل من هذا ؟ قال جبريل ‘قيل ومن معك ، قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فاذا موسى فقال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرداً ، ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى

الصالح ، فلما تجاوزت بكى، قيل له : ما يبكيك ؟ فقال غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي .

ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ، قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فاذا ابراهيم قال : هذا ابوك فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رُفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هَجْر (هجر قرية في البحرين ،والقلة الجرة الكبيرة ، والمراد تبيان كبر حجمها)واذا ورقها مثل آذن الفيلة ، قال هذه سدرة المنتهى ، واذا اربعة أنهار ، نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ، ثم رفع لي البيت المعمور .

ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة التي انت عليها وأمتك .

ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة في كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت ؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك ، ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات في كل يوم فرجعت

فقال لي مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم . قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة ، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك ، قال : سألت ربي حت استحيت ، ولكن أَرْضَى وَأُسَلِّمَ ، قال فلما جاوزت نادى مناد : أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي))^(١)

(لم يكن الإسراء مجرد حادث فردي بسيط، رأى فيه رسول الله الآيات الكبرى وتجلى له ملكوت السماوات والأرض مشاهدة عيانا بل زيادة إلى ذلك اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على معان دقيقة كثيرة، وإشارات حكيمة، بعيدة المدى: فقد ضمت قصة الإسراء، وأعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلتا في شأنه (الإسراء و النجم) أن محمدا ﷺ هو نبي القبلتين، وإمام المشرقين والمغربيين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى وصلى بالأنبياء خلفه، فكان هذا إيذانا بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه، وصلاحياتها لاختلاف المكان والزمان، وأفادت هذه السورة الكريمة تعيين شخصية النبي ﷺ ووصف إمامته، وقيادته وتحديد مكانة الأمة التي بعث فيها وأمنت به، وبيان رسالته ودورها الذي ستمثله للعالم، ومن بين الشعوب والأمم).^(٢)

(١) صحيح البخاري باب المعراج ٣م ١٤١١ برقم ٣٨٨٧

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ص ٢٢٣ عن الأساس في السيرة:

سعيد حوى.

كما ان الأحداث في مكة بلغت ذروة تعقيدها وتشابك أحداثها فكانت مخاضاً ينبئ بولادة مرحلة جديدة، أو مسار جديد يغير شكل الصراع وحجمه وأدواته.

كان المسلمون يعيشون حياة صعبة يُفْتَنون فيها بدينهم وحياتهم، مطاردة وفرار بالدين وتعذيب وقتل ومصادرة حرياتهم، كل هذا وهم لا يملكون حق القتال كان سلاحهم الصبر والتحمل والاحتساب، وكان صبرهم مما وقف الزمان امامه وكله إكبار وعجب من هؤلاء الرجال الذين تخرّجوا من مدرسة محمد ﷺ.

كانت حياتهم رحلة صبر في دنيا من عذاب لا يهونه سوى شعورهم بأن هذه طريق الى الله، وأن الله يسمع ويرى، وان كل عذاب يهون ما دام ثمناً لرضوان الله.

وما قصة جنود طالوت وابتلائهم بنهر وهم عطشى والتي وردت في أواخر سورة البقرة الا مثال في سُنَّة الله في تمحيص عباده وابتلائهم ليُمَيِّز الخبيث من الطيب وفيه حث ضمني على فضيلة الصبر وانه ينتهي الى القرب من الله وينتهي الى النصر فما النصر الا من عند الله. وتأتي حادثة الاسراء والمعراج امتحاناً جديداً ليُمَحِّص ايمانهم وهم المأمورون بالإيمان بالغيب:

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿البقرة﴾

فكان امتحانا للمسلمين، ينجح فيه من يؤمن بالغيب ويصدق به وكان تمحيصا فينحى عن حزب الله من رابهم أمر الاسراء بالمصطفى، ويستبقي للإسلام جنده المخلصين، ممن صح إيمانهم وصدق عقيدتهم. وصدق الله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّءْيَا آلَئِيَّ أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ الإسراء ٦٠.

كانت كما اراد لها الله سبحانه وتعالى فتنة.

وهذا الصديق ثابت الإيمان حين يخبره المشركون بأن محمدا يقول بأنه أسري به وأُعرج، يجيب: (أو قال ذلك ؟ والله لئن كان قاله لقد صدق ،قالوا : أو تصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح؟ قال : نعم اني لأصدقه فيما هو ابعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماع (يعني الوحي) في غدوة او روحة فلذلك سمي الصديق)^١

كما إن للإسراء والمعراج دلالة على حب الله ﷻ لنبيه فان كان أهل الأرض كذبوك وأذوك وأدموا قلبك وجرحوك ، فان الله يعوضك فيرفعك ويدنيك ويقربك ويعوّضك قريبا ما أتيت لسواك دليل حب وتكريم. وان كانت ثلة من البشر ما قبلتك نبيا، فهاهم جمع الأنبياء يقبلوك إماما، وان كانت مدينة أو عشيرة تحاربك، فانظر صغرها وصغر الأرض جميعا أمام ملكوت الملك الجبار تبارك و تعالى.

السعي بالدعوة على القبائل والأفراد

^١ المستدرك على الصحيحين ٦٢ / ٣

❖ ((دأب النبي ﷺ منذ أمره الله سبحانه وتعالى بالجهر بالدعوة أن يخرج في موسم الحج وأيام أسواق العرب (وكان أشهرها أسواق: عكاظ، و مجنة،) إلى منازل القبائل يدعوهم إلى الإسلام))^١

كان يفترض ان تكون مكة عاصمة الإسلام ومركز إشعاعها وان يكون لأهلها دور الريادة في نشر شذى الإسلام ونوره في أرجاء الأرض، لمكانتها الدينية ولكون قريش أهل النبي ﷺ وعشيرته، لكن الأحداث كانت تسير بغير هذا الاتجاه، فبعد ان كذبوا النبي ﷺ وخذلوه، هاهو صلى الله عليه وسلم يتجه باحثاً عن مركز جديد لدعوته وعاصمة لدينه وأناس يحملون شرف إيوائه وحمل راية الدعوة الى الله.

شرف ونور ومجد وقيادة تظلي عنه أهله فراح رسول الله يدور ليبحث عن من يقبله (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا نُوحًى عَظِيمٍ) ويلتقى ﷺ في موسم الحج للسنة الحادية عشرة للنبوّة نفرا من الخزرج من مدينة يثرب عددهم ستة رجال فعرض عليهم الإسلام و قرأ عليهم القرآن.

وكان الستة من الخزرج، وهم:

- ١- أسعد بن زرارة
 - ٢- عوف بن الحارث بن رفاعه، ابن عفراء
 - ٣- رافع بن مالك العجلان
 - ٤- قطبة بن عامرة بن حديدة
 - ٥- عقبة بن عامر بن نابي
- من بني النجار
من بني النجار
من بني زريق
من بني سلمة
من بني حرام بن كعل

^١ انظر مسند الامام احمد ٣٢٢/٢ برقم ١٤٤٩٦

٦- جابر بن عبد الله بن رثاب من بني عبيد بن غنم (١)
ويتذكر الفتية ان طالما سمعوا من اليهود الذين غزوه ببلادهم، عن
نبي اقترب وقت ظهوره سوف ينصر اليهود ويقودهم للعلو على من حولهم
وان هذا النبي ستكتب له الغلبة والنصر.

قال بعضهم لبعض: (يا قوم، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به
يهود، فلا يسبقنكم إليه).

وكان هذا سببا لأن يجلسوا الى رسول الله ﷺ ويسمعوا منه، وبعد ان
سمعوا وجدوا ارواحهم وقلوبهم تنساق الى حب ما سمعوه فيشرح الله
صدورهم للايمان وأجابوه صلى الله عليه وسلم إلى ما دعاهم إليه، وقالوا:
(إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم).

فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك
ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا
رجل أعز منك).

ثم أخذوا طريقهم إلى الشمال عائدين إلى بلادهم وقد آمنوا بالله
ورسوله عليه الصلاة والسلام.

أسلموا بعد أن وجد الخير إلى قلوبهم سبيلا فكانوا بداية قافلة النور
ونسماحت حملت الخير إلى أهلهم بعد أن حملوا راية الإسلام إلى يثرب.

بيعة العقبة الأولى

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٢٩.

❁ ويرجع الفتية الى أهلهم حاملين نوراً وبقين، ويشاء الله لهم ان يكونوا سابقين الى الفضل والرحمة، فيدورون على نوادي قومهم ومجالسهم يُحدّثونهم بحماس عن النبي والنور الذي بُعث به وعن الاسلام،. امتلك هذا الأمر قلوبهم وملك جوارحهم فراحوا يدعون الناس الى الخير الذي عرفوه.

ولأنهم صادقون فقد وجدت دعوتهم صدى في قلوب من سمعهم. ففي العام الثاني عشر من البعثة وبعد عام من إسلام الشباب الستة، جاء في موسم الحج اثنا عشر رجلاً عشرة من الخزرج واثان من الأوس يعلنون للنبي ﷺ إسلامهم ويلتقوه في عقبة منى ويبايعوه،

(وكان عبادة بن الصامت الخزرجي ممن بايع، يقول: بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله، ولا نسرق، ولا نزنّي، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف.

فان وفيتم فلکم الجنة، وان غشيتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله ﷻ إن شاء عذبکم وان شاء غفر لکم) (١)

فكانت تلك بيعة العقبة الأولى أعداء الامس أصبحوا اليوم اخوانا متحابين والله ينشر فوقهم ظلال رحمته.

كانوا اثنا عشر رجلاً فيهم خمسة من الذين حضروا في السنة الماضية والسادس الذي لم يحضر جابر بن عبد الله بن رثاب، وسبعة سواهم اثان منهم من الأوس والبقية كلهم من الخزرج، وهم:

(١) مسند الامام احمد ٥ / ٣٢٣ برقم ٢٢٨٠٦.

- ١- معاذ بن الحارث، بن عفراء من بني النجار من الخزرج
 ٢- عبادة بن الصامت من بني غنم من الخزرج
 ٣- ذكوان بن عبد القيس من بني زريق من الخزرج
 ٤- يزيد بن ثعلبة من حلفاء بني غنم من الخزرج
 ٥- العباس بن عبادة بن نضلة من بني سالم من الخزرج
 ٦- ابو الهيثم بن التيهان من بني عبد الأشهل من الأوس
 ٧- عويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف من الأوس (١)

ويرسل رسول الله ﷺ معهم الصحابي مصعب بن عمير ﷺ ليقرئهم القرآن ويفقههم في الدين ويدعوا معهم الى الله.

وكان مصعب معروفا قبل إسلامه، بأنه فتى مكة الأنضر شابا وجمالا وزهوا يتبختر بأفخر الثياب وأندر العطور، (حتى ليذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق ولا أنعم نعمة، من مصعب ابن عمير). (٢)

وكان مصعب قد سمع عن الاسلام وعرف بعض ماجاء به. وتناهى الى سمعه ان محمد بن عبد الله يجتمع بصحبه في دار الأرقم فتوجه اليه مبايعا.

وكنتم أمر إسلامه عن أهله الى ان رأوه يصلي صلاة المسلمين فعرفوا بخبر اسلامه، فأخذوه وحبسوه ليفتنوه عن دينه.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٣٢.

(٢) مع المصطفى ١ / ١٧١.

فلم يزل محبوساً إلى أن لاحت له فرصة الإفلات فهاجر بدينه إلى أرض الحبشة.

وعاد إلى مكة مع من عادوا من مهاجرة الحبشة حين بلغتهم بشرى انهيار الحصار الظالم الذي ضربه المشركون على المسلمين ومن والاهم. فما رأت مكة فتى مثل مصعب، استبدل رقيق الثياب ببهاء الايمان، وخيلاء النعمة بجلال التقى وتواضع الخشوع.

واختاره المصطفى من بين أصحابه ليكون إمام الانصار في يثرب وناقل فقه الاسلام لمن أسلم منهم، وداعياً من لم يسلم الى الهدى والدخول في الاسلام.

كان مصعب رضي الله عنه من السابقين الى الاسلام ، وقد عُرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم دقة اختياره لرسله وسفرائه .فكان مصعب اضافة لحفظه للقران والمامه بجوانب الشريعة ، كان لبقاً قوي الحجة هاديء الطبع محبوباً .

أقام مصعب رضي الله عنه عاما هناك ينتقل بين دور الانصار يأم المسلمين في الصلاة ويعلمهم الدين ويتلو القران، فتخشع له القلوب والضمائر متفتحة لنور الهدى.

وكان مقامه في بيت أسعد بن زرارة يشرح للمسلمين دينهم، وينتقل بين أحياء يثرب يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال و نساء مسلمون.

وقبل حلول موسم الحج التالي عاد مصعب بن عمير إلى مكة، يحمل إلى رسول الله انباء الفتح وبشرى النجاح ويقص عليه خبر قبائل يثرب وما فيها من مواهب الخير من قوة و منعة.

بيعة العقبة الثانية

❁ في موسم الحج الثالثة عشر من النبوة قدم من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا اثنان وستون من الخزرج وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان. (والمرأتان: أم عمارة، نسيبة بنت كعب المازنية.

وأم منيع، أسماء بنت عمرو بن عدي، من بني سلمة)^(١)

فلما وصلوا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية أدت إلى الاتفاق على أن يلتقوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة وأن يتم هذا الأمر في سرية تامة في ظلام الليل حتى أنهم - زيادة في الحيلة - لا يوقظون من نام منهم وأن يأتوا متسللين.

وهذا شأن النبي ﷺ يخطط لكل شيء بدقة وبسرية تامة ويأخذ بالأسباب بعد ان يتوكل على مسبب الأسباب.

وجاء رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وبعد أن تكامل المجلس و بدأت المحادثات وكان العباس أول من تحدث ليبين لهم خطورة الموقف وصعوبة المهمة التي يقدمون عليها وقوة الجانب الذي يستند إليه رسول الله ﷺ فقال: (يا معشر الخزرج إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من

(١) مع المصطفى ١ / ١٧١.

قومه، ومنعة في بلده وانه قد أبا إلا الانحياز إليكم والحق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج بها إليكم فمن الآن فدعوه، فانه في عز ومنعة من قومه وبلده.

قال كعب بن مالك فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت (١).

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن مما صححه الحاكم وأبن حبان قلنا يا رسول الله على ما نبايعك، قال: (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت إليكم، مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم، ولكم الجنة) (٢).

قال كعب: نعم والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع أزرنا (أنفسنا ونسائنا) منه، فبايعنا يا رسول الله فنحن أبناء الحرب وأهل الحلقة وورثاها كابرا عن كابر.

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإننا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٩١.

(٢) سنن البيهقي ٨ / ١٤٦ برقم ١٦٣٣٣ ومسند الامام احمد ٣ / ٣٢٢ برقم

فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال (بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وانتم مني، أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم) (١)
وبعد ذلك بدأت البيعة العامة، قال جابر: فقمنا إليه رجلا رجلا فأخذ علينا البيعة، يعطينا بذلك الجنة. ووضعوا أيديهم في يده الشريفة مبايعين.
وقد وفى رسول الله ﷺ وهو أوفى الناس وأصدقهم بما عاهدهم عليه فما فارقهم حتى بعد فتح مكة وحتى بعد انتقاله إلى جوار ربه دفن جسده الشريف في المدينة المنورة ﷺ.

وأما بيعة المرأتين فكانت قولاً (٢).

وسميت هذه البيعة بيعة العقبة الثانية و بيعة العقبة الكبرى. وبعد أن تمت البيعة طلب منهم رسول الله ﷺ انتخاب اثني عشر زعيماً يكونون نقباء على قومهم يتابعون تنفيذ هذه البيعة، فتم انتخابهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

((وكان نقباء الخزرج:

- ١- أسعد بن زرارة بن عدس
- ٢- سعد بن الربيع بن عمرو
- ٣- عبد الله بن رواحة بن ثعلبة
- ٤- رافع بن مالك بن عجلان
- ٥- البراء بن معرور بن صخر

(١) مسند الامام احمد ٣ / ٤٦١ وفتح الباري ٧ / ٢٢١ برقم ٣٦٧٦ .

(٢) الرحيق المختوم ص ١٤٢ عن مسند الإمام أحمد.

- ٦- عبد الله بن عمرو بن حرام
- ٧- عبادة بن الصامت بن قيس
- ٨- سعد بن عبادة بن دليم
- ٩- المنذر بن عمرو بن حنيس

أما نقباء الأوس:

- ١- أسيد بن حضير بن سماك
 - ٢- سعد بن خيثمة بن الحارث
 - ٣- رفاعة بن عبد المنذر بن زبير.
- ولما تم انتخاب النقباء أخذ عليهم النبي ﷺ ميثاقاً آخر، وقال لهم (أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي) - يعني المسلمين - قالوا: نعم.))^(١)
- وهذه البيعة تغير بها وجه التاريخ ومجرى الأحداث، يرتبط بها أو يرتكز عليها كل ما سيتلوها من فتوحات وانتصارات.
- (ولما تم إبرام المعاهدة، وكان القوم على وشك الانفضاض، اكتشفها أحد الشياطين، وحيث جاء هذا الاكتشاف في اللحظة الأخيرة، ولم يكن يمكن إبلاغ زعماء قريش هذا الخبر سراً ليباغتوا المجتمعين وهم في الشعب، قام ذلك الشيطان على مرتفع من الأرض وصاح أنفذ صوت

(١) فتح الباري باب وفود الأنصار الى النبي / ٢٢١ برقم ٣٦٧٦ و السيرة النبوية لابن هشام ٢٩٥/٢ و تاريخ الطبري ١/٥٦٢.

سَمِعَ قَطَ ((يا أهل الأخاشب (المنازل) هل لكم في محمد والصبابة معه ؟
قد اجتمعوا على حركم)) فقال رسول الله ﷺ (هذا أذب العقبة، أما والله
يا عدو الله لأتفرغن لك) ثم أمرهم ان ينفضوا الى رحالهم وعند سماع هذا
الصوت قال العباس بن عبدة بن نضلة ((والذي بعثك بالحق، ان شئت
لنميلن على أهل منى غداً بأسيا فنا)) فقال رسول الله ﷺ (لم نؤمر بذلك
ولكن ارجعوا الى رحالكم) فرجعوا وناموا حتى أصبحوا (١).

ولقد أثار هذا الخبر حفيظة قريش والقي في قلوب زعمائها الرعب
لما يشكله أمر كهذا من خطر على انفسهم وتجارتهم ويخل بسمعتهن
كزعماء لمكة.

فأرسلوا مصبحين وفداً من أكابر قريش وزعمائها الى مخيم أهل
يثرب ليحتجوا على لقائهم بمحمد ومبايعته، فقالوا لهم (يا معشر الخزرج
انه قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا
وتبايعونه على حربنا ، فإنه والله ما من حي من العرب أبغض الينا من
ان تتشب الحرب بيننا وبينهم منكم). (٢)

ولأن النبي ﷺ خطط للأمر بمنتهى السرية والدقة ولأن المشركين من
الخزرج لم يعلموا بشأن البيعة فقد استنكروا هذا الأمر وأقسموا لقريش انه
لم يحصل وان الخبر لا يعدو ان يكون كذبة افتريت لإيقاع فتنة بين قريش
والخزرج، فمال زعماء قريش الى تصديقهم، ورجعوا لمكة مطمئنين.

(١) زاد المعاد ٢ / ٥١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٤٨.

طلّاع الهجرة

وكانت البيعة الثانية تحمل بشارة الفتح بإنشاء مجتمع إسلامي ووطن بديل للنبي ﷺ وصحبه، وكانت الهجرة تعني مفارقة الوطن والأهل وإهدار المصالح والتخلي عن الأموال، والإقدام على تجربة يلفها الغموض ويكتنفها المجهول، ثم إن الطريق محفوف بالأخطار وغير آمن.

كان العرب يعيشون في قبائل تربط ابنائها رابطة الدم والقربى والمصالح المشتركة والمصير الواحد، فكانت القبيلة تشكل للفرد كل العالم وكان السفر خارج القبيلة رحلة في عالم من الغموض والمجهول والتصدي للمخاطر، أما الخروج من القبيلة نهائياً فكان شكل من أشكال الانقطاع عن الماضي وعن الأهل والأمان والمصالح، انه موت او عذاب وغربة بطعم الموت، لذلك كانت الهجرة في حينها ضياع ومرارة وخوف من مجهول، انها ترك لكل ما يملك المرء من مال واثاث وارض واقارب واحباب ومسير في ارض مقفرة وايغال في التقدم في مدينة مجهولة وناس مجهولون وحياة مجهولة، ولكنها هجرة حب بالله والى الله في قافلة نور وخير يحدو ركبها بشير الخير ورسول الرحمة فيسهل لأجلها كل صعب، هذا هو ما زرعه النبي الكريم ﷺ في قلوب صحابته يتركون كل شيء ويتركون كل ما يملكون ويسيرون وسط المخاطر لكنهم فرحين لأنهم وجدوا الله، عرفوا الله، تركوا كل شيء وتعلقوا بالله فربح بيعهم وحصلوا على كل شيء فما اعظمك يا سيدي يا رسول الله وانت تربي وتزرع في قلوب من حولك هذا الحب لله والتعلق به.

وكانت هجرة كل فرد قصة من قصص البطولة والتضحية التي يصعب ان تتكرر، لقد وقف الزمن يرقب بإكبار اهل الهجرة وهم يفعلون ما لا يُصدَّق.

وقصة هجرة أم المؤمنين ام سلمة واحدة من هذه القصص وهي كما ترونها ام المؤمنين:

(كان من اول من هاجر أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله حيث أخذ زوجته أم سلمة وابنها سلمة على راحلة له مهاجراً في سبيل الله فلحق به أهل ام سلمة (أصهاره) وقالوا له هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟

وأخذوا منه ابنتهم زوجته ام سلمة، وغضب آل أبي سلمة فقالوا: لا نترك ابنا سلمة معكم بعد اذ اخذتم ام سلمة من ابنا، وتنازعوا على الغلام حتى خلعوا يده وأخذوه معهم، فذهب ابو سلمة تاركاً زوجته حبيسة عند أهلها وابنه وديعة عند أهلها، و ظلّت ام سلمة بدار أهلها وزوجها توجه الى المدينة وابنها عند أهل زوجها، وتعاني ام سلمة من جذوة الفراق ونارها، فكانت تخرج كل صباح الى الصحراء تبكي حتى تغيب الشمس فتعود لأهلها، واستمرت على ذلك سنة، سنة من الفراق والبعد عن من تحب، ويرق أحد اهلها لحالها فيقول: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وابنها، فقالوا لها: الحقي بزوجك ان شئت.

وتذهب ام سلمة الى أهل زوجها وتسترجع ابنها، وأزمعت الهجرة منفردة الى المدينة، رحلة تتجاوز الخمسمائة كيلومترا في صحراء مترامية فيها من مخاطر الطريق ما فيها، لكنها رحلة الهاربة الى الله، المحبة له والمتوكلة

عليه ، وتسافر ام سلمة وابنها وحبها لله ورسوله، والله تعالى لا يضيع من يلجأ اليه، وتشمل العناية الالهية هذه المرأة الضعيفة إلا من حبها لله، حتى اذا كانت ببعض الطريق (في التنعيم) لقيها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، والذي لم يكن أسلم بعد، فتأبأ مروءته ان يترك امرأة وابنها يسافران لوحدهما عبر الصحراء فيصحبها حتى مشارف المدينة ويعود الى مكة.)
(١)

وكان لكل مهاجر قصة ومعانات أقلها ترك كل ما يملك ويغادر أهله ومن يحب، متوجهاً الى الله ورسوله.

وكان الرسول ﷺ قد أخبر فيما روى البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان).^(٢)

وقال ﷺ (رأيت في المنام إني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب)^(٣)

وابتدأ المسلمون بترك مكة والخروج الى المدينة افراداً ومجاميع تقلّ أو تكثر حسب ما تسمح به ظروفهم، حيث كانت الهجرة تتم بسريّة وبحرص على ان لا تعلم بها قريش، وكان أول من وصل المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد ثم قدم بعده عامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبي

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٦٨ ٤٧٠.

(٢) البخاري باب جوار أبي بكر ٨٠٤/٢ برقم ٢١٧ وصحيح ابن حبان .٢٨٥/١٥

(٣) صحيح مسلم كتاب الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ ١٧٧٩/٤ برقم ٢٢٧٢ .

حثمة فهي أول ضعيقة قدمت المدينة ثم قدم أصحاب رسول الله ﷺ إرسالا، فنزلوا على الأنصار، فأوهم ونصروهم وآسوهم وعوضوهم عن ما فارقوا كان يجمعهم حبهم لله، فألف الله بين قلوبهم والقى بينهم المحبة. (وتتابع خروج المسلمين الى يثرب بعد بيعة العقبة الكبرى حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر ﷺ وعلي ابن أبي طالب ﷺ ومن أحببته المشركون كرها أو مريض أو ضعيف) ^١

هجرة النبي ﷺ وصاحبه ﷺ

قال الله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾ الإسراء: ٨٠
 (أرشد الله نبيه ﷺ وألهمه بهذا الدعاء أن يجعل له مما هو فيه فرجا قريبا ومخرجا عاجلا، فأذن الله تعالى في الهجرة إلى المدينة حيث الأحباب فصارت له دارا وقرارا وأهلها له أنصارا). ^(٢)
 وكانت قريش تعاهدت سرا على قتل النبي ﷺ فنزل إليه جبريل بأمر ربه ﷻ يخبره بما بيتت قريش ومكرت، وان الله قد أذن للنبي بالهجرة.

^١ سيرة ابن هشام ٤٨٠م ١

(٢) البداية والنهاية ج/٤ ص ٤٣٧ .

كانت قريش قد أحاطت بيت النبي ﷺ بفتية لئام ينتظرون منتصف الليل ليدخلوا إليه فيضربوه بسيوفهم مجتمعين فيضيع بين القبائل دمه.

هذا مكرهم، لكن الله سبحانه وتعالى جبار السماوات والأرض بيده الأمر من قبل ومن بعد، يجير ولا يجار عليه، وفي هذا نزل القرآن

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ

وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ الأنفال: ٣٠.

ورغم استعداد قريش إلا إن النبي ﷺ أخذ حفنة من تراب في يده وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو عليهم سورة يس، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ يس ٩، ولم يبق منهم رجل إلا وجعل على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد له الله سبحانه أن يذهب.

وكان الإمام علي عليه السلام قد بات في فراش النبي ﷺ وعليه برده الأخضر.

(فأتاهم أتٍ ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً، قال خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمداً ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببُرْدٍ

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون وألله إن هذا لمحمد نائماً،
عليه بُرْدُهُ. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي رضي الله
عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا). (١)

وكانت هجرته ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة
من بعثته وذلك في يوم الاثنين كما رواه الإمام احمد في مسنده
بإسناد صحيح عن بن عباس انه قال: (ولد نبيكم يوم الاثنين
واستبى يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة الى
المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم
الاثنين). (٢)

إن من تأمل بحادثة الهجرة ورأى دقة التخطيط فيها، ودقة
الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها ومن مقدماتها إلى ما
جرى بعدها، يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله
ﷺ كان قائماً، وان التخطيط جزء من السنة النبوية، وهو جزء من
التكليف الإلهي في الأحد بالأسباب واعتماد التخطيط الدقيق
والتوكل على الله.

(١) السيرة لابن هشام ١ / ٤٨٤.

(٢) مسند الامام احمد ١ / ٢٧٧ برقم ٢٥٠٦.

فعندما حان وقت الهجرة وشرع النبي ﷺ بالتنفيذ نلاحظ وجود تنظيم دقيق للهجرة حتى نجحت رغم ما أكتنفها من صعاب وعقبات، تمثل في

❁ جاء رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر وقت شدة الحر (وهو الوقت الذي لا يخرج فيه أحد) .

❁ أخفاء شخصيته أثناء مجيئه للصديق، وجاء إلى بيت الصديق مثلثا.

❁ أمر أبا بكر ﷺ أن يخرج من كان عنده، ولما تكلم لم يبين إلا أمر الهجرة دون تحديد الاتجاه.

❁ وكان الخروج ليلا ومن باب خلفي في بيت أبي بكر .

❁ بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم.

❁ نوم الإمام علي ﷺ في فراش النبي ﷺ فكانت فكرة ناجحة ضللت القوم وخدعتهم وصرفتهم عن الرسول حتى خرج في جنح الليل تحرسه عناية الله وهم نائمون، ولقد ظلت أبصارهم معلقة بعد اليقظة بمضجع الرسول فما كانوا يشكون في انه نائم مسجى في برده في حين أن النائم هو الإمام علي رضي الله عنه.

ونرى احتياجات الرحلة قد دبرت تدبيرا محكما:

علي ﷺ ينام في فراش النبي ﷺ ليخدع القوم ويسلم الودائع ثم يلحق بالرسول، وعبد الله بن أبي بكر ينقل لهم أخبار مكة وتحركات قريش، و أسماء ذات النطاقين تحمل اليهم طعامهم وهم

في الغار، وعامر بن فهيرة الراعي بغنمه يبدد آثار أقدامهم قرب الغار بأغنامه كيلا يستدلون من خلالها على مكانهم، وعبد الله بن أريقط دليل الهجرة الأمين وخبير الصحراء المتمرس، ينتظر إشارة البدء من الرسول ليأخذ الركب طريقه من الغار إلى يثرب.

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل جزئيات الرحلة وبدقة بالغة وأعد للأمر عدته وبشكل علمي دقيق، لقد أخذ الرسول بالأسباب المعقولة، أخذاً قويا حسب استطاعته وقدرته..ومن ثم توكل على عناية الله وتوفيقه.

إن رسول الله ﷺ أعد كل الأسباب واتخذ كل الوسائل، ولكنه في الوقت نفسه مع الله يدعوه ويستنصره.

(ولم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد، حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، وآل أبي بكر. أما علي رضي الله عنه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يُخشى عليه إلا وضعه عنده لما يُعلم من صدقِهِ وأمانته صلى الله عليه وسلم.)^(١)

وعند شروع النبي ﷺ بهجرته المباركة اصطحب معه أبو بكر وكما تروي أم المؤمنين عائشة (فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٨٥.

نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: " أخرج من عندك ". فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: " فإني قد أذن لي في الخروج " فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم " قال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت يا رسول الله - إحدى راحتي هاتين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بالثمن ". قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين قالت: ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب، تقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرا، يكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينقع بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدليل، وهو من بني عبد بن عدي، هاديا خريتا، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حلقا في آل العاص بن

وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما،
وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما
عامر بن فهيرة، والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل).^(١)

(كان النبي يعلم ان قريش ستجد في الطلب، وان الطريق الذي
ستتجه اليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالاً،
فقد سلك الطريق الذي يضاده تماماً وهو الطريق الواقع جنوب مكة،
والمتجه نحو اليمن.

سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ جبل يعرف بجبل ثور،
وهذا جبل شامخ، وعر الطريق، صعب المرتقى، ذا أحجار كثيرة، فحفيت
قدما رسول الله، وقيل: بل كان يمشي في الطريق على اطراف قدميه حتى
يخفي أثره فحفيت قدماه، ومهما يكن الأمر فقد حمله أبو بكر حين بلغ
الى الجبل وطفق يشتد به حتى انتهى به الى الغار في قمة الجبل والذي
عرف في التاريخ بغار ثور).^(٢)

وجن جنون قريش اذ علمت ان مكرها قد خاب وان الله قد أنجى
نبيه من محاولتهم لقتله، فانتشروا يبحثون عنه في كل الصحراء، ووضعوا
مكافأة مائة من الابل لمن يجلب النبي ﷺ ومثلها لمن يجلب ابي بكر،
حيين أو ميئين

(١) البخاري - كتاب المناقب باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى
المدينة - حديث: ٣٧١٤.

(٢) الرحيق المختوم ص ١٥٧ عن (رحمة للعالمين).

فانطلقت الفرق والأفراد وقصّاصوا الأثر يجوبون الصحراء بحثاً عن النبي وصاحبه، فجابوا الوديان والهضاب والوهاد، وما كان لبشرٍ ان يختبئ منهم، لكنها عناية الله وحفظه وقدرته سبحانه وتعالى التي لا يقف امامها كيد مشرك او تخطيط كافر، حتى انهم وصلوا لباب الغار الذي يكمن فيه النبي ﷺ وصاحبه لكن الله أكرم نبيه، وأخزي أهل الكفر، (فقد روى أنس، عن أبي بكر رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي في الغار فرفعت رأسي فاذا انا بأقدام القوم فقلت يا نبي الله لو ان بعضهم طأطأ بصره رأنا.

قال: اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما (١)

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴾ المدثر ٣١.

طول رحلة الهجرة كانت عناية الله سبحانه وتعالى تحيط بالنبي المصطفى وصاحبه، فتمنع عنهم سراقاة وتبعد أذاه وتعمي عنهم عيون قريش بباب الغار وهم على مرمى البصر وعلى بُعد خطوات، وفي خيمة ام معبد، وفي كل خطوة كان الله بجلاله معهم وعنايته تحيطهم. وسراقاة المشهود له بقصّ الأثر وتتبع آثار السائرين على الرمال والذي اغرته المكافأة يصل اليهم وحين يهم بأخذهم يحول الله بينه وبينهم، فينقلب بعد ان رأى من عناية الله بنبيه، ينقلب مدافعاً عن النبي ﷺ، يبعد

(١) البخاري باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ٣ / ١٤٢٧ برقم ٣٧٠٧.

عنه قريش ويرسلهم بعيدا عنه، ويعود ليروي قصته مع المهاجرين
الكريمين:

(عن عبد الرحمن بن مالك المدلجي، وهو ابن أخي سراقه بن مالك
بن جعشم، أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار
قريش، يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، دية كل
واحد منهما، من قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس
قومي بني مدلج، أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال يا
سراقه: إني قد رأيت أنفا أسودة بالساحل، أراها محمدا وأصحابه، قال
سراقه: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا
وفلانا، انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت
فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي، وهي من وراء أكمة، فتحبسها علي،
وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فحططت بزجه الأرض،
وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تقرب بي، حتى دنوت
منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي،
فاستخرجت منها الأضلام فاستقسمت بها: أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره،
فركبت فرسي، وعصيت الأضلام، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم، وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت
يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها
فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها عثان
ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأضلام، فخرج الذي أكره،
فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين

لقيت ما لقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتكم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزاني ولم يسألاني إلا أن قال: ((أخف عنا))^(١)

ورجع سراقه، فوجد الناس في الطلب، فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر، قد كفيتم ما هاهنا، وكان أول النهار جاهداً عليهما، وآخره حارساً لهما^(٢)

فبعد ان رأى سراقه من حماية الله لنبيه ومن ثقة النبي بربه ما جعله يتحول من مطارد للنبي الى حارس له حيث رجع فكان يخبر كل من يصادفه من المطاردين بأنه قد جاب هذه المنطقة وأشبعها بحثاً وان ليس فيها من أثر للنبي وصاحبه فيها، فكانوا يرجعون ثقة ببراعة سراقه في اقتفاء الأثر.

وتمضي مسيرة الخير والهدى ويمضي النور كله صوب المدينة التي حباها الله وشرّفها بالنبي فكان لها موعد مع التاريخ ومع الزهو والشموخ.

❖ بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة هاجر النبي الأمين ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة قضاها ﷺ يدعوا إلى توحيد الله ﷻ وتهذيب الصحابة ونقلهم إلى دنيا الصفاء والصدق

(١) البخاري - كتاب المناقب باب مناقب المهاجرين وفضلهم - حديث: ٣٤٧٤ .

(٢) زاد المعاد ٢ / ٥٣ .

والإخلاص، فكان ﷺ ينشر الإسلام ويبني في ذات الوقت نموذجاً جديداً لرجال سَمَوَاً بأخلاق وشمائل يصعب تصديقها... صابراً ﷺ على ما لا تصبر عليه الجبال متحملاً من الألم والمعانات ما لا يُطاق لتبليغ رسالة ربه، جاهداً ليخرج الناس من الظلمات الى النور، كانوا يحاولون قتله ويتفنون بإيذائه وكان ﷺ يوشكُ يُذهبُ نفسه عليهم حسرة ألا يؤمنوا، كان يتألم لأنهم سيدخلون النار.

بعد ثلاثة عشر عاماً من الدعوة دخل الرسول الكريم ﷺ المدينة المنورة في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة.



السيرة المنورة
بعد الهجرة

السيرة المنورة بعد الهجرة

في يوم الاثنين من ربيع الأول في السنة الأولى من الهجرة وصل رسول الله ﷺ الى قباء.

(وذكر البخاري أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقباء، وأقام فيهم بضعة عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء في تلك الايام)^(١)

وتسارعت جموع المسلمين من الانصار الى النبي حين علموا انه وصل قباء (فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله صلى الله

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٢٦٨.

عليه وسلم صامتا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

فكان أول ما بدأ به النبي ﷺ في قباء أن أسس لهم مسجداً للصلاة وصلى بهم في ذلك المسجد.

ثم ان رسول الله خرج وابو بكر صوب المدينة يحيطه أخواله من بني النجار وهم متقلدون بسيوفهم وجماهير من الانصار الذين زحفوا مسرعين للترحيب بالنبي (فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بنى سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذى في بطن الوادي، وادى رانونا، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.) (٢)

ودخل رسول الله ﷺ المدينة في يوم احتفل الناس فيه فكأنه يوم عيد، يوم عانقوا فيه أعلى سنام المجد وتجلت عليهم رحمة الله فيه وفضله عليهم حيث تشرفوا برفقة النبي الحبيب ﷺ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بين أظهرهم، وخرج أهل المدينة فكانت النساء يتطلعن من شرفات الدور ومن فوق الأسطح وكن يتسائلن عن الرسول أيهم كان بين

(١) البخاري كتاب المناقب باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة - حديث: ٣٧١٤.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٢٧٢.

الرجال حيث كان صلى الله عليه وسلم يسير تحيط به جموع المحبين من الأنصار والمهاجرين والفرح يملأهم بمقدم النبي الأمين.

وكانت جموع المؤمنين تحيط بالحبيب الذي شرفهم الله بصحبته، يسرون ولحن يتهادى عبر شفاههم كأنه نشيد سماوي ترده الملائكة:

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

وكانت الجموع حول النبي ﷺ وحيث مر بطرقات المدينة يتسابق الرجال الى ناقة النبي ﷺ يمسكون بخطامها طالبين من النبي ان ينزل عليهم وان تنتشر بيوتهم به فيقولون: هلم الى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فيقول صلى الله عليه وسلم:

((خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ فَإِنَّمَا أُنزِلَ حَيْثُ أُنزِلَنِي اللَّهُ))

وتسير الناقة وتتهادى معها القلوب كُلُّ يَتَمَنَّى ان تترك ببابه، ولم تزل سائرة حتى بركت في موقع المسجد النبوي اليوم ثم نهضت وسارت ثم رجعت الى ذات المكان فبركت فيه فكان موضع المسجد وبيت رسول الله ﷺ، ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم ((أي بيوت أهلنا أقرب. فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه دارى وهذا بابى، قال: فانطلق فهيئ لنا مقبلا، قال: قوما على بركة الله))^(١)

(١) البخاري - كتاب المناقب باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة - حديث: ٣٧١٩.

(حدثني أبو أيوب خالد بن زيد، قال لما نزل عليّ رسول الله صلى عليه وسلم في بيتي نزل في السفلى، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فإظهر أنت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفلى. فقال: يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في سفلى البيت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفله وكنا فوقه في المسكن. فلقد انكسر حب لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها، ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه.

قال: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه، فإذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة (١) وبعد أيام وصلت إليه زوجته سودة وبناته فاطمة و أم كلثوم، وأسامة بن زيد، وأم أيمن، وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة .

❁ كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال " أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم، تعلّموا والله ليُصعقنّ أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا وأفضلت عليك، فما قدمت

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٢٧٧.

لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن أستطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقّ تمرّة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

و خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال:

إن الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زينته الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا ما أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملؤا كلام الله وذكره ولا تقسى عنه قلوبكم فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى، قد سماه الله خيرته من الاعمال ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتى الناس الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته، وادققوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن ينكث عهده.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.(^١)

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٣٠١ - ٣٠٢.

حالة المجتمع في المدينة عند الهجرة

عندما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة كان هو الإمام والقائد والهادي في بناء المجتمع والدولة الإسلامية الجديدة، والأقوام التي كان يواجهها رسول الله ﷺ في المدينة كانت على ثلاثة أصناف، يختلف كل صنف عن الآخر، وهذه الأصناف هي:

١. المسلمون الصحابة من المهاجرين والانصار

فبالنسبة إلى أصحابه فقد اختلف الظرف بالنسبة إليهم، فهم في مكة وان كانت تجمعهم كلمة جامعة وأهدافهم متفقة، إلا أنهم كانوا متفرقين في بيوتات شتى، أذلاء مطرودين مقهورين لم يكن لهم من الأمر شيء، لا يستطيعون أن يقيموا المجتمع الإسلامي الجديد، لذلك كانت السور المكية تقتصر على تفصيل المبادئ وعلى التشريعات التي يمكن أن يعمل بها كل فرد وحده، وعلى الحث على البر والخير ومكارم الأخلاق، وتنتهي عن الرذائل والدنايا.

أما في المدينة فكان أمر المسلمين بأيديهم، فقد آن أن يواجهوا بمسائل الحضارة والعمران وبمسائل المعيشة والاقتصاد وبمسائل السياسة والحكومة والسلم والحرب، والتفصيل الكامل لمسائل الحلال والحرام والعبادة وكل مسائل الحياة.

ومجتمع كهذا لا يمكن أن يستتب في يوم وليلة، بل يستلزم زمنا طويلا يتكامل فيه التشريع والتقنين مع التنقيف والتدريب وكان الله ﷻ كفيلا بهذا التشريع، وكان رسول الله ﷺ قائما بتنفيذه والإرشاد إليه، وكان هذا أعظم

ما يواجه رسول الله ﷺ بالنسبة للمسلمين وهذا كان المقصود من الدعوة الإسلامية والرسالة المحمدية.

كانت جماعة المسلمين تشتمل على قسمين، قسم في ديارهم وأرضهم وأموالهم، وهم الأنصار وكان بينهم تنافر مستحکم وعداء مزمن منذ أمد بعيد، وقسم آخر تركوا ديارهم وأموالهم ومعاشهم وهم المهاجرين.

٢. أهل المدينة الذين لم يؤمنوا والمنافقون:

وهم من صميم قبائل المدينة ولم تكن لهم سيطرة على المسلمين وكان منهم من يتردد عن ترك دين الآباء، ومنهم من أظهر إسلامه وهو يبطن البغضاء والعداوة لرسول الله ﷺ والمسلمين.

٣. اليهود: (وهم عبرانيون وفدوا إلى أرض الحجاز فصبغوا بالصبغة العربية في الزي واللغة والحضارة، لكنهم لم يندمجوا في العرب قطعا، بل كانوا يفتخرون بكونهم من بني اسرائيل ويحتقرون العرب ويسمونهم أميين ويرون أن أموال العرب مباحة لهم، وكانوا مهرة في فنون الكسب والمعيشة وفي أيديهم التجارة ويشغلون بالربا، وكانوا أصحاب مكر ودسائس وفتن، وكان منهم في المدينة ثلاثة قبائل مشهورة:

بنو قينقاع وهم حلفاء للخزرج وديارهم داخل المدينة ، بنو النضير و بنو قريظة والقبيلتان حلفاء الأوس وديارهم بضواحي

المدينة وهذه القبائل كانت تثير الحروب بين الأوس والخزرج. وكانوا يبطنون أشد العداوة للإسلام وللرسول ﷺ وان كانوا لم يتجاسروا على إظهارها إلا بعد حين (١).

وكان اليهود اذ عرفوا ان النبي ﷺ مرسل من الله حقاً وانه النبي الذي يجدون البشارة به في كتبهم، كانوا قد ناصبوه أشد العداة وكادوا له أشد الكيد يملأهم بغض وحقد للدين الجديد، وذلك لأن الرسول ﷺ لم يكن منهم وهم الذين تملأ العصبية عقولهم، وكانت دعوته الصالحة ستؤلف بين شتات العرب وتنتهي العداوة والبغضاء بينهم، ودينه يدعو الى أكل الحلال من طيب الأموال، وذاك يعني ان قبائل يثرب ستتآلف فيما بينها وستفقت من سطوة اليهود فيفسل نشاطهم التجاري، ويحرموا اموال الربا التي كانت أساس ثروتهم، بل ربما يحتمل ان تتيقظ تلك القبائل فتدخل في حسابها الأموال الربوية التي أخذها اليهود فتقوم بإرجاع أرضها وحوائلها التي اضاعتها الى اليهود في تأدية الربا.

كان اليهود يضعون كل ذلك في حسابهم منذ عرفوا ان الدعوة ستستقر بيثرب، فكانوا يبطنون أشد العداوة للإسلام وللنبي ﷺ منذ دخوله يثرب وان لم تبين هذه العداوة الا بعد حين.

(وهذه ام المؤمنين تحدث عنهم وعن عداوتهم للإسلام فعن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت كنت أحبّ وُلدِ أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما قطّ مع وُلدٍ لهما إلا أخذاني دونه. قالت فلما قدّم رسول الله

(١) أنظر الرحيق المختوم ص ١٦٨ - ١٧٤.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَنَزَلَ قُبَاءً، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي، حَيَّيْ بِنُ أَخْطَبَ، وَعَمِي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبَ، مُعَلِّسَيْنِ. قَالَتْ فَلَمْ يَرْجِعَا حَتَّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. قَالَتْ فَأَتَيْتَا كَالَيْنِ كَسَلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمَشِيَانِ الْهُوَيَيْنِ. قَالَتْ فَهَشِشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ فَوَاللَّهِ مَا نَفَقْتُ إِلَيْيَ وَاحِدَ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْعَمِّ. قَالَتْ وَسَمِعْتُ عَمِي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حَيَّيْ بْنِ أَخْطَبَ: أَهْوُ هُوَ ؟ قَالَ نَعَمْ وَاللَّهِ قَالَ أَنْتَعْرِفُهُ وَتُنَبِّئُهُ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟ قَالَ عَدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ. (١)

(ويشهد بذلك ما رواه البخاري في صحيحه في اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه، فقد كان حبراً من فطاحل علماء اليهود، ولما سمع بمقدم رسول الله المدينة في بني النجار جاءه مستعجلاً والقي إليه اسئلة لا يعلمها الا نبي ولما سمع ردوده عليها آمن به ساعته ومكانه، ثم قال له: ان اليهود قوم بهت، ان علموا باسلامي قبل ان تسألهم بهتوني عندك، فأرسل رسول الله فجاءت اليهود ودخل عبد الله بن سلام البيت، فقال رسول الله: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول الله: افرأيتم ان اسلم عبد الله ؟ فقالوا: أعاده الله من ذلك (مرتين او ثلاثا) فخرج اليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٥١٩.

ووقعوا فيه فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا اله الا هو إنكم لتعلمون انه رسول الله وانه جاء بحق. قالوا كذبت (١)

وخارج المدينة كانت ألد قوة ضد الإسلام هي قريش التي آذت المسلمين وعذبتهم (حينما كانوا بمكة) ثم لما هاجروا إلى المدينة صادرت أموالهم وأرضهم وديارهم، وتآمرت على الفتك بصاحب الدعوة ﷺ والقضاء عليه، وبعد الهجرة قامت بدورها السياسي لما لها من صدارة دنيوية وزعامة دينية بين أوساط العرب فأغرت غيرها من مشركي الجزيرة ضد أهل المدينة، حتى صارت المدينة في شبه مقاطعة شديدة. هذه هي القضايا والمشاكل التي كان يواجهها رسول الله ﷺ حين ورد المدينة بصفته رسولاً هادياً وقائداً.

السنة الأولى للهجرة

حين استقر المصطفى ﷺ وصحبه في المدينة، بدأ بتأسيس الدولة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامي في وقت استمر فيه بالدعوة إلى الله. فكان ﷺ يعمر القلوب ويعمر البلاد في ذات الوقت، فأتى:

❁ بناء المسجد النبوي:

وكان أول ما قام به رسول الله ﷺ هو بناء المسجد النبوي في المكان الذي بركت فيه الناقة، (روى البخاري في صحيحه إن رسول الله ﷺ دخل المدينة راكباً راحلته فسار يمشي معه المسلمون حتى بركت عند

(١) البخاري ١ / ٤٥٩ ، ٥٥٦.

مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مريداً للتمر (موضع يجفف فيه التمر) لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته (هذا إن شاء الله المنزل) ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما في المرید ليتخذة مسجدا فقالا: لا بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه) (١)

وشرع رسول الله في العمل ببناء المسجد مع أصحابه وضرب أول معول في حفر الأساس الذي بلغ ثلاثة أذرع ثم اندفع المسلمون بينون الأساس بالحجارة والجدران باللبن الذي يعجن بالتراب وجعل السقف من جريد النخل وعمده الجذوع وفرشت أرضه من الرمل والحصباء وبلغ طول المسجد مما يلي القبلة إلى المؤخره مائة ذراع، وجعلت له ثلاثة أبواب. وبني لرسول الله ﷺ حجرات حول مسجده الشريف لتكون مساكن له ولأهله، وكانت بيوت بسيطة لا زخرف فيها مبنية من اللبن والطين وبعض الحجارة وكانت سقوفها من جذوع النخل والجريد، وكانت صغيرة الفناء قصيرة البناء ينالها الواقف بيده.

وحين اكتمل البناء انتقل إليها النبي ﷺ من بيت أبو أيوب^٢ وكان في مؤخرة المسجد النبوي الصفة أو الظلة.

(١) البخاري باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ١٤٢١/٣ برقم ٣٦٩٤.

^٢ السيرة النبوية عرض وقائع ص ٣٠٠ عن السيرة النبوية لأبي شعبة

والصفة ظلة في مؤخرة مسجد رسول الله ﷺ يأوي إليها المساكين واليهما ينسب أهل الصفة.

فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه (واهل الصفة اضياف الاسلام لا يأوون على اهل ولا مال) ^١

وكان المسجد فضلاً عن كونه مكاناً للصلاة فقد كان المكان الذي يجتمع فيه النبي ﷺ بصحابته فيعلمهم الكتاب والحكمة ويربيهم ويزكيهم،

ومكاناً يجتمع فيه المسلمون على اختلاف قبائلهم ومكانتهم، يقفون صفاً واحداً أخوة متحابين في الله، فكان أعداء الأمس، أخوة اليوم متحابين

يغمرهم صفاء ورحمة ونور ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مِافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِئِكَ قُلُوبَهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ الأنفال ٦٣.

❁ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

وهذه الخطوة مهمة لبلورة المجتمع الإسلامي الجديد القائم على المحبة في الله المجتمع المتكاتف الذي لا يؤمن فيه إلا من يحب لإخوانه ما يحب لنفسه أو فوق ما يحب لنفسه فيؤثر على نفسه وان كان بحاجة، والإسلام قائم على الحب والتناصر والتعاقد والتكافل، والود والصفاء.

ومؤاخاة المهاجرين والأنصار ترتبت عليها حقوق خاصة أكثر من تلك التي بين عموم المسلمين فربطت أفراد المجتمع الذي كان قبلاً يقوم على العصبية فكانت أخاء كامل ألف الله فيه بين قلوب عباده، محبته ﷺ

^١ صحيح البخاري ٥ / ٢٣٧٠ برقم ٦٠٨٧

هي الأصرة التي تجمع عباده حتى ان الرجل من الأنصار يعطي أخاه من المهاجرين نصف ما يملك لا بل يخيّره أي النصفين يختار ، وهذا ما يخالف كل الطباع البشرية التي جُبِلت على الطمع وإيثار النفس، انه سمو الروح فوق الأطماع وحب لم تعرف الدنيا مثله، وهذا هو الغرس الذي تخرّج من مدرسة إمام الرسل وسيد الناس ﷺ .

(قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلا من كثير، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهناً، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله.
قال: لا، ما أنثيتم عليهم ودعوتم الله لهم.

وعن أنس، أن عبدالرحمن بن عوف قدم المدينة فأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد ابن الربيع الانصاري، فقال له سعد: أي أخي، أنا أكثر أهل المدينة مالا، فانظر شطر مالي فخذ، وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها.

قال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق.

فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن. (١)

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ الحشر ٩ .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٣٢٨ .

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيحَتَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ النساء ٣٣ .

(عن ابن عباس " ولكل جعلنا موالى " قال: ورثة " والذين عاقدت أيمانكم " كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الانصاري دون ذوى رحمه للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم، فلما نزلت " ولكل جعلنا موالى " نسخت ثم قال: " والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم " من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له. وعن أنس قال: حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دارنا .

قال سفيان: كأنه يقول آخى.

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والانصار، فقال: تأخوا في الله أخوين أخوين.

ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال: هذا أخى (١)

وبقيت المؤاخاة في الميراث قائمة، حتى أنزل الله تعالى قوله:

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الأنفال ٧٥.

وكان نزول الآية بعد غزوة بدر فأوقفت أحكام المؤاخات في المواريث ونسخت ما كان قائماً قبلها.

وانقطعت المؤاخاة في الميراث وعاد كل انسان الى نسبه وورثه ذوو رحمه ويذكر أن المؤاخاة كانت بين خمسين من الأنصار وخمسين من

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٣٢٥

المهاجرين، كانت المؤاخاة سمواً بالأخلاق وتحقيقاً لأعلى أنواع الكمال في العلاقة البشرية القائمة على الحب وتجسيدا للتربية الاسلامية. كان ﷺ يحدّث الصحابة بما في العبادات من الفضائل والثواب عند الله، ولأن هذه العبادات والتشريعات كان مصدرها الله والمبلغة الى نبيه بالوحي والقران والذي اصبح إشعارا بما عليهم من حقوق الدعوة وتبعات الرسالة، فضلا عن ضرورة الفهم والتدبر.

ولأن الرسول القدوة بينهم يتلمسون هديه وينظرون سنته ويسمعون توجيهه ارتقوا لأعلى القيم والمثل، حتى اصبحوا صورة لأعلى قمة من الكمال عرفت في تاريخ البشر، يقول عبد الله بن مسعود: من كان مستنأ فليستن بمن قد مات، فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، براً وعلماً وقرباً من الله وزهداً فيما سواه.

ثم إن الرسول ﷺ وهو المربي والمعلم الذي يسمو بالأرواح والأخلاق كانت له من الصفات ومن الكمالات والمواهب والأمجاد والفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال بما جعلت الأفتدة تهوى إليه وتحيط به الأرواح، فما يتكلم بكلمة إلا ويبادر صحابته إلى امتثالها، وما يأتي برشد وتوجيه إلا ويتسابقون إلى التحلي به كان النبي ﷺ معلمهم ومرشدهم ومثلهم الأعلى.

وبهذا استطاع النبي ﷺ أن يبني في المدينة مجتمعا جديدا، أروع وأشرف ما عرفه التاريخ، لقد كان النبي مثلا للكمال والرفعة ثم انه هذب نفوس من حوله فكانوا يتسابقون لما يرضي ربهم ونفوسهم مطمئنة يعيشون في عالم من صفاء الأنفس وعلو الروح، فكان مجتمعهم أعظم مجتمع

يمكن ان تعرفه البشرية، مجتمع مبني على المحبة، وطاعة الله، بأنفس وأرواح راضية مطمئنة.

❁ الوثيقة (دستور المدينة):

نظم النبي ﷺ العلاقة بين سكان المدينة من المهاجرين، والأنصار، واليهود فيما سمي بالصحيفة أو الكتاب.

وأحلّ ﷺ فيها مفهوم الأمة بدل القبيلة وكانت هذه أول لبنة في بناء المجتمع المدني والدولة الإسلامية... فكتب ﷺ ميثاق تحالف بين المسلمين وغيرهم في المدينة بحكمة أرست دعائم مجتمع جديد وحددت العلاقة بينهم مستعرضة فيها الحقوق والواجبات.

وإذا كان الدستور وكما نفهمه اليوم ببساطة وثيقة عهد بين مجموع السكان على الكيفية او الطريقة التي تدار بها الدولة بمجموعة من القواعد والمبادئ الأساسية التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها، وكذلك حدود سلطتها إزاء الأفراد والجماعة وعلى اساس ما يُجمع الشعب على قبوله.

وعلى اساس هذا الفهم للدستور تكون وثيقة المدينة أول دستور مدني مكتوب في التاريخ، حيث يعبر عن الدولة باعتبارها صاحبة السيادة والسلطان على إقليمها، وينظم السياسة الداخلية بعقد اجتماعي توافقي بين الحاكم والمحكوم، وينظم العلاقة بين طوائف المجتمع ومكوناته على أساس العدل و الحرية والمساواة.

وقد جاءت الوثيقة نتيجة توافق بين جميع الطوائف العرقية و الدينية في المدينة وحفظ لكل منها خصوصيتها الثقافية والاجتماعية والدينية.

وبذا تكون الصحيفة كل ما يعنيه مصطلح " الدستور " من مضامين في عصرنا الحديث ومن خلال المبادئ الإنسانية والإدارية التي عليها مدار إدارة الدولة قديما وحديثا والتي حوتها الصحيفة. تضمنت الصحيفة تحديد مفهوم الأمة، فالأمة تضم (وفق الصحيفة) المسلمين جميعا مهاجريهم وأنصارهم ومن تبعهم ممن لحق بهم وجاهد معهم، أمة واحدة من دون الناس.

وهذا شيء جديد في تاريخ الحركة السياسية في جزيرة العرب وهذه نقلة من شعار القبيلة والتبعية لها، إلى شعار الأمة التي تضم كل من اعتنق دين الإسلام.

كما نصت الصحيفة على (مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ) فالمرجعية العليا لله ولرسوله ﷺ، كما حددت الصحيفة أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، فهذه الوثيقة حددت معالم الدولة أمة واحدة، وإقليم هو المدينة، وسلطة يرجع إليها تحكم بما أنزل الله، كما كفلت الحريات والحقوق.

كما كتب ﷺ ميثاقا مع اليهود (جاء ضمن هذه المعاهدة او الوثيقة) نظمت العلاقة بين المسلمين واليهود، وما لهم وعليهم من حقوق والتزامات في المجتمع الجديد.

ان احتواء الوثيقة على اسماء مجموعة من القبائل والطوائف وتنظيمه للعلاقة بينهم يؤشر ان الصحيفة جاءت نتاج لعمليات شورى وتبادل للرأى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وباقي الطوائف والقبائل التي شملتها الوثيقة والتي أشار اليها المشرع باسم ((أهل هذه الصحيفة)).

لقد ضمنت الصحيفة حقوقا وامتيازات للأطراف غير المسلمة المنضوية تحت مظلة دولة المدينة الاسلامية من أهل الكتاب ومن تبعهم لاحقا فجعلت منهم طرفا أصيلا فى المجتمع مساويا للمسلمين فى الحقوق والواجبات فجعلت لهم النصرۃ والأسوة. واعتبرت هذا المبدأ كمبدأ عام . وأكدت على الترابط بين طوائف الأمة بصرف النظر عن جنسهم ودينهم وذلك واضح فى النص الذى يقول: إنَّ يهود بني عوف أُمَّة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مَواليهم وأنفسهم.

وهذا نص الوثيقة او دستور المدينة:

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ
مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ:

- إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ
- الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
- وَيَبْنُونَ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاوِلَهُمْ الْأُولَى، كُلَّ طَائِفَةٍ تَفْدِي
عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
- وَيَبْنُونَ سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاوِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلَّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ
تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
- وَيَبْنُونَ الْحَارِثَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاوِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلَّ طَائِفَةٍ تَفْدِي
عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
- وَيَبْنُونَ جُشَمَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاوِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلَّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ
تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
- وَيَبْنُونَ النَّجَارَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاوِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلَّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ
تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ

- وَبُؤِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلَّ طَائِفَةٍ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
- وَبُؤِ النَّبِيِّ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلَّ طَائِفَةٍ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
- وَبُؤِ الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلَّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَقْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
- وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلِ وَأَنْ لَا يُحَالِفَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا دُونَهُ
- وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةً ظُلْمٍ أَوْ إِثْمٍ أَوْ عُذْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَوَلَدٌ أَحَدِهِمْ
- وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ وَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ وَاحِدَةٌ يُجْبِرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوْلَى بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ
- وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودٍ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأَسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ
- وَإِنَّ سَلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ لَا يُسَالِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ
- وَإِنَّ كُلَّ غَارِزِيَّةٍ غَزَتْ مَعَنَا يُعْقَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا
- وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُبَىُّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
- وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هُدًى وَأَقْوَمِهِ

- وَإِنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَّا لَا لِقْرِيْشٍ وَلَا نَفْسَهَا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ
- وَإِنَّهُ مَنْ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قَتْلًا عَن بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قَوْدٌ بِهِ إِلَّا أَنْ يَرْضَىٰ وَوَلِيَّ الْمَقْتُولِ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةٌ وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ إِلَّا قِيَامٌ عَلَيْهِ
- وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقْرَبَ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحَدِّثًا وَلَا يُؤْوِيَهُ وَإِنَّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَعَظْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ
- وَإِنَّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ
- وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتَعُ إِلَّا نَفْسُهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ
- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ
- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ
- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ
- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ
- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ
- وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتَعُ إِلَّا نَفْسُهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ
- وَإِنَّ جَفْنَةَ بَطْنٍ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ
- وَإِنَّ لِبَنِي الشَّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ
- وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ

- وَإِنَّ مَوَالِي نَعَلَبَةَ كَأَنفُسِهِمْ
- وَإِنَّ بَطَانَةَ يَهُودَ كَأَنفُسِهِمْ وَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- وَإِنَّهُ لَا يُنَحِّزُ عَلَى تَأْرِ جُرْحٍ
- وَإِنَّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّصْرَةِ عَلَىٰ مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتُمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفَةٍ
- وَإِنَّ النَّصْرَةَ لِلْمَظْلُومِ وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ
- وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ
- وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٍ وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا
- وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فِسَادَهُ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ أَتَقَىٰ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ
- وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ فُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَةَ عَلَىٰ مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ فَاتَهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ عَلَىٰ كُلِّ أَنَاسٍ حِصْنَهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبْلَهُمْ

- وَإِنَّ يَهُودَ الْأَوْسِ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مَعَ النَّبِيِّ الْمَحْضِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ
- وَإِنَّ النَّبِيَّ دُونَ الْإِثْمِ لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ
- وَإِنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ
- وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ آثِمٌ وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^١

وكلمة الربع التي وردت في الوثيقة معناها عند العرب (المنزل والدار ومكان الإقامة)، عانيهم معناها (اسيرهم)، و يتعاقلون (يدفعون الدية)، وعقل (دية)، ومُفْرَحاً (مثقلاً بالدين)، و يُبِيء (يتحملون نفقة)، واعتبط (قتل بدون علة)، يوتغ (يهلك)، دهم (هجم).

وقد ابدى الكثير من المؤرخين والمستشرقين والباحثين الغربيين اعجابهم بالوثيقة واعتبروها معلماً بارزاً من معالم الرقي والابداع في تاريخ الحضارة الاسلامية.

يقول المستشرق الروماني جيورجيو:

"حوى هذا الدستور اثنين وخمسين بنداً، خمسة وعشرون منها خاصة بأمر المسلمين، وسبعة وعشرون مرتبطة بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى، ولاسيما اليهود وعبد الأوثان.

^١ السيرة لابن هشام ١ / ٥٠٢ - ٥٠٣

وقد دُون هذا الدستور بشكل يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرهم حسب رغبتهم، ومن غير أن يتضايق أحد الفرقاء. وضع هذا الدستور في السنة الأولى للهجرة، ولكن في حال مهاجمة المدينة من قبل عدو عليهم أن يتحدوا لمجابهته وطرده .

التحركات والنشاط العسكري قبل بدر

قبل الحديث عن السرايا التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد ان نتطرق الى الفرق بين الغزوة والسرية .

السريّة :

يطلق مصطلح السرية على الحملة التي كان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبعث بها الصحابة لاستطلاع أخبار وتكنات أعدائهم وكذلك بُعثت بعض السريات للقتال، وكانت أوّل بعثتها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سريّة حمزة إلى قريش، أمّا آخر سريّة فكانت سريّة أسامة بن زيد والتي بعثها الرسول لبني مذحج في أرض اليمن.

الغزوة :

أمّا الغزوة فهي مصطلح يطلق على الحملات التي كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشهدها ويشترك بها بنفسه، ومنها:

غزوة الأبواء ويطلق عليها كذلك غزوة ودان. غزوة بواط: وقعت في ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة. غزوة بدر الكبرى: وقعت خلال

شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، وتعتبر من أهم الغزوات التي حدثت في تلك السنة، وكان عدد المسلمين فيها ٣١٣ مسلم. غزوة بني قينقاع. غزوة بني المصطلق، أو المريسيع. غزوة بني قريظة. غزوة خيبر وغزوة ذات الرقاع. غزوة فتح مكة: وقعت خلال شهر رمضان سنة ٨ هجري وتعتبر من أهم الغزوات في تاريخ الدولة الإسلامية حيث تمكن المسلمون من بسط سيطرتهم على مكة المكرمة، وبلغ عدد المسلمين خلال هذه الغزوة ١٠٠٠٠ مسلم. غزوة حنين: أو أوطاس أو هوازن وغزوة تبوك: التي وقعت في رجب في السنة التاسعة هجري، وقد بلغ عدد المسلمين ٣٠٠٠٠ مسلم .

أرسل رسول الله ﷺ في هذه السنة عدة سرايا منها:

❁ سرية سيف البحر:

أمر عليها حمزة بن عبد المطلب ﷺ وكانت في رمضان، على رأس سبعة أشهر من مهاجره وعقد له لواء أبيض وهو أول لواء عقده رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلا من المهاجرين، ليعترض عيرات لقريش، وأن حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل من قريش، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، ولم يكن بينهم قتال.

وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي .

❁ سرية رابغ في شوال:

عقد النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض، وأمره بالمسير إلى بطن رابغ.

وكان لواءه مع مسطح بن أثاثة، فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة، في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء، وكان بينهم الرمي دون المسايقة وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان .

❁ سرية الخرار في ذي القعدة:

في ذي القعدة عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد ابن الاسود.

وقال عامر بن سعد، (عن أبيه) قال: خرجت في عشرين رجلا على أقدامنا، أو قال: أحد وعشرين رجلا، فكنا نكمن النهار ونسير الليل، حتى صبحنا الخرار صبح خامسة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلي ألا أجوز الخرار، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم^(١)

السنة الثانية للهجرة

سعت قريش لعدم وصول النبي ﷺ إلى المدينة، وحاولت القضاء على الإسلام والمسلمين، واستمر العداة بعد هجرة النبي ﷺ والمسلمين واستمرت محاولة القضاء على الدعوة ورجالها.

ومن دلائل ذلك:

كتابتهم الى عبد الله بن أبيّ ومن كان معه ممن كان يعبد الأوثان قبلاً من الاوس والخزرج قبل ان تقع غزوة بدر:

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٣٣٨ ٣٣٩ .

إنكم أويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عددا، وأنا نقسم بالله لتقتلنه أو لتخرجنه أو لنستعين عليكم العرب ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن معه من عبدة الأوثان تراسلوا وأرسلوا وأجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال:

(لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدوا أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم) فلما سمعوا ذلك من النبي تفرقوا. (١)

وهذه عظمة النبي وعظمة المربي وحكمته ﷺ حيث تصرّف بسرعة وبحكمة تصرّف من يعرف أغوار الأنفس واتجاهات التفكير والعاطفة عند البشر، فقد ركّز في خطابه على صلة الدم وصلة الرحم وذكرهم بما بينهم من صلة الدم والقربى فاطفاً الفتنّة و وأد المؤامرة في محلها.

ومن ذلك ومما يؤشر حقد قريش على النبي ﷺ ومن معه ومحاولة البطش بهم وقتلهم ما رواه البخاري عن سعد ابن معاذ حين خرج معتمرا ونزوله على أمية، فقال له انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت فخرج به قريبا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك ؟ فقال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنا، وقد أويتم الصباة (الخارجون عن الدين) وزعمتم إنكم تنصرونهم

(١) سنن أبي داود باب في خبر النضير ١٥٦/٣ برقم ٣٠٠٤. ومصنف عبد الرزاق

٣٥٩/٥ برقم ٩٧٣٣.

وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلِكَ
سالماً، فقال له سعد ورفع صوته عليه: أما والله لو منعتني هذا لأمنعكَ
ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة (١).

وهذا ما لم يحصل قبلاً لأحد من العرب حيث لم يعتاد أحد أن
يدخل الحرم حاجاً بأمان أحد، إلا أن أبا جهل يعتبر سعد مهدور الدم فلا
يدخل مكة إلا بحمي زعيم من زعمائها، وهذا يحمل ضمناً إعلان حرب
على الدولة الإسلامية في المدينة وعلى رجالها ويؤثر لنيتهم في القضاء
على الإسلام والمسلمين.

(ثم ان قريشاً كانت ترسل الى المسلمين تقول لهم: لا يغرنكم انكم
أفلتمونا الى يثرب وسنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم
(٢).

وكانعكاس لموقف قريش هذا واحساساً من المسلمين بالخطر
المحدق فقد كانوا يتعاقبون على حراسة رسول الله ﷺ بالسلاح وهو نائم
كل ليلة وذلك ما روته ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ((كان رسول
الله ﷺ يُحرسُ ليلاً حتى نزل (الله يعصمك) فأخرج رسول الله ﷺ رأسه
من القبة و قال: يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجلَّ
(٣))

(١) البخاري كتاب المغازي باب من يقتل في بدر ١٤٥٣/٤ برقم ٣٧٣٤.

(٢) الرحيق المختوم ص ١٨٥ عن (رحمة للعالمين) ١ / ١١٦.

(٣) الترمذي باب وعن سورة المائدة ٥ / ٢٥١ برقم ٣٠٤٦، وفتح الباري باب نزع

السهم من البدن ٦ / ٨٢.

ومن الطبيعي ان المسلمين ما كانوا ليبيتون يحرسون الرسول ﷺ
بالسلاح لولا خشيتهم عليه من خطر قريب.

وأمام هذا الموقف العدائي وإعلان قریش الحرب على الدولة
الإسلامية كان طبيعياً أن تتعامل المدينة حسب حالات العدوان هذه وما
تقتضيه من مواقف مضادة.

فكان أن أرسل الرسول ﷺ سرايا وغزوات سبقت بدر، (وقد سمي
المؤرخون ما خرج فيه النبي ﷺ بنفسه غزوة سواء حارب ﷺ أم لم يحارب
وما خرج به أحد قادته سرية) ومنها:

❁ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ أَوْ وَدَّانَ:

حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قریشا وبني ضمرَةَ
بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادعته (أي عاهدته ودخلت معه بصلح)
فيها بنو ضمرَةَ، وكان الذي وادعه منهم مخشي بن عمرو الضمريّ، وكان
سيدهم في حينها. ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة،
ولم يلق كيدا، فأقام بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الأول وهي أول
غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم^١

وبعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعث عُبيدَةَ
بْنَ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَلِّبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ فِي سَتِينَ أَوْ ثَمَانِينَ رَاكِبًا مِنْ
الْمُهَاجِرِينَ لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ، فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ مَاءَ الْحِجَازِ

^١ انظر السيرة لابن هشام ٥٩١/١

بأسفل ثنية المُرّة، فلقي بها جمعا عظيما من قريش، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمي يومئذ بسهم فكان أول سهم رُمي به في الإسلام.

❁ غزوة بُواط:

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول يريد قريشا. واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون. حتى بلغ بُواط، من ناحية رضى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى¹

❁ غزوة العُشيرة:

ثم غزا صلى الله عليه وسلم قريشا، فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد.

فسلك على نقب بني دينار، ثم على فيفاء الخبر فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزره فصلى عندها.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلائق ببسار وسلك شعبة يقال لها شُعبَةُ عبد الله، ثم صَبَّ لليسار حتى هبط ليل، فنزل بمجمعه ومجتمع الضبوعة، ثم سلك الفرش فرش ملل، حتى لقي الطريق بصحيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشيرة من بطن

¹ السيرة لابن هشام ٥٩٨م

يَنْبُع. فَأَقَامَ بِهَا جَمَادَى الْأُولَى وَلِيَالِي مِنْ جَمَادَى الْآخِرَةِ وَدَعَا فِيهَا بَنِي مُدَلِّجٍ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلِقْ كَيْدًا وَبَعْدَ رَجُوعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ غَزْوَةِ الْعُسَيْرَةِ بِلِيَالِي قَلَائِلَ لَا تَبْلُغُ الْعَشْرَ أَغَارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفَهْرِيُّ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ (مَا يَسْرَحُ فِي الْمَرْعَى مِنَ الْأَبْلِ وَالشَّاةِ)، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، حَتَّى بَلَغَ وَادِيَا يُقَالُ لَهُ سَفْوَانٌ، مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرِ وَقَاتَهُ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ، فَلَمْ يَدْرِكْهُ وَهِيَ غَزْوَةُ بَدْرِ الْأُولَى. ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ^١

❁ سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ:

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشِ بْنِ رَبَّابِ الْأَسَدِيِّ فِي رَجَبٍ بَعْدَ رَجُوعِهِ مِنْ بَدْرِ الْأُولَى، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمِينَ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ فَيَمِضِي لِمَا أَمَرَهُ بِهِ وَلَا يَسْتَكْرِهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا.

فَلَمَّا سَارَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ يَوْمِينَ فَتَحَ الْكِتَابَ فَنَظَرَ فِيهِ فَإِذَا فِيهِ إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَاْمُضْ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةً، بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرُصِدْ بِهَا قَرِيْشًا وَتَعْلَمْنَآ مِنْ أَخْبَارِهِمْ فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ فِي الْكِتَابِ قَالَ سَمِعًا وَطَاعَةً ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

^١ السيرة لابن هشام ٥٩٨/١

عليه وسلم أن أمضي إلى نَخْلَةَ، أرصد بها قريشا، حتى آتته منهم بخبر وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم. فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد.

وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بِمَعْدِنَ فَوْقِ الْفَرَعِ، يُقَالُ لَهُ بَحْرَانُ، أَضَلَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ بَعِيرًا لِهَمَا، كَانَا يَعْتَقِبَانِهِ. فَتَخَلَّفَا عَلَيْهِ فِي طَلَبِهِ. وَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَبَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ بِنَخْلَةَ فَمَرَّتْ بِهِ عِيرُ لَقْرِيشَ تَحْمِلُ زَبِييَا وَأَدَمًا، وَتِجَارَةَ مِنْ تِجَارَةِ قَرِيشٍ، فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ.

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فأشرف لهم عكاشة بن محسن وكان قد حلق رأسه فلما رآوه أمنوا، وقالوا عمّار لا بأس عليكم منهم. وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، فليمتعنن منكم به ولئن قتلتموهن لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم. فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم ابن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم.

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيارين حتى قدّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة.

فلما قدّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، قال ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام. فوقف العير والأسيرين. وأبى أن يأخذ من

ذلك شيئاً فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سَقَطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ.

وبعدها أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾ البقرة ٢١٧ .

فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم ابن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما، نقتل صاحبكم فقدم سعد وعتبة فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم.

وهي أول غنيمة غنمها المسلمون. وعمرو بن الحضرمي أول من قتله المسلمون وعثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون^(١)

❁ وقد فرض على المسلمين القتال في شعبان وأنزل في ذلك آيات

بينات في سورة البقرة:

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٥٩١ ٦٠٤ .

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ
 الْقَتْلِ ﴾ البقرة.

(وَلَا تَعْتَدُوا) ذلك هو المرتكز الأساس في فلسفة الإسلام في
 استخدام القوة... القوة للدفاع عن المبادئ والأنفس، تقاتل من يريد ان
 يقتلك وتقاتل من يمنع وصول الاسلام للناس لأنه ببساطة يقتلهم حين
 يمنع عنهم خير الدنيا والآخرة إذ يمنع انتقالهم من الظلمات الى النور.
 ولهذا نرى الإذن بالقتال جاء مشروطاً

﴿ أذنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّا عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ ﴿٣٩﴾
 الحج ٣٩.

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْمُعْتَدِينَ ﴾ البقرة ١٩٠.

فكان الشرط في القتال أو اللجوء إليه أنهم ظلموا أو أنهم يُقَاتِلُونَ
 وتواصلت الآيات التي تحرض المؤمنين على القتال نزولاً فزاد نشاط
 المسلمين واشتدت رغبتهم بالجهاد ولقاء المشركين .

❁ غزوة بدر الكبرى :

أخرجت قريش المسلمين من ديارهم وقذفت بهم الى المجهول،
وصادرت أموالهم بمكة وكل ما يملكون، وقطعت صلتهم بأهلهم ومن
يحبون، ومارست عليهم أشد انواع الاستبداد وحرمتهم من حرية الاعتقاد
وحرية الدين

وبعد أن منَّ الله عليهم بمأوى استكثرت عليهم ان يجدوا ملجأ يؤويهم
فصارت تطاردهم في غربتهم، صارت تطاردهم لتقتلهم ومن يؤويهم...
فهل هناك ظلم فوق هذا، ويزداد حجم الظلم وأثره حين يكون المظلوم سيد
الخلق وسيد الناس الذي يدعو الى الخير والرحمة، ومعه تلك العصبية من
الخيرين المنورين الذين يضوعون طيبة وهدى ونور على من حولهم.

وزاد احتمال الصدام المسلح من قريش التي لم يعد أمامها سواه، بعد
أن تجنبته طويلا حفاظا على السلام في أم القرى وأمن الحمى الحرام في
البيت العتيق.

لقد كان في حساب الوثنية القرشية أن تفرغ من القلة المؤمنة في
الجولة الاولى بأرض المبعث، دون حاجة إلى قتال وحرب.

وقد غرّها أن نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام، لبث بضعة عشر
عاما في مكة، لا يحمل سلاحا غير عقيدته، ولا يلقي طواغيت المشركين
بغير كلمات ربه.

لكن طبيعة الاشياء فرضت حتمية الصدام، وقررت كذلك مصيره
من تلك الجولة المكية الاولى، وإن بدى أن المعركة لم تحسم إلا يوم الفتح
في السنة الثامنة للهجرة.

ولم يعد السكوت على هذه المظالم ممكناً فكان لزاماً ردّ الظلم والعدوان عن المسلمين وإيقاف محاولات قتلهم، ثم لا يمكن لأمر الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ بنشر الدعوة الإسلامية بين الناس إلا بتحييد قريش وإيقاف تهديدها لأمن المسلمين وتعطيها لدور رسول الله ﷺ في نشر الدعوة الإسلامية.

لقد كانت غزوات رسول الله ﷺ وسراياه واعتراضه طرق قوافل قريش بمجاميع صغيرة من المهاجرين تحمل تحذيراً لقريش لتكف اذاها عن المسلمين، الا ان قريشاً أوغلت في كبريائها وتكبرها، فهاهو كرز الفهري يغير على مواشي المسلمين في مراعي المدينة وينهبها،

ورغم ان رسول الله ﷺ ومن معه طاردوه حتى (سَفوان) بالقرب من بدر وتبعد بمسافة ١٥٠ كيلو متراً عن المدينة وهذه مسافة بعيدة، إلا ان قريش لم تستوعب الدرس، وبعد خروج المسلمين لقطع الطريق على قافلة لقريش عائدة الى مكة، ورغم ان القافلة غيرت طريق سيرها، وأنها أفلتت من المسلمين، إلا ان قريش الممتلئة بالحقد على المسلمين جاءت بجيشها لقتل المسلمين واستئصالهم مما اضطر المسلمون للدفاع عن انفسهم فكانت واقعة بدر.

كانت سياسة رسول الله ﷺ وتصرفه في كل المواقف تفيض حكمة وذكاء واستباق للأحداث فحين كانت أول غزوة لرسول الله ﷺ وهي غزوة الأبواء (و تسمى ودّان) عقد صلحاً وأبرم معاهدة مع بني ضمرة وهذا نصّها:

((بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لبني
ضَمرة بن بكر بن عبد مناة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم
النصر على من رامهم، إلا أن يُحاربوا في دين الله ما بلّ بحرّ صوفة
(كناية عن الاستمرار)، وإن النبي إذا دعاهم لنصرة اجابوه، عليهم بذلك
ذمة الله و ذمة رسوله، ولهم النصر على من برّ منهم و اتقى))^١
لقد كانت المعاهدة تصرفاً ينم عن ذكاء النبي ﷺ وحنكته واستيعابه
لجميع المؤثرات الموضوعية في الصراع بين المسلمين وقريش، خصوصاً
وإن لقبيلة بني ضمرة موقعاً ذي قيمة عالية ومؤثرة في أي صراع
عسكري قد ينشب بين قريش والمسلمين، فقد ضمن حيادية هذه القبيلة
وعدم اشتراكها بأي نزاع مع المسلمين ولا نُصرة من يحارب المسلمين.
وكما ذكرنا في الحديث عن غزوة العشيرة فإن عيراً لقريش يقودها
أبو سفيان أفلتت من رسول الله ﷺ والمسلمين، وحين اقترب موعد رجوعها
من الشام أرسل رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله و سعيد بن زيد باتجاه
الشمال ليرقبوا عودة القافلة فيخبروا رسول الله ﷺ بخبرها... وكان لهم ما
أرادوا فهاهي قافلة قريش بألف بغير محملة بالبضائع ولا يحرسها الا أقل
من خمسين رجلاً.
كان الاستيلاء على هذه القافلة يمثل ضربة اقتصادية وعسكرية لقريش.

^١ سيرة ابن هشام ٥٩١/١

لذلك أعلن الرسول ﷺ وكما يروي أبو أيوب الأنصاري: (إني أخبرت ونحن بالمدينة عن عير أبي سفيان انها مقبلة فهل لكم ان نخرج قبل هذا العير لعل الله يغنمناها).^(١)

وخرج رسول الله ﷺ ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فعن البراء رضي الله عنه (كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاث مائة وبضعة عشر)^(٢) خرج المسلمون وما اتخذوا أهبتهم كاملة لأنهم لم يخرجوا لحرب بل للاستيلاء على قافلة، فبين المسلمين والمشركين حالة حرب أعلنها المشركون، كما إن ضمن الأموال التي تحملها القافلة أموال المسلمين التي صادرها منهم كفار قريش.

يقول كعب بن مالك (إني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنه إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم ميعاد)^(٣)

(وكان خروجهم يوم الاثنين لثمان ليال خلت من رمضان واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عمرو بن أم مكتوم ثم رد

ابا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة)^١

(١) مجمع الزوائد باب غزوة بدر ٦ / ٧٣، و فتح الباري باب قول الله اذ تستغيثون
ريكم ٧ / ٢٨٨.

(٢) البخاري باب قصة غزوة بدر ٤/١٤٥٥ برقم ٣٧٤٢ .

(٣) مسلم باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٤/٢١٢١ والبخاري باب قصة بدر
٤/١٤٥٥ برقم ٣٧٣٥.

ودفع رسول الله ﷺ لواء القيادة إلى مصعب بن عمير القرشي وكان هذا اللواء أبيض. وقسم الجيش إلى كتبتين:
(كتيبة المهاجرين وأعطى علمها علي بن أبي طالب ﷺ، وكتيبة الأنصار وأعطى علمها إلى سعد بن معاذ ﷺ ولم يكن مع الجيش إلا فرسان، وسبعون بعيرا يعتقب الرجالن والثلاثة على بعير واحد.)^٢
خرج رسول الله ﷺ من المدينة يريد بدرا، وهو موضع على بعد (١٥٥) كم جنوب غربي المدينة تحيط بها جبال شواهق من كل جانب، وليس فيها غير ثلاثة منافذ:

منفذ في الجنوب وهو العدو القصى.

ومنفذ في الشمال وهو العدو الدنيا.

ومنفذ في الشرق يدخل منه أهل المدينة.

والقوافل القادمة من الشام الى مكة او بالعكس والتي تسلك الطريق الرئيسي لابد لها ان تمر ببدر.

وبدر فيها آبار ونخيل تتيح للمسافرين المارين بها البقاء فيها للراحة ساعات وایاما، و للتزود بالماء.

لقد كانت بدر انسب مكان للسيطرة على القافلة بعد أن يسدّ المسلمون المنافذ حين تنزل العير في هذا المحيط فتضطر إلى

^١ سيرة ابن هشام ٦١٢/١

^٢ سيرة ابن هشام ٦١٣/١

الاستسلام، شريطة أن لا يشعر أهل العير بخروج المسلمين إطلاقاً، حتى ينزلوا ببدر على غرة،

ولذلك سلك رسول الله ﷺ أول ما سلك طريقاً آخر غير طريق بدر ثم تأنى في التقدم إلى جهة بدر.

أما قائد القافلة أبو سفيان فكان يحذر ويخاف من خروج المسلمين إليه ويتوقعه، لذلك كان يسأل كل من يصادفه في طريقه عن أخبار المسلمين وتحركاتهم.

وبشأن الله ان يصل خبر خروج المسلمين من المدينة الى ابي سفيان، فيحوّل اتجاه العير إلى الغرب ليسلك طريق الساحل، ويترك طريق بدر إطلاقاً، وارسل الى أهل مكة يخبرهم بخروج المسلمين.

وبلغ النذير مكة فخرجت قريش في ألف وثلاثمائة مقاتل ومعهم مائة فرس وستمائة درع وعدد كثير من الجمال.

وكان على رأس الجيش أبا جهل بن هشام.

وبعد ان اطمأن ابو سفيان على مصير القافلة أرسل الى جيش مكة . بعد ان علم بخروجهم . من يخبرهم بأن القافلة بأمان بعد ان غير طريقها بعيداً عن مكان تجمع جيش المسلمين.

وهمّ كثير من المشركين بالرجوع وعدم الاشتراك بحرب ما عاد لها مبرر، فقال ابو جهل بغرور: والله لا نرجع حتى نردّ بدرأً فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا ابداً.

وبلغ خبر خروج قريش للقتال إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فاجتمع بمن معه من المسلمين يسألهم ويشاورهم في الأمر، فالجيشان غير متكافئين لا بالعدة ولا بالعدد، لكن العودة إلى المدينة تسجل انتصاراً لقريش يدعم مكانتها العسكرية والسياسية، وسيضعف مكانة المسلمين ويقلل من شأنهم، مما سيغري بهم بعد ذلك كل طامع وحاقد من قبائل الجزيرة.

فقام ابو بكر فقال وأحسن ونذر نفسه فداء لله وللدين وألزم نفسه بطاعة الله ورسوله، ثم تلاه عمر بن الخطاب فقال مثل قوله، ثم قام المقداد بن عمرو فقال خيراً وأحسن، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له ولمن سبقه، كان الثلاثة الذين تكلموا من المهاجرين، وكان الأتصار أكثر الجيش فقال رسول الله ﷺ أشيروا علي أيها الناس فقال سعد بن معاذ حامل راية الأتصار: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل.

قال: فقد آمنا بك، فصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق. واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة. فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله ان يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

ففرح رسول الله ﷺ لسماع ذلك ثم قال:

((سيروا وابشروا فان الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله كأني الآن أنظر الى مصارع القوم.))^(١)

وكان سبب استشارة النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار ورغبته في سماعهم (لأنهم عدد من الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت فانتي في ذماننا نمنعك مما نمنع منه ابناؤنا ونساءنا ، فكان صلى الله عليه وسلم يتخوف الا تكون الانصار ترى عليها نصره الا من دهمه بالمدينة من عدوه وليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم)^٢

(وبعدها ارتحل جيش المسلمين ونزل قريباً من بدر، وخرج رسول الله ﷺ والصدّيق ابو بكر باتجاه العدو يستطلع خبرهم ويعرف مكانهم، فالتقى ببعض الطريق شيخاً من بدو الصحراء فسأله الرسول ﷺ عن ما يشاع من تحبيش قريش لمقاتلتها وخروج المسلمين للقائهم وعن مكان تواجد الفريقين . وكان سؤاله ﷺ عن جيش المسلمين للتكتم والحرص . وحين سأله الشيخ ومن تكونان حيث ان وجودهما منفردين بذاك المكان غريب . قال له رسول الله سنخبرك بعد ان تخبرنا.

قال الشيخ: بلغني ان محمدا واصحابه خرجوا يوم كذا و كذا، فان كان صدقَ الذي اخبرني بذلك فهم الآن في موضع كذا، و بلغني ان قريشا

(١) السيرة لابن هشام ١ / ٦١٥ .

^٢ السيرة لابن هشام ١ / ٦١٥

خرجوا يوم كذا و كذا، فان كان صدقَ الذي اخبرني بذلك فهم الآن في موضع كذا، والان من انتما ؟

قال له رسول الله ﷺ نحن من ماء.. قالها وانصرف صادقاً أميناً، والشيخ مملوء حيرة من أي ماء يقصد أمن ماء العراق ؟¹

وبعد ان تم تحديد مكان تواجد جيش قريش كان لابد من معرفة حجم جيشها ومن جاء يقوده. فبعث ﷺ ثلاثة من قادة المهاجرين ليأتوه بخبر العدو، علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، بنفر من الصحابة، ذهبوا الى ماء بدر فوجدوا غلامين يسقيان لقريش فأسراهما وعادا بهما الى معسكر المسلمين، فعلم منهما ان تعداد الجيش قريباً من الف مقاتل وان في الجيش: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام وأمّية بن خلف، ونبيه ومُنْبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود

ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله فقال بلغة الوثائق من نصر ربه القريب (هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أُلْفَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَيْدِهَا)
(فتحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر نزل به.

¹ سيرة ابن هشام ٦١٥/١

قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بنى سلمة، أنهم ذكروا أن الحباب ابن منذر بن الجموح قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأى والحرب والمكيدة.

قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد أشرت بالرأى " (١)
وفي يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان وحين كانت جموع الكفر تزحف بخيلاء عبر كثيب العَقْنَقِلِ الى داخل الوادي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي ربه لاجئاً الى حمى رب شديد القوى.

ثم حين لمح قريشا تندفع من وراء كثيب هناك. هادرة بزئير الوعيد، ثملة بنشوة الغرور ومتعة الصيد، رفع صلى الله عليه وسلم وجهه إلى السماء وقال يدعو ربه: (اللَّهُمَّ هَذِهِ فُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيَلَيْهَا وَفَخَرِهَا، تُحَادَاكَ وَتُكَذِّبُ رَسُوْلَكَ، اللَّهُمَّ فَنَصْرِكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ أَحْنَهُمُ الْعَدَاةَ) كان عدد المشركين الزاحفين من مكة ألف مقاتل كاملوا العدة والسلاح أو يزيدون، ومعهم مائة فرس مدربة على القتال.

وتجاههم، بالعدوة الدنيا، كان جنود المصطفى من حزب الله: ثلاثمائة وأربعة عشر لا يزيدون: من المهاجرين ثلاثة وثمانون ومن الاوس واحد وتسعون، ومن الخزرج مائة وأربعون.

١ السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤٠٢

ومعهم من الخيل ثلاثة أفراس فحسب.

ويلجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ربه ، يسأله بخشوع ويطلب منه فليس ملجأ سوى الله بيده النصر وهو على كل شيء قدير .

(ويستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: " اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد بعد في الارض أبدا " .

فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك.

فأنزل الله: إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ { الأنفال ٩ } ^١

(وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال، ثم جننت مسرعا لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل، قال: فجننت فإذا هو ساجد يقول " يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم " لا يزيد عليها.

فرجعت إلى القتال ثم جننت وهو ساجد يقول ذلك أيضا، فذهبت إلى القتال ثم

جننت وهو ساجد يقول ذلك أيضا، حتى فتح الله على يده) ^٢

والتقى الجمعان ببدر، فئمة تقاتل في سبيل الله ﷻ ومن أجل إعلاء كلمة الحق ونشر النور والخير، وئمة كافرة، وبدا لكبير قريش (عتبة بن ربيعة)

^١ السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤١٧

^٢ السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤١٩

فخرج من صف المشركين يختال بين أخيه شيبه عن يمينه وابنه الوليد عن يساره، وسأل في استخفاف: هل من مبارز؟ فخرج إليه ثلاثة من الانصار، زهد في مبارزتهم عندما سألهم من يكونون فعرفوه بنسبهم في بنى قيلة.

قال: (مالنا بكم حاجة) ثم نادى: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فأخرج إليه المصطفى ﷺ ثلاثة من صميم البيت الهاشمي القرشي: عمه، حمزة بن عبدالمطلب. وابني عمه: علي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث.

ولم تطل المبارزة، وسقط عتبة بن ربيعة، وشيبة أخوه، وابنه الوليد ابن عتبة، صرعى مجنولين على ساحة بدر.

عندئذ تراحف الناس والتقت الصفوف وحميت المعركة، ويأخذ المصطفى ﷺ براحته حفنة من حصاء بدر قذف بها عسكر المشركين وهو يقول: (شاهت الوجوه).

وفي ذلك يقول الله عز وجل:

﴿وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ الأنفال ١٧.

ثم التقت صلى الله عليه وسلم إلى جنده فقال: (شدوا) وشدوا على المشركين.

وأرسل الله الملائكة تقاتل مع أولياء الحق وأمدهم بالنصر،

﴿أَنِّي مُدِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ الأنفال.

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
 أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٣٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا
 وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ
 ﴿١٣٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا لَنْصُرُ إِلَّا مِن عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْحَكِيمِ ﴿١٣٦﴾ آل عمران .

وكان رسول الله ﷺ يخرج من باب العريش يثب بالدرع ويقول:

﴿ سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ القمر : ٤٥ .

وأمد الله سبحانه المسلمين بنصره وجعل كلمة الإيمان هي العليا
 وفرق بين الحق والباطل فسمي يوم بدر يوم الفرقان.
 و ترك جند الله صناديد قريش بين قتيل وأسير، وهارب يشتري
 النجاة بعار الفرار.
 وصدق الله وعده ونصر من نصره، وألقى الرعب في قلوب عدوهم
 فذهبوا عبرة ومثلاً.

وعاد الجيش الظافر إلى المدينة بالأسرى والمغانم.

وعادت قلوب المشركين إلى مكة بالهزيمة والذل.

(ويذكر (ابن هشام) في السيرة النبوية ان قتلى قريش في بدر سبعين
 رجلاً، وبلغ أسراهم نحو ذلك العدد. أما المسلمون فاستشهد منهم يوم بدر

أربعة عشر شهيدا: ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار، بذلوا أنفسهم فداء عقيدتهم فذهبوا بمجد الشهادة وشرف الجهاد وثواب الآخرة¹

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٣١)
 فَرِحِينَ بِمَاءِ اتِّمُّهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا
 خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴿١٣٧﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا
 يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ
 لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٣٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
 لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٣٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ
 مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٤﴾ ﴿١٣٤﴾ آل
 عمران.

وَحَوْلَ بَدْرِ وَقَعَتْ اِحْدَاثٌ مَعْجَزَةٌ تَفَجَّرَتْ تَنْبِيءٌ عَنِ اِعْجَازِ خِصِّ
 اَللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ نَبِيُّهُ تَعَزِيزًا لَهُ وَتَثْبِيْتًا لِقُلُوْبٍ مِّنْ حَوْلِهِ رَغْمَ اِنْ كُلِّ
 مَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ اِعْجَازٌ وَتَثْبِيْتٌ لِقُلُوْبِ الْمُسْلِمِيْنَ.

((فعن عبد الله بن مسعود قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً، فنزل على
 أمية بن خلف ابني صفوان، وكان أمية اذا انطلق الى الشام فمر بالمدينة
 نزل على سعد، فقال أمية لسعد: ألا تنتظر حتى اذا انتصف النهار وغفل
 الناس انطلقت فطفت؟ فبينما سعد يطوف اذا ابو جهل، فقال: من هذا
 الذي يطوف بالكعبة؟

¹ سيرة ابن هشام ١ / ٧٠٧

فقال سعد: هذا انا سعد، فقال ابو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد
أويتم محمدا وأصحابه ؟

فقال نعم، فتلاحيا بينهما (أي تلازما وتنازعا).

فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل
الوادي. ثم قال سعد: والله لئن منعتني ان أطوف بالبيت، لأقطعنك
متجرك بالشام. فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه،
فغضب سعد فقال: دعنا عنك فأني سمعت محمداً يزعم انه قاتلك.

قال: إياي ؟ قال: نعم. قال: والله ما يكذب محمد اذا حدث.

فرجع الى امرأته فقال أما تعلمين ما قال لي أخي اليثري. قالت: وما قال
؟ قال: زعم انه سمع محمدا يزعم انه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد،
فلما خرجوا الى بدر وجاء الصريخ.

قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثري ؟

فأراد ألا يخرج فقال له أبو جهل: انك من اشراف الوادي، فسر يوماً او
يومين، فسار معهم فقتله الله))^(١)

وعن رفاعة بن رافع قال: رُميتُ يوم بدر بسهم ففُقت عيني، وبصق فيها
رسول الله ودعا لي فيها فما آذاني شيء.^(٢)

(وما رواه عروة بن الزبير قال: جلس عُمر بن وهب الجُمحي مع
صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر ببسير، وكان عُمر بن وهب

(١) البخاري باب علامات النبوة ٣ / ١٣٢٨ برقم ٣٤٣٣.

(٢) مجمع الزوائد باب غزوة بدر ٦ / ٨٢.

شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله واصحابه ويلقون منه عناء . أي تعب . وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر اصحاب القلب ومصابهم، فقال صفوان: والله ما في العيش بعدهم خير .

فقال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دَيْنٌ عليّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة . الضياع والتشتت . بعدي، لركبت الى محمد حتى أقتله، فأني لي فيهم علة . سبب يسمح لي بالدخول . إني أسير لديهم .

فتغتمها صفوان بن أمية فقال: عليّ دينك انا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي اواسيهم . اتحمل مؤونتهم . ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم . فقال له عمير: فاكنتم عليّ شأني وشأنك .

ثم أمر عمير بسيفه فشُحذَ وسُمَّ، ثم انطلق حتى قَدِمَ المدينة فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به، اذ نظر عمر الى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب والله ما جاء الا لشرّ، وهو الذي حرش بنا وحزنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله فقال له: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه . قال: فأدخله عليّ .

فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه . ما يربط به السيف الى الجسم .
في عنقه فلبّيه بها، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار ادخلوا على
رسول الله فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون.
ثم دخل على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة
سيفه في عنقه قال ((أطلقه يا عمر، ادنُ يا عمير))

فدنا ثم قال: أنعموا صباحا، وكانت تحية اهل الجاهلية بينهم، فقال
رسول الله: ((أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية
اهل الجنة))

فقال: أما والله يا محمد ان كنت بها لحديث عهد.

فقال ﷺ ((فما جاء بك يا عمير ؟))

قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال ﷺ ((فما بال السيف في عنقك ؟))

قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا.

قال ﷺ ((أصدقني ما الذي جاء بك))

قال: ما جئت الا لذلك.

قال ﷺ ((بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما
أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ، وعيال عندي لخرجت
حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدّينك وعيالك على أن
تقتلني له، والله حائل بينك و بين ذلك))

قال عمير: أشهد انك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما
كنت تأتينا من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم

يحضره إلا انا وصفوان، فوالله اني لأعلم ما أتاك به الا الله فالحمد لله
الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق.
ثم شهد شهادة الحق.
فقال رسول الله ﷺ ((فقهوا أخاكم في دينه وأقربوه القرآن وأطلقوا أسيره))
ففعّلوا.

ثم قال: يا رسول الله اني كنت جاهداً على اطفاء نور الله، شديد
الأذى لمن كان على دين الله عز وجلّ وأنا أحب ان تأذن لي، فأقدم
مكة، فأدعوهم الى الله تعالى والى رسوله والى الاسلام، لعل الله يهديهم،
فأذن له رسول الله (١)

ومن ذلك لما طلب رسول الله من عمه دفع الفداء، وأجابه العباس:
ما ذاك عندي يا رسول الله، فقال له:

((أين المال الذي دفنته انت وأم الفضل ؟ فقلت لها: ان أصبت في
سفري هذا فهذا المال الذي دفنته لبنيّ الفضل وعبد الله وقتم))
قال: والله يا رسول الله والله اني لأعلم انك رسول الله، ان هذا الأمر
ما علمه أحد غيري و غير أم الفضل. (٢)

كما وقعت قبل بدر حادثتان لا يمكن ان يأتي بمثلهما الا رسول
الله ﷺ بصِدْقِهِ الشَّدِيدِ وثِقْتِهِ المتناهية بأن الأمر بيد الله.

(١) مجمع الزوائد ٨ / ٢٨٥.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤٦٢.

(فعن ابن الطفيل ان حذيفة بن اليمان قال ما منعني ان اشهد بدرًا
الا ان اني خرجت انا وابي الحسيل فأخذنا كفار قريش فقالوا انكم تريدون
محمدا فقلنا: ما نريد الا المدينة.

فأخذوا منا عهد الله وميثاقه ان لا نقاتل معه.

فلما اتينا المدينة ذكرنا ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال:

إنصرفا، نفي لهم ونستعين بالله تعالى عليهم.

هذا حين كان الرسول ﷺ متوجها الى قتال عدوه الذي كان يفوقهم عددا،
وكان يحتاج الى كل سيف وكل مقاتل.

وعن ام المؤمنين عائشة: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة
أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح اصحاب رسول الله حين
رأوه.

فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك واصيب معك.

فقال صلى الله عليه وسلم: تؤمن بالله ورسوله؟

قال: لا، قال فارجع فلن استعين بمشرك.

ثم مضى حتى اذا كان بالشجرة ادركه الرجل فقال كما قال اول مرة.

فقال له ﷺ كما قال اول مرة ارجع فلن استعين بمشرك.

ثم رجع فأدركه في البيداء فقال له كما قال اول مرة.

فقال ﷺ: هل تؤمن بالله ورسوله.

قال: نعم.

قال ﷺ: فانطلق. فانطلق معه. (١)

❁ غزوة بني سليم بالكدر:

بعد غزوة بدر بسبع ليالٍ في الثاني من شوال وبعد ان بلغ النبي ﷺ ان بني سليم من قبائنا غطفان تجمع رجالها لحرب المسلمين، إلا ان رسول الله باغتتهم بهجوم غير متوقع ومعه مائتي راكب في عقر دارهم، وبلغ منازلهم في موضع ماء لهم يقال له كدر ووجد ديارهم خالية لأنهم حين سمعوا بمقدم رسول الله فرّوا وتركوا خمسمائة بعير في الوادي فغنمها جيش المسلمين وبعد ان أقاموا ثلاثة أيام رجعوا وقد ساقوا معهم الإبل (٢)

❁ غزوة بني قينقاع:

أثار انتصار المسلمين ببدر حسد اليهود وغيرتهم وحقدهم، وعادوا لممارسة بث الفتن بين المسلمين وإثارة النعرات الطائفية بينهم وتذكيرهم بما كان بينهم من ثارات وقتل قبل الاسلام، وحدث أن جمعهم رسول الله ﷺ في سوق بني قينقاع، وأكثرهم كانوا صاغة وحدادين وصناع الظروف والأواني ولهم مال وآلات حرب وسلاح وبلغ تعداد مقاتليهم سبعمائة مقاتل، وكانوا أشدّ طوائف اليهود وأكثرهم على المسلمين حقدًا، وبعد تكاثر أذاهم فقال لهم ﷺ واعظاً:

(١) انظر الرسول ص ٧٧.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٣.

(يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا. قالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، انك لو قاتلتنا لعرفت إنا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا).^(١)
 وكان هذا الرد هو إعلاننا للحرب.
 فأنزل الله سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٣﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْقُرَظَةِ فَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجُوا كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْكَيْفِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران.

وروى ابن هشام أن امرأة من العرب أتت بجلب لها (ما يجلب للسوق للبيع) فباعته في سوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي غافلة فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله (وكان يهوديا) فشددت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين اليهود.^(٢)

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣١٤ .

(٢) السيرة لابن هشام ٣/٨٩ .

وحينئذ عيل صبر رسول الله ﷺ فسار بجنود الله إلى بني قينقاع وأعطى الراية حمزة بن عبد المطلب، ولما رأوه تحصنوا بحصونهم فحاصرهم أشد الحصار، ودام الحصار خمس عشرة ليلة وقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكثفوا وربطوا (بعد أن كانوا يتوعدون المسلمين بأنهم أهل بأس في القتال) فكانوا يكتفون إكتافا واستعمل رسول الله على كتافهم المنذر بن قدامة السلمي الأوسي.

وقام المنافق عبد الله بن أبي بن سلول و توسط لهم عند رسول الله ﷺ وقال يا محمد أحسن في موالي وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج فعامله رسول الله ﷺ بالمراعاة حيث لم يكن مضى على اسلامه أكثر من شهر فوهبهم له على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها فخرجوا إلى أذرعات الشام فقل أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم.

وخرج بنو قينقاع صاغرين أذلاء وقد تركوا بيوتهم وسلاحهم وكانوا من أشجع اليهود مما ألقى الرعب في باقي قبائل اليهود.

❁ غزوة السويق:

كان ابو سفيان بعد رجوعه الى مكة بعد غزوة بدر بين مرارة هزيمة قومه امام المسلمين وبين نار مفارقة أبناء عمومته من صناديد قريش وزعمائها الذين ذبحوا بسيوف المسلمين وبين ألم احساسه بهوان قريش وانحطاط مكانتها بعد هزيمتها امام جيش المسلمين الذي يصغرهم عددا وعدة.

لذلك أقسم الا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة في مائتي راكب ليبر بيمينه، فدخل بخوف وتحت جناح الظلام وأتى حيي بن أخطب فاستفتح فلم يفتح له فانصرف الى سيد بني النظير سلام بن مشكم الذي استقبله وأطعمه وأخبره بأخبار المسلمين، خرج ابو سفيان عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث مفرزة منهم فأغارت على ناحية من المدينة يقال لها ((العريض)) فقطعوا وأحرقوا أسوارا من النخل ووجدوا رجلا من الانصار و حليفا له فقتلوهما وفروا راجعين الى مكة.

وبلغ الخبر رسول الله ﷺ الذي سارع لمطاردة ابي سفيان واصحابه الذين فروا بسرعة حتى انهم رموا تمويناتهم وسويقا كثيرا ليتخففوا ويسرعوا، وتمكنوا من الافلات من جيش المسلمين الذي تعقبهم حتى قرقرة الكدر ثم قفلوا راجعين الى المدينة وقد غنموا ما رمى المشركون من سويق^(١)

✿ غزوة ذي أمر:

هي اكبر غزوة وقعت قبل معركة أحد.

وقعت الغزوة بعد ورود معلومات عن تجمع بني ثعلبة ومحارب للاغارة على المدينة، فخرج اليهم رسول الله ﷺ في أربعمائة و خمسين مقاتلا بين راكب وراجل، وفي الطريق قبضوا على رجل من بني ثعلبة والذي بعد ان التقى النبي ﷺ شرح الله قلبه للاسلام وصار في عداد جيش المسلمين ثم أصبح دليلاً لهم.

(١) انظر لسيرة لابن هشام ٢ / ٤٤.

حين سمع تجمع الكفر بخروج رسول الله اليهم ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب ففروا الى أعالي الجبال أمام المسلمين الذين وصلوا الى مكان تجمعهم وهو الماء المسمى ((ذي أمر)) فأقام شهر صفر كله ليشرع الأعراب بقوة المسلمين فلا يفكروا بالاغارة على المدينة (١)

❁ قتل كعب بن الأشرف:

ينتسب كعب بن الأشرف الى بني نبهان من طيء . وهو شاعر غني مترف ، له حصن في اطراف المدينة قرب دور بني النضير .

كان ابوه قد أصاب دما في الجاهلية فقدم المدينة وحالف يهود بني النضير وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعب، وكان وسيما وشاعرا، وقد ناصب الله ورسوله العداة فقال شعرا يهجو رسول الله ﷺ الذي أعلى الله سبحانه مكانته وامتدحه، ثم كان في شعره ينال من رسول الله ﷺ والمسلمين ويحرض على قتالهم ويهجوهم وينال من النساء المؤمنات الصحابيات.

وهو الذي قال قصيدته في رثاء قتلى بدر من المشركين والتي أولها:

طحنت رحى بدر لمهالك أهله ولمثل بدر تستهل و تدمع
قُتِلت سُرارة الناس حول حياضهم لا تبعدوا ان الملوك تصرع

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٤٦ .

كم قد أصيب بها من أبيض ذي بهجة تأوي إليه الضيع^١

واستمر كعب بهجاء رسول الله وتشجيع قريش على حربه، والنيل من نساء المسلمين العابدات القانتات.

كان تصرف كعب نقضاً لعهد المدينة بين رسول الله واليهود، كما انه اعتداء على شخص رسول الله ﷺ وعموم المسلمين وحتى نسائهم، وبما لا يمكن السكوت عليه او التغاضي عنه، لذلك قال رسول الله ﷺ:

((من لكعب بن الأشرف ؟ فانه آذى الله و رسوله))^٢

فيتطوع محمد بن مسلمة لقتله، والذي يذهب ومعه ابو نائلة سلكان أخو كعب من الرضاعة، وعباد بن بشر ، والحارث بن اوس ويحتالون للدخول على عدو الله بحجة أنهم يريدون ان يرهنوا سلاحهم مقابل دين يستدينونه منه، وبعد ان التقوه مكّتهم الله من قتله وعادو الى رسول الله ليخبروه بمقتل عدو الله (٣)

❁ بدأت الآيات القرآنية تنزل هذه السنة بالتشريعات و الأحكام حيث شرعت فريضة الصيام والزكاة وزكاة الفطر وصلاة العيد.

السنة الثالثة للهجرة

^١ السيرة النبوية عرض وقائع ص ٤٥٩ عن تاريخ الاسلام للذهبي

^٢ سيرة ابن هشام ٥٤ / ٢

(٣) انظر لسيرة لابين هشام ٥٠ / ٢

❁ سرية القردة:

في جمادي الآخرة قررت قريش التي حوصرت اقتصاديا بعد بدر وانتصار المسلمون فيها وما سبقها ولحقها من غزوات و سرايا فلم تعد تأمن على قوافلها، وهي التي تعتاش من تجارتها الى الشام في الصيف و الى اليمن في الشتاء، قررت أن تتخذ طريقا جديدا تسلكه قوافلها لم تكن سلكته قبلا، فنتخذ طريق العراق وهي طريق طويلة جدا تخترق نجدا إلى الشام وتمر شرقي المدينة على بعد كبير منها، إلا إن أخبار الطريق الجديد وصلت المدينة فجهز رسول الله ﷺ حملة قوامها مائة فارس يقودهم زيد بن حارثة الكلبي .

فدهموا القافلة التي كان يقودها صفوان بن أمية وهي تنزل على ماء في أرض نجد يقال لها قردة، واستولوا على القافلة جميعها وغنموا بضاعتها غنيمة كبيرة من الاواني والفضة كانت تحملها القافلة بعد أن فرّ صفوان وحراسها.

وكانت هذه ضربة موجعة لقريش زادتها هما وحرزنا، حيث لم يبق أمامها سوى أما الامتناع عن الغطرسة والتنازل عن عداء المسلمين أو أن تقوم بحرب شاملة تعيد لها أمجادها وعزها القديم وتقضي على المسلمين^(١)

❁ غزوة أحد:

(١) أنظر تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٠ .

لما أُصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع فلهم إلى مكة بعد قتل صناديدهم وأشرفهم، وكان الألم والمرارة قد دخلت كل بيوتهم، وأدمت قلوبهم وهزت مكانتهم بين القبائل .

وبعد ان رجع أبو سُفْيَانَ بن حرب بَعِيرِهِ مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قريش، ممن أُصيب آبؤهم وأبنائهم وإخوانهم يوم بدر فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العِيرِ من قريش تجارة فقالوا: يا معشر قريش إن محمداً قد وَتَرَكَكُمْ، وقتل خِيَارَكُمْ فَأَعْيُونَا بهذا المال على حربهِ فلعلنا نُدْرِكُ منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا. (١)

ففيهم أنزل الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ الأنفال . ٣٦

كان المشركون يتميزون غيضا مما أصابهم من جرأ بدر، فهم إضافة لخسارتهم طرق تجارتهم وحصار المسلمين لهم فقد لحقهم خزي وعار ومهانة، كما بدأ يفقدون دورهم القيادي بين القبائل.

زد على ذلك عدائهم القديم للإسلام والمسلمين .

لذلك كله تحركوا على القبائل لحشدهم لمقاتلة المسلمين، وبدلوا لذلك الأموال فأنفقوا ووعدوا وأعطوا، واستصحبوا الشعراء للتحريض على القتال.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٠ .

وكان لهم ما أرادوا فقد حشدوا جيشاً كبيراً لقتال المسلمين.
(واجتمع لجيش مكة من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء
والأحابيش، واستصحبوا معهم النساء، خمس عشرة امرأة، لما لذلك من
الأثر في شحذ همم المقاتلين والاستماتة في القتال دون أعراضهم.
وقد كان للجيش ثلاثة آلاف بغير ومائتا فرس وكانوا مدججين بسبعمائة
درع)^١

وكانت قيادة الجيش لأبي سفيان بن حرب، وقيادة الفرسان إلى خالد بن
الوليد يعاونه عكرمة بن أبي جهل، أما اللواء فكان إلى بني عبد الدار.
واستكملت قريش قواها في يوم السبت لسبع خلون من شوال من السنة
الثالثة من الهجرة.

وتحرك الجيش يحركه الثأر والغيز والعداء.(وكان خروجهم في يوم السبت
لسبع خلون من شوال من السنة الثالثة للهجرة)^٢

وأرسل العباس بن عبد المطلب الذي كان يرصد حركة قريش وتحشيدها
إلى النبي ﷺ يخبره بجيش قريش وكل تفاصيله من عدد وعدة وقدرات
قتالية وتحركه، ضمّن كل ذلك برسالة بعثها الى رسول الله ﷺ مع رسول
له أتى مسرعاً، وجدّ بالسير حتى انه قطع المسافة بين مكة والمدينة والتي
تقرب الخمسمائة كيلو مترا بثلاثة أيام، وسلم الرسالة الى النبي ﷺ وهو في
مسجد قباء.

^١ زاد المعاد ٩٢/٢

^٢ البداية والنهاية ٤ / ١١

وقد قرأ الرسالة على النبي أبي بن كعب، فأمره بالكتمان، وعاد ﷺ مسرعاً الى المدينة.

((لم يكتف النبي ﷺ بمعلومات المخابرات المكية، بل حرص على ان تكون معلوماته على هذا العدو متجددة مع تلاحق الزمن، ولذلك ارسل ﷺ الحباب بن المنذر بن الجموح الى قريش يستطلع الخبر، فدخل بين جيش مكة و حرز عَدَدَه و عُدَدَه ورجع فسأله رسول الله ﷺ ما رأيت قال رأيت يا رسول الله عددا، حزرتهم ثلاثة الاف يزيدون قليلا او ينقصون قليلا، والخييل مائتي فرس، ورأيت دروعاً ظاهرة حزرتها سبعمائة درع، قال ﷺ هل رأيت ظعناً قال: رأيت النساء معهن الدفاف و الأكبار... فقال رسول الله أردن ان يحرضن القوم و يذكرنهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم لا تذكر من شأنهم حرفاً، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أجول وبك أصول .

كما أرسل أنساً و مؤنساً ابني فضالة يتنصتان أخبار قريش فألفياها قد قاربت المدينة، وأرسلت خيلا و إبها ترعى زروع يثرب المحيطة بها، وعادا فأخبراه بخبر القوم)) (١)

ولما بلغت الأخبار وجميع المعلومات النبي ﷺ ، كتّمها عن الجميع ماعدا قادة المهاجرين والأنصار الذين جمعهم وشاورهم بالأمر، إما البقاء في المدينة و التحصن فيها أو الخروج لملاقاة المشركين،

(١) السيرة النبوية عرض وقائع ص ٤٧٣، ٤٧٤.

وكان رأي النبي ﷺ أن لا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها وأن يقاوتوا على أفواه الأزقة، قال:

((أنا في جُنة حصينة فان رأيتم ان تقيموا و تدعوهم حيث نزلوا، فإن اقاموا أقاموا بشرّ مقام، وان دخلوا علينا قاتلناهم فيها)) (١)

إلا أن رأي جمع من الصحابة وخصوصا من فاتهم القتال يوم بدر أن يخرجوا ويواجهوا العدو، ولا يقال أنهم جبنوا عن المواجهة.

لقد كان أصحاب هذا الرأي جماعة من فضلاء الصحابة وهم أكثرية وهو الخروج لمواجهة العدو وان يكونوا سباقين الى اللقاء ليحظوا بما حظي به أهل بدر من رضا الله سبحانه وتعالى وقربه.

و تنازل رسول الله ﷺ عن رأيه ونزل على رأي الأكثرية.

وهذا هو النبي ﷺ يربي أصحابه على الرأي الصريح ويسمع منهم ويشاورهم وينزل على رأيهم.

وكان هذا مصداقاً لقول الله سبحانه و تعالى والذي يؤشر الرحمة التي عليها نبي الله:

﴿ فِيمَا رَحِمْتُمْ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ

عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ آل عمران ١٥٩.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٣.

(ثم صلى النبي ﷺ بالناس صلاة الجمعة ووعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وبيّن لهم ان النصر مع الصبر كما أمرهم ﷺ بالتهيؤ للقاء عدو الله وعدوهم.

وبعد ان صلى ﷺ بهم العصر وقد احتشد الناس دخل بيته و صاحبا ابو بكر وعمر فألبساه عمامته وتدرج بدرعين وتقلد سيفه وخرج للناس.

ثم إن القوم ندموا لمخالفتهم رأي النبي ﷺ وهو الأعلم واليه ينزل الوحي) 'واعتذروا إليه وقالوا يا رسول الله ماكان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، إن أحببت أن نمكث بالمدينة فعلنا، فقال ﷺ ((ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته (درعه) أن ينزعها حتى يقاتل)) (٢)

كان النبي ﷺ قد عزم على الخروج وأعلن حالة الطوارئ وتجهز الجميع للقتال وأمضوا ليلتهم بحذر كلّ يصحب سلاحه لا يفارقه حتى عند النوم، وأمر الرسول ﷺ بحراسة المدينة واختار لذلك خمسين من أشداء المقاتلين يقودهم محمد بن مسلمة لحراسة المدينة، واهتم الصحابة بحراسة رسول الله ﷺ . مدججين بالسلاح في باب المسجد.

كان الترقب وانتظار اللقاء ومشاعر شتى تتنازع الجميع فمن مُنْتَظِرٍ للشهادة ومن متطلّع الى النصر ومن متلهف للقاء من أدوا رسول الله ﷺ. وجاءو لقتله والقضاء على دينه... ساعات تطول أو تقصُر لكنها الفيصل

^١ عيون الأثر ١ / ٤١٢ و السيرة لإبن كثير

(٢) مجمع الزوائد باب عزوة أحد ١٠٧/٦. ومصنف عبد الرزاق ٥ / ٣٦٥ .

للوصل الى المبتغى والمؤمل من رضا الله وقربه والدخول في زمرة ذوي
الحظ العظيم

﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء ٦٩).

ونام رسول الله ﷺ حتى إذا أدلج الليل وصار السحر قال أين
الأدلاء؟ ثم انه اختار الطريق الأنسب و المستور إلى أرض المعركة
فقال لأصحابه

(من رجل يخرج على القوم من طريق لا يمر عليهم)^١
ومضى الجيش بين البساتين حيث مضى بهم أبو خثيمة وهو الدليل
بالجيش في حرة بني حارثة وبين املاكهم، ثم دخل في أملاك مربع بن
قيطي وهو رجل منافق ضرير البصر، فلما أحس برسول الله وجيشه قام
يحثي في وجوههم التراب، وبعدها أخذ حفنة من تراب بيده وصاح: والله
لو اعلم اني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك، فبدر اليه
زيد بن سعد من بني الأشهل من الأنصار فضربه بالقوس على رأسه
فشجه وابتدر اليه المسلمون فنهاهم النبي عن ضربه وقال (لا تقتلوه فهذا
الأعمى أعمى القلب)^(٢)

^١ السيرة لابن كثير ٣ / ٢٦

(٢) انظر السيرة النبوية لنبوية لابن هشام ٢ / ٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ /

ولا شك أن مروره والجيش بين الأشجار والبساتين يدلنا على حرصه ﷺ على الأخذ بالاحتياطات الأمنية المناسبة أثناء السير. (ومضى جيش المسلمين حتى إذا كان بين المدينة وأحد رجعه عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة من المنافقين، فبقي رسول الله في سبعمائة مقاتل)^(١)

وكان انسحاب المنافق ابن سلول ومن معه بحجة اعتراضه على الخروج للقاء العدو لأنه كان منحازاً الى الرأي القائل بالقتال في المدينة و عدم الخروج للقتال خارجها.

ولو كان صدق لكان احتجاجه وهو في المدينة وما كان ليخرج أصلاً، ولم ينتظر كل هذا الوقت ويقطع كل هذه المسافة. بل الواضح ان الهدف من هذا الانسحاب في هذا الوقت الدقيق أن يوقع الاضطراب في جيش المسلمين فتتهار عزيمتهم... وأوشك ان يحدث هذا لولا أن الله سَلَّمَ...

لقد سرى الاضطراب والوهن في طائفتين من المسلمين فهمتا بالرجوع والانسحاب وهما بنو حارثة من الأوس و بنو سلمة من الخزرج لولا ان الله سبحانه تولاهما بلطفه فثبتتهما على ما هو خير لهما

﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ آل عمران ١٢٢.

(١) - البداية والنهاية ٥ / ٣٤٨ وتاريخ الطبري ٢ / ٦٠

وبعد هذا الانسحاب سار رسول الله ببقية الجيش والذين لم يكونوا أكثر من سبعمائة مقاتل.

(ولما جاوزوا ثنية الوداع رأى النبي ﷺ كتيبة حسنة التسليح فسأل عنها فأخبر أنهم اليهود من حلفاء الخزرج يرغبون في القتال ضد المشركين، فسأل هل أسلموا؟ فقالوا: لا، فأبى أن يستعين بأهل الكفر على أهل الشرك).^(١)

وسار رسول الله بالجيش حتى نزل الشعب من جبل أحد مستقبلا المدينة وجاعلا ظهره إلى هضاب جبل أحد. وقسم رسول الله ﷺ الجيش إلى ثلاثة كتائب:

كتيبة المهاجرين وأعطى لوائها مصعب بن عمير رضي الله عنه.

وكتيبة الأوس من الأنصار: وأعطى لواءها أسيد بن حضير رضي الله عنه.

وكتيبة الخزرج من الأنصار: وأعطى لواءها الحباب بن المنذر رضي الله عنه.^٢

وقد أدرك رسول الله ﷺ أهمية جبل أحد فجعل ظهر الجيش إليه. وانتقى خمسين من الرماة الماهرين تحت إمرة عبد الله بن جبير الأنصاري وجعلهم على جبل عينين. عرف فيما بعد بجبل الرماة. وهو مقابل جبل أحد ويبعد مائة وخمسون مترا عن مقر الجيش الإسلامي ليمنع التقاف جيش المشركين حول جيش المسلمين.

(١) الرحيق المختوم ص ٢٤٣ .

^٢ السيرة لابن هشام ٦٦ / ٢

وقال ﷺ لقائد الرماة: (انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتون من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك) (١)
وقال للرماة (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمننا القوم ووطنناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم) (٢)

وفي رواية أخرى (احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تتصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا) (٣)
وباتخاذ الرماة هذا الموقع وبعد هذه الأوامر الشديدة لم يعد ممكناً التفاف المشركين وتطويقهم للمسلمين.

وجعل رسول الله ﷺ على ميمنة الجيش المنذر بن عمرو وجعل على الميسرة الزبير بن العوام يسانده المقداد بن الأسود... ووضع في مقدمة الصفوف نخبة من شجعان المسلمين ورجالاتهم المعروفين بالنجدة واليسالة.

(لقد كانت خطة حكيمة ودقيقة جداً تتجلى فيها عبقرية قيادة النبي العسكرية، وأنه لا يمكن لأي قائد مهما تقدمت كفائته ان يضع خطة أدق وأحكم من هذا من فقد احتل أفضل موقع في ميدان المعركة، مع انه نزل فيه العدو، فقد حمى ظهره و يمينه بارتفاعات الجبل، وحمى ميسرته

(١) تاريخ الطبري ٦٢/٢. والسيرة النبوية لابن هشام ٦٦/٢

(٢) البخاري باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ١١٠٥/٣ برقم ٢٨٧٤
ومسند أحمد ٢٩٣/٤ .

(٣) مسند أحمد ٢٨٧/١. والمعجم الكبير ٣٠١/١٠ .

وظهره حين يحتدم القتال بسد الثلثة الوحيدة التي كانت توجد في جانب الجيش الاسلامي، واختار لمعسكره موضعا مرتقعا يحتمي به اذا نزلت الهزيمة بالمسلمين ولا يلتجئ الى الفرار، حتى لا يتعرض للوقوع في قبضة الأعداء المطاردين وأسرهم، ويلحق مع ذلك خسائر فادحة بأعدائه ان ارادوا احتلال معسكره وتقدموا اليه.

والجأ أعدائه الى قبول موقع منخفض يصعب عليهم ان يحصلوا على شيء من فوائد الفتح ان كانت الغلبة لهم، و يصعب عليهم الافلات من المسلمين المطاردين ان كانت الغلبة للمسلمين كما انه عوّض النقص العددي في رجاله باختيار نخبة ممتازة من أصحابه الشجعان البارزين. وهكذا تمت تعبئة الجيش النبوي صباح يوم السبت السابع من شهر شوال سنة ٣ هجرية (١).

(ثم قام رسول الله ﷺ فخطب الناس:

ياأيها الناس اوصيكم بما اوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه، ثم انكم اليوم بمنزل أجر و نخر لمن كان ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين، والجد والنشاط. فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده، فإن الله مع من أطاعه، وان الشيطان مع من عصاه، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم

(١) الرحيق المختوم ص ٢٤٦.

فإني حريص على رُشدكم، فإن الإختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز، والضعف مما لا يحب الله، ولا يُعطي عليه النصر و لا الظفر^(١) وحاول ابو سفيان ان يحدث شرخاً في الجيش النبوي اذ أرسل الى الأنصار يقول: خلّوا بيننا وبين ابن عمنا، فنصرف عنكم، فلا حاجة لنا بقتالكم..، وما كانت هذه المحاولة لتنجح مع رجال تخرجوا من مدرسة محمد وباعوا انفسهم وارواحهم لله فتساموا عن ما يفقهه ابو سفيان او يعرفه، فأسمعوه في ردهم ما لم يكن يتمنى أو يشتهي.

ثم ان قريش وبعد فشل محاولتها تلك أخرجت وفي محاولة جديدة لشق صف المسلمين، أخرجت عدو الله ابو عامر واسمه عبد عمرو بن صيفي وكان يكنى بالراهب فسماه رسول الله ﷺ بالفاسق وكان رأس الأوس في الجاهلية فلما انتشر الاسلام في المدينة تصدّى للإسلام وجاهر بعداوته لرسول الله ﷺ وذهب الى قريش فكان يحضهم على قتال الرسول والمسلمين واستئصال الاسلام من المدينة.

خرج ابو عامر فنادى قومه بأسمائهم وقال: يا معشر الأوس انا ابو عامر، فقالوا له: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق... فعاد يتعثر بخبيته.

(قال أبو سفيان لاصحاب اللواء من بني عبدالدار يحرضهم على القتال: يا بني عبدالدار قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل رياتهم إذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا

(١) السيرة النبوية عرض وقائع ص ٤٨٠ عن (محمد رسول الله).

بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا !
ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع)^١

وهذا ما كان يريده ابو سفيان، كان يريد ان يحرض قومه ويحثهم على القتال، ولم يكن ابو سفيان الوحيد بهذا، فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضررن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال فقالت هند فيما تقول:

ويها بني عبد الدار * ويها حماة الاديار

ضربا بكل بتار

وتقول أيضا:

أن تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

كانوا يبحثون عن نصرهم، وبأي ثمن.

وابتدا القتال وجسد المسلمون أروع صور للبطولة والشجاعة والاندفاع نحو الجنة.

كان بدء المعركة خروج حامل لواء قريش طلحة ابن ابي طلحة العبدري وكان فارساً فرط الشجاعة يكتئى بكبش الكتبية، خرج على جمل وطلب المبارزة، فأحجم الناس عنه حتى برز اليه الزبير الذي وثب اليه والقاء من على جملة ثم قتله فكبر رسول الله ﷺ وأثنى على الزبير ثم كبر المسلمون بعده.

^١ السيرة لابن هشام ٢ / ٦٧

والتحم الجيشان. وحمي الوطيس، وهذا أسد الله حمزة ؑ. يخترق صفوف العدو من مقدمتها حتى آخرها، ثم يعود، ويفعل مثله فارس الإسلام علي بن أبي طالب ؑ، ويصول أبو دجانة معلما بعصابته الحمراء آخذا بسيف النبي ﷺ وأعدا أن يعطيه حقه فكان لا يلقي من المشركين أحدا إلا قتله. وبيعثر أسد الله حمزة صفوف المشركين فيتفرقون أمامه وهو يرسم صورا للإقدام والبطولة والجرأة لا توصف، وبشدة القتال في كل نقاط الالتقاء وتلتحم الصفوف ولم يعد يُرى غير رؤوس تتهاوى وإشلاء تتمزق وصيحات ألم تتعالى و موت ينتقل بين الرجال يتخطف الأرواح... ويتلاعب الخوف بالأفئدة ويبرز رجال الإسلام صحابة محمد رسول الله ﷺ، فيتلاعبون بالموت مسطرين ملاحم وقصص بطولة يرقبها الزمن بإجلال. فطلحة حامل لواء المشركين يتخطفه سيف الزبير فتنتقل الراية الى أخيه ابي شيبه عثمان بن أبي طلحة فيحمل عليه حمزة بن عبد المطلب الذي يضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه وقطعته حتى سُرته.

ويأخذ اللواء ابو سعد بن أبي طلحة فيقتله علي ابن أبي طالب. ثم يرفع اللواء مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فيرميه عاصم بن ثابت بسهم فيقتله، فيحمل اللواء بعده أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فينقض عليه الزبير ابن العوام فيقتله، ويحمل اللواء أخوهما الجلاس بن طلحة ابن أبي طلحة فيقتله طلحة بن عبيد الله. ويفجع المشركون بستة من بيت واحد من بني عبد الدار يقتلون حول اللواء.

ثم يحمل اللواء من بني عبد الدار أרטأة بن شرحبيل فيقتله حمزة بن عبد المطلب، ثم حملة شريح بن قارظ فيقتله قزمان ثم حملة أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدي فيقتله قزمان ايضاً، وبعد مقتل هؤلاء العشرة من بني عبد الدار لم يبق منهم من يحمل اللواء، فيتقدم غلام لهم حبشي اسمه صواب فيحمل الراية فيقتل ويسقط اللواء حيث لم يعد من يحمله.

وكان القتال محتدماً بعنف في كل نقاط المعركة.

(وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أרטأة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة وهو حامل اللواء الذي كان يرتجز ويقول:

إن على أهل اللواء حقاً أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فحمل عليه حمزة فقتله، ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني وكان يكنى بأبي نيار، فقال حمزة: هلم إلي يا بن مقطعة البظور، وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

فقال وحشي وهو غلام جبير بن مطعم والله إنني لانظر لحمزة يهد (يهد أي يقتل الناس ويهلكهم) الناس بسيفه، ما يليق شيئاً يمر به... مثل الجمل الاورق.

(ويأخذ رسول الله ﷺ سيفه بيده ويقول صلى الله عليه وسلم: من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجاجة سماك

بن خرشة أخو بني ساعدة فقال وما حقه يا رسول الله ؟ قال: أن تضرب به في العدو حتى ينحني. قال أنا آخذه يا رسول الله بحقه فأعطاه إياه^١ وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب وكان له عصابة حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه سيقاثل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر: انها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن.

(فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاثل ابا دجانة فأمعن في الناس . يقول ابن هشام اخبرني غير واحد من اهل العلم ان الزبير بن العوام قال وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه واعطاه ابا دجانة ، وقلت انا بن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه قبله فأعطاه وتركني والله لأنظرن ما يصنع ، فتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول إذا تعصب .

فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول^٢
و الكيول: آخر الصفوف في الحرب

^١ السيرة لابن هشام ٢ / ٦٧

^٢ عيون الاثر ١ / ٤١٤ و السيرة لابن كثير ٣ / ٣٣

(قال كعب بن مالك: كنت فيمن خرج من المسلمين فما رأيت مثل المشركين يقتلى المسلمين قمت فتجاورت فإذا رجل من المشركين جمع اللامة يجوز المسلمين وهو يقول: استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم. قال وإذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لامته فمضيت حتى كنت من ورائه ثم قمت أقدر المسلم والكافر ببصري فإذا الكافر أفضلهما عدة وهيئة.

قال: فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه وتفرق فوقتين (فرقتين) ثم كشف المسلم عن وجهه وقال: كيف ترى يا كعب؟ أنا أبو دجاجة (١)

ويندفع جند الحق يهدرون ((أمت... أمت)) وكان هذا يوم أحد شعارهم، وتتهاوى أمام سيوفهم رقاباً لفها الكفر والنفاق وملأها الكبر والطغيان. وفي لحظة أغفلها الزمان تندفع حربة غادرة مملوءة حقداً فتصيب أسداً لله وحصناًً للإسلام لا يجرؤ أشجع أهل الكفر على الدنو منه أو مجابهته. ويكتب الله لحمزة الصحابي الجليل عم رسول الله أن يستشهد.

(كان جبير بن مطعم قد دعا غلاماً له حبشياً يقال له وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له: اخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق) ٢

(١) انظر البداية والنهاية ١٧ / ٤

٢ السيرة لابن كثير ٣ / ٣٦

ويسدد وحشي حربته من بعيد فتصيب البطل وتقتل أسدا ما له بين الأبطال مثيل.

وحاول خالد بن الوليد وفرسانه ثلاث مرات أن يطوقوا جيش المسلمين بعد تحطيم جناحه الأيسر فيصلون الى ظهر الجيش الاسلامي، إلا أن نبال الرماة الرابضين على الجبل كانت ترشقهم بسهامها فترجعهم فاشلين^١ وانكسر جيش المشركين وأنزل الله نصره على المسلمين يحصدون الكفار ويطاردوهم ويأخذون الغنائم.

وتجلى النصر كيوم بدر، وطارد المسلمون المشركين يقتلونهم ويأخذون غنائمهم.

ويرى الرماة انكسار العدو وانتشار الغنائم في ساحة القتال، وينسون وصية الرسول ﷺ وأمره المشدد بالمكوث فوق الجبل، ترك أربعون منهم مواضعهم ونزلوا ليشاركوا في تحصيل الغنائم، فانتهاز خالد والفرسان الذين معه الفرصة فقتلوا الرماة العشرة الباقين، والتفوا حول المسلمين وباغتوهم من الخلف، وعاد جيش المشركين المنهزم ورفعت امرأة منهم تدعى عمرة بنت علقمة الحارثية لواء المشركين الذي كان مرمياً على الأرض وبلتف حوله المشركون ليعاودوا القتال وليحاصروا المسلمين ويطبقوا عليهم ويعملوا فيهم قتلاً، وتفرق المسلمون وفقدت صفوفهم ترابطها، وفي غمرة التداخل يحمل ابن قمئة على مصعب بن عمير فيقتله وهو يظنه رسول الله فهو شديد الشبه به وبصيح: قد قتلت محمداً^٢

^١ السيرة لابن هشام ٧٦/٢

^٢ السيرة لابن هشام ٧٣ / ٢

وأشيع ان رسول الله ﷺ قُتل فخارت العزائم ووهنت القوى وأذرفت العيون، وصار أكثر المسلمين يدورون في صدمة مقتل النبي ﷺ فإنه أمر جمل أخذ بقلوبهم وعقولهم. وجرى البعض بغير هدى صوب المدينة. واستكان البعض.

وتناخى البعض للموت على ما مات عليه رسول الله ﷺ، و هذا أنس بن النضر يمرّ مهرولاً صوب العدو يصيح:

(اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ويتقدم فيلقاه سعد بن معاذ فيسأله: أين يا أبا عمر ؟ فقال أنس: واهَا لريح الجنة يا سعد، إني أجده دون أحد... فمضى فقاتل القوم حتى قتل.)^(١)

فمال عليهم جيش الكفر يريدون أن يقتلوا رسول الله ﷺ فدافع عنه الصحابة كل يفديه بروحه حتى رسموا أروع صور الحب للحبيب المصطفى ﷺ وقتلوا دونه وصدوا النبال والسيوف بأيديهم وأجسامهم كي لا تصيبه.

وكسرت رباعية النبي (وهي إحدى الأسنان الأربعة بين الثنية والناناب) وشج رأسه وتفجر الدم من وجهه الشريف^٢

(١) انظر مسلم باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٣ / ١٥١٢ برقم ١٩٠٣ و سنن البيهقي الكبرى باب من تبرع للتعرض للقتل ٩ / ٤٣ برقم ١٧٦٩٦ والبخاري ٢ / ٢٠٥ برقم ٢٨٠٥ (يا سعد بن معاذ الجنة وربّ النضر، إني لأجد ريحها من دون أحد) .

^٢ عيون الأثر ١ / ٤١٧ و السيرة لابن كثير ٣ / ٤٤

واستبسل الأنصار في الدفاع عن رسول الله ﷺ واستشهدوا واحدا تلو الآخر، فعن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها رسول الله ﷺ قد شُلت.

واراد النبي ﷺ الصعود الى صخرة فلم يستطع فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة، قال الزبير، فسمعت النبي ﷺ يقول ((أوجب طلحة (١)))

وقاتل سعد بن أبي وقاص بين يدي رسول الله ﷺ وكان يناوله النبال ويقول: ((إرم يا سعد فذاك أبي وأمي)) (٢)

كما قاتل بين يديه أبو طلحة الأنصاري الذي كان من أمهر الرماة وهو الذي قال عنه النبي ﷺ:

((لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة)) (٣)
وقد كان مترساً على رسول الله ﷺ بجحفة وهي جعبة السهام وكان رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول رسول الله ﷺ:

(١) سنن الترمذي ٦٤٣ / ٥ برقم ٣٧٣٨ ومسند الامام احمد ١ / ١٦٥ برقم ١٤١٧.

(٢) مسند الامام احمد ١ / ٩٣ برقم ٧٠٩ و سنن الترمذي ٥ / ٦٥٠ برقم ٣٧٥٣.

(٣) مسند الامام احمد ٣ / ١١١ برقم ١٢١١٦.

((انثرها لأبي طلحة)) ثم يشرف الى القوم فيقول ابي طلحة: يا نبي الله بأبي انت وامي، لا تشرف الى القوم الا يصيبك سهم، نحري دون نحرك (١)

ووقفت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية تدافع عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأصيبت بجراح كبيرة وكثيرة، وتلقي ام عمارة السقاء وتجول بعينيها تبحث عن رسول الله ، فتراه وأمامه القليل من الصحابة يدافعون عنه ، فتشد على نفسها ثيابها وتلتقط سيفاً وتهول الى رسول الله تدافع عنه بسيفها . أم عمارة لم تمسك بالسيف قبل ذلك ولم تقا تل قبلها لكنه الحب يفعل فوق ذلك ،

تقاتل بالسيف وترمي بالقوس وتقف لتحول بجسدها بين السيوف وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في اروع صور الحب لله ولرسوله ، كانت كلما تزداد بها الجراح تزداد حبا بالرسول وترسم ما يعجز عنه الكثير من الرجال فتفدي رسول الله ﷺ بنفسها في الوقت الذي كان يفر فيه الكثيرون .

(عن عمارة بن غزية قال : قالت أم عمارة : رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي الا في نفي لا يتمون العشرة وانا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه والناس يمرون به منهزمين ، ورآني ولا ترس معي ورأى رجلاً مولياً ومعه ترس فقال : الق ترسك الى من يقا تل فألقاه فأخذته فجعلت أترس به عن رسول الله)^٢

(١) البخاري باب مناقب زيد بن ثابت ٣ / ١٣٨٦ برقم ٣٦٠٠

^٢ الطبقات ٤ / ٣٠٣

فيُقبل رجل على فرس فيضربني و ترست له فلم يصنع شيئاً وولى فأضرب عرقوب فرسه فوق على ظهره فجعل النبي ﷺ يصيح : (يا ابن ام عمارة أمك أمك) ، قالت فعاونني عليه حتى أوردته شعوب (قتلته) . وعن عبد الله بن زيد : قال جرحتُ يومئذ جرحاً فجعل الدم لا يرقأ فقال النبي ﷺ أعصب جرحك ، فتقبل امي الي ومعها عصائب في حقها فربطت جرحي والنبي واقف فقال انهض بني فضارب القوم وجعل يقول من يطيق ما تطيقين يا ام عمارة ، فأقبل الذي ضرب ابني فقال رسول الله ﷺ (هذا ضارب ابنك) قالت فأعرض له فأضرب ساقه فبرك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم حتى رأيت نواجذه وقال استقدتِ يا ام عمارة ، ثم أقبلنا نعلهُ بالسلاح حتى أتينا على نفسه فقال النبي : الحمد لله الذي ظفرك .

ويقول ضمرة بن سعيد يحدث عن جدته التي شهدت احد قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان .

وكانت تراها يومئذ تقا تل اشد القتال وانها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا وكانت تقول اني لأنظر الى ابن قمئة وهو يضربها على عاتقها وكان اعظم جراحها ، فداوته سنة .

وعن الحارث بن عبد الله : سمعت عبد الله بن زيد بن عاصم يقول شهدت احد فلما تفرقوا عن رسول الله دنوت منه انا وامي نذب عنه فقال رسول الله ﷺ :

(ابن ام عمارة) قلت نعم قال (ارم) ، فرميت بين يديه رجلا بحجر وهو على فرس فأصابت عين الفرس فاضطرب الفرس فوق هو وصاحبه وجعلت اعلاه بالحجارة والنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم .
ونظر الى جرح امي على عاتقها فقال : (أمك امك اعصب جرحها ، اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة) .

قلت ما أبالي ما أصابني من الدنيا)^١

ووقف أبو دجانة امام رسول الله يحميه من النبل فلما تكاثر النبل انحنى فوق النبي فينغرس النبل بظهره^٢

ويدافع ابو بكر وابو عبيدة مقاتلي قريش فيدفعوهم عن رسول الله ﷺ ، ويصاب وجه رسول الله ﷺ بسهمين فينزعهما ابو عبيدة من وجه النبي ﷺ بأسنانه، ويصل قتادة وثابت بن الدحداح وسهل بن حنيف وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف والزيير بن العوام الى مكان النبي فيتعلقون حوله يدافعون عنه، ويلتحق بهم ثلاثون صحابياً يلتحمون بجيش العدو .

لما استشهد مصعب أعطى رسول الله ﷺ الراية الى علي بن ابي طالب الذي قاتل قتالاً شديداً . واستطاع النبي ﷺ ومن معه شق طريقهم الى جيش المسلمين المحاصرين، فرآه كعب بن مالك الذي نادى

^١ الطبقات ٨ / ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥

^٢ السيرة لابن هشام ٢ / ٨١

بالمسلمين بأن رسول الله ﷺ مازال حي فتجمع حول رسول الله المسلمون

١

بدأ رسول الله ﷺ يشق طريقه عبر المشركين المهاجمين ليؤمن انسحابا للمسلمين، واشتدت هجمة المشركين الا ان بسالة الصحابة بالدفاع عن رسول الله ﷺ أحبطت محاولات جيش المشركين.

وببسالة بلغت هذه المجموعة المباركة بانسحاب منظم الى شعب الجبل وشقت لبقية الجيش طريقاً لموقع مأمون في الجبل.

ولما استقر رسول الله ﷺ بالجيش بالشعب حاولت مجموعة من قريش يقودها ابو سفيان و خالد بن الوليد الظهور على المسلمين وان يهاجموهم من أعلاهم

((فقال رسول الله: اللهم انه لا ينبغي لهم ان يعلنوا،))^(٢)

فقاتلهم عمر بن الخطاب ومعه رهط من المهاجرين حتى أنزلوهم من الجبل وكانت هذه آخر محاولة لقريش. وبدي ان المعركة توقفت عند هذا الحد.

وحين كان أهل قريش من المشركين يتهيأون للرحيل كان بعض الرجال منهم وبعض النسوة يطوفون على شهداء المسلمين يمثلون بجثثهم يبقرون بطونهم ويقطعون آذانهم وأنوفهم، ومن ذلك ما قامت به هند بنت عتبة

^١ السيرة لابن كثير ٣ / ٤٥

(٢) مسند الامام احمد ١ / ٢٨٧ برقم ٢٦٠٩ ومجمع الزوائد ٦ / ١١١.

من بقر بطن حمزة ولو كها كبده ثم لفظتها حيث لم تسيغها، واتخذن من أذان الشهداء و أنوفهم خلاخيلاً وقلائد (١)

وجيء بماء الى النبي ﷺ فغُسل عن وجهه الدم وصُبَّ على رأسه الشريف وشرب منه. ثم صلى قاعداً وصلى المسلمون خلفه قعود.

ولما تهيأ المشركون للرحيل والانصراف، أشرف أبو سفيان على الجبل فنادى: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم عمر؟ وقد منعهم النبي ﷺ من الاجابة على تساؤلاته... فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم. فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله ان الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقي الله ما يسوءك، فقال: قد كان فيكم مثلة لم أمر بها ولم تسؤني. ثم قال: اعل هبل.

فقال النبي ﷺ: ألا تجيبونه؟ فقالوا: فما نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل.

ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم.

فقال النبي ﷺ: ألا تجيبونه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم.

ثم قال ابو سفيان: أنعمت فعال، يوم بيوم بدر، والحرب سجال.

فأجاب عمر: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

ثم قال ابو سفيان هلم إلي يا عمر، فقال رسول الله ﷺ انته فانظر ما شأنه؟ فجاءه فقال أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً،

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٨٩.

قال عمر اللهم لا، وانه ليستمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبرّ (١) .

وابن قمئة هو الذي كان صاح بأن محمدا قد قُتِل .

وتنتهي معركة أحد وتتطوي صفحة من صفحات التاريخ النبوي صفحة مليئة بالأحداث ومناقضاتها وتتجاذب الناس مشاعر شتى متناقضة كنتناقض الأحداث، معركة بها نصر وهزيمة، فرح ثم حزن تطارد عدو ثم تتسحب أمامه. لكن بقاء النبي ﷺ بنوره وهداه وحرركته بينهم فذاك يعطي الأشياء طعم النصر، ثم ما زال القوم على الاسلام فمادامت العقيدة مستقرة في القلوب وما دام النبي ﷺ وحبه قائم، فكل مصيبة بعدها تهون، وإن هي الا تجارب تبني رجالا و توجّه الحياة نحو الخير الأكبر، ثم قول الله تعالى في المعركة حيث أنزل وهو العلي الحكيم ستون آية في سورة آل عمران تحمل أواخرها ايجاز الموقف

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْعِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ آل عمران ١٧٩ .

وكان شهداء المسلمين سبعين، أغلبهم من الأنصار: واحد وأربعون من الخزرج وأربع وعشرون من الأوس، وقتل رجل من اليهود، وقتلى قريش سبعة وثلاثون^٢

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٩٢-٩٣ .

^٢ السيرة لابن هشام ٩٤/٢

لقد كانت معصية بعض الصحابة من الرماة بأن خالفوا أمر الرسول ﷺ قد فوتت نصرا بدى قريبا، وهكذا فعدم الطاعة لله ورسوله تبعد النصر وتأتي بالعقوبة حتى وان كانت من مجاهدين يسعون لإعلاء كلمة الحق، كما أن عاقبة الاغترار بالدنيا وإيثارها على الآخرة والبحث عن الغنائم تبعد نصر الله وما النصر إلا من عند الله.

واللافت للانتباه أن رسول الله ﷺ لم يعاتب الصحابة الذين خالفوا ولم يحملهم سبب الخسارة في المعركة، كما إن الآيات نزلت تمسح جروح المؤمنين وتذكركم بأن المشركين نزل بهم قبلا مثل ما نزل بالمؤمنين، غير أن المؤمنين يرجون من الله ونصره ما لا يرجوا أهل الشرك، وضربت الأمثال بالسابقين من الأمم الذين صبروا فكان عاقبة صبرهم خيرا، كانت آيات تربي وتحدد مواطن الخلل وتمسح عن المؤمنين الحزن.

ثم ان هذه المعركة جولة ضمن مسيرة طويلة من معركة أطول وأكبر والعبارة بنهايات الأمور وكل حَدَث هو تجربة تغني مابعدا

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا

تَأْلَمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ النساء ١٠٤

المهم ان يبقى الايمان مستقرا في القلوب وان يبقى حب الله أكبر مما سواه وان يجد الله من عبده قبولا وتسليما... ذلك الأهم..

(يمر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دینار وقد استشهد زوجها وأبوها وأخوها، فحين حُمل إليها نعيهم، تسأل: وما فعل رسول الله ؟ قالوا: خيرا، هو بحمد الله كما تحبين، قالت (وهي بفرع على رسول الله) أرونيه،

فأشير إليها، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل (أي كل مصيبة
تصيبنا مهما عظمت فهي صغيرة مادمت انت سالما)^(١)
(وجاءت إليه أم سعد بن معاذ تعدو، وسعد أخذ بلجام فرسه، فقال:
يا رسول الله أمني، فقال: مرحبا بها، ووقف لها.
فلما دنت عزاها بابنها عمرو بن معاذ.
فقالت: أما اذا رأيتك سالما، فقد اشتويت المصيبة (أي استقلتها).
ثم دعا لأهل من قتل في أحد وقال: يا أم سعد أبشري وبشري أهلهم
بأن قتلهم ترافقوا في الجنة جميعا، وقد شفَعوا في أهلهم جميعا.
قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا ؟
ثم قالت: يا رسول الله، أدع لمن خلفوا منهم
فقال: أَللهم اذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف
على من خلفوا)^(٢)

ومن ثم جُمع الشهداء ودفنوا في مكانهم ولم يغسلوا بل دفنوا بثيابهم
وبدمائهم
(وأشرف رسول الله ﷺ على الشهداء فقال: أنا شهيد على هؤلاء،
انه ما من جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه،
اللون لون الدم والريح ريح المسك)^(٣)

(١) انظر السيرة لابن هشام ٩٩/٢

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٧٣ عن السيرة الحلبية.

(٣) السيرة لابن هشام ٢ / ٨٩.

(روى الامام أحمد ان لما كان يوم احد وانكفأ المشركون قال رسول الله: استووا حتى أتني على ربي عز وجل.

فصاروا خلفه صفوفا، فقال:

اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت.
اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم اني اسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

اللهم اني اسألك العون يوم العيلة والأمن يوم الخوف

اللهم اني عائد بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعنا

اللهم حبب الينا الأيمان وزينه في قلوبنا، وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم توفنا مسلمين و أحينا مسلمين، والحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين.

اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك.

اللهم قاتل الكفرة الذين أوتو الكتاب^(١)

فلما انتهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال اغسلي عن هذا دمه يا بُنَيَّةَ فوالله لقد صدَّقني اليوم

(١) مسند الامام احمد ٣ / ٤٢٤ برقم ١٥٥٣١ ومجمع الزوائد ٦ / ١٢١.

وناولها عليّ بن ابي طالب سيفه فقال وهذا أيضاً، فاغسلي عنه دمه فوالله
لقد صدقني اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت
القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة^(١)

❁ غزوة حمراء الأسد:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ
وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران ١٧٢.

لم يجني المشركون الكثير في معركة أحد، فرسول الله ﷺ مازال في
المدينة يواصل دعوته الى الله وما زال اصحابه حوله لم ينفضوا عنه،
ومازال تهديدهم لقوافل قريش قائماً ، ثم ان جيش المسلمين لم يغادر
ساحة المعركة ولم يطارده الجيش المكي خارج ساحة المعركة، ورغم كل
شيء لم يقع احدا من الجيش النبوي أسيراً بيد قريش، وان الكفار لم
يحصلوا على شيء من غنائم المسلمين، والجيش المكي لم يقيم بساحة
المعركة يومان او أكثر تأكيداً لإنتصاره بل سارع الى الانسحاب وترك
ساحة المعركة قبل ان يتركها المسلمون، وبعد ذلك فجيش قريش لم يتوجه
الى المدينة غازياً بعد المعركة وهي على بعد خطوات منه.

فماذا جنت قريش من حربها ؟

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ١٠٠.

بلغ النبي ﷺ ان ابا سفيان وهو ببعض الطريق عائداً الى مكة كان يلوم جيشه لأنهم لم يتمكنوا من قتل محمد ﷺ ولم يغنموا ما يوازي مشقة سفرهم والقتال

حيث (قدم رجل من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال:

نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً أصبتم شوكة القوم وهدمهم، ثم تركتموهم ولم تبتروهم وفي رواية البيهقي لم تبيدوهم) (١)

لذلك وبغية قطع الطريق على قريش حتى لا تعود نادمة من بعض الطريق غائرة على المدينة، وحتى يحرم المشركين من استثمار نتائج المعركة، ولكي يرفع من معنويات المسلمين قرر رسول الله ﷺ ان يخرج بالمسلمين يطارد فلول جيش قريش.

(ففي صبيحة يوم الأحد الثامن من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة وهو اليوم الذي يلي معركة أحد نادى رسول الله ﷺ بالخروج للقتال لمن كان اشترك بمعركة أحد، ولم يسمح لمن لم يشترك معهم بأحد بالخروج في هذه الغزوة)^٢ ما عدى جابر بن عبد الله الذي كان تخلف عن المعركة لأن والده الذي استشهد في أحد قد أمره بالبقاء على أخواته، فأذن له رسول الله ﷺ بأن يرافقهم.

(١) البداية والنهاية ٤ / ٤٣

^٢ المغازي ١ / ١٢٨

(فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها الاثنتين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع إلى المدينة.

وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم. (١)

لقد كان تصرف رسول الله ﷺ واحتياطه من ان تعود قريش لحرب المسلمين بغاية الحكمة...

فجيش مكة حين نزل بالروحاء . على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة . لام بعضهم بعضاً على مسيرهم لمكة وقالوا لم تصنعوا شيئاً، أصببتهم شوكتهم وحدهم ثم تركتموهم، وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم.

(عارض صفوان بن أمية فكرة الرجوع مخافة ان يجتمع حول رسول الله من لم يخرج لقتالهم من الخزرج وان يضيع عليهم ما حققوا، الا ان الاغلبية كانت مع فكرة العودة الى المدينة)^٢

ويتهياً ابو سفيان ومن معه للعودة الى المدينة، ويشاء الله ان يمر بهم معبد بن أبي معبد الخزاعي . والذي كان أسلم لله لكن قريباً فلم يبلغ خبر اسلامه الكفار . فيشن على الكفار حرباً دعائية ليثبط همتهم: محمد خرج يطلبكم بجمع لم أر مثله ابداً وهم يتحرقون عليكم تحرقاً، وانه اجتمع عليه من كان تخلف عن أحد، وعندما يخبره ابو سفيان بنيتهم العودة للقاء

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ١٠٤ .

^٢ المغازي ١ / ١٢٩

المسلمين، يقول له: ما هي الا ان ترى نواصي الخيل تبرز لكم من خلف تلك التلال بجيش يتحرق للقاءكم لم تروا مثله عدداً. وتنهار عزائم الجيش المكي ويأخذهم الرعب والفرع فيواصلون انسحابهم الى مكة.

السنة الرابعة للهجرة:

نتيجة لأحداث معركة أحد تجرأت بعض القبائل على المسلمين بعد ان زالت هيبتهم من نفوس الكفار وكاشفهم اليهود والمنافقون والاعراب بالعداوة، وهمّ كثيرون بالنيل منهم والقضاء عليهم. فبعد أحد شهرين تهيأت بنو أسد لغزو المدينة، وقامت قبائل عضل وقارة بمكيدة قتلت بها عشرة من الصحابة وقريباً منها قامت بنو عامر بمكيدة اغتالوا فيها سبعين من الصحابة بما عرف بوقعة بئر معونة وهمّت غطفان بغزو المدينة، ووصل الأمر ان تجرأت بنو نضير ووصل بها الأمر الى محاولة قتل النبي ﷺ.

❁ سرية أبي سلمة بن عبد الأسد :

أول خطر بدأ يتهدد المسلمين كان من بني أسد بن خزيمة الذين تهيأوا لغزو المدينة بقيادة طليحة بن خويلد الأسيدي طمعاً بخيراتها وعداءاً للإسلام والمسلمين ونصرة لقريش في حربها ضد الإسلام^١ (شكل رسول الله ﷺ سرية من مئة وخمسين رجلاً من المهاجرين والانصار ، وأمر عليهم أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي وعقد له اللواء في المحرم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : سر حتى ترد ارض بني اسد ، فأغر عليهم قبل ان تلاقي عليك جموعهم)^٢ فاجأ المسلمون تجمع الكفار في عقر دارهم ففر المشركون أمامهم تاركين أنعامهم وإبلهم غنيمة للمسلمين وقد أصيبوا بالذعر والمفاجأة لسرعة الرد الاسلامي في وقت كانوا يظنون أن المسلمين في وهن وضعف بعد أحد.

(فاستاق المسلمون الغنائم وعادوا بها الى المدينة غانمين منصورين)^٣

❁ **بعث عبد الله بن أنيس الى خالد بن سفيان الهذلي:**
قام خالد بن سفيان الهذلي بتجميع المقاتلين لغزو المسلمين في المدينة في عرفات، فأرسل رسول الله ﷺ الصحابي عبد الله بن أنيس الجهني في اليوم الخامس من المحرم في مهمة قتل عدو الله^٤

^١ المغازي ١ / ١٣١

^٢ المغازي ١ / ١٣٢

^٣ السيرة لابن كثير ٣ / ١٢١

^٤ عيون الأثر ٢ / ٩

وكان الصحابي عبد الله بن انيس لم يكن قد التقى بعدو الله خالد بن سفيان قبل ذلك فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفه لي يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيته هبته وفرقت منه ، يقول عبد الله وكنت لا أهاب الرجال ، فلما مضى الى حيث وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآه والأحابيش تسير ورائه هابه واخذه خوف وتصيب منه العرق كما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتماسك عبد الله وتقدم اليه ، ويسأل خالد بن سفيان من الرجل فيقول له عبد الله رجل من خزاعة سمعت بجمعك لقتال محمد فجئت اليك فقال نعم اني لأجمع له ، فمشى معه عبد الله ساعة وهو يحادثه فاستحلى خالد كلامه ، حتى اذا انتهى الى خبائه وتفرق عنه اصحابه وارخى الليل استاره قام اليه عبد الله فقتله وحمل رأسه ومضى الى غار اختبأ به من اتباع خالد الذين انتشروا يبحثون عنه ، ثم رجع الى المدينة يسير ليلاً ويختبئ نهاراً . وبعد ثماني عشرة ليلة عاد الصحابي حاملاً بشرى قتل العدو ، فأعطاه رسول الله عصا ، (فقال: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال ﷺ آية بيني وبينك يوم القيامة، ان اقل الناس المختصرون يومئذ يوم القيامة)^(١)

حتى اذا مات أمر بها فضمت معه في كفنه، ثم دفنا جميعاً.

❁ يوم الرجيع:

(١) انظر عيون الأثر ٢ / ١٠

اختلفت المراجع في وقعة يوم الرجيع اسبابها وعدد رجالها وأميرهم ،
فالبخاري ذكر في صحيحه برواية ابي هريرة رضي الله عنه (بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد
عاصم بن عمر بن الخطاب)¹

في حين تذكر مراجع اخرى بسند صحيح انه في شهر صفر جاء نفر
من قبيلتي عَضَلٍ وَالْقَارَةَ المضريتين الى النبي ﷺ مدعين الإسلام وطلبوا
ان يبعث فيهم رسول الله ﷺ من يشرح لهم امور دينهم ويفقههم ويعلمهم
القران .

(لما قتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي مشت بنو لحيان إلى عضل
والقارة، فجعلوا لهم فرائض على أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيكلموه، فيخرج إليهم نفرًا من أصحابه يدعونهم إلى الإسلام. فنقتل
من قتل صاحبنا ونخرج بسائرهم إلى قريش بمكة فنصيب بهم ثمنًا، فإنهم
ليسوا لشيء أحب إليهم من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد، يمثلون به
ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر. فقدم سبعة نفرٍ من عضل والقارة وهما حيان
إلى خزيمة مقرين بالإسلام، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن
فنيا إسلاماً فاشياً، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يقرئونا القرآن ويفقهوننا
في الإسلام. فبعث معهم سبعة نفر: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن
أبي البكير، وعبدالله بن طارق البلوي حليف في بني ظفر، وأخاه لأمه
معتب بن عبيد، حليف في بني ظفر، وخبيب بن عدي بن بلحارث بن

¹ صحيح البخاري ٤ / ١٤٩٩ برقم ٣٨٥٨

الخرج، وزيد ابن الدثنة من بني بياضة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح. ويقال كانوا عشرة) ^١

فلما كانوا بالرجيع وهو ماء لقبيلة هذيل (وهي قبيلة عدو الله خالد بن سفيان الهذلي) أغار عليهم حشد من مقاتلي بني لحيان يقاربون المائة رام وفي ايديهم السيوف (وبني لحيان حي من هذيل) فطاردوا المسلمين وحاصروهم، ثم أعطوهم الأمان على أن يسلموا أنفسهم، فأما خبيب بن عدي، وزيد ابن الدثنة، وعبد الله بن طارق، فاستأسروا. وقال خبيب: إن لي عند القوم يداً. وأما عاصم بن ثابت، ومرثد، وخالد بن أبي البكير، ومعتب ابن عبيد، فأبوا أن يقبلوا جوارهم ولا أمانهم. وقال عاصم بن ثابت: إنني نذرت ألا أقبل جوار مشرك أبداً. فجعل عاصم يقاتلهم وهو يقول:

مَا عَلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلٌ وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ غَنَابِلُ
تَزَلُّ عَن صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ
وَكُلُّ مَا حَمَّ الْإِلَهَ نَازِلٌ بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آئِلُ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَمِّي هَائِلُ ^٢

(هايل تعني تاكل)

^١ المغازي ١ / ٣٥٤

^٢ نفس المصدر السابق

وراماهم بالنبل حتى نفذت نباله ثم قاتلهم بالرمح حتى انكسر فقاتلهم بسيفه فلما تكاثروا عليه قال اللهم اني حميت دينك أول نهاري فأحمي لي لحمي آخره.

وبعد قتال تمكنوا منه فقتلوه وحين أرادوا أخذ جثة الصحابي عاصم بن الأفلح ليبيعوها الى سلافة بنت سعد التي قتل عاصم زوجها وولديها فجعلت لمن يأتيها برأسه مكافأة مائة ناقة ونذرت ان تشرب في قحف رأسه الخمر أرسل الله الدَّبْرَ وبأعداد كبيرة تلدغ من يقترب منه بوجهه فتركوه حتى الليل، فجاء في الليل سيل فأخذ جثته حيث شاء الله ولم يكن في السماء سحاب لكنها عناية الله وحفظه.

(ثم أعطوا الأمان للثلاثة الباقين ان سلموا أنفسهم.. فقبلوا غير انهم سرعان ما غدروا بهم بعدما تمكنوا منهم، وقاتل معتب بن عبيد حتى جرح فيهم، ثم خلصوا إليه فقتلوه. وخرجوا بخبيب، وعبد الله بن طارق، وزيد بن الدثنة حتى إذا كانوا بمر الظهران، وهم موثقون بأوتار قسيهم، قال عبد الله بن طارق: هذا أول الغدر! والله لا أصحابكم، إن لي في هؤلاء لأسوءة^١ يعني القتلى . فعالجوه فأبى، ونزع يده من رباطه ثم أخذ سيفه، فانحازوا عنه فجعل يشد فيهم وينفرجون عنه، فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبّره بمر الظهران)^١

وأخذوا الصحابييين الباقيين خبيب بن عدي و زيد بن الدثنة فباعوهما الى قريش التي كانا قتلا منها ببدر رجالاً، فقتل صفوان بن أمية زيد مقابل

^١ المغازي ١ / ٣٥٥

أبيه، وأما خبيب فقد سُجن ثم أُخذ الى التعويم ليُصلب فطلب ان يمهلوه حتى يصلي ركعتين فأمهلوه فصلاهما، ثم قال: أما والله لولا أن تروا أنني جزعت من الموت لاستكثرت من الصلاة. ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تغادر منهم أحداً.

واما زيد فانه حين أتى به ليقتل سأله ساعة قتله: أيسرك ان محمدا عندنا نضرب عنقه وانك في اهلك ؟ فقال: لا والله ما يسرني اني في أهلي وان محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه. فيقول ابو سفيان ما رأيت من الناس احداً يحب احداً كحب اصحاب محمد محمداً^١

❁ بئر معونة:

في نفس الشهر الذي وقعت فيه مأساة الرجيع وقعت مأساة أشد وأفظع.

كان عدو الله عامر بن الطفيل من زعماء بني عامر متكبراً متعظراً ناصب المسلمين العداً وحمل عليهم حقداً وكان متكبراً متعظراً ، بلغ به التكبر انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليه ثلاثة امور وخيره ان يقبل احدها (رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير النبي بين ثلاث خصال فقال يكون لك اهل السهل ولي اهل المدر او اكون خليفتك او اغزوك بأهل غطفان بألف والـف)^٢ وقد رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المطالب الجاهلية .

^١ السيرة لابن هشام ٢ / ١٧٢

^٢ صحيح البخاري ٤ / ١٥٠١ برقم ٣٨٦٤

وبعدها قَدِمَ عمّ عامر وكان اسمه ملاعب الأسنّة وهو سيد بني عامر الى المدينة والتقى رسول الله ﷺ الذي عرض عليه الاسلام فلم يقبله ولم يبتعد عنه، فقال لرسول الله ﷺ: ابعث من شئت الى أهل نجد وانا جار لهم.

بعث رسول الله بسبعين صحابيا من خيار المسلمين وفضلائهم وقرائهم وأمر عليهم المنذر بن عمرو، يقرأون القرآن ويتدارسونه بالليل وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد، ويحتطبون ويبيعون ما احتطبوا ليشتروا به طعاما لأهل الصفة وفقراء المسلمين.

وسار ركب الصحابة حتى اذا نزلوا بئر معونة (وهي ارض بين بني عامر وبني سليم) بعثوا حرام بن ملحان الى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله ﷺ فلم ينظر فيه وأمر رجل قطعنه بحربة في ظهره أنفذها من صدره فحين رأى حرام الدم يتدفق صاح: فزت ورب الكعبة، وذهب شهيدا ثم استنفر عدو الله عامر بن الطفيل بني عامر لقتل الباقيين فلم يجيبوه لجوار ملاعب الأسنّة. واجابته عصية ورعل وذكوان من بني سليم فأحاطوا بالمسلمين وقتلوهم جميعا الا كعب بن زيد بن النجار الذي اثخنه الجراح لكنه لم يموت.

ومن حديث انس رضي الله عنه قال (جاء ناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ابعث معنا رجلاً يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث اليهم سبعين رجلاً من الانصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام ، يقرأون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به طعام لأهل الصفة والفقراء فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل ان

يبلغوا المكان ، فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا انا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا ، قال وأتى رجل حراماً خال أنس من خلفه قطعنه برمح حتى انفذه ، فقال حرام : فزت ورب الكعبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ان اخوانكم قد قُتلوا ، وانهم قد قالوا : اللهم بلغ عنا نبينا انا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا)¹

وكان عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح للمسلمين ، فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة ، فنزل المنذر فقاتل المشركين حتى قُتل مع اصحابه ، وأسر عمرو بن أمية الضمري فلما اخبرهم انه من مضر جز عامر ناصيته واطلق سراحه، اعتقه عن رقبة كانت على امه .

ويرجع عمرو يحمل ألماً وحرقة على مقتل اصحابه واخوانه ، كان جرحاً كجرح احد ، الا ان شهداء احد قتلوا في معركة ، وهؤلاء قتلوا غدرًا وبلا ذنب الا ان يؤنوا بالله ويتبعوا النور الذي انزله على نبيه .

وفي طريق العودة الى المدينة ينزل عمرو الذي ألمه قتل أخوانه من الصحابة بظلٍ لشجرة ليرتاح فيلتقي برجلين فسألها من اين انتما فقالا من بني عامر فأمهلها حتى ناما فقتلها ثأراً للصحابة الذين قتلهم بني عامر، فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ واخبره الخبر قال رسول الله ﷺ ((لقد قتلت قتيلين لأدينيهما)) وهذا خُلُقٌ عظيم وتصرف رفيع عودنا عليه رسول الله فقد ودى ذينك الرجلين الذين قتلها عمرو لكونهما يحملان

¹ صحيح مسلم باب ثبوت الجنة للشهيد ٣ / ١٥١١ برقم ٦٧٧

عهدا من رسول الله، وانشغل رسول الله بجمع دياتهم من المسلمين وحلفائهم من اليهود، وهذا ما كان سببا لغزوة بني النضير^(١) لقد آلم مقتل الصحابة في الحادثتين قلب رسول الله وياقي الصحابة وظلت تحز في نفوسهم.

واما عامر بن الطفيل (استجاب الله لدعاء نبيه فقد دعا على عامر بن الطفيل فقال

((اللهم اكفني عامرا))

فأصيب الطاغية بمرض عضال وصفه رسول الله بقوله ((غدة كغدة البعير)) وسماه ((الطاعون))..^(٢)

(وهو وصف دقيق للطاعون الدبلي الذي يتميز (بارتفاع درجة الحرارة وتضخم العقد الليمفاوية في منطقة الأرب وتحت الأبط وكذا تضخم الطحال) وهو ما اصيب به عامر فأصبح حبيسا في بيت امرأة من قومه.

لقد اصيب عامر بن الطفيل وتلاشت احلامه بالتملك على اهل المدن في الجزيرة العربية، تحولت احلامه الى آلام تحبسه في بيت امرأة قد ولى عنه الناس ونفروا منه خشية العدوى ففقد صوابه وصرخ بمن بقي حوله (غدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني فلان، ائتوني بفرسي) فركبه فمات على ظهر فرسه.)^١

(١) انظر السيرة لابن هشام ٢ / ١٨٣-١٨٨.

(٢) انظر البخاري باب غزوة الرجيع ٤ / ١٥٠١ برقم ٣٨٦٤ ومجمع الزوائد ٦ / ١٢٦.

❁ غزوة بني النضير:

اليهود، الذين ما اعتادوا المواجهة وجبلوا على الغدر والخيانة والدس والمكائد كانوا منذ دخل النبي ﷺ وصحبه المدينة خائفين مرعوبين، يحملون كرهاً للمسلمين الا ان ما كان بينهم والمسلمين من عهود ومواثيق، وما وقع لبني قينقاع وكعب بن الأشرف تمنعهم من المجاهرة بالعداوة.

لكنهم بعد غزوة أحد، وأحداث الرجيع ومعونة، تبدد خوفهم وبدأوا يتصلون بالمشركين من أهل مكة، يناصروهم على المسلمين.

(ففي شهر ربيع الاول من سنة اربع للهجرة)^٢

(بلغت الجسارة بهم أن خططوا وتأمروا لقتل رسول الله ﷺ حين ذهب إليهم ومجموعة من الصحابة ليعينوه على دفع دية الرجلين العامريين

الذين قتلها عمرو، فاستقبلوه ببشاشة وفرح ظاهرين)^٣

أجلس اليهود رسول الله ﷺ وابا بكر وعمر وباقي الصحابة الذين كانوا معه بظل جدار وذهبوا ليأتوه بحصتهم من الدية .

^١ السيرة النبوية عرض وقائع ص ٥٤٢

^٢ الطبقات ٢ / ٥٧

^٣ انظر السيرة لابن هشام ٢ / ١٨٩

لكن الشيطان أغراهم وسولت لهم انفسهم وبكل ما امتلأت به من خبث
وما جبلت عليه من عداوة لله ونوره فبيتوا أن يلقوا على رسول الله ﷺ
صخرة أو رحي من فوق الجدار الذي يجلس عنده ليقتلوه بغدر.
إلا إن عناية الله أحاطت بنبيه فنزل الوحي يخبره بما همّوا به فينهض
رسول الله مسرعاً ويغادر عائداً الى المدينة^١

وهذا نقض من اليهود للعهد والمواثيق مع الرسول ﷺ وإعلان للحرب على
المسلمين، لأنهم إنما أرادوا بقتل النبي ﷺ تدمير الدولة الإسلامية وعموم
المسلمين.

بعث رسول الله ﷺ بمحمد بن مسلمة الى بني النضير أن اخرجوا من
المدينة ولا تجاوروني بها، وأمهلهم للجلاء عشرة أيام فمن وجد بعدها
تضرب عنقه

(تهيأ اليهود للجلاء وأعدوا له العدة، ألا إن رأس النفاق عبد الله بن أبي
بن سلول بعث إليهم أن اثبتوا، وأنا ومعى ألفان من الرجال ناصروكم
وداخلون معكم الحصن فموت دونكم وان قريظة وغطفان معكم)^٢

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرَجْتُمُنَا لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ
لَنَنْصُرَنَّكُمْ ﴾ الحشر ١١ .

^١ عيون الأثر ٢ / ٣٣

^٢ انظر عيون الأثر ٢ / ٣٤

عادت لليهود ثقتهم وأرسل رئيسهم حيي بن أخطب إلى رسول الله ﷺ بأنا لن نخرج فاصنع ما بدا لك.

كان الموقف بالغ التعقيد ومحفوفا بالمخاطر وبكل اتجاهاته، فلكل خيار مخاطره، من حول المدينة أعراب تتربص بالمسلمين فمن محاولات إغارة على المدينة الى عمليات غدر ومكائد، وهذي قريش تعيش على أمل قتل رسول الله ﷺ واستئصال الاسلام كله، ويهود في الداخل تسعى خفاء وعلنا لقتل النبي وهدم الاسلام، وهؤلاء اهل النفاق يهدمون من الداخل وبصمت ويتحينون الفرص للجهر بالعداوة، كثيرون يتحينون الفرصة للانقضاض على المسلمين، والكفر ملّة واحدة.

ثم ان بني النضير كانوا على قدر من القوة والتسليح وربما يكون حريهم في هذا الوقت يحمل صعوبة ومحفوفا بالخطر.

لقد كان الغدر وحوادثه القريبة لها فعلها في قلوب المسلمين وما عاد بالامكان تحمل غدر جديد، ثم هذه الجرأة التي ابداهها اليهود تستلزم حزما في الرد، ويأتي الخيار الأمثل... حيث سار إليهم رسول الله ﷺ بجيش من المسلمين وعلي بن أبي طالب ﷺ يحمل الراية، في ربيع الأول، فتحصنت بنو النضير بحصونهم، وخذلهم عبد الله بن أبي، وخذلتهم غطفان، واستمر الحصار ست ليال، كانوا خلالها يرمون المسلمين بالنبل تساعدهم بساتينهم ونخيلهم، فقطع المسلمون النخيل وحرقوها،

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْهَا عَلَىٰ صُورِهَا فَيَاذَنِ اللَّهُ وَلِيُخْرِىَ

الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ الحشر ٥.

وألقى الله ﷻ الرعب في قلوبهم فاستسلموا على أن يخرجوا بأنفسهم وأهلهم وما تحمله الإبل إلا السلاح، فكانوا يخربون ديارهم فيأخذون الأبواب والشبابيك وتحملوا على ستمائة بعير وخرجوا إلى الشام وخيبر،

﴿ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنذَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ الحشر ٢ .

وقبض رسول الله سلاحهم وأرضهم وديارهم وأموالهم فكانت خالصة لرسول الله يضعها حيث شاء لأن الله أفاتها عليه ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، وكما جاء مفصلا في سورة الحشر التي قصت خبر هذه الغزوة. وكانوا لما آيسوا من نصرة المنافقين وتيقنهم بالهزيمة عرضوا ان يجلبون من ديارهم هم واموالهم ،

(نحن نخرج عن بلادك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أقبله اليوم ولكن اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة. فنزلت يهود على ذلك، وكان حاصرهم خمسة عشر يوما، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم، ثم أجلاهم عن المدينة وولى إخراجهم محمد بن مسلمة، وحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائة بعير، فلقوا بخيبر وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا، وقبض رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الأموال والحلقة فوجد من الحلقة درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً)^١

^١ الطبقات ٢ / ٥٧

وبهذا النصر توطد سلطان المسلمين في المدينة وبدون تضحيات

❁ غزوة نجد:

نقلت الأخبار تحشد جموع البدو والأعراب من بني محارب وبني ثعلبة من غطفان .

(بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا بذئ أمر يريدون حربه، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فغاب أحد عشر يوما وكان معه أربعمائة وخمسون رجلا، وهربت منه الأعراب في رؤوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به)^١

كان لمسارعة النبي ﷺ بالخروج يجوس فيافي نجد ويلقي بذور الخوف في قلوب أولئك البدو القساة أثره في ان لا يعيدوا مناكرهم التي ارتكبوها مع المسلمين .

❁ غزوة بدر الثانية:

وكانت لهلال ذي القعدة وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ست عشرة ليلة، ورجع إلى المدينة لأربع عشرة بقيت من ذي القعدة، واستخلف على المدينة ابن رواحة.

(لما أراد أبو سفيان أن ينصرف يوم أحد نادى:

موعدٌ بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول، نلتقي فيه فنقتل.

^١ البداية والنهاية ٤ / ٣

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:
قل نعم إن شاء الله.
فافترق الناس على ذلك وقد اتفقوا على موعد جديد من جولة قتال
استكمالاً لما قبلها.
ورجعت قريش فأخبروا مَنْ قَبَلَهُمْ بالموعد وتهيئوا للخروج وأجلبوا وتحشدوا
(1)
وكان هذا عندهم أعظم الأيام لأنهم رجعوا من أحد منتصرين والدولة
لهم، طمعوا في بدر الموعد أيضاً بمثل ذلك من الظفر وينصر جديد في
بدر الصفراء.
(وبدر الصفراء مجمعاً يجتمع فيه العرب، وسوقاً تقام وتتعدّد يبيع فيها
الناس ويشترون مع بداية هلال ذي القعدة ويمتد إلى ثمان ليالٍ منه،
فإذا مضت ثمان ليالٍ منه تفرق الناس وعادوا كل إلى بلاده) (2)
فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف وخمسمائة من المسلمين
وخرجوا ببضائع لهم ونفقات من التي تباع في ذلك السوق، وصل الجيش
النبوي إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقام السوق صبيحة اليوم التالي.
فأقام المسلمون ثمانية أيامٍ والسوق قائمة، فباعوا ما حملوا من بضائع
وربحوا الضعف في تجارتهم.
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج في ألف وخمسمائة من
أصحابه وكانت الخيل عشرة أفراس.

¹ انظر الطبقات ٢ / ٥٩

² الطبقات ٢ / ٥٨

(وفي مكة خرج من قريش ألفان ومعهم خمسون فرساً، حتى اذا انتهوا إلى مجنة ألقى الله الرعب في قلب ابي سفيان ومن معه وكرهوا لقاء المسلمين، فقال ابو سفيان لجيشه: ارجعوا، لا يصلحنا إلا عام خصب غيداق، نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جذب، وإني راجع فارجعوا) ^١

وكان يحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ علي بن أبي طالب عليه السلام.

وانتظر المسلمون عدوهم على مرأى من قبائل العرب التي حضرت السوق، الا ان ابو سفيان وجيشه لم يحضروا.

(وكان ممن حضر الى السوق رجلاً من بني ضمرة يقال له مخشى بن عمرو، وهو الذي حالف رسول الله ﷺ عن قومه في غزوة رسول الله ﷺ الأولى إلى ودان.

فقال والناس مجتمعون في سوقهم يسمعون، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أكثر أهل ذلك الموسم قال:

يا محمد، لقد أخبرنا أنه لم يبق منكم أحد، فما أعلمكم إلا أهل الموسم.

فقال رسول الله ﷺ، ليصل ذلك الى اسماع عدوه من قريش: ما أخرجنا إلا موعد أبو سفيان وقتال عدونا،

وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك العهد، ثم جالدنا كم قبل أن نبرح من منزلنا هذا.

^١ الطبقات ٢ / ٦٠

فقال الضمري: بل، نكف أيدينا عنكم ونتمسك بحلفك^١ وسمع بذلك معبد ابن أبي معبد الخزاعي فانطلق سريعاً، وكان مقيماً ثمانية أيام، وقد رأى أهل الموسم ورأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسمع كلام مخشى، فانطلق حتى قدم مكة، فكان أول من قدم بخبر موسم بدر. فسأله فأخبرهم بكثرة أصحاب محمد، وأنهم أهل ذلك الموسم، وما سمع من قول رسول الله ﷺ للضمري، فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم، وقد اجتروا علينا ورأوا أن قد أخلفناهم، وإنما خلقنا الضعف عنهم.

وهذا بعض مما قاله كعب بن مالك يحدث عن خوف قريش وعودتها:

وعدنا أبا سفيان بدرًا فلم نجد
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا
تركنا بها أوصال عتبة وابنة
عصيتم رسول الله أفَّ لدينكم
لموعده صدقاً وما كان وافيًا
رجعت ذميماً وافتقدت المواليا
وعمرًا أبا جهلٍ تركناه ثاويًا
وأمركم السيء الذي كان غاويًا

ومما قاله حسان بن ثابت الأنصاري

أقمنا على الرس النزوع ثمانيا
بكل كميته جوزه نصف خلقه
ترى العرفج العامي تبدى أصوله
بأرعن جرارٍ عريض المبارك
وأدمٍ طوالٍ مشرفات الحوارك
مناسم أخفاف المطى الرواتك^(٢)

^١ انظر السيرة لابن هشام ٢ / ٢١٠

(٢) السيرة لابن هشام ٢ / ٢١١

❁ وفي هذا العام ولد الإمام الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنهما في شعبان.

وقد فرح به رسول الله وأذن في اذنيه حين ولدته أمه وسماه ((حسن))
وعق عنه بكشين، وأمر امه فاطمة الزهراء رضي الله عنها ان تحلق
شعره وتتصدق بوزنه فضة على الفقراء.

❁ أمر رسول الله زيد بن ثابت رضي الله عنه ان يتعلم لغة اليهود
حتى يقرأ له كتبهم ويكتب لهم.

فتعلمها زيد رضي الله عنه في خمسة عشر يوماً.

السنة الخامسة للهجرة:

❁ غزوة دومة الجندل:

بعد الرجوع من غزوة بدر الثانية اطمأنت وتثبتت اركان الدولة الاسلامية،
واحس المسلمون بالأمن.

لكن لم تكد تمضي ستة أشهر على غزوة بدر الثانية حتى جاءت الاخبار
تحمل انباء تفيد ان القبائل حول دومة الجندل كانت تتعرض للقوافل المارة
قربهم والمتجهة شمالا فيتعرضون لمن بها بالاذى وانهم يحشدون الرجال
للاغارة على المدينة او يقتربون منها.

ودومة الجندل تقع على الحدود بين الشام والحجاز، وهي على مسير ست
عشرة ليلة من المدينة وفي حدود الغساسنة الموالين للدولة الرومية وبما
يبعد بحدود (٤٥٠) كيلو مترا شمال المدينة المنورة. وبها سوق دومة
الجندل الشهير، وكانت الأنباء الواردة الى المدينة تفيد بأن قبيلة قضاة
التي تقطن شمال قبائل أسد وغطفان، وبعض القبائل المجاورة تجمعت

عند دومة الجندل للإغارة على القوافل التي تمر بهم، و تجمع مثل هذا قد يقود ويغري بتجمعات مماثلة أو أكبر تضم كل المعادين للإسلام مما يهدد أمن الدولة الإسلامية الفتية، والسكوت عليه وعلى ما يشكله من تهديد اقتصادي وعسكري وسياسي مؤكد سيؤدي إلى إضعاف قوة المسلمين وإسقاط هيبتهم، إضافة لتأثيره على الوضع الاقتصادي للمسلمين من خلال تعريض قوافلهم وقوافل القبائل التي تحتمي بهم إلى السلب والنهب، ويظل من الأهمية فرض نفوذ المسلمين على هذه المنطقة وأشعار سكانها بأنهم بحماية المسلمين وأنهم قادرون على تأمين الطريق لهم، زيادة على حرمان قریش من أي حليف تجاري ويجعلها تخشى المسلمين على تجارتها، ان نتائج نشر النفوذ الإسلامي وبسط السيطرة على هذه المنطقة سيضعف تأثير الروم ويقلل من هيبتهم والخوف المزروع منهم في قلوب العرب.

ثم ان الرسالة الإسلامية للناس عامة، وكل بقاع الأرض ساحة عمل للدعوة إلى الإسلام، فلذلك ولكل الأسباب التي سبقت وغيرها (خرج رسول الله ﷺ بألف من الصحابة في ربيع الأول نحو دومة الجندل)^١ (واتخذ دليلاً من بني عذرة اسمه مذكور بن هاد، نكب بهم عن الطريق)^(٢) وكان يسير ليلاً ويكمن نهاراً حتى يخفي مسيره، ولا يصل إليهم خبر خروج المسلمين إليهم.

^١ البداية والنهاية ١ / ١٠٦

(٢) المغازي ١ / ٤٠٤

(فلما دنا من القوم تفرقوا وولوا مدبرين وتركوا أنعامهم وماشيئهم غنيمة للمسلمين، وبث رسول الله ﷺ السرايا وبعث البعوث وفرّق الجيوش فلم يصب منهم أحدا، وبعد ان مكثوا هناك اياما عاد المسلمون إلى المدينة)^١ وفي أثناء عودتهم وادع الرسول ﷺ عيينة بن حصن الفزاري واستأذن عيينة من رسول الله ﷺ أن ترعى إبله وغنمه في أرض قريبة من المدينة على ستة وثلاثين ميلا منها.

وواضح ان هذا الاستئذان بالسماح بأن ترعى الإبل على مسافة تقرب من المدينة نحو خمسة وستين كيلو مترا دليل على ما وصلت إليه قوة المسلمين، وسعة منطقة نفوذهم.

لقد كانت هذه الغزوة بمثابة إعلان عن دعوة الإسلام بين سكان البوادي الشمالية وأطراف الشام الجنوبية.

كما إن سير الجيش الإسلامي هذه المسافة الطويلة كان فاتحة لسير الجيوش الإسلامية لاحقا في الفتوحات الإسلامية.

(وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل المدينة سبع بن عرفطة الغفاري)^٢

🌸 **غزوة الأحزاب:** كان الواضح ان الأمور في المدينة وما حولها تميل الى السكون والهدوء وان الأمن استتب وان المسلمين سيجنون ثمار قتالهم المستمر لكسر شوكة الباطل والقضاء على كل احلامه بالشر والعدوان.

^١ البداية والنهاية ١ / ١٠٧

^٢ السيرة لابن هشام ٢ / ٢١٣

لكن هل سيستكين اليهود ويجنحون للسلام، وهم الذين جُبلوا على الفتنة والخبائثة واللؤم ؟

كان اليهود على ما عرف عنهم من حقد على الدعوة والمسلمين وعلى كل ما هو خير بل على كل من ليس على ملتهم .

ويهود بني النضير حين أخرجوا إلى خيبر، خرجوا يحملون حقدهم وعدائهم المتزايد على الإسلام وأهله، فبعد استقرارهم بخيبر اتفقوا على التوجه إلى قبائل العرب لتحريضها على حرب المسلمين وكونوا لذلك وفدا من اليهود يرأسهم خمسة من زعمائهم وهم:

سلام بن ابي الحقيق النضري، حيي بن أخطب النضري، كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق النضري، هوزة بن قيس الوائلي، ابو عمار الوائلي (١)
فقال لهم قريش يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الاول، والعلم بما اصبحنا نختلف فيه، أفديننا خير أم دينه ؟

قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه (٢)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۗ ﴾ (٥١) أُولَٰئِكَ

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَهُ نَصِيرًا ۗ ﴾ (٥٢) النساء .
فرح كفار قريش بشهادة اليهود لهم ومدحهم لدينهم،

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٢١٤ .

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣٣ .

كما إن طلب اليهود بالاجتماع على حرب المسلمين وجد صدق في قلوبهم المملوءة غيضا على رسول الله ﷺ وصحبه بعد ان اهتزت مكانتهم بين القبائل إثر تخلفهم عن الخروج في بدر الثانية وبسبب الحصار الذي فرضه المسلمون عليهم، فوعدهم بأن يشتركوا بأربعة آلاف مقاتل لحرب المسلمين.^١

كما انخرطت غطفان ودخلت الاتفاق طمعا بخيرات المدينة وغنائمها، واشتركت بستة آلاف مقاتل على أن يعطيهم اليهود تمر خبير لعام واحد^٢ وطاقوا على قبائل أخرى فوافق منها من وافق.

وتحرك (في شوال سنة خمس للهجرة)^(٣) عشرة آلاف مقاتل يحيطهم كل ظلام الأرض صوب المدينة ليطفئوا نور الله.

لقد كاد الدور الشيطاني لوفد اليهود وما جمّع من خلاله من قبائل وافراد وكل شياطين الارض يحدهم الحقد والطمع والكره لنور الله، كاد هذا التجمع ان يحقق ما اجتمع له، ولكن الله سلّم والله بيده مقاليد كل شيء قبل ذلك وبعده.

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ

لِتُرْوَلَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ إبراهيم: ٤٦ .

^١ انظر السيرة لابن هشام ٢١٤/٢

^٢ انظر السيرة لابن هشام ٢١٥ / ٢

^(٣) السيرة لابن هشام ٢ / ٢١٣ .

وفعلا خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة وقائدهم ابو سفيان في اربعة الاف مقاتل ، ووافاهم بنو سليم بممر الظهران، وخرجت من الشرق قبائل غطفان: بنو فزارة، يقودهم عيينة بن حصن، وبنو مرة يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع يقودهم مسعر بن ربيعة، كما خرجت بنو أسد، وغيرها^١

ولو قدر لهذا الجيش الكبير أن يباغت المسلمين لكان خطرا ربما يهدد بقائهم لكن أنباء التجمع المعادي وزحفه قد بلغت المدينة.

اجتمع رسول الله ﷺ بالصحابة ﷺ وتدارسوا الموقف فمثل هذا الجيش لم يجتمع قبلاً، وعشرة الاف مقاتل يفوق عدد كل سكان المدينة بما فيهم النساء والاطفال والشيوخ والرجال؛ ولم تعتد الجزيرة على الخروج لحرب بمثل هذا العدد من المقاتلين الذي لا قِبَلَ لأي قبيلة بمجابهته^٢

ويقترح الصحابي سلمان الفارسي ﷺ أن يحيطوا المدينة بخندق يمنع المشركين من الوصول إلى المدينة حيث كانت تلك طريقة مجربة في بلاد فارس الا انها غير معهودة بأرض الجزيرة.

ومثلت هذه الفكرة الحل الأمثل لتلك المشكلة ووافق رسول الله ﷺ على هذه الخطة وكذلك كل الحضور، كانت الموانع الطبيعية من بساتين ونخيل وجبال وبناء تحيط بالمدينة من كل نواحيها، ما عدا ناحية الشمال فانها مفتوحة، فإن حُفِر خندق في هذا الجزء المكشوف من المدينة فسيكون من العسير الدخول اليها.

^١ السيرة لابن كثير ١٨٢/٣

^٢ السيرة لابن هشام ٢١٦/٢

وابتداً المسلمون بالتنفيذ، فراحوا يحفرون خندقاً في الشمال من المدينة يحول دون دخولها، ووكل إلى كل عشرة من المسلمين حفر أربعين ذراعاً من الخندق، فكانوا يعملون طوال النهار ويرجعون إلى أهلهم ليلاً. ولم يكن الحفر سهلاً، كان الصحابة يحفرون بأيديهم ثم ينقلون التراب على أكتافهم وفي جو بارد ووسط ريح شديدة وجوع شديد في جو يملؤه الخوف من مباغرة العدو لهم، كل هذا والقلوب وجلة فجيش العدو كبير وإن لم ينجح الخندق بصدّهم فسيقتحمهم هم وعوائلهم، وغير ذلك من صعوبات لا يحسها إلا من يكابدها، لكن، لأن الإيمان بقلوبهم كبير، ولأن بقربهم رسول الله ﷺ ينظرون إليه، ويكلمهم، هانت كل الصعوبات، وذلك، وهذي هي مدرسة محمد ﷺ خرّجت رجالاً لا تصدق العقول ما هم عليه من حب لله وتحمل كل شيء للوصول إلى رضاه ومحبته.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَرَسُولُهُ ع

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَسَلِيمًا ﴿٢٢﴾ الأَحْزَابُ ٢٢.

(خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق، فإذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: " اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للانصار والمهاجرة " فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمداً * على الجهاد ما بقينا أبداً) ^١

^١ السيرة لابن هشام ١٨٤/٣

رغم ان الأمر صعب وخطر الا انه زادهم ايمانا فكلمنا كبرت الشدة وعظم
البلاء ازدادوا اقتربا من الله سبحانه وتعالى، كان مبتغاهم رضا الله، فكل
أمر عدى ذلك غير مهم وغير مؤثر، أليسوا هم الذين يستبشرون بالموت؟
ليس أحدهم ينادي ان قَتِلْ فزت ورب الكعبة ؟

وكان رسول الله ﷺ قد أمر بوضع ذراري المسلمين و نساءهم وصبيانهم
في حصن بني حارثة حتى يأمن المسلمون على عوائلهم ويعملوا وقلوبهم
مطمئنة على أهلهم.

وشارك رسول الله ﷺ بالحفر ونقل التراب مما رفع معنويات الجيش
فاندفعوا يسابقون الزمن لا يمنعهم جوعهم الشديد ولا البرد القارص، شدوا
على البطون حجارا، أليس في حب الله ونور نبيه الكريم بينهم ما ينسيهم
الجوع ؟ كان حبهم لله ورسوله زادهم، تغذت به أرواحهم فنسوا كل ما عداه
طلقوا الدنيا فأعطاهم الله مجد الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

(يقول أبو طلحة: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع فرفعنا عن
بطوننا عن حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين).^(١)

وتفجرت معجزات أثناء الحفر وآيات من أعلام النبوة فقد رأى جابر بن
عبد الله في النبي ﷺ خمسا وجوعا شديدا فذبح بهيمة وطحنت امرأته
صاعا من الشعير ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ سرا يدعو في نفر من
أصحابه إلى الطعام، فقام النبي ﷺ وطلب من جميع أهل الخندق وهم
ألف أن يتوجهوا إلى طعام جابر، ووقف ﷺ على برمة اللحم وحضر خبز

(١) الرحيق المختوم ص ٢٩٤ عن الترمذي .

العجين، فأكل الجميع حتى شبعوا وما زال في الطعام بقية وزعت على الجيران. (١)

وجاءت أخت النعمان بن بشير بحفنة من التمر إلى الخندق ليتعدى بها أبوها وخالها فمرت برسول الله ﷺ الذي أخذ منها التمر وبدده على ثوب ثم دعا أهل الخندق، فأكلوا منه جميعا، فأشبعهم و زاد. (٢)

وأكمل حفر الخندق، وجاءت قريش ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين جاعلين ظهورهم إلى جبل سلع.

وفوجئ المشركون بالخندق يحول بينهم وبين المدينة، وكان أسلوب جديد في القتال والدفاع لم تعهده جزيرة العرب قبلا، فراحوا يدورون حول الخندق بغضب يختبرونه ويبحثون عن نقطة واهنة أو محل للعبور، وكان المسلمون يرشقونهم بالنبال ليمنعواهم من الاقتراب من الخندق أو محاولة إهالة التراب عليه.

وتشعر قريش بالضعف والعجز، لم تكن هناك وسيلة لبلوغ المدينة او مهاجمة جيش المسلمين واحس زعمائها بأن كل التخطيط والأموال التي صُرفت وسعيهم لتجميع هذا الجيش الكبير ، كل ذلكذهب ادراج الرياح ،واقفدهم الغضب صوابهم، لم يكن امامهم سوى فرض الحصار على المدينة ولكن الى متى ؟ وكيف ؟ وهم انفسهم لم يعدّوا العدة للحصار فلم

(١) أنظر البخاري باب غزوة الخندق ٤/١٥٠٥ برقم ٣٨٧٦ ومسلم ٣/١٦١١ برقم ٢٠٣٩ .

(٢) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٧٤. ودلائل النبوة للأصبهاني ١/٢٠٩.

يجلبوا مؤونة لقتال يطول. احسوا ان كل خياراتهم لم تكن تفضي لتحقيق ما جاءوا لأجله .

كان لسرية العمل في حفر الخندق والسرعة بإنجازه الأثر الأبلغ في إيقاع المشركين بهذا الوضع.

وقسم النبي ﷺ أصحابه مجاميع ودوريات للحراسة، وكان الفريقان يتراشقان بالنبال.

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مرابطا، وأقام المشركون يحاصرونه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر، ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل. (ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس، أحد بنى عامر بن لؤى، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب ابن مرداس أحد بنى محارب بن فهر، تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا: تهيأوا يا بنى كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم.

ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق ولسع، وخرج على بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم.

وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد،

فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه، فلما خرج هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب رضى الله عنه، فقال له: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه.

قال: أجل.

قال له علي:

فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام.

قال: لا حاجة لي بذلك.

قال: فإني أدعوك إلى النزال.

قال له: لم يا بن أخي، فوالله ما أحب أن أقتلك! قال له علي: لكنى والله أحب أن أقتلك.

فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله على رضى الله عنه.

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة.^١

واستمرت محاولات المشركين بالعبور واستمر المسلمون بصددهم، وحين كان المسلمون يواجهون الشدائد في قتال المشركين وصددهم نقضت يهود بني قريظة . الذين يسكنون جنوب المدينة . عهدهم مع رسول الله وقاموا

^١ السيرة لابن كثير ٢/٢٠٠

بعمليات حرب، كان المسلمون يخشون الغدر من يهود بني قريظة ونقضهم عهدهم مع المسلمين لأن الموقف صعب ولا يحتمل خيانة اليهود فذلك يعني انكشاف ظهورهم ووضعهم بين كفي كماشة قاتلة.

وحدث ما كان يخشاه المسلمون وكما كان متوقعا من اليهود، (يذهب اليهودي زعيم بني النضير الى قريظة وينجح باستدراج زعيمهم كعب بن أسد بأن ينقض عهده مع رسول الله ﷺ وينحاز الى الأحزاب في حربها ضد المسلمين، وتسري بذلك الشائعات بين المسلمين، وتكثر القرائن الدالة على غدر بني قريظة، فيرسل رسول الله ﷺ سعد بن معاذ و عبد الله بن رواحة و خوات بن جبير ليستقصوا له حقيقة أمر بني قريظة ويتفق معهم ان يخبروه بالجواب بالرمز والاشارة . حرصا على عدم انتشار الوهن والخوف بين المسلمين، فخرجوا حتى وصلوهم فوجدوهم نقضوا عهدهم فرجعوا الى رسول الله ﷺ وقالوا (عضل والقارة) اي انهم غدروا كغدر عضل والقارة بالصحابي خبيب ومن معه ففهم رسول الله ﷺ انهم خانوا عهدهم مع الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين).^(١)

من حديث صفية بنت عبد المطلب أنها كانت والنساء والأطفال في الحصن فجاء رجل من اليهود وراح يطوف حول الحصن ورسول الله ﷺ والمسلمون منصرفون إلى قتال العدو فشدت عمة رسول الله ﷺ رضي

(١) انظر السيرة لابن هشام ٢ / ٢٢٠-٢٢٢.

الله عنها وسطها وأخذت عموداً من الحصن فنزلت إليه وقاتلته حتى قتلتها ثم عادت إلى الحصن.

وقد ظن اليهود بعد ان رأوا جثة صاحبهم أن في الحصن مقاتلين يحمونه فما عادوا لمهاجمة النساء والأطفال، إلا أنهم ظلوا يمدون جيش المشركين بالمؤن ليستمروا في حصار المسلمين لأن قريش ومن معها لم يجلبوا معهم من المؤن ما يمكنهم من حصار المدينة طويلاً. وبعد هذا الغدر من أهل الغدر أصبح المسلمون بين جيش من المشركين كبير شمالهم ويهود الغدر من جنوبيهم.

ويرسل النبي محمد بن أسلم بمائتي رجل وزيد بن حارثة بثلاثمائة رجل ليحرسوا المدينة وأمرهم ان تغلوا اصواتهم بالتكبير ليرهبوا بني قريظة، فيعترضون قافلة من عشرين بعيراً محملة بالتمر والشعير والتين أرسلتها بنو قريظة للأحزاب لتمدهم بها وتقويهم على البقاء فأصبحت غنيمة للمسلمين.

وظهر النفاق من أهل النفاق وجاهروا به، فهذا مُعتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف يقول:

(كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا الان لا يأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط).^(١)

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٢٢٢.

ثم انسحب المنافقون من جيش المسلمين، وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه
 ﷺ فيما وصف الله ﷻ في صدر سورة الأحزاب بآياتها (٩-٢٧) من
 الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ
 الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا
 شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ الأحزاب.

وبنفس المقام يتحدث الحق سبحانه عن أهل النفاق:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا
 ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ
 النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ الأحزاب.

ومما ورد عن البيهقي: أحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في
 مثل الحصن بين كتائبهم فحاصروهم قريبا من عشرين ليلة واخذوا بكل
 ناحية حتى لا يدري الرجل أتم صلاته أم لا، ووجهوا نحو منزل رسول الله
 ﷺ كتيبة غليظة فقاتلوهم يوما إلى الليل فلما حانت العصر دنت الكتيبة
 فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا على
 نحو ما أرادوا فانكفأت الكتيبة مع الليل.^(١)

(١) البداية والنهاية ٥٠/٦ .

وقد أورد البخاري بصحيحه أن رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال (ملاً
الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى
غابت الشمس).^(١)

وأمام تصاعد الموقف وافرزاته الجديدة كان لابد من تصرف جديد
يتوازى مع الخطر المتصاعد، فيتوجه رسول الله ﷺ لتفكيك حلف الشر
وتجزئته، وكانت تلك حكمة بالغة من رسول الله ﷺ وربما تكون الوسيلة
الوحيدة التي يمتلكها المسلمون حينها.

فكل من المتحالفين كان يحركه سبب في حريمهم تلك، وغطفان كان
يحركها طمعها في خيرات المدينة بعد احتلالها، ليس أكثر، فجاءت
متحملة مخاطر القتال لتحصل على مغنم، فماذا اذا أعطيت مغنما بغير
حرب مقابل ان تتسحب من الحلف المعادي ؟

أما اليهود فكان عدائهم للاسلام عقائديا فهم يطمحون للقضاء على
الاسلام والمسلمين؛ وكذلك كان محرّك قريش في هذه الحملة وسواها.

(ويرسل رسول الله ﷺ الى قادة غطفان . سرّاً . للاتفاق فيجاء
زعيمها متخفيين وراء الخندق . عيينة بن حصن والحارث بن عوف .
ويدخلان بمفاوضات مع رسول الله ﷺ الذي عرض عليهم اقتراحا بصلح
منفرد بين المسلمين وغطفان فتفك غطفان حصارها عن المدينة وتسحب
جيشها وتوادع المسلمين فلا تقوم بأي عمل حربي ضدهم مقابل ان

(١) البخاري باب غزوة الخندق ٤/١٥٠٩ برقم ٣٨٨٥ .

يحصلوا على ثلث ثمار المدينة ذلك العام، وقد طلب قادة غطفان نصف الثمار فأبى رسول الله ﷺ إلا الثلث فوافقا.

كان ذلك اقتراحاً أولياً... اثبت صواب الفهم النبوي لطبيعة الأسباب وراء تحرك كل من فصائل المحاصرين، وان اشتراك غطفان بالحرب ضد المدينة طمعا بالمغانم ليس إلا.

وقبل عقد الصلح مع غطفان وإبرامه بشكل نهائي شاور رسول الله ﷺ أصحابه في الأمر، فقال سعد بن معاذ وسعد بن عباد: يا رسول الله أمراً تحبه، فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا ؟

فقال ((بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت ان أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما)).

فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لانعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون ان يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً، أفحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا ؟ مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

فقال رسول الله ((انت وذاك))

وألغى الاتفاق، فقال سعد: ليجتهدوا علينا.^(١)

(١) انظر السيرة لابن هشام ٢/٢٢٣.

وكان موقفا عظيما ومؤدبا من سعد، فإن كان هذا أمر من الله أو من رسوله فسنتطيع ونرضاه واما ان كان خوفاً علينا، فتلك مسألة اخرى فيها نظر، وابدى استعداده لتحمل كل شيء في سبيل الله. وتضرع النبي ﷺ إلى الله ﷻ (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم) (١)

وصبر الصحابة ﷺ، وتوجهت كل القلوب إلى الله وارتفعت كل الأكف إليه ﷻ، فأنزل الله نصره بعد أن أمد عباده بالثبات. فقد بعث الله ﷻ نعيم بن مسعود الغطفاني إلى نبيه ﷺ يعلن إسلامه ويقول يا رسول الله إن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله ﷺ (إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فان الحرب خدعة) (٢)

(ويذهب نعيم إلى بني قريظة . وكان عشيرا ونديفا لهم قبلا . فيقول لهم بأنهم يعلمون وده ونصحهم لهم، وان قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وان نسائهم وأرضهم وأموالهم بعيدة وبأمان فان انتصروا فقد أصابوا وكان لهم ما ارادوا، وإلا عادوا إلى أرضهم وتركوكم ومحمدا فينتقم منكم، وأشار عليهم حرصا على سلامتهم وحتى لا تتركهم قريش لمحمد وجيشه اذا انسحبوا بأن لا يقاتلوا مع قريش حتى يعطوهم رهائن، فاستجابوا لرأيه ففي

(١) البخاري باب الدعاء على المشركين ١٠٧٢/٣ برقم ٢٧٧٥.

ومسلم باب استحباب الدعاء بالنصر ١٣٦٣/٣ برقم ١٧٤٢.

(٢) البداية والنهاية ٥٩/٦.

ذلك ضمانا لهم ثم ان قريش ان كانت صادقة فلن تخسر شيئا اذا تركت بعض رجالها في حصون بني قريظة.

ثم يذهب ﷺ إلى قريش فيخبرهم بأنه قد علم بأن بني قريظة قد ندموا على نقض عهدهم مع محمد.

وأنتهم ليتصالحوا مع محمد ﷺ سيطلبون منكم رهائن بحجة أنهم سيقونهم لديهم ثم يسلموهم لمحمد ليقتلهم، ويكون مقتل رجالكم ثمن صلحهم مع محمد .

فأرسلت قريش إلى بني قريظة تدعوهم للاشتراك في القتال، فطلب بنو قريظة منهم رهائن كما اشار عليهم نعيم، فقالت قريش صدقكم والله نعيم،

فأرسلوا إلى بني قريظة بأننا لن نعطيكم أحدا منا، فقالت اليهود صدقنا والله نعيم، ودبّ الشك والفرقة بينهم و تخاذل الفريقان. وسرى بين المشركين التخاذل.)^١

وأرسل الله عليهم ريحا قوية كفأت قدورهم وقلعت خيامهم، فلم يقر لهم قرار، وأنزل الله ﷻ الذي لا يعلم جنوده إلا هو ملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فقاموا للرحيل.

(وكانت الريح التي أرسلها الله على المشركين كما يقول القرطبي ﷺ معجزة للنبي ﷺ لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريبا منها، وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم لها...وبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد

^١ انظر السيرة لابن كثير ٢ / ٢١٦

وقطعت أطناب الفساطيط . نوع من خيم السفر . وأطفأت النيران وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم إلي فإذا اجتمعوا قال لهم النجاء النجاء، لما بعث عليهم من الرعب).^(١)

وأرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان ليلاً إلى معسكر المشركين وقال (قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم ولا تدعهم علي) ويخبر حذيفة ﷺ بأنه مضى في الجو الشديد البرودة ووسط الريح إلا انه كان كمن يمشي في حمّام في ذهابه وإيابه ودخل وسط الظلام معسكر المشركين وعاد إلى رسول الله ﷺ يخبره بعزمهم الرحيل.^(٢)

فأصبح رسول الله ﷺ وقد ردّ الله عدوه بغيظه، وكفاه الله والمسلمين القتال، وصدق وعده وأعزّ جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، فسبحانه لا اله قبله ولا بعده، قال الله تعالى:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنَّا لَوَ أَخِيرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ

وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٣٥﴾﴾ الأحزاب .

ويقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أجلى الله الأحزاب مشيراً الى حالة ميزان القوى بعد الغزوة، فيقول ((الآن نغزوهم ولا يغزونا))^٣

(١) أنظر تفسير القرطبي ١٤ / ٧١ .

(٢) أنظر تفسير القرطبي ١٤ / ٦٨ . و مسلم باب غزوة الأحزاب ٣ / ١٤١٤ برقم

. ١٧٨٨

^٣ السيرة لابن كثير ٣ / ٢٢١

وقد قتل من المشركين أثناء المراماة بالنبال عشرة فيما استشهد من المسلمين ستة.

❁ غزوة بني قريظة:

بعد أن رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع سلاحه أتاه جبريل فأخبره بأن الملائكة لم يضعوا سلاحهم وان الله يأمرك بالتوجه ومن معك إلى بني قريظة واني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم وأقذف في قلوبهم الرعب، فأمر رسول الله ﷺ المسلمين (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة).^(١)

وأعطى الراية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتحرك جيش المسلمين أرسلوا حتى تلاحقوا بالنبي وهم ثلاثة آلاف، والخيل ثلاثون فرسا، وفرضوا على بني قريظة الحصار.

(واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن ام مكتوم)^٢ حين كانت ارتال المسلمين تتتابع الى حصون بني قريظة ادركتهم صلاة العصر وهم ببعض الطريق فقال بعضهم: لا نصليها الا في بني قريظة امتثالا لأمر النبي حتى انهم صلوا بعد العشاء الآخرة، وقال بعضهم:

(١) البخاري كتاب المغازي ٤/١٥١٠ برقم ٣٨٩٣ ومسلم باب المبادرة بالغزو

١٣٩١/٣ برقم ١٧٧٠ .

^٢ السيرة لابن كثير ٣/٢٢٣

انما أراد النبي ﷺ بمقولته الاسراع والعجلة فوقفوا وصلوها لوقتها، وعندما وصلوا وذكروا للنبي ﷺ ذلك لم يعنف أحد بل سكت عن الطائفتين. ^١ كان باستطاعة اليهود أن يصمدوا أمام الحصار طويلا لمناعة حصونهم ولتوفر المواد الغذائية والمياه لديهم، ولكون المسلمين في العراء يحيطهم برد قارص وجوع وجهد وتعب، رغم كل ذلك فان اليهود نزلوا من حصونهم واستسلموا لحكم رسول الله ﷺ لأن الله ﷻ ألقى في قلوبهم الرعب وزلزل بهم الأرض.

(وكان رئيسهم كعب بن أسد قد خيّرهم بين ثلاثة حلول: اما ان يدخلوا الاسلام والذي يعلمون انه دين حق وان محمد نبي مرسل ويجدونه في كتابهم فيسلمون على انفسهم وارواحهم، واما ان يقتلوا ذراريهم ونسائهم بأيديهم ويخرجوا الى المسلمين بالسيوف ويكون لهم ظفر او ان يُقتلوا، واما ان يهجموا على رسول الله وصحبه يوم السبت فيفاجئوهم لأنهم يعلمون بأن اليهود لا تقا تل يوم سبتها.

لم يقبل اليهود من سيدهم بأي من هذه الحلول الثلاثة فقال لهم: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً. ^٢ وكان حيي بن أخطب قد دخل معهم الحصن وفاءً للذي وعد به كعب بن أسد.

ولم يبق لهم الا ان ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ.

^١ اليرة لابن كثير ٣ / ٢٢٩

^٢ انظر السيرة لابن كثير ٣ / ٢٣٠

ثم انهم طلبوا من رسول الله ﷺ ان يلتقوا ببعض حلفائهم القدامى من المسلمين فبعثوا الى رسول الله ﷺ ان ارسل ابنا لبابة نستشيره^١ فلما جائهم ابو لبابة قام اليه رجالهم واجهشت النساء والاطفال بالبكاء فرق لهم، فقالوا: يا أبا لبانة أنزل على حكم محمد. قال: نعم، وأشار بيده الى حلقه . يشير اليهم بالذبح ، وأحس أبو لبابة بانه خان الله ورسوله فلم يرجع الى النبي ﷺ بل خرج الى المسجد النبوي بالمدينة فربط نفسه بسارية المسجد^٢

أقام ابو لبابة مربوطاً بسارية المسجد ست ليال تحل زوجته وثاقه للصلاة وتوثقه اذا فرغ من صلاته وقد أقسم ان يظل موثقاً حتى يتوب الله عليه وان لا يطأ قريظة ابداً، وبقي على حاله حتى شملته مغفرة الله وعفوه:

﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ

عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ التوبة ١٠٢ .

وبعد نزول الآية هم اليه الصحابة ليفكوا وثاقه، فأبى وأقسم ان لا يفك وثاقه الا رسول الله، ففك رسول الله وثاقه (٣) و استشفعت الأوس ليهود بني قريظة لأنهم مواليهم وحلفاؤهم فقال لهم رسول الله ﷺ (ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم) قالوا بلى قال (فذاك إلى سعد بن معاذ) قالوا قد رضينا. (١)

^١ السيرة لابن كثير ٣ / ٢٢٩

^٢ السيرة لابن هشام ٢ / ٢٣٦

^٣ السيرة لابن هشام ٢ / ٢٣٧

وكان ذلك طلب بني قريظة لأنهم كانوا يأملون ان يرأف بهم سعد لما بينهم وبين قومه الأوس من حلف قديم.
فجاء بسعد محمولاً من سهم اصابه في غزوة الأحزاب.
فحكّم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه: بأن يُقتل الرجال وتسبى النساء والذرية وتقسم الأموال.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (قضيت بحكم الله) (٢)

(و نُفِّدَ حكم الإعدام في أربعمئة في سوق المدينة حيث حفرت أخاديد وقتلوا بشكل مجموعات، وهذا جزاء عادل نزل بمن أراد الغدر و كان جزاؤهم من جنس عملهم حيث عرّضوا حياة المسلمين للقتل وأموالهم للنهب ونساءهم وذراريهم للسبي). (٣)

وبعد بني قريظة خلت المدينة من الوجود اليهودي وانزاح خطرهم من الداخل فتأمنت الجبهة الداخلية وانتهى عهد الدسائس والفتن وانتهت المكائد، وقلّ خطر المنافقين، وفقدت قريش حليفاً وناصرًا ومعيناً.

❁ مقتل سلام بن أبي الحقيق:

(١) تاريخ الطبري ١٠٠/٢. والسيرة لابن هشام ١٩٨/٤ .

(٢) البخاري كتاب المغازي ١٥١١/٤ برقم ٣٨٩٥.

ومسلم باب جواز قتال من نقض العهد ١٣٨٨/٣ برقم ١٧٦٨.

(٣) أنظر السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ص ٦١٠ عن السيرة النبوية الصحيحة (١/٣١٥ - ٣١٧) .

سلام بن ابي الحقيق من يهود بني النضير يعيش بحصن خيبر .
وكان شديد العداة للإسلام فقد بذل ماله لغطفان وقبائل اخرى مقابل
اشتراكها مع الأحزاب لغزو المدينة وكان دائم التحريض على حرب
المسلمين قبل هذه الغزوة مما شكل تهديدا كبيرا للإسلام والمسلمين مما
استلزم التخلص منه وايقاف خطره^١

وكان نفر من الخزرج استأذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقتلوا
عدو الله سلام بعد ان قتل الاوس عدو الله بو الاشراف وبعد ان اذن لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليه من الخزرج من بنى سلمة
خمسة هم: عبدالله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو
قتادة بن ربيعى وخزاعي بن أسود وتطوعوا للذهاب اليه بخيبر لقتله فوافق
رسول الله وأمر عليهم عبد الله بن عتيك بعد ان أوصاهم بألا يؤذوا صبياً
ولا امرأة^٢

فذهبوا الى حصن خيبر فاحتالوا للدخول، فدخلوا ثم توجهوا الى
حصنه حيث كان يعيش في حصن له، فدخلوه.

حتى قاموا على بابه فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته فقالت من أنتم
فقالوا ناس من العرب نلتمس الميرة قالت ذا كم صاحبكم فادخلوا عليه فلما
دخلوا أغلقوا عليهم وعليه الحجرة تخوفا أن يكون دونه محولة تحول بينهم
وبينه، وأحست زوجته بالخطر فصرخت طلبا للنجدة فأوشكوا ان يقتلوا

^١ عيون الاثر ٦٥/٢

^٢ عيون الاثر ٦٥/٢

لولا وصية رسول الله ﷺ بألا يقتلوا امرأة أو صبي. وكان عدو الله على فراشه.

يقول أفراد سرية المسلمين التي نفذت المهمة وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا والله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة، وبعد ان انهوا مهمتهم خرجوا مسرعين.¹

كان عبد الله بن عتيك قليل النظر في الظلام، فوقع وكسرت قدمه فحملوه ومضوا مسرعين، حتى اذا وصلوا الى فتحة في جدار الحصن يدخل منها ماء جدول اختبأوا فيها

(كان صراخ المرأة قد أيقظ الكثيرين والذين أوقدوا مشاعلهم وراحوا يبحثون عن المهاجمين فيجوبون ارجاء الحصن وما حوله، يبحثون وسط ظلام دامس كألذي توطّن في انفسهم فما عادوا يفرقون بين الخير والكفر. وتستبد بفريق المسلمين الحيرة فهم لا يعرفون ان كان عدو الله قد مات يقينا.

فقال رجل منهم أنا أذهب فأنظر لكم فانطلق حتى دخل في الناس قال: فوجدت زوجة سلام بن الحقيق ورجال يهود حولها وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحديثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت قلت انى ابن عتيك بهذه البلاد ثم أقبلت تنظر في وجهه ثم قالت فاض واله يهود فما سمعت كلمة ألد إلى نفسي منها، ثم جاءهم فأخبرهم الخبر فاحتلموا صاحبهم فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ عيون الاثر ٦٦/٢

فأخبروه بقتل عدو الله واختلفوا عنده في قتله كلٌ يدعيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم فجاؤوه بها فنظر إليها فقال لسيف عبدالله بن أنيس هذا قتله أرى فيه أثر الطعام. وكان ذلك في شهر رمضان) (١)

❁ وشرعت في هذا العام فريضة الحج، وتم إبطال التبني، وفرض الله سبحانه وتعالى الحجاب على المسلمات صونا لهن.

السنة السادسة للهجرة:

حين انجلت الأحزاب، قال رسول الله ﷺ (الآن نغزوهم ولا يغزونا) (٢)

بعد انتهاء الدور الخبيث لليهود بإثارة الفتن بالمدينة وتأمين الجبهة الداخلية، أصبح ضرورياً غزو قريش، فقد تغيرت موازين القوى وأصبح للمسلمين القدرة على الهجوم فعملوا على بسط سيادتهم على ما تبقى من قوى حول المدينة، تمهيدا لغزو قريش لاحقا، فقام ﷺ خلال هذا العام بغزوتين وأرسل أربع عشرة سرية، لإنهاك قريش وإحكام الحصار عليها وقطع ما يمدّها بالقوة من حلفائها، مستثمريين ما حققوه من صد الأحزاب ورد كيد اليهود، فباشروا نشاطا واسعا لتضييق الخناق على قريش،

(١) انظر السيرة لابن هشام ٢ / ٢٧٣-٢٧٥.

(٢) البخاري كتاب المغازي باب غزوة الخندق ٤/١٥٠٩ برقم ٣٨٨٤.

ومعاقبة المشركين في الأحزاب، والثأر من القبائل التي غدرت بالدعاة أو ناصبت المسلمين العداًء.
وأهم الحملات والسرايا والنشاطات الحربية:

❁ سرية محمد بن مسلمة:

النجديون أهل قوة وبأس وكثرة، وعداء للمسلمين، وكانوا قد اشتركوا بستة آلاف في غزوة الأحزاب من القبائل النجدية من غطفان واشجع واسلم وفزارة واسد.

لذلك كانت اول سرية بعد الانتهاء من الاحزاب توجهت الى نجد والى القبائل من بني كلاب بمنطقة القرطاء بناحية ضرية على مسافة سبع ليال من المدينة مكونة من ثلاثين فارساً تحركت في محرم، وكان على رأس السرية محمد بن مسلمة^١

فداهموا عدوهم بغتة وقتلوا منهم عشرة وفر الباقون وغنم المسلمون إبلهم وماشيئهم، وفي طريق العودة أسروا ثمامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة وحملوه إلى المدينة وهم لا يعرفونه حيث ربطوه الى سارية المسجد فلما رآه رسول الله سأله: ((ماذا عندك يا ثمامة)) فقال: عندي خير يا محمد، ان تقتلني تقتل ذا دم، وان تتعم تتعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت.

^١ عيون الأثر ٦٣/٢

فتركه حتى كان الغد فقال: ((ما عندك يا ثمامة)) قال: عندي ماقلت لك ان تنعم على شاكر، فتركه فلما كان بعد غد فقال ((ما عندك يا ثمامة)) قال: عندي ماقلت لك فقال ((اطلقوا ثمامة))^١

فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد ان لا إله الا الله، وأشهد ان محمدا رسول الله، يامحمد والله ما كان على وجه الأرض وجه ابغض اليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك احب الوجوه اليّ، والله ماكان دين ابغض الي من دينك فأصبح دينك احب الدين الي، والله ماكان بلد ابغض الي من بلدك فأصبحت بلدك احب البلاد اليّ، وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله وأمره ان يعتمر .

فلما جاء قريشا سألوه هل صبأت فقال لا والله بل أسلمت، وحلف أن لا تأتئهم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن رسول الله ﷺ وكانت يمامة ريف مكة، فانصرف إلى بلاده ومنع الحمل إلى مكة حتى بلغ بقريش الجهد فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بالرحم أن يأذن لثمامة بأن يخلي لهم الطعام فاستجاب رسول الله ﷺ ذو القلب الرحيم والخلق الكريم لرجائهم رغم حالة الحرب بينه وبينهم وأمر ثمامة بأن خلّ بين قومي وميرتهم فامتثل ثمامة. (٢)

❁ غزوة بني لحيان:

^١ عيون الاثر ٦٤/٢

(٢) انظر عيون الاثر ٦٤ / ٢

بنو لحيان هم الذين غدروا بالصحابة العشرة خبيب ومن معه في الرجيع، وكانت ارضهم تمتد عمقا في الحجاز حتى حدود مكة، فحين كانت قريش على قوتها كان الخروج اليهم والاقتراب من قريش يحمل مغامرة نتائجها غير مأمونة، اما الآن، وقد تغير ميزان القوى، صار لزاما التفكير بئثر شهداء الرجيع. رغم أن المسافة تصل إلى مائتي ميل، إلا انه لابد من تأديب أهل الغدر الذين لا قيمة للعهود عندهم. واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم .

فكان أن خرج ﷺ إليهم في مائتين من الصحابة في جمادي الأولى. وتحرك الجيش باتجاه الشام فظنّ الجميع بما فيهم الصحابة أنهم ذاهبون إليها، وبعد المسير عشرين ميلا غير النبي ﷺ اتجاء الجيش جنوبا نحو بني لحيان حتى انتهى الى بطن غران وهو واد بين أمج وعسفان حيث كان مصاب اصحابه فدعا لهم وترحم عليهم¹

غير أن بني لحيان كانت لهم جواسيس وعيون أخبروهم بمقدم جيش المسلمين فهربوا في رؤوس الجبال وحين وصل المسلمون لم يجدوا منهم أحدا، فعسكروا في ديارهم وبعث رسول الله ﷺ سرايا تتعقب قبائل الغدر يومين إلا أنها لم تجد أثرا لهم حيث اختبئوا في رؤوس الجبال، فأقام في ديارهم يومين لترهيبهم وإظهار قوة المسلمين. ورأى رسول الله ﷺ أن يغتنم فرصة وجوده قرب مكة فأراد أن يقوم بمناورة عسكرية يهرب بها مشركي قريش فسار بالجيش إلى وادي عسفان الذي يبعد يومان عن مكة، ثم

¹ السيرة لابن هشام ٢٧٩/٢

أرسل أبو بكر الصديق ﷺ بعشرة فوارس من أصحابه نحو مكة، فوصلوا إلى مكان قريب من مكة، فبثوا الفزع والرعب بقلوب المشركين لظنهم أن جيش المسلمين سيغزوهم، ثم عادوا جميعاً إلى المدينة^١

❁ غزوة الغابة (أو غزوة ذي قرد):

بعد عودة رسول الله ﷺ إلى المدينة بليال قليلة من غزوة بني لحيان، أغار عيينة بن حصن الفزاري في خيل لغطفان عددها أربعين على إيل لرسول الله ﷺ حوامل وذات البان يسرحن بالغابة وفيها رجل من غفار وامرأة له فقتلوا الرجل وساقوا الإبل التي كان عددها عشرين والمرأة^٢

ما ان وصلت الأخبار إلى المدينة حتى خرج رسول الله ﷺ في خمسمائة من أصحابه في أثرهم وقد استخلف سعد بن عبادة على المدينة في ثلاثمائة من قومه وذكرت بعض كتب السيرة انه استخلف ابن ام مكتوم.

كان الصحابي سلمة بن الأكوع يرعى في الغابة وهو من أمهر الرماة اضافة لسرعته في الجري ولمسافات بعيدة حتى انه كان يسابق الفرسان فطاردهم المغيرين يراميهم بالنبل يطاردهم فيلحق بهم ويرميهم بالنبل حتى اذا طاردوه فرّ فلم يستطيعوا اللحاق به فإذا انسحبوا طاردهم فأدركهم ورماهم بالنبل واستخلص بعض الإبل منهم وظل يشاغلهم حتى وصلت

^١ انظر السيرة لابن هشام ٢٨٠/٢

^٢ عيون الاثر ٦٦/٢

الكتيبة النبوية فأدركتهم عند جبل من ذي قرد فقتلت قسم منهم واستنقذوا
الابل والمرأة.

وقد عاد رسول الله ﷺ الى المدينة بعد ان امضى خمس ليال
خارجها. (١)

كان هذا العام حافلا بارسال السرايا وبتجاهات مختلفة لتوطيد
الأمن او لدفع خطر او معاقبة معتدي.

وقد اختلفت كتب السيرة في ترتيب هذه السرايا وتقديم بعضها على
بعض لكن حاولت هنا ان ارتب هذه السرايا وفق اكثر المصادر اقناعا

❁ سرية عكاشة بن محصن في اربعين من المسلمين الى الغمر: في
ربيع الاول

❁ سرية محمد بن مسلمة في عشرة رجال الى القصة في ديار بني
ثعلبة

❁ سرية ابي عبيدة بن الجراح في اربعين رجلا الى بني ثعلبة: في
ربيع الاخرة

❁ سرية زيد بن حارثة الى الجموح في بني سليم بالظهران: في ربيع
الاجرة

❁ سرية زيد بن حارثة الى العيص في سبعين ومائة راكب في جمادي
الاولى

(١) انظر السيرة لابن هشام ٢ / ٢٨١-٢٨٤ .

❁ سرية زيد بن حارثة في خمسة عشر رجلا الى الطرف في بني

ثعلبة: في جمادي الاخرة

❁ سرية زيد بن حارثة الى وادي القرى في اثني عشر رجلا في رجب

❁ سرية الخبط أميرها ابو عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة راكب.

❁ غزوة بني المصطلق:

وهم فرع من خزاعة يمالئون قريشا والمصطلق اسم جد لهم هو جذيمة بن سعد بن عمرو. وكانت هذه القبيلة قد اشتركت مع قريش في معركة أحد، جاءت الاخبار الى المدينة بأن بني المصطلق يعدّون امرهم ويتحشدون لحربهم وقد جمعوا معهم من استطاعوا من الأعراب.

ويرسل رسول الله ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي يتحرى الأمر، فعاد وأكد صحة اعدادهم لحرب المسلمين وتحشدهم¹

ويرى رسول الله ﷺ أن يفاجئهم بالخروج اليهم دفعا لأذاهم وتأديبا لهم، حيث خرج رسول الله ﷺ لليلتين خلتا من شعبان بسبعمائة من أصحابه بعد أن بلغه تجمعهم، فلقاهم على ماء من مياههم يسمونه المريسيع، وتقاتلوا، فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم عشرة وأسر

¹ السيرة لابن هشام ٢٨٩/٢

سائرهم، ونفل رسول الله ﷺ أموالهم، وقتل من المسلمين واحد قتله أحد الأنصار بالخطأ .

❁ إرجافات المنافقين:

كان عبد الله بن أبي شديد الحنق على النبي ودينه، ولأنه كان يعدّ نفسه لزعامة المدينة وقيادتها قبل مجيء الاسلام، فكان يحس بعد تحول الناس الى الاسلام ان النبي ﷺ قد سلبه ملكه وان الاسلام قد أفقده زعامته. فكان حقه يظهر و يعكس على تصرفاته فكان يبين حقه على النبي رغم محاولاته لكتم نفاقه لكن كرهه للاسلام ونبيه كان اكبر من ان يكتبه.

كما كان من امره في معركة احد وعودته بثلاث الجيش لينال من همة المقاتلين وموقفه في غزوة بني النضير وتأميره معهم.
(وقوله لرسول الله ﷺ قبل ذلك حين كان النبي يتلو على المجتمعين القرآن: اجلس ببيتك ولا تغشنا في مجلسنا) (١)

وغير ذلك كثير مما أظهر هذا المنافق وما أخفاه اعظم.
وفي غزوة بني المصطلق خرج ابن أبيّ ومعه العديد من اهل النفاق مع الجيش الاسلامي، فبعد غزوة الاحزاب واستتباب الأمر للمسلمين صار خروج المنافقين به خطر أقل عليهم ومغرم سهل.
وكان الله تعالى ذكر خروج المنافقين للقتال مع المسلمين

(١) السيرة لابن هشام ٥٨٧/١.

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَابَكُمْ يَبْغُونَكُمْ

الْفِتْنَةَ ﴾ التوبة ٤٧ .

وهذا ما كان على ماء المريسيع في تلك الغزوة.

كان المسلمون يردون الماء بعد انتهاء الغزوة وكان بينهم أجير لعمر بن الخطاب يقال له جهجاه الغفاري الذي تدافع على الماء مع سنان بن وبر الجهني فاقتتلا وصرخ الجهني: يامعشر الأنصار ونادى الغفاري يا معشر المهاجرين، فسمع رسول الله ذلك فقال: أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فانها منتنة.

وبلغ ذلك ابن أبي فغضب وعنده رهط من قومه وقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما نحن وهم الا كما قال الأول: سمّن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل.. ثم أقبل على من حضره فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم^١

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال مُرْ بِهِ عَبَادَ بْنِ بَشْرٍ فليقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ

^١ السيرة لابن هشام ٢٩٠/٢

مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ لَا وَلَكِنَّ أَدْنَ بِالرَّجِيلِ وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُن رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا، فَارْتَحِلِ النَّاسَ. (١)

وقد مشى رسول الله بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى
أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا
ان وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً، فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث.
ويأتي رأس النفاق عبد الله بن أبي إلى رسول الله فيحلف ان الذي
بلغ رسول الله ليس من قوله ويقسم بأنه لم يقله... وينسى بن أبي بأن الله
يسمع ويرى وأنه سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
وينزل الوحي المبارك ينقل أصدق حديث:

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ

يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَّفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ المنافقون: ١.

وتمضي السورة الشريفة تروي عن المنافقين وتفضح ما أضمروا
حتى تصل الى قول الله عز وجل:

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا بِاللَّهِ

خَرَائِبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَّفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى

الْمَدِينَةِ لَنُخْرِجَنَّكَ أَوَّاعًا مِنَ الْمَدِينَةِ لَوِجَتِ لِأَعْيُنِنَا دُونُ اللَّهِ الْأُذَى وَاللَّهُ الْعِزَّةُ لِرَسُولِهِ. وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ

الْمُتَّفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ المنافقون.

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٢٩١.

وينكشف نفاق اهل النفاق وغدرهم فيتبرأ منهم وينفضّ عنهم من كانوا حولهم وحتى أقرب الناس اليهم فرابطة الايمان والحب في الله أكبر من أي رابطة سواها.

فهذا الصحابي عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان يُعرَفُ بشدة حبه لأبيه وبرّه به أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال:
يا رسول الله إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّكَ تَرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيِّ فِيمَا بَلَغَكَ عَنْهُ فَإِنِ كُنْتُ لَا بُدَّ فَبَاعِلًا فَمَرِنِي بِهِ فَأَنَا أَحْمِلُ إِلَيْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ نَتَرَقَّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا. (١)
وكان لموقف رسول الله المليء بالعفو والتجاوز والمسامحة أثره، فكان بن سلول بعدها كلما أحدث حدثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ويعرضون على النبي ﷺ ان يقتلوه والنبي يأبى ويصفح، وبعدها يسأل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ((كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي لأرعدت لي أنوف لو أمرتها اليوم لقتلته)) فقال عمر: قد . والله . علمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمري (٢)

❁ حديث الإفك:

(١) السيرة لبن هشام ٢ / ٢٩٣.

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع ص ٥٧٨ عن السيرة النبوية لأبي شهبة.

كما تبين جلياً حجم الكره والحقد الذي يحمله أهل النفاق على النبي ﷺ، وتحينهم الفرص لإيذائه فكانوا يترصدون ويتابعون عسى ان تسوق لهم الأقدار فرصة أو جزء من فرصة فهم سيستغلونها لآخرها. ثم حتى ان لم تسنح الفرصة فإن نفوسهم المليئة بالشر وعيونهم التي تتوهم القبح في كل ما تراه ستصور لهم ان كل ما حولهم يلفه السواد، فكانوا وكل شياطين الأرض تعينهم يسعون متربصين بالنبي ﷺ الذي حباه الله بكل خير ونور وبهاء ثم تعهد بحفظ نبيه، ولو كان في قلوبهم أدنى حد من الصفاء والهدى لذابت قلوبهم في حب النبي ﷺ بل ما كانوا يحسون بطعم الحياة الا قربه.

في اعقاب غزوة بني المصطلق تجاوز أهل النفاق كل حد للسوء والظلم وتجاوزوا على الصديقة بنت الصديق زوجة النبي ﷺ وعرضه ورَمَوْها بما برأها الله منه من فوق سماواته السبع.

حيث خرج رسول الله ﷺ بأَم المؤمنين عائشة معه الى غزوة بني المصطلق بقرعة اصابتها فقد كان يأخذ احدى ازواجه في كل غزوة. ولما رجعوا من الغزوة نزلوا ببعض المنازل قريبا من المدينة ليرتاحوا، فخرجت أم المؤمنين لقضاء حاجة لها خارج الجيش، وبعد ان عادت اكتشفت انها أضاعت عقداً استعارته من أختها وكانت تلبسه، فعادت الى الموضع الذي ذهبت اليه قبلاً تبحث فيه وقُربَه عن عقدها.

أذن المؤذن بالرحيل، وأم المؤمنين منشغلة بالبحث عن عقدها وهي مطمئنة ان القوم لا يغادرون بدونها، ويأتي نفر الذين يحملون هودجها ليضعوه على بعيرها فيظنوها داخل الهودج فيحملوه ويرتحلوا به بدون ان

يلحظوا خفته حيث انهم كانوا مجموعة من الرجال الاقوياء وام المؤمنين ما زالت فتية لم يعشاها اللحم فلم يشكل فارق الوزن فرقاً لديهم. وترجع ام المؤمنين الى منازلهم وقد وجدت عقدها فتجد القوم قد ارتحلوا فتجلس بمكانها وقد سلمت أمرها الى الله على أمل ان يتبينوا غيابها ويعودوا ليصحبوها، فتغلبها عيناها فتنام، ولا تصحوا الا على صوت صفوان بن المعطل السلمي (١):

انا لله وانا اليه راجعون، زوجة رسول الله ؟

وقد عرفها حين رآها فقد رآها قبل ذلك ولم تكن آية الحجاب قد نزلت بعد، فخمّرت وجهها بجلبابها ثم أناخ راحلته فركبت أم المؤمنين وانطلق يقود بها الراحلة حتى لحقوا بالجيش في نحر الظهيرة.

ووجد عبد الله بن أبي بن سلول متنفساً لأحقادهم، وأطلق كل ما بداخله من حقد ولؤم وخبث فتكلم بالإفك وأذاع به وراح يدور به بين أهل الشر الذين حدّثوا به وافاضوا، باعوا انفسهم للشيطان فلم يرعوا حرمة لرسول الله ﷺ، وبقدر ما قدّم لهم رسول الله ﷺ من الحب، حملوا اليه اساءة وأذى.

حتى اذا رجعوا الى المدينة اشاعوا الخبر وتناقلته أنفس استدرجها الشيطان وأركست في الفتنة.

ويصل الخبر لأسماع رسول الله فيعتريه الهم والحزن.
ويتعطل الوحي ورسول الله ﷺ ساكت يحتمل الأذى.

(١) صحابي جليل كان صاحب ناقة رسول الله في غزواته.

ويستشير رسول الله ﷺ المقربين من الصحابة، فيلمح له علي بن ابي طالب بأن يفارقها لأن النساء غيرها كثيرات، ويشير عليه اسامة بن زيد بأن يلزمها لأن الله سبحانه هو الذي زوج بهما.

ويعتلي رسول الله ﷺ المنبر يستندر من عبد الله بن أبيّ، فأظهر أسيد بن حضير سيد الأوس رغبته بقتله، وتأخذ سعد بن عبادة سيد الخزرج . وهي قبيلة أبي . الحميّة القبلية، فيجري بينهما كلام تتاور له الحيان، فيسكتهم رسول الله ﷺ ويسكت.

كل هذا وأم المؤمنين مريضة لا تعلم عن هذا الأمر شيئاً، وكل ما شغلها ان رسول الله ﷺ لم يعد يلاطفها ويعاملها برقة كسابق عهده وأحست ان رسول الله ﷺ ثمة ما يشغله.

بدأت أم المؤمنين تتشافي فخرجت وهي بفترة النقاهة الى الخلاء لتقضي حاجة وكانوا لا يخرجون الا ليلا، ومعها أم مسطح ابنة أبي رهم بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة، وكان مسطح من الذين وقعوا في إثم الافك فعثرت ام مسطح بمرطها وسقطت فقالت تعس مسطح، فقالت ام المؤمنين عائشة لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدر، فقالت لها أما علمت بما قال ؟ وتخيرها بقول أهل الإفك !!

وما ان رجعت الى دارها حتى استأذنت النبي ﷺ بالذهاب الى أهلها، وكانت تريد ان تستيقن من الخبر، ويأذن لها رسول الله ﷺ، وتذهب الى بيت أهلها فتسمع ما يهد الجبال، ويبلغ بها الحزن منتهاه ولم تلق غير الله تلجأ اليه والبكاء انيساً يقلل من حجم الألم والمعانات وتظل زوجة

النبي ﷺ والتي تربت بين البيت النبوي وبين بيت خليه الصديق والتي اختارها الله العليم زوجة لنبيه تظل بين حزن وبكاء والم، وتبكي ليلتين ويوم، وجاء رسول الله فتنهّد وقال: أما بعد يا عائشة، فانه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فإن العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب الله عليه.

حينئذ قلص دمعها وطلبت من أبويها ان يجيبا، فلم يدريا ما يقولان، فقالت: والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم اني بريئة . والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر . والله يعلم اني منه بريئة . لتصدقني والله ما اجد لكم مثالا الا قول ابي يوسف

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِيهِ يَدْمِرُ كَذِبًا قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۝

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ يوسف ١٨ .

ثم تحولت واضطجعت ونزل الوحي ساعته فسرى عن رسول الله وهو يضحك، فكانت اول كلمة تكلم بها: ((يا عائشة أما والله فقد برأك)) فقالت لها امها قومي اليه... فقالت عائشة . إدلالا ببراءة ساحتها، وثقة بمحبة رسول الله ﷺ لها: والله لا اقوم اليه، ولا احمد الا الله.

وكان الذي انزله الله سبحانه وتعالى في سورة النور:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَبْرٌ لَّكُم لِكُلِّ

أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ تَوَلَّى إِذْ

سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى إِذْ جَاءُوا

عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءٍ فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ بِأَمْرٍ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴿النور.

وهكذا نزلت براءة زوج النبي ﷺ وباء اعداء الله بالاثم (١)

(١) انظر السيرة لابن هشام ٢ / ٢٩٧-٣٠٣.

❁ وقعة الحديبية والفتح المبين:

التغييرات التي شهدتها الساحة العسكرية في الجزيرة العربية وتغير ميزان القوى فيها كانت تباشير ومؤشرات لحدوث تغيير على الساحة السياسية.

وربما كان ذلك التغيير تمهيدا للفتح الكبير او ايذانا ببدء مرحلة الانتشار الأوسع للإسلام.

في يوم الاثنين من ذي القعدة خرج رسول الله ﷺ بألف وأربعمائة من صحبه متوجها إلى مكة معتمرا وقد ساق الهدى واعتمر والصحابة وهُم في الطريق ليعلم أهل مكة أنه ﷺ جاء لزيارة البيت الحرام معظما لشعائر الله ولم يجيء محاربا¹

وسبب العمرة أن رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه دخل وأصحابه المسجد الحرام فطافوا واعتمروا محلقين مقصرين وقد ساقوا الهدى فرح الصحابة الذين كانت أرواحهم تطير شوقا إلى مكة التي حرموا زيارتها والتي فيها المال والأهل والاحباب، اضافة لكون مكة ملتقى قلوب المسلمين، تحن كل القلوب لزيارتها وهي بعد ليست ملكاً لقريش بقدر ماهي تراث أبيهم اسماعيل النبي.

وتمضي جموع المعتمرين يحدوهم شوقهم وفرحهم وقد أحرموا وقلدوا الهدى وأشعروا.

¹ السيرة لابن هشام ٣٠٧/٢

وكان رسول الله في رحلة العمرة كعادته يأخذ بالحيطه ويخطط للأمر ويأخذ بالاسباب، (فأرسل بشر بن سفيان الخزاعي عيناً له يسير امامهم ودعا عباد بن بشر فقَدّمه طليعة في خيل المسلمين عشرين فارساً وكان فيها رجال من المهاجرين والانصار، وكان ذلك استعداداً للطواريء واستكشافاً للطريق.

وأخذاً بمشورة عمر بن الخطاب حين قال يا رسول الله تدخل على قوم هم لك حرب بغير سلاح ولا كراع ؟

فأرسل رسول الله الى المدينة من يحمل اليه السلاح والكراع. وفي هذا هدي شريف للأمة للأخذ بالاسباب والاعداد لكل حالة^(١) ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال:

يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل (الاطفال والنساء وتلك كناية عن خروج الجميع لحربه) قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وهذا خالد بن الوليد في خيلهم وقد قدموها إلى كراع الغميم قدموا مائتي فارس عليها خالد بن الوليد و عكرمة بن أبي جهل^(٢)

ودنا خالد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم في

(١) انظر السيرة النبوية عرض وقائع ص ٦٥٨.

^٢ السيرة لابن هشام ٣٠٩/٢

خيله فقام بازائه وصف أصحابه وحانت صلاة الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يا ويح قريش أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة))^١

ثم قال ((من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها))

قال رجل من اسلم أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرا أجذل بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس:

((قولوا نستغفر الله ونتوب إليه فقالوا ذلك فقال والله إنها للحطة

التي عرضت على بنى إسرائيل فلم يقولوها))^(٢)

ثم سلك رسول الله ﷺ والمسلمون طريقا تخرجهم إلى ثنية

المرار مهبط الحديبية أسفل مكة، بخفة ودون أن يشعر بهم الكفار، إلا وهم في الحديبية قرب مكة.

^١ مسند الامام احمد ٢٢٣/٤ برقم ١٨٩٣٠

(٢) عيون الأثر ٢ / ١١٤ . ١١٥ .

قال للناس انزلوا قيل له يا رسول الله، ما بالوادي ماء نزل عليه وشكوا الى رسول الله ﷺ شدة عطشهم وجذب الوادي حولهم الا من آبار جفت وعلاها الرمل.

(فأخرج ﷺ سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل في قلب من تلك القلب فغرز في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن (كناية عن كثرة الماء واسراف القوم باستعماله) (١) وقيل ان الذي أنزل في القلب (البئر الفارغة) ناجية بن جندب سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢

كان التفاف الرسول ﷺ وصحابته حول جيش العدو حركة مباغطة فما شعر خالد ومن معه وهم بانتظار الرسول ﷺ وصحبه الا وغبار الركب المحمدي خلفهم بأسفل الحديبية فلم يملك خالد ومن معه الا ان يعودوا الى قريش يخبروها بما استجد.

والواضح هنا ان التصرف النبوي كان بمنتهى الحكمة فقد جئب من معه الدخول في القتال وأوضح لكل قبائل العرب التي كانت تنقل اليها الأخبار بأنهم جاءوا معتمرين متعبدين ولم يجيئوا لقتال. وكان الأمر ينم عن شجاعة بالغة فالمسلمون لم يتراجعوا عند سماعهم بخروج قريش اليهم بل تقدموا بذكاء حتى أصبحوا أقرب لقلب العدو ومركز حكمه وتجمعه.

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٣١١.

٢ الطبقات ٩٦/٢

حاول رسول الله ﷺ جاهدا أن يجعل قريش تترك بأنه لا يريد حربا بل جاء لزيارة البيت الحرام وهو حق للجميع، والمسلمون من ضمنهم، وسارت بذلك الأخبار بين العرب، ثم ان الرسول ومن معه فاجأوا قريشاً بالنزول قرب مكة مما افقد قريش خياراتها واضطرها ان تلجأ للتفاوض وان تستعمل مع رسول الله لغة تفاهم جديدة وليس السلاح^١

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذي جاء به فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا وإنما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمة^٢

فرجعوا إلى قريش فقالوا يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد إن محمدا لم يأت لقتال إنما جاء زائرا لهذا البيت فغضبت قريش لموقفهم المحايد وقالوا إن كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدّث بذلك عنا العرب وكانت خزاعة عيبة رسول الله ﷺ مسلمها ومشركها لا يخفون عليه شيئا كان بمكة (والعبية أي ناصحون له وموضع سره)^٣

ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الاخيف أخا بنى عامر فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال هذا الرجل غادر فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ

^١ السيرة لابن هشام ٣١٢/٢

^٢ الطبقات ٥٩٤/١

^٣ الطبقات ٩٦/٢

وكلمه قال له رسول الله ﷺ مثل ما قال لبديل وأصحابه، فرجع إلى قريش وأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ. ^١

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة بن ريان وكان يومئذ سيد الاحابيش وهو أحد بنى الحرث بن عبد مناة ابن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدى يسير إليه من عرض الوادي بقلائه قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاما لما رأى ^٢ فقال لهم ذلك وان محمدا جاء معتمرا ومعه الهدى، فقالوا له اجلس فانما أنت أعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم ؟ تصدون عن بيت الله من جاءه معظما، والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لأنفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد.

ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي.

فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال يا محمد: أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لنقضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمرور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا. ^٣

^١ السيرة لابن كثير ٣/ ٣١٦ و الطبقات ١/ ٦٠٠

^٢ الطبقات ٢/ ٩٦

^٣ السيرة لابن كثير ٣/ ٣١٧ و الطبقات ١/ ٥٩٤

وكان أبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعداً فقال: امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه! قال من هذا يا محمد؟ قال هذا ابن ابي قحافة، قال أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها قال ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد. فجعل يضرب يده بسيفه وهو بغمده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك، فيقول عروة: ويحك ما أفضك وما أغظك، فتبسم رسول الله ﷺ فقال له عروة من هذا يا محمد؟ قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، فكلمه رسول الله ﷺ نحو ما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شئ إلا أخذوه^١

فرجع مفتوناً بمحبة الصحابة لرسول الله ﷺ والتفافهم حوله وتعلقهم به فقال يا معشر قريش إني جننت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبداً فرّوا رأيكم.

وخلال المفاوضات تسلل سبعون أو ثمانون شاباً من قريش طامحون إلى الحرب هبطوا من جبل التنعيم ودخلوا معسكر المسلمين ليلاً ليضربوا ويقتلوا، ويُفشلوا المفاوضات، إلا إن محمد بن سلمة قائد حرس

^١ الطبقات ١/٥٩٥

المسلمين اعتقلهم جميعاً. ورغبة في الصلح أطلق سراحهم النبي ﷺ وعفا عنهم مما أربع قريش، وأفضل محاولات إنهاء المفاوضات.^١

وبعدها اراد رسول الله ان يوفد الى قريش من يخبرهم انه جاء معتمراً ولم يأت لحربهم. فدعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ففعلوا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم^٢

وأوفد رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ﷺ سفيرا إلى أبي سفيان واشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وانه لم يأت إلا زائراً لهذا البيت ومعظما لحرمة ويدعوهم للإسلام، وأمره ان يذهب بمكة على رجال مؤمنين ونساء مؤمنات فيبشروهم بالفتح ويقرب ظهور الإسلام بمكة حتى لا يخفي أحد إيمانه فخرج عثمان بن عفان إلى مكة^٣

فلقية أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فجعله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به.

فقال لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم قال له ابو سفيان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف.

^١ السيرة لابن كثير ٣/٣١٨ و الطبقات ١/٥٩٩

^٢ الطبقات ١/٦٠٠

^٣ السيرة لابن كثير ٣/٣١٨ و الطبقات ١/٦٠٠

قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ فاحتبسته قريش
وطال بقائه عندهم، وبدأ الفلق يسري بين المسلمين على عثمان لتأخره.
ويأتي خبر الى رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل.

ويسري الحزن والغضب بين الجميع ويقول رسول الله ﷺ حين بلغه
أن عثمان قد قتل لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى
البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول
إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر^١

❁ بيعة الرضوان:

(وتأخر عثمان ﷺ عند قريش وأبطأ على المسلمين فشاع بينهم انه
قتل، فقال رسول الله ﷺ: لا نبرح حتى نناجز القوم، ثم دعا أصحابه إلى
البيعة وهو جالس تحت الشجرة فبايعوه على عدم الفرار).^(٢)
(كما ورد عن سلمة بن الأكوع بإسناد صحيح أنهم بايعوه على
الموت)^(٣)

والظاهر ان البيعة كانت على عدم الفرار وهناك من بايع على
الموت في سبيل الله... والله اعلم.

ثم إن النبي ﷺ قال بيده اليمنى (هذه عن عثمان)
فضرب بها يده الأخرى.

^١ السيرة لابن كثير ٣/٣١٩

(٢) مسلم باب استحباب مبايعة الإمام ٣/١٤٨٣ برقم ١٨٥٦ .

(٣) أخبار مكة ٥/٧٤ برقم ٢٨٦٦ .

وكان أول من بايع أبو سنان الأسدي، وبايعه بن الأكوح رضي الله عنه على الموت ثلاث مرات في أول الناس ووسطهم وآخرهم.

وهذه هي بيعة الرضوان التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم،

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي

قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ الفتح.

وورد الثناء على أصحابها في السنة المطهرة كما في حديث جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله يوم الحديبية (أنتم اليوم خير أهل الأرض) وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر لأريتم موضع الشجرة. (١) كما إن جابر بن عبد الله قال أخبرتني أم مبشر تقول أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة:

(لا يدخل النار، إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها) (٢)

❁ صُلْح الحديبية الفتح المبين:

شعرت قريش بعد أن سمعت ببيعة الرضوان وتصميم الرسول صلى الله عليه وسلم على القتال، بحراجة موقفها، فأوفدت سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي في نفر من رجالهم لمفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أنت محمدنا وصالحه ولا

(١) مسلم ١٤٨٣/٣ برقم ١٨٥٦ وأخبار مكة ٧٦/٥ برقم ٢٨٧٢.

(٢) مسلم باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ١٩٤٢/٤ برقم ٢٤٩٦

يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا.

فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال ((قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل)) فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتجاوزا ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الامر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال له يا أبا بكر أليس رسول الله قال بلى قال أو لسنا بالمسلمين قال بلى قال أو ليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال أبو بكر يا عمر الزم غرزه (المقصود الالتزام به وعدم مخالفته) فاني أشهد أنه رسول الله ﷺ قال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله ثم أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أأنت برسول الله قال بلى قال أو لسنا بالمسلمين قال بلى قال أو ليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا^١

قال أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني قال فكان عمر يقول ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيرا.

وبعد التباحث توصل الجانبان إلى اتفاق صلح من بنوده:

(أن يرجع رسول الله ﷺ من عامه فلا يدخل مكة فإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا فيها ثلاثا، وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن

^١ السيرة لابن كثير ٣ / ٣٢٠

يدخل في عقد قريش وعهدا دخل، من أتى محمد من قريش يرد إليها
ومن جاء قريش ممن مع محمد لا يرد إليه،^(١)

(ودعا علي بن أبي طالب ﷺ ليكتب الكتاب فأملى عليه رسول
الله ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل بن عمرو أما الرحمن فوالله لا
ندري ما هو ولكن أكتب باسمك اللهم فأمر النبي ﷺ علياً ﷺ بذلك)^(٢)

ثم أملى (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله) فقال سهيل لا
تكتب محمد رسول الله لو كنت رسولا لم نقاتك، فقال لعلي أمحه (يمحو
لفظ رسول الله) فقال ما أنا بالذي أمحاه فمحا رسول الله ﷺ بيده)^(٣)
ولما تم الصلح دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو
بكر في عهد قريش.

ان اي استقراء ومقارنة بين هذه الجموع الاسلامية من المهاجرين الى الله
مع أهل بدر نلاحظ ارتفاع عدد المهاجرين ارتفاعاً كبيراً وبشكل متسارع
وهذا الارتفاع الهائل في عدد المهاجرين من ثلاثة وثمانين في بدر إلى
ثمانمائة، كان معظمه من القبائل العربية المجاورة وهي قبائل صغيرة، لكن
شبابها كانوا يفدون إلى المدينة ينضون تحت لواء رسول الله ﷺ ويتلقون
التربية الخالصة اليومية في المسجد، والتربية العملية في المعارك

(١) أنظر السيرة لابن هشام ٢٠٣/٢

(٢) أنظر البخاري باب الشروط في الجهاد والمصالحة ٩٧٧/٢ برقم ٢٥٨١.

وصحيح بن حبان ٢١٤/١١ برقم ٤٨٧٠ .

(٣) البخاري باب كيف تكتب هذا ما صالح عليه ٩٥٩/٢ برقم ٢٥٥١.

وصحيح بن حبان ٢١٤/١١ برقم ٤٨٦٩ .

والغزوات، ويتفقهون بدينهم مباشرة من رسول الله ﷺ وينشأون في ظلال القدوة العليا من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ﷺ، وينقلون ذلك إلى قبائلهم التي نالت شرفا على القبائل التي تخاذلت في الانضمام للإسلام، فقبيلة أسلم وغفار من القبائل التي حظيت بهذا الشرف .
(ويعود الفضل بذلك بعد الله إلى الرعيل الأول واللبنات الأولى التي انضمت إلى الدعوة وساهمت بنقل النور إلى أهلها، فأبو ذر الغفاري كان من السابقين بإسلامه، ومضى داعيا في قومه حتى جاءه سبعون بيتا من غفار يؤم بهم المدينة بعد أحد، و بريدة بن الحصيب الأسلمي الذي التقى رسول الله ﷺ قبل دخوله المدينة فأسلم وأسلم معه سبعون من قومه)^(١).

(١) أنظر السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ٦٧٢ .

رد أبي جندل:

حين كان سهيل بن عمرو يفاوض في الحديبية، جاء ابن سهيل (ابو جندل بن سهيل بن عمرو) الذي شرح الله قلبه للإيمان فأسلم، جاء مكبلا بالأغلال فاراً من المشركين بمكة بعد ان حبسوه وآذوه وعذبوه وارادوا ان يفتنوه بدينه ثم انه تمكن من الفرار وتحمل مشقة الطريق وكان أمله ان يبلغ المدينة عاصمة الايمان، وهما هو يصل الى اخوانه في الله حيث الأمان، فلما رأى سهيل ابنه أبي جندل قام وأخذه بتلابيبه وقال يا محمد لقد فرغنا من التفاوض قبل أن يأتي هذا فقال له رسول الله ﷺ صدقت، فقال أبو جندل يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فرده النبي ﷺ وقال له (إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهدا، وأنا لا نغدر بهم) ثم قال موسيا ومبشرا بقرب الفرج (يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا) (١)

وفي هذا دلالة على مقدار تمسك النبي ﷺ بالوفاء بالعهد والمواثيق وحرص المسلمين على فضيلة الوفاء رغم مرارة الموقف خصوصا وهم يرون أخاهم في العقيدة يسحب مهانا موثقا بالأغلال، إلا أنهم صبروا وصبر أبو جندل واحتسبوا لله.

(١) تاريخ الطبري ١٢٣/٢ والسيرة لابن هشام ٢٨٧/٤ .

❁ التحلل من العمرة: ولما فرغ رسول الله ﷺ من كتابة الصلح قال لأصحابه (قوموا فانحروا ثم احلقوا)

(فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تتحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما)^(١)

وهكذا أنقذت أم المؤمنين أم سلمة جمع المسلمين من مخالفة أمر رسول الله ﷺ وأنقذتهم من الهلاك بحسن مشورتها وجميل رأيها.

❁ المعاهدة بين النصر والهزيمة:

إن القراءة المتأنية لبنود وفقرات الصلح تبين أنها كانت فتحا ونصرا كبيرا للدبلوماسية المسلمة وفاتحة لانتصارات لاحقة ستقود لنشر الدعوة وبشكل علمي وبتخطيط دقيق.

فالمعاهدة اعتراف ضمني من قريش بقوة المسلمين وشرعية دعوتهم بعد أن كانت تعتبرهم صابئين تسعى للقضاء عليهم، كما إن هدف النبي ﷺ إيصال الدعوة إلى الناس وشرح العقيدة لهم وبعدها فليؤمن منهم من

(١) البخاري باب الشروط في الجهاد والمصالحة ٩٧٨/٢ برقم ٢٥٨١.

وسنن البيهقي الكبرى ٢١٥/٥ برقم ٩٨٥٦.

شاء وليكفر من شاء والمعاهدة تكفل للمسلمين حرية الدعوة والتحالف بعيدا عن مضايقات قريش، ثم أن المعاهدة تتيح لمن شاء من قبائل العرب الدخول في الإسلام وهذا تنازل من قريش عن زعامتها لقبائل العرب.

وبالنسبة للبند الداعي إلى الهدنة عشر سنوات فالمسلمون لم يكونوا دعاة حرب وما كانت دورياتهم والغزوات سوى محاولات لدفع الخطر عن أنفسهم أو تأديب من اعتدى عليهم، أما إرجاع المسلمين عن المسجد الحرام فهو لا يعدو أن يكون نجاحا إعلاميا لحفظ ماء الوجه لقريش لأنه لا يعدو عن كونه تأخيرا لعمرة المسلمين ليس إلا، حيث من حقهم أن يعتمروا متى شاءوا بعد انقضاء ذلك العام، و أما ما يتعلق بعدم إرجاع من فرّ من المسلمين والتجأ إلى قريش فهذا أمر غير ذي بال للمسلمين لأن من يفر من دولة الإسلام مرتد، ولا حاجة للإسلام بالمرتد أو المنافق، ومن أسلم من أهل مكة فليس ملزما أن يلجأ إلى المدينة فأرض الله واسعة ويستطيع المؤمن الفرار بدينه حيث شاء ثم أن هذا البند أصبح وبالأعلى قريش وبانت ترجو إلغائه.

وعلى أرض الواقع نلمس النجاح الكبير في الدعوة إلى الله حيث أن المسلمين وقت المعاهدة كانوا ثلاثة آلاف بينما أصبح الجيش الإسلامي الذي فتح مكة بعد سنتين عشرة آلاف مقاتل. وفوق كل هذا فان الله ﷻ سماها فتحا مبينا.

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ الفتح.

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ

عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ الفتح.

كما ان الله سبحانه وتعالى اختتم السورة الشريفة بمدح الرسول ﷺ

وأصحابه الكرام

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ

بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ

رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ ۖ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَٰلِكَ

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَهُ فَاسْتَفْظَ فَاسْتَوَىٰ ۗ عَلَىٰ

سُوقِهِ ۖ يُعْجَبُ الزَّرْعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ

مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ الفتح.

أضف إلى ذلك إن هذا الصلح أزال الخطر الأكبر عن المسلمين

وأمكنهم أن يتفرغوا للخطرين الآخرين: اليهود، وقبائل نجد من غطفان

والأعراب.

﴿التفريغ عن المستضعفين:﴾

لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة واطمأن بها، انفلت رجل من

المسلمين ممن كان يعذب في مكة وهو أبو بصير رجل من ثقيف حليف

لقريش فأرسلوا في طلبه رجلين وقالوا للنبي ﷺ العهد الذي جعلت لنا فدفعه

النبي ﷺ إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر

لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل انه لجيد لقد جريت به ثم جريت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه حتى برد (مات) وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يدعو فقال رسول الله ﷺ حين رآه (لقد رأى هذا ذعراً) فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل صاحبي واني لمقتول، فجاء أبو بصير وقال يا نبي الله قد والله أوفى الله نمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم قال رسول الله ﷺ (ويل أمه، مسعر حرب لو كان له أحد) فلما سمع ذلك عرف انه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، وبنفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فو الله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تتاشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل إليهم النبي ﷺ فقدموا المدينة. (١)

وهكذا رجعت قريش عن شرطها وتنازلت بل ناشدت النبي ﷺ أن يقبل من ترك قريش وهو مسلم وتوجه إلى دولة الإسلام ولم تعد تطالب برده.

وكان هذا الصلح قد أشر لبداية طور جديد وعهد جديد من العمل لنشر الدعوة والتفرغ للتبليغ .

(١) البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة ٩٧٩/٢ برقم ٢٥٨١

وسنن البيهقي ١٢٥/٢ .

وكان من طبيعة هذا الصلح ان غير موازين القوى وقوانين الصراع مما انعكس على ايمان الناس ومدى قبولهم بالدين الجديد .

كوكبة من ابطال قريش تلتحق بصف المؤمنين وبجيش المجاهدين فهذا خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة يتطهرون بالايمان ويسمون بالتوحيد ليجدوا راحة ارواحهم في دنيا الصفاء والنور تحت راية لا اله الا الله محمد رسول الله واضعين سيوفهم وارواحهم في خدمة الإسلام .

❁ امتناع النبي ﷺ عن رد المهاجرات:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۗ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانَيْتُمُوهُنَّ بِجُورِهِنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُواذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الممتحنة (١٠).

خرجت مجموعة من النسوة المسلمات من مكة وجئن مهاجرات الى الله ورسوله في مقدمتهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بعد صلح الحديبية.

وقد أبى المسلمون ردهن لأن معاهدة الحديبية كانت تتحدث عن الرجال ولأن النساء مستضعفات وليس من النخوة ان يتم ردهن الى العذاب والإساءة والفتنة.

❁ مكاتبة النبي ﷺ للملوك والأمراء:

كالنجاشي ملك الحبشة، وقيصر ملك الروم والمقوقس ملك الإسكندرية، وكسرى ملك فارس، والحارث الغساني أمير دمشق، وأمير بصرى، و هوذه بن علي صاحب اليمامة، و جيفر و أخيه عبد ابني الجلندي ملكي عمان، والمنذر بن ساوى حاكم البحرين.

وقد بعث رسول الله رسلا من أصحابه يكتب منه إلى الملوك والحكام يدعوهم إلى الاسلام بالهنسى، امثالاً لامر الله الذى بعثه إلى الناس كافة.

وقد أرسل المصطفى صلى الله عليه وسلم :
(دحية بن خليفة الكلبي) إلى قيصر ، امبراطور الروم .
و (عبدالله بن حذافة السهمي) إلى كسرى فارس .
(عمرو بن أمية الضمري) إلى نجاشي الحبشة .
و (حاطب بن أبي بلتعة) إلى المقوقس عظيم القبط .
و (عمرو بن العاص) إلى ملكي عمان .
و (سليط بن عمرو) إلى ملكي اليمامة .
و (العلاء بن الحضرمي) إلى المنذر العبدي ملك البحرين .
و (شجاع بن وهب الاسدي) إلى الحارث الغساني بالشام .
و (المهاجر بن أبي أمية المخزومي) إلى الحارث بن عبد كلال
الحميري ملك اليمن .

وكان ﷺ اتخذ خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله، محمد سطر،
ورسول سطر والله سطر، وهذه صفته:

الله

رسول

محمد

وكان النبي ﷺ قد بعث كتاباً إلى أمير بصرى مع الحارث بن عمير
الأزدي ، فلما بلغ مؤتة (جنوب الأردن) تعرض له شرحبيل بن
عمرو الغساني . وكان عاملاً على البقاء من أرض الشام من قبل قيصر .
فأوثقه رباطاً ثم قتله، ولم يُقتل للنبي ﷺ رسولا غيره. وقد حزن النبي ﷺ
حزناً شديداً... وقاد هذا الأمر لاحقاً إلى معركة مؤتة.

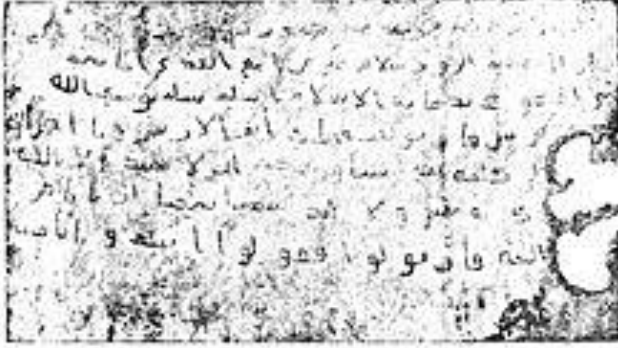
نسخ من كتب ورسائل النبي الى الملوك والأمراء

❁ كتاب الرسول ﷺ الى النجاشي:

هذا كتاب من محمد النبي الى النجاشي الاصح عظيم الحبشة
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله،
وادعوك بدعاية الاسلام فإني انا رسول الله فأسلم تسلم.

﴿ قَدْ يَا هَلْ أَلِكَنْبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤) آل عمران: ٦٤.
فإن أبيت فإن عليك اثم النصارى من قومك.

كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل



❁ رسالة النبي ﷺ إلى هرقل.

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتكَ اللهُ أجرَكَ مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤)

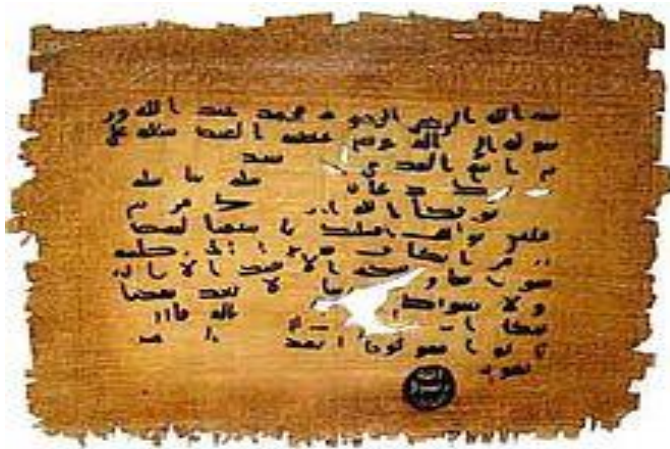
واختار لحمل الكتاب دحية بن خليفة الكعبي، وأمره ان يدفعه الى عظيم بصرى ليدفعه الى قيصر.

❁ كتاب الرسول ﷺ إلى كسرى فارس

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى،

وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
 وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى
 الناس كافة، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم،
 فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك".

واختار لحمل هذا الكتاب عبد الله بن حذافة السهمي، فلما قرئ
 الكتاب على كسرى مزقه، وقال: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي،
 ولما بلغ ذلك رسول الله قال: **مزق الله ملكه**، وكان كما قال، فقد



مات كسرى بعد فترة من الزمن و تمزق ملكه.

❁ كتاب الرسول ﷺ إلى المقوقس

رسالة النبي محمد ﷺ إلى المقوقس.

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله

ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد
فإني أدعوك بدعوة الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت
فإن عليك إثم أهل القبط

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤)

وتقول الرواية: إن المقوقس لما قرأ الكتاب سأل حامله حاطب بن
أبي بلتعة: ما منع صاحبك إن كان نبيا أن يدعو على من أخرجوه من
بلده فيسلط الله عليهم السوء؟ فقال حاطب: وما منع عيسى أن يدعو على
أولئك الذين تآمروا عليه ليقتلوه فيسلط الله عليهم ما يستحقون؟
فقال المقوقس: أنت حكيم، جنئت من عند حكيم.

❁ كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى



رسالة النبي ﷺ صلى الله عليه و سلم للمنذر بن ساوى. في الأعلى المخطوطة الأصلية، الأسفل أحرف الطباعة الحديثة لكتابة نفس المخطوطة.

توجه صاحب الرسالة العلاء بن الحضرمي لإيصال كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم للبحرين والذي كان حاكمها المنذر بن ساوى التميمي وكان نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. أما بعد فإنني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، ومن يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني،

ومن ينصح لهم فقد نصح لي، وإنّ رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإنّي قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم، وإنك مهما تصلح، فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية"

❁ كتاب رسول الله الى هوزة بن علي صاحب اليمامة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى هوزة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم، وأجعل لك ماتحت يديك.

واختار لحمل هذا الكتاب سليط بن عمرو العامري.

❁ الكتاب الى ملك عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى، اما بعد، فإنني ادعوكما بدعاية الاسلام، أسلما تسلما، فاني رسول الله الى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فإنكما ان اقررتما بالاسلام ولينكما، وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما.

واختار لحمل الكتاب عمرو بن العاص

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى الحارث ابن ابي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدق، واني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك.

واختار لحمل هذا الكتاب شجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة

❁ و نزلت هذا العام آيات قرآنيه حرّمت الخمر حرمة قاطعة، وحرّمت المسلمات على أزواجهن المشركين، وتحريم الشركات من غير أهل الكتاب على أزواجهن المسلمين، وشرّعت صلاة الخوف. ونزل فيها فرض الحج.

السنة السابعة للهجرة:

❁ غزوة خيبر:

وخيبر مدينة كبيرة تبعد (١٧١) كيلو مترا شمالي المدينة وهي عبارة عن شطرين شطر به خمسة حصون، الحصون الثلاثة الأولى منها تقع في منطقة يقال لها (النطاة) والحصنان الآخران يقعان في منطقة تسمى (الشق)، والشطر الآخر فيه ثلاثة حصون ويدعى الكتيبة، وهذه الحصون منيعة وقسم منها على مرتفعات يصعب الوصول إليها، إضافة إلى حصون أخرى وقلاع صغيرة منفصل بعضها عن بعض، ولخيبر بساتين ومزارع.

﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ
وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ
أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الفتح.

لم يحتك يهود خيبر بالمسلمين ولم يتبين عدائهم الا بعد جلاء اليهود من بني النضير الذي حملوا احقادهم معهم الى خيبر والمهم لإجلانهم من المدينة، لذلك جرّوا خيبر وأهلها الى صراعهم مع المسلمين. وكان دور يهود خيبر في غزوة الاحزاب مؤثراً وعلى رأسهم زعماء بني النضير الذين استعملوا اموالهم وخيرات خيبر في التجهيز والتحشيد لقتال المسلمين ثم دورهم في اقناع قريظة لغدر المسلمين وطعنهم بظهورهم مما جعل خيبر مصدر خطر على الدعوة الاسلامية وعلى المدينة مما يستلزم موقفا قويا لكف اذاها وازالة خطرها.

كما أنهم وضعوا خطة أفضلها الله سبحانه وتعالى لاغتيال النبي ﷺ . فصارت خيبر وكر دسّ وتآمر على الإسلام والمسلمين، وبؤرة استفزاز وإثارة مشاكل وأخطار على الدولة الإسلامية النامية. وبعد أن تأمّن جانب قريش، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه فسار إليها ﷺ في شهر محرم، بألف وأربعمائة مقاتل.

(وفي الطريق إلى خيبر نزل ﷺ بجيشه بوادي بين خيبر وغطفان ليحول بينهم وأن يمدوا أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ، وتهيات غطفان وتوجهوا إلى خيبر، لإمداد اليهود، فلما كانوا ببعض

الطريق سمعوا من خلفهم حسا ولغطا، فظنوا أن المسلمين أغاروا على أهاليهم وأموالهم فرجعوا، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وخيبر (١)

كان للنبي ﷺ عينا يسبق جيش المسلمين يستطلع الطريق خوفا من كمائن العدو ويجمع من أخبار العدو ليوصلها الى رسول الله ﷺ، وقد انطلق الدليل بالجيش النبوي ليحاصرها ويدخلها من جهة الشمال . من جهة الشام . ليحول بين خيبر وبين امدادات حليفتها غطفان أولاً وليمنع هروب اليهود الى الشام ثانياً.

وسار الجيش حتى صار ليلا على مقربة من خيبر فباتوا ولم تشعر بهم اليهود، وكان النبي ﷺ إذا أتى قوما بليل لم يقربهم حتى يصبح فلما أصبح صلى الفجر بغلس، وركب المسلمون، فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكائهم، ولا يشعرون بالمسلمين بل خرجوا لأرضهم فلما رأوا الجيش قالوا: محمد، والله محمد والخميس (الجيش) ثم رجعوا هاربين إلى مدينتهم، فقال النبي ﷺ (خربت خيبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) (٢)

ولما أشرف رسول الله ﷺ والجيش على خيبر قال لاصحابه قفوا ثم قال:

اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقلن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فاننا نسألك من خير هذه

(١) البداية والنهاية ص ٢٥١، ٢٥٢ .

(٢) البخاري باب غزوة خيبر ١٥٣٨/٤ برقم ٣٩٦١ .

القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله قال وكان يقولها لكل قرية دخلها (١)

ولما كانت ليلة الدخول قال: (لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا إلى رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها فقال (أين علي بن أبي طالب) فقالوا: يا رسول الله هو يشتكي عينيه، قال (فأرسلوا إليه) فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرئ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية، فقال: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال: (أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) (٢) وقد دعاهم الإمام علي ﷺ إلى الإسلام فرفضوا وكانوا متهيئين للقتال، فقاتلهم المسلمون بضراوة، وكلما فتح الله لهم حصنا فرّ اليهود وتحصنوا بالذي بعده، وقاتل المسلمون على ما بهم من تعب وجوع وكانوا يغتمون الذي بالحصون، ويتقدمون فيحاصروا الحصن الذي يلي أياما حتى يسقط، وهكذا تباعا، وكان في بعض الوقت قد فعل الجوع فعله بالمسلمين فيلجأون إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه الجوع.

(١) عيون الأثر ٢/١٣٤.

(٢) البخاري باب غزوة خيبر ٤/١٥٤٢ برقم ٣٩٧٣ .

(أتى بنى سهم من أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله والله لقد جهدنا وما بأيدينا من شئ فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه فقال:

اللهم إنك قد عرفت حالهم وإن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي ما أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعاماً وودكاً (الدسم والدهن الذي مع اللحم) منه فغدا الناس ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخبير حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه^(١). وكان أول حصن فتحه الله للمسلمين من حصون خيبر كان حصن ناعم وهو خط الدفاع الأول لليهود الذي تهاوى بعد قتل ملكهم مرحب والذي كان يعادل ألف مقاتل حيث كان يختال ويرتجز:

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فينبري له الأسد علي بن أبي طالب فييارزه ويقتله وهو يرتجز:
أنا الذي سمتني أمي حيدر كليث غابات كرية المنظره
أوفيهم بالصاغ كيل السندره

وتذكر المصادر ان القتال حول هذا الحصن كان شديداً واستمر أياماً.

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٣٣٢.

وبعد ان انهزم اليهود امام المسلمين انسحبوا الى حصن الصعب بن معاذ وتركوا حصن الناعم غنيمة للمسلمين.

ثم كان حصن الصعب خط اليهود الثاني والذي لجأوا اليه فحاصره المسلمون ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث دعى رسول الله ﷺ بفتح الحصن بعد ان اشتكى اليه المسلمون جوعهم وكما تقدم فاستجاب الله دعاء نبيه وفتح لهم الحصن فغنموا مافيه.

وانتقل اليهود الى قلعة الزبير وهي قلعة منيعة على تلة يصعب على الخيل الصعود اليها، وقد فتحت بعد حصارها لثلاثة أيام وقتال دامي اظطر اليهود ان ينتقلوا بقواتهم وسلاحهم الى قلعة أبي.

ويطلب أحد اليهود من قلعة أبي المبارزة فينبى له البطل أبو دجانة فيقتله ويسرع الى اقتحام القلعة ومعه المسلمون، ويحتم القتال شديدا داخل القلعة فيظطر اليهود الى التسلل تاركين القلعة متجهين الى حصن النزار الذي يشعر اليهود انه أمنع حصونهم فكانوا استبقوا نساءهم واطفالهم فيه، وكان حصناً منيعاً.

كان هذا الحصن على قمة جبل مرتفع لا سبيل للوصول اليه لارتفاعه ولكون اليهود كانوا يرمون المهاجمين بالنبل والحجارة فيعيقون تقدمهم.

ويرجع المسلمون الى رسول الله ﷺ الذي يوجه باستعمال المنجنيق الذي غنموا من الحصون المفتوحة، ويعمل المنجنيق عمله ويحطم الجدران ويحطم معها معنويات الجند من اليهود، ويقتحمون الحصن ويقع

قتال مريز ينهزم إثره اليهود هزيمة منكرة ولم يكن من سبيل لأكثرهم للهرب من الحصن.

ويسقوط هذا الحصن يكون قد فتح الشطر الأول من خيبر.

ويخسر اليهود حصونهم وقلاعهم في ناحية النطاق والشق.

وينتقل المسلمون لحصار اليهود في الكتيبة والوطيح والسلام.

ويتجمع اليهود بآخر حصونهم ويحاصروهم المسلمون أربعة عشر

يوما حتى طلبوا الصلح بعد ان شعروا ان لا جدوى من استمرار القتال.

وهكذا فتحت خيبر عنوة.

(وطلب اليهود الأمان على أن يخرجوا من خيبر وأراضيها بنسائهم

و ذراريهم وأن يأخذوا من الأموال ما حملت ركابهم إلا الذهب والفضة

والخيل والسلاح.

ولما حصل اليهود على الأمان جاءوا باقتراح جديد قبل أن يتم

جلاؤهم، بأن يبقوا في الأرض يصلحونها ويقومون عليها ولهم نصف ما

يخرج منها من الثمر والزرع، فرضي ﷺ بذلك على أن يجلبهم منها متى

شاء. (١)

وكان قتلى اليهود ثلاثة وتسعين قتيلا، ومن المسلمين (١٥)،

وقيل (١٦)، وقيل (١٨) ٢

(١) السيرة لابن هشام ٣٣٧/٢

٢ السيرة لابن هشام ٣٤٢/٢

وقد أفاء الله ﷺ على المسلمين بمغانم عظيمة يدل على كثرتها ما رواه البخاري عن بن عمر ؓ قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر. (١)
وما رواه عن أم المؤمنين عائشة قالت: حين فتحت خيبر قلنا الآن سنشبع من التمر. (٢)

وقد قَدِمَ جعفر بن ابي طالب ومن معه من مهاجري الحبشة على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر فقبلَ رسولُ الله ﷺ بين عينيه والتزمَهُ وقال: ما ادري بأيهما أسرّ، بفتح خيبر أم بقدم جعفر ؟
وكان ﷺ قد أرسل في طلبهم من النجاشي عمرو بن أمية الضمري فحملهم في سفينتين ووافق قدومهم عليه يوم فتح خيبر ورافق جعفر بن ابي طالب في قدومه أبو موسى الأشعري ومن معه من الأشعريين.
ولما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة من قتال أهل خيبر ردّ المهاجرون الى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمار.
وبعد فتح خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك . وهي قرية لليهود شرق خيبر على بعد يومين . فأرسلوا الى رسول الله ﷺ يصالحوه على النصف من محاصيل فدك . وهي نفس شروط خيبر في الصلح.
فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

(١) البخاري باب غزوة خيبر ١٥٥٠/٤ برقم ٣٩٩٩ .

(٢) البخاري باب غزوة خيبر ١٥٥٠/٤ برقم ٤٠٠٠ .

وسار رسول الله ﷺ بعد خيبر إلى وادي القرى ودعا أهلها من اليهود إلى الإسلام فلم يسلموا ولم يستسلموا، وخرجوا للقتال، وبعد أن قتل منهم أحد عشر رجلا انهزموا وغنم المسلمون مغانم كثيرة ثم استسلموا على نفس شروط خيبر.

ووصلت إلى يهود تيماء أخبار خيبر و فدك و وادي القرى، فصالحوا على دفع الجزية ومكثوا في بلادهم آمنين.

❁ ومما وقع في غزوة خيبر:

ما رواه جابر بن عبد الله ﷺ أنه خرجت سرية من المسلمين فأخذوا عبدا أسودا معه غنم يرعاها فجاءوا به إلى رسول الله ﷺ فكلمه النبي ﷺ ما شاء الله أن يكلمه فقال الرجل إني قد آمنت بك وبما جئت به فكيف بالغنم يا رسول الله فإنها أمانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك، قال أحصب وجوهها ترجع إلى أهلها فأخذ قبضة من حصى أو تراب فرمى بها وجوهها فخرجت تسير حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، ثم تقدم إلى الصف فأصابه سهم فقتله ولم يُصلِّ لله سجدة واحدة، قال رسول الله ﷺ أدخلوه الخباء، فادخل خباء رسول الله ﷺ حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ دخل عليه ثم خرج فقال:

(لقد حسن إسلام صاحبكم لقد دخلت عليه وان عنده لزوجين من الحور العين).^(١)

(١) المستدرک علی الصحیحین کتاب قسم الفی ١٤٨/٢ برقم ٢٦٠٩.

ودلائل النبوة للأصبهاني ١٨٨/١ برقم ٢٤١.

ومما يرويه شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجل من الأعراب آمن جاء إلى النبي ﷺ فأمن به واتبعه فقال: أهاجر معك؟ فأوصى به بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ شيئاً فقسمه، وقسم للأعرابي فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهورهم فلما جاء دفعوه إليه فقال ما هذا؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله ﷺ فأخذه فجاء به النبي ﷺ: فقال ما هذا؟ قال (قسم قسمته لك) قال ما على هذا أتبعك، ولكن أتبعك على أن أرمى هاهنا (وأشار إلى حلقه) بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال (إن تصدق الله يصدقك) فلبثوا قليلاً ثم قاموا في قتال العدو، فأتي به يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ:

(أهو هو) قالوا نعم، قال (صدق الله فصدقته)، فكفنه النبي ﷺ في جيبته ثم قدمه فصلى عليه وكان من دعائه:
(اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، قتل شهيداً، وأنا عليه شهيد).^(١)

ومما أورد سهل بن سعد رضي الله عنه انه كان في جيش المسلمين رجل لا يدع شاذة (المنفرد عن الجماعة) إلا أتبعها يضربها بسيفه فقال رسول الله ﷺ (أما انه من أهل النار) فقالوا أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جرح فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه

(١) المستدرک علی الصحیحین باب ذکر شداد بن الهاد ٦٨٨/٣ برقم ٦٥٢٧.

والسنن الكبرى ٦٣٤/١ برقم ٢٠٨٠.

فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال أشهد أنك رسول الله قال (وما ذاك) فأخبره فقال النبي ﷺ (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وانه لمن أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) (١)

❁ الشاة المسمومة:

(لما اطمأن رسول الله ﷺ بخبير بعد فتحها أهدت إليه زينب بنت الحارث . امرأة أحد كبراء يهود . شاة مصلية، وقد سألت أي عضو أحب إلى رسول الله ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثر فيه من السم ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأما بشر فأساغها؛ وأما رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك منها مضغة فلم يسغها، ولفضها، ثم قال: (إن هذا العظم ليخبرني انه مسموم)، ثم دعا بها فاعترفت فقال (ما حملك على ذلك ؟) قالت قلت إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر، فتجاوز عنها.

فلما مات بشر قتلها قصاصا. ٢

(وكان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد قال في مرضه الذي تُوِّفِّي فيه ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تَعُوذُهُ يا أم بشر إن

(١) البخاري باب غزوة خيبر ١٥٤١/٤ برقم ٣٩٧٠ .

٢ السيرة لابن هشام ٣٣٧/٢

هذا الأوان وَجَدْتُ فِيهِ انْقِطَاعَ أَبْهَرِيٍّ مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ أَخِيكَ
بَخِيرٍ.

فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَيَرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَاتَ شَهِيدًا، مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّبُوءَةِ (١).

وفي مغازي عروة: فتناول الذراع فنهش منها، وتناول بشر عظاماً
آخر فانتهش منه، فلما أرغم رسول الله ﷺ أرغم بشر مافي فيه، فقال
رسول الله: ارفعوا ايديكم فان كتف الشاة تخبرني أنني قد بغيت فيها ((
فقال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي اكلت،
ولم يمنعني ان الفظها الا اني كرهت ان انغص عليك طعامك، فلما أكلت
ما في فيك لم ارغب بنفسي عن نفسك، ورجوت ان لا تكون رغمتها وفيها
بغى. (٢)

❁ صدي فتح خبير وما حولها:

كان معلوما لقريش وقبائل العرب حصانة قلاع خبير وحصونها
ومنعتها وبأس مقاتليها وكثرة سلاحهم ومؤنهم وأموالهم لذلك صعقت قريش
لأخبار الفتح، وسرت أنباء النصر الساحق والغنيمة للمسلمين بين القبائل
فانعكست رهبة في قلوبهم وقادتهم للاذعان والمسالمة والمصالحة بعد أن
رفعت من شأن المسلمين ووضعهم السياسي والعسكري إضافة لما تحقق
من مردود اقتصادي.

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٣٣٨.

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع ص ٧٠٩ عن مغازي رسول الله.

❁ سرية أبان بن سعد:

كان واضحاً أن خلو المدينة من رجالها ومن جيشها بعد انتهاء الأشهر الحرم، وما كان حولها من الأعراب الطامعين والحاquدين والذين سيجدون متنفساً لحقدهم واطماعهم اذا علموا بخلو المدينة من مقاتليها وانها أصبحت غنيمة لمن يطمع فيها.

لذلك أرسل رسول الله ﷺ سرية إلى نجد لإرهاب الأعراب تحت قيادة أبان بن سعيد بينما كان هو ماضياً إلى خيبر، وقد رجع أبان بن سعيد بعد قضاء ما كان واجبا عليه فوافى النبي ﷺ إلى خيبر.

❁ غزوة ذات الرقاع:

واختلف اهل السيرة وكتابها في تاريخ وقوع هذه الغزوة، وذهب كثير منهم انها وقعت في السنة الرابعة، فيما ذهب آخرون انها وقعت في السنة السابعة بسبب اشتراك ابي موسى الأشعري وأبي هريرة فيها مما جعل الاعتقاد يتجه لحدوثها بعد فتح خيبر.

بعد تحييد قريش من الصراع، وانكسار شوكة اليهود، بقي الخطر الأخير من عصابة الأحزاب: الأعراب، المنتشرون في فيافي نجد، الذين لا يجمعهم أو يستقر بهم مكان ولا تجمعهم مدينة مما يصعب مهمة مقاتلتهم، وكان الرابط بين اولئك الأعراب السلب والنهب وتهديد الدولة الإسلامية.

فصار لزاما كسر شوكتهم وتأمين جانبهم حتى يتسنى التفرغ للدعوة والرسالة وتسيير قوافل النور، وكف اذاهم وتأمين جانبهم.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذات الرقاع من نخل، فلقي جمعا من غطفان فلم يكن بينهم قتال وأخاف بعضهم بعضا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ركعتي الخوف^(١).

وعن أبي موسى الأشعري: خرجنا مع رسول الله ونحن ستة نفر بيننا بعير نتعقبه، فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت ذات الرقاع، لما كنا نعصب الخرق على أرجلنا.^(٢) لقد سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيش فتوغل في بلادهم مسيرة يومين لقي جمعا من غطفان في موضع يقال له نخل، ولم يكن بينهم قتال.

❁ والله بعصمك من الناس:

وفي هذه الغزوة وقعت حادثة تبين ثقة النبي المطلقة بالله وشدة التوكل عليه، فعن جابر بن عبد الله: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه قال جابر فمنا نومة فجاء رجل من المشركين فاخترط سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أتخافني؟ قال: لا، قال: فمن يمنعك مني؟ فقال: الله، قال جابر فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوننا فجئنا فإذا عنده أعرابي جالس، فقال

(١) البخاري باب غزوة الرقاع ١٥١٢/٤ برقم ٣٨٩٨ .

(٢) البخاري باب غزوة ذات الرقاع ١٥١٣/٤ برقم ٣٨٩٩ .

ومسلم باب غزوة ذات الرقاع ١٤٤٩/٣ برقم ١٨١٦ .

رسول الله ﷺ إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلنا، فقال لي من يمنعك مني؟ قلت: الله، فهاهو ذا جالس ثم لم يعاتبه رسول الله ﷺ (١).

وفي رواية أخرى فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ. قال: هل تشهد أن لا اله إلا الله واني رسول الله؟ قال الأعرابي أعاهدك على أن لا أفاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال: فخلى سبيله ف جاء إلى قومه، فقال جننكم من عند خير البشر. (٢).

وقد أدت هذه الغزوة الغرض منها، فلم تتجرأ غطفان ولا باقي الأعراب على التعرض للمسلمين بعدها فقد امتلأت قبائل الأعراب رعباً، وبدأت تستكين وانتهى الأمر بأكثرها مع جيش المسلمين الفاتح لمكة جنوداً تحت راية الرسول ﷺ بعد أن شرح الله صدورهم للخير.

(١) البخاري باب من علق سيفه بالشجر ١٠٦٥/٣ برقم ٢٧٥٣.

(٢) المستدرک علی الصحیحین کتاب المغازی ٣١/٣ برقم ٤٣٢٢.

❁ عمرة القضاء:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ
ءَامِنِينَ مُخْلِفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ
ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح ٢٧).

في ذي القعدة في السنة السابعة من الهجرة.
كانت الصحراء المترامية بين مكة والمدينة تشهد منظرا لم تألفه،
صورة من أحلى صور الجمال وأكثرها بهاء ونقاء.
مسيرة من الفي رجل سوى النساء والاطفال بملابس الاحرام ملبين
مُكَبَّرِينَ يحدهم رسول الله ﷺ متوجهين الى الله بتلبية كأنها ترانيم ملائكة،
أو اناشيد حب وسلام يتردد صداها في القلوب فيرسم صفاء وهدوء ورضا
تبحث عنه القلوب.

لبيك اللهم لبيك...

لبيك لا شريك لك لبيك...

ان الحمد والنعمة لك والملك...

لا شريك لك

موكب مهيب يشق طريقه عبر القرى والبوادي، وكلما مرّ الموكب
النبوي بمنازل قوم من الذين يسكنون على جانبي الطريق بين مكة
والمدينة خرجوا وشاهدوا منظرا لم يألفوه من قبل مسيرة عمرة كأنها انوار
تبدد ظلام ليل، بصحراء ما عرفت الا القتل والاحقاد، مسيرة نور تحفها
الملائكة وبياركها رب العزة برضاه.

خرج الرسول ﷺ إلى مكة في شهر ذي القعدة قاصدا العمرة كما اتفق مع قريش في صلح الحديبية، وقد خرج كل من شهد عمرة الحديبية ولم يتخلف من أهل الحديبية إلا من استشهد في خيبر أو مات قبل عمرة القضاء.

وقد اتجه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام من المدينة باتجاه مكة المكرمة محرمين ملبين يسوقون هديهم في علاماته وقلائده، في مظهر بهي.

وحذرا من غدر المشركين، وتحسبا للطوارئ حمل الجيش السلاح والسيوف والرماح، ويسير بمقدمة القافلة مجموعة الفرسان مسلحين يقودهم محمد بن سلمة، فلما بلغ ذلك قريش داخلها الرعب فأوفدت مكرز بن حفص في نفر من قريش يقول للنبي ﷺ: ما عرفت صغيرا ولا كبيرا إلا بالوفاء، تدخل بالسلاح الحرم على قومك وكان العهد أن لا تدخل بغير السيوف في أغمادها، فيقول له رسول الله ﷺ:

(لا ندخلها إلا كذلك) ^١

فرجع مكرز ليخبر قريش بذلك.

ووضع رسول الله ﷺ السلاح خارج الحرم قريبا من المسلمين وحوله الفرسان ينتظرون أي أمر من رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ راكبا ناقته القصواء، والمسلمون من حوله متوشحوا السيوف، مُحَدِّقُونَ بالرسول ﷺ يُلبّون بشعار التوحيد حامدين الله على فضله مثنين عليه. ^٢

^١ انظر مغازي الواقدي ٣ / ٧٣٤

^٢ الطبقات ١٢١/٢

وكان عبد الله بن رواحة متشحا بسيفه وأخذا بزمام ناقة رسول الله ﷺ يرتجز بشعره:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكلّ الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقبيله أعرف حق الله في قبوله
بأن خير القتل في سبيله أليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وبهذا المظهر الرائع والشكل المؤثر من تنظيم وتلبية وإحاطة بالرسول ﷺ دخل المسلمون مكة شاقّين طريقهم إلى البيت الحرام وأصوات التلبية تشق عنان السماء وتملأ الآفاق حول أهل قريش.

وفي حديث أنس قال عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال النبي ﷺ: (خل عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل).^(١)

وخرج المشركون إلى جبل قعيقان . جبل شمال مكة . ليروا المسلمين وقد قالوا فيما بينهم: انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب، فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء، وإنما أمرهم بذلك لييري المشركين قوتهم^(٢).

(١) سنن الترمذي ١٣٩/٥ برقم ٢٨٤٧. والسنن الكبرى ٣٨٣/٢ برقم ٣٨٥٦ .

(٢) البخاري باب عمرة القضاء ١٥٥٣/٤ برقم ٤٠٠٩ .

وسنن البهقي الكبرى ٨٢/٥ برقم ٩٠٥٥ .

كما أمرهم بالاضطباع (يكشفوا المناكب اليمنى ويضعوا طرفي الرداء على اليسرى) وكل ذلك من هرولة ورفع الصوت بالتلبية والاضطباع لإرهاب قريش وإظهار قوة المسلمين وعزيمتهم وتمسكهم بدينهم والتأثير في نفوس المشركين.

وقد قال المشركون حين رأوا ذلك: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا (١).

ولما فرغ من الطواف سعى بين الصفا والمروة، فلما فرغ من السعي وقد وقف الهدي عند المروة قال (هذا المنحر وكل فجاج مكة طريق ومنحر). (٢)

ثم أرسل مجموعة بدل الذين أقاموا يحرسون السلاح فجاءوا وأدوا النسك

وأقام رسول الله ﷺ بمكة والمسلمون ثلاثا يطوفون بالبيت الحرام ويرفع بلال الأذان ويصلون الخمس جماعة خلف رسول الله ﷺ بمشهد وجد صدى في قلوب من شاهده من أهل قريش.

❁ صدى عمرة القضاء:

(١) مسلم كتاب الحج باب استحباب الرمل في الطواف ٩٢٣/٢ برقم ١٢٦٦.

وسنن البهقي الكبرى ٨٢/٥ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٦٣١/١ برقم ١٦٩١. والمعجم الأوسط ٧/٩ برقم

٨٩٥٧.

كان لعمرة القضاء تأثيرا كبيرا في أهل مكة ومن حولها من الأعراب.

لقد أحسوا بالرهبة وهم يشهدون صفوف المسلمين تتقدم منتظمة تلبّي وتسوق الهدى، كان مشهدا سماويا أحسوا بأن هذه الصفة كانت بينها وبين السماء رابطة فكانهم ملائكة تمجد الله ﷻ في الأرض يمشون والله العزيز القدير ترفرف فوقهم نسائم قوته وجلاله فتغمرهم بنور محبة وهيبة تملأ المشركين رعبا.

كانوا مملوعين صفاء وطمأنينة، ألم ينزل الله عليهم أمنا ؟

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح ٢٧).

لقد كان وعدا من الله وعطائنا فأكرم بالله سبحانه من معطي، وعدهم بالأمن، فكيف يكون حال من آمنه الله ؟ كانوا مملوعين ثقة ورجاءا وقوة. ثم إن بينهم رسول الله ﷺ يقود خطاهم، قال ﷺ (رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة) ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه. اصطف أهل مكة أمام دار الندوة ينظرون إلى النبي ومن معه وقد اضطبع بردائه وأخرج عضده^١

وقد فعل أصحابه مثله، مما ملأ قلوب قريش رعبا وخوفا فهل هذه حال من جاء مسافرا عبر الصحراء سائرا، وحشود المسلمين حول النبي

^١ السيرة لابن هشام ٣٧٠/٢

ﷺ وصوت التلبية والحمد والتكبير وصوت الأذان يرتفع بمكة خمسا،
وصلاة الجماعة ورجز المسلمين بين يدي النبي ﷺ كانوا يغنون للشهادة
ويرقصون للموت.

لقد شعرت قريش بأن آلهتها تتساقط أمام رب محمد ﷺ الواحد
القهار، شعروا بصغر اللات والعزى وبقية الآلهة، لقد غزى رسول الله ﷺ
قلوبهم بتلك العمرة، فمنهم من أسلم، ومنهم من همّ بذلك وصار قريبا من
الإسلام، إنها عمرة فتح القلوب، ألم يسمها الله ﷻ فتحا مبينا، وهامو خالد
بن الوليد ينحاز إلى الإسلام ويعلن بعد حين بين يدي الرسول ﷺ أن لا
إله إلا الله وإن محمدا رسول الله، ويتبعه عمرو بن العاص، وحتى عثمان
بن طلحة حارس الكعبة ينقلب مؤمنا بالله ويعلن اسلامه.

وقد ورد لهذه العمرة أكثر من تسمية في كتب السيرة فقد قال عنها
ابن هشام :

(ويقال لها عُمْرَةُ الْقِصَاصِ لِأَنَّهُمْ صَدَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ فَاقْتَصَّ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ فَدَخَلَ مَكَةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ
الَّذِي صَدَّوْهُ فِيهِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ. وَبَلَّغْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
فِي ذَلِكَ (وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ) (١).

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٣٧٠.

السنة الثامنة للهجرة:

سرية مؤتة: ❁

كان رجال من جذام ولخم تعرضوا لمبعوث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي في حسمي واستلبوا كل ما معه.

ثم ان مقاتلين من قبيلتي مذحج و قضاة اعتدوا على زيد بن حارثة وصحبه في نفس العام حين ذهابهم إلى وادي القرى بمهمة الدعوة إلى الله.

ثم الأمر الأكثر خطورة وهو قتل الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله ﷺ إلى حاكم بصرى التابع لحاكم الروم، حيث قتله شرحبيل بن عمرو الغساني ولم تجر العادة على قتل الرسل (١)

كما إن الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم دمشق أساء استقبال مبعوث رسول الله ﷺ وهدد بإعلان الحرب على المدينة، وبعد سنة من ذلك بعث رسول الله ﷺ بسرية بقيادة عمرو بن كعب الغفاري إلى (ذات اطلاق) يدعوهم للإسلام فلم يستجيبوا لهم بل قتلوهم جميعا إلا أميرهم الذي عاد جريحا إلى المدينة يخبر بمقتل سريته.

والتعرض لقوافل التجارة بين الشام والمدينة ومضايقة التجار المسلمين الذين يحملون البضائع الضرورية الى المدينة من الشام حين يمرّون بدومة الجندل مما فرض حصارا اقتصاديا على المدينة.

^١ عيون الأثر ٢ / ١٦٥

ثم إن نصارى الشام بزعامة الإمبراطورية الرومانية قاموا بالاعتداء على من يسلم فقد قتلوا والي معان حين أسلم، كما قتل والي الشام من أسلم من عرب الشام.
ويكون عرب الشام قد اشعلوا فتيل الصراع بين المسلمين والبيزنطيين.

إن التصرفات النصرانية العدوانية، والثأر لقتل المسلمين، وفرض هيبة الدولة الإسلامية على هذه المنطقة مما يؤمن طرق التجارة بين الشام والمدينة، كل هذه الأسباب دعت إلى تجهيز سرية مؤتة.

ففي جمادى الأولى من سنة ثمان للهجرة، جهز عليه الصلاة والسلام جيشاً لمعركة مؤتة، أول سرية سيرها المصطفى إلى خارج بلاد العرب، تأميناً لحدودها من ناحية الروم، واتجاهاً بالدعوة الإسلامية إلى ما وراء الحدود حيث تمد إمبراطورية الروم سلطانها إلى شمال الجزيرة العربية، وتفرض نفوذها المادي والمعنوي على أهل المنطقة، بالبطش والارهاب^١

وقد حشد لهذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل، وقد أمر النبي ﷺ في معركة مؤتة زيد بن حارثة فقال إن قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة^(٢).

^١ السيرة لابن هشام ٢ / ٣٧٣

(٢) البخاري باب غزوة مؤتة ٤/١٥٥٤ برقم ٤٠١٣ وصحيح ابن حبان ٤٥/١١ برقم ٤٧٤١ .

وأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا المكان الذي قتل فيه الحارث بن عمير الأزدي ويدعوا من كان هناك إلى الإسلام فان أجابوا فيها و نعمت وان أبوا فاستعينوا بالله عليهم وقاتلوهم.

وسار الجيش وودعهم رسول الله ﷺ والمسلمون وكان بالجيش ثلاثة آلاف مقاتل، ولما وصل الجيش الإسلامي إلى معان (وهي ضمن الأردن حالياً) بلغهم أن الروم قد حشدوا مائة ألف مقاتل وانضم إليهم مائة ألف صليبي من قبائل لخم وجدام وبهراء وبلى، فصار الجمع مائتي ألف مقاتل مزودين بالسلاح الكافي.

(فلما بلغوا معان من أرض الشام، أتاهم الخبر: أن هرقل ملك الروم قد نزل أرض بني مآب، وهي أرض بني مآب المذكورين في كتب بني إسرائيل، وهي أرض البلقاء - : في مائة ألف من الروم، ومائة ألف أخرى من نصارى أهل الشام من لخم، وجدام، وقبائل قضاة: من بهرام وبلى وبلقين، وعليهم رجل من بني إراشة من بلى، يقال له: مالك بن راقلة).^(١)

ولم يتصور الثلاثة آلاف من المسلمين أن يلاقوا مثل هذا الجيش الهائل، سيل من المقاتلين مزودين بالسلاح ويرفلون بالحديد وبالذهب لينبهر المسلمون بهم وبقوتهم (فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأيت ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكرام

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٣٧٤ و جوامع السيرة ١ / ٢٢١.

والديباج والحريز والذهب فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أقرم: كأنك ترى جموعا كثيرة قلت نعم، قال انك لم تشهد بدرا، إنا لم ننصر بالكثرة^(١). وكان موقفا صعبا ولقاءا مستحيلا فليست هناك أي نسبة بين الجيشين، وبعد التدارس فرض الرأي القائل بالقتال فإما نصر وهو خير وإما شهادة وهي خيرين، فرض نفسه وبدا أن الجميع متوجهون بحزم إلى خوض المعركة^٢

والتقى الجيشان لقاء لم تشهد الدنيا مثله جيش صغير بعدته كبير بإيمانه، وجيش كأنه بحر من المقاتلين تعينهم الأسلحة وتحيطهم سمعتهم كأعظم جيش لأكبر إمبراطورية في الأرض، ويفعل المسلمون ما لا يصدق وما يفوق العقل، يتسابقون إلى الشهادة يقاتلون بضراوة يسطرون ملاحم فكان كل واحد منهم جيشا وملحمة وعنوان بطولة تستحق أن تحلّد فليس على الأرض جيش بهذا العدد يقارع هذا الموج المتلاطم من المقاتلين، إن مجرد اشتراك هذه السرية بالمعركة بتلك الظروف شجاعة نادرة، أما ما سطره فيها من ملاحم فمواقف تستحق أن يقف التأريخ لها إجلالا، فخالد بن الوليد رضي الله عنه واحد من أبطال هذا الجيش يقول (لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية)^(٣).

(١) البداية والنهاية ٤١٨/٦.

(٢) السيرة لابن كثير ٤٥٨ / ٣

(٣) البخاري باب غزوة زيد بن حارثة ١٥٥٥/٤ برقم ٤٠١٧.

وصحيح ابن حبان ٥٦٣/١٥ برقم ٧٠٨٩.

وكم في ذلك الجيش مثل خالد، إنهم نتاج المدرسة المحمدية، التي خرّجت شموسا أنارت، وطرارزا من رجال كومضة لمعت، ولم يجد بمثلها الزمان.

ومهما تكن نتيجة المعركة فلن تعدوا عن كونها نصرا لهذه الثلة المؤمنة بغض النظر عن قتلى الجانبين أو المقاييس الاعتيادية لقياس نتائج الحروب.

وقد ظهرت معجزة للنبي ﷺ حول هذه السرية حيث انه ﷺ أخبر المسلمين حوله بتفاصيل المعركة ونعى إليهم زيد وجعفر وعبد الله وعيناه تذرّفان وسمى خالد سيف الله وبشّر بالفتح على يديه، وحين قدم عليهم من يخبرهم بتفاصيل المعركة لم يزد على ما أخبر به رسول الله ﷺ من أحداثها، (فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، وعيناه تذرّفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم) (١)

وفي أرض مؤتة حين وقف الزمن يرنو إلى ما يفعل تلاميذ رسول الله ﷺ وهم يصدون هجمات ألمانتي ألف مشرك كان زيد . حب رسول الله ﷺ . يتقدم بالراية يقاتل بضراوة (حتى شاط . توزع . في رماح القوم) (٢) .
ويأخذ الراية جعفر ويقاتل الأبطال، وتحيط به جموع الكفر، فليس حوله إلا سيوفهم من كل جانب فما تردد بل ترجّل وعقر فرسه وهجم

(١) البخاري باب غزوة زيد بن حارثة ١٥٥٥/٤ برقم ٤٠١٤ .

(٢) مجمع الزوائد ١٥٩/٦ .

يقاقل بانءءفاع أهل الإلمان إلى رضوان الله وقربه، وءقءع ملامنه فمسءلم الرامة بشماله، فءقءع، فمشء علها بمن عضءله، كان مناه أن ءبقى الرامة مرفوعة فهل عرف الزمان، فمما رأى من بطولات، كهءه، ومقءل ءعفر،^(١) بقول عبء الله بن عمر (ءلمسنا ءعفر بن أبى طالب فوءءناه فى القءلى ووءءنا ما فى ءسءه بضعا وءسعفن من طءنة ورمفة)^(٢).

وآفن اسءشهد ءعفر ؓ (كان ابن ءلاء وءلاءفن سنة ولقء آءن بالءراآ إء بلع عءء ءراآه ءسعفن بمن طءنة برمآ أو ضرفة بسف أو رمفة بسهم ولفس من بمنها ءرا فى ظهره بل كلها فى صءره)^(٣).

ءقءع فءاه ؓ وءر الء فؤلم لكنه فءلقف الرامة كأنه لم فشعر بالآلم أو، أن سقوء رامة الإسلام أكثر فلاما من قءع فءه، ءم ءالفة، وهمه الرامة وكل هذا الطعن فى صءره فقط، آءراه لم فشعر بالأم الطءنة ففءل من الألم ؟ ألفس من الطبعف أن من فطعن أو فرمى بسهم أن فسءفر (لا شعورفا) من فرط الوءع، وءعفر ؓ كالأآرفن فؤءفه الطعن فلماءا ظل ءابءا ولم فآركه الم ءسعون طءنة أو ما فزفء آءراه الآب الذى فسموا بالآرواح أنساه الوءع الممظ آءراه الشوق إلى الله ءعل الألم فصغر أمام سفل الشوق و عظم الآب؟ هذا والله آال العاشقفن، آأبوا الله فسموا فوق كل الآلام من ءوع أو قءل، ولا فعرف فعل الشوق إلا من فكابءه.

^١ عبون الأءر ٢ / ١٦٧

(٢) البآارف باب ءزوة مؤءة ٤/١٥٥٤ برقم ٤٠١٣ وصىآ ابن آبان ٤٥/١١.

(٣) السفرة النبوة عرض وقائع وءآلفل آءاء ص ٧٣٥ عن الصراع مع الصلفبفن ص ٥٨.

كل هذا الكم من الطعنات فيما أقبل من جسده وهو محتسب يقاتل فأثابه الله جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، ويستلم الراية عبد الله بن رواحة ويقاتل ويتحرك الحب في قلب ابن عمه فيأتيه بقطعة لحم ويقول شد بهذا صلبك فانك لقيت في يومك هذا ما لقيت فيأخذها من يده وينهش منها نهشه فيسمع جلبة وتدافع في جبهة القتال فيقول لنفسه: وأنت في الدنيا؟ يعاتب نفسه إذ يتدافع الرجال على الشهادة وهو ما زال في الدنيا فيرمي قطعة اللحم ويندفع إلى تجمّع الأعداء، فيقاتل كالأبطال ويقتل.

وهذه أمثلة وهم ليسوا متفردين، فالكل مندفع يتسابق إلى محبة الله ورضاه والوقوف مع النبيين والصديقين فلقد منّ الله عليهم بمحبته وتشرفوا بصحبة رسول الله ﷺ فشربوا من أصفى منهل وتربوا في ظل النبوة. والتقط الراية ثابت بن أقرم، فاصطاح الناس على خالد بن الوليد فاستلم الراية وقاد جمع المسلمين، وبعد أن قدر الموقف واحتمالاته ودرس ظروف المعركة بشكل وافي، اقتنع بأن الانسحاب بأقل الخسائر هو الحل الأفضل، ففوة العدو تبلغ (٦٦) ضعفا لقوة المسلمين، لذلك سعى لانسحاب منظم يحول خلاله بين الأعداء وتعقب المسلمين، ولبلوغ هذه الغاية لابد من إيهام العدو بأن مددا وصل إلى جيش المسلمين، فصمد بالجيش حتى الليل، وفي الظلام غيّر مراكز المقاتلين في الجيش فاستبدل الميمنة بالميسرة، ومقدمة القلب بالمؤخرة، وفي أثناء ذلك اصطنع ضجة صاخبة وجلبة قوية، وعند الفجر هاجم جيش العدو هجمات سريعة متتالية، وبدى للعدو في الصباح أنهم يواجهون رايات ووجوه جديدة، وأحسوا

بهجمات عنيفة، فتأكد لهم بأن إمدادات وصلت للمسلمين وبأن جيشا جديدا نزل إلى الميدان. كما إن الروم وأمام هذا الصمود أدركوا بأنه من الصعب إحراز نصر حاسم ونهائي على المسلمين فضعف نشاطهم واندفاعهم^١

حينها قرر خالد بن الوليد أن ينسحب بالجيش، وكانت عملية التراجع التي قام بها خالد من أكثر العمليات في التاريخ العسكري مهارة ونجاحا، حيث عمد إلى سحب الجناحين بحماية القلب، ولما أصبح الجناحان بمنأى عن العدو، وفي مأمن منه سحب القلب بحماية الجناحين، إلى أن ضمن سلامة الانسحاب كليا، وتوقع الروم إن هذا التراجع يسحبهم إلى كمين فلم يتبعوا المسلمين.

وخالد بخطته تلك أنقذ الله المسلمين به من هزيمة ماحقة وقتل محقق، فكان الانسحاب قمة النصر بالنسبة إلى ظروف المعركة. واستشهد يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلا.

وهذه المعركة الوحيدة التي أختار لها النبي ﷺ ثلاثة أمراء على الترتيب.

وكانت هذه المعركة بداية لفتح بلاد الشام وتحريرها من الرومان أن اهتزت هيبتهم وسقطوا من عيون العرب وبيئت ضعف الجنود الرومان أمام المقاتل العربي، وأزالت عن الروم تلك الهالة والغطرسة.

^١ السيرة لابن كثير ٣ / ٤٦٦

❁ سرية ذات السلاسل:

بعد ايام على عودة الجيش من مؤتة جهّز النبي ﷺ جيشا بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل لتأديب قضاة التي اشتركت إلى جانب الروم، وتجمعت اليوم تريد الدنو من المدينة^١ وذات السلاسل وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام. وسميت بإسم ماء بأرض جذام يقال له السلسل وبه سميت السرية. وعقد له رسول الله لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وأمره أن يستعين بمن مر به من بلى وعذرة وبلقين. فسار الليل وكمن النهار ومنع مقاتليه من ان يوقدوا نارا. ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء تبين له كثرتهم. فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب المدد فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواء وبعث معه سراة المهاجرين والانصار وفيهم أبو بكر وعمرو أمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعا ولا يختلفا. فلحق بعمرو فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو إنما قدمت عليّ مددا وأنا الامير فأطاع له بذلك أبو عبيدة فكان عمرو يصلى بالناس وسار حتى وطئ بلاد بلى وتمكن من العدو حتى أتى إلى أقصى ارض

^١ السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٥١٦

قضاة وبلاد عذرة وبلقين ولقى في آخر ذلك جمعا فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا^١ وبعث عوف بن مالك الأشجعي بالبريد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونجح عمرو والمسلمون في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين من بني عبس وبنو سليم وبنو ذبيان، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعهم بنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال العرب وان لم يكن في بلاد العرب جميعا لقد أصبحت مناطق غرب الجزيرة آمنة بسبب صلح الحديبية، وقامت السرايا التي بعثها رسول الله ﷺ بتأمين المناطق الشمالية من الجزيرة.

❁ غزوة فتح مكة المكرمة (الفتح الأعظم):

اتفق المسلمون وقريش في صلح الحديبية أن من أراد الدخول في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أراد الدخول في عهد قريش دخل. وان من انضم إلى أحد الفريقين يصبح جزءا منه. فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وكان سابقا بين القبيلتين قتال وثورات، لكن بهذا العقد صارت كل قبيلة بأمن من الأخرى.

^١ السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٥١٦

إلا أن بنو بكر لم يحفظوا عهدهم، (فخرج نوفل بن معاوية في جماعة من بكر في شعبان وأغاروا على خزاعة ليلا وهم على ماء يقال له الوتير، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح وبالرجال مستغلين ظلمة الليل فقتلوا منهم، والتجأت خزاعة التي لم تكن متهيئة للقتال إلى الحرم وقالوا لقائدهم يا نوفل إنا دخلنا حرم إلهك فقال نوفل لا اله الا اليوم، يا بني بكر أصيبوا تارككم^(١)).

عندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي بجمع من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه بما كان من بني بكر ومن نصرة قريش لهم وقال في حضرة النبي ﷺ شعرا يطلب من الرسول النصرة ويبين نقض عدوهم للميثاق فقال:

يارب اني ناشد محمدا	حلف ابينا وابيه الأتدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا	ثمة أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أيدا	وادع عباد الله يأتو مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	أبيض مثل البدر يسمو صعدا
ان سيم خسفا وجهه تربدا	في فريق كالبحر يجري زيدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا	وزعموا ان لست أدعوا احدا
و هم أذل، وأقل عددا	هم بيتونا بالوتير هجدا

و قتلونا ركعا و سجدا

(١) أنظر البداية والنهاية ٢٣/٣ .

فقال رسول الله (نصرت يا عمرو بن سالم) ولما عرضت سحابة في السماء قال (إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب) (١).

وأحست قريش بسوء فعلتها فأرسلت بأبي سفيان يحاول ان يجدد المعاهدة مع المسلمين، أو يمددها، أو ان يحول دون معاقبة المسلمين لقريش على غدرها وكان رسول الله ﷺ قد اخبرهم بمقدم ابي سفيان وما سيطلب بمجرد ان توجه الى المدينة حيث قال: كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد المدة (٢)

فلما دخل المدينة جاء ابنته أم المؤمنين أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ. (٣)

كان المقياس الذي وزنت به أم المؤمنين أم حبيبة الأمور: هل كان ابو سفيان مع الله ورسوله ام ضدهما؟ فمن يحادد الله ورسوله فلا قرابة معه ولا قرب، فالحب في الله وله وكذا البغض.

ويخرج ابو سفيان حتى يأتي رسول الله ﷺ ويكلمه، فلا يرد عليه شيئاً، ثم يذهب إلى أبي بكر فيكلمه أن يكلم رسول الله فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر ثم علي وفاطمة فلم يُجره احد أو قبل أن يكلم رسول الله ﷺ في أمره.

(١) سنن البيهقي الكبرى ٢٣٣/٩ .

٢ السيرة لأبن كثير ٣ / ٥٢٩

٣ السيرة لابن كثير ٣ / ٥٣٠

ويعود ابو سفيان الى مكة يتعثر بخيبتة يملؤه ذل أوقعه فيه كفره
وتكبره وغدره.

وكان رسول الله ﷺ أمر أم المؤمنين عائشة أن تجهزه قبل أن يأتيه
خبر نقض الميثاق بثلاثة أيام^١

وبعد أن نقضت قريش عهدها قرر النبي ﷺ أن يسير لفتح مكة
جزاء غدقريش وعدم التزامهم بالمواثيق.

وكانت قد تهيأت للمسلمين أمور ساعدت على إنجاز الفتح فالدولة
الإسلامية قد تطورت قدراتها العسكرية، ونما اقتصادها بعد فتح خيبر وما
غنموه منها، كما إن قاعدة الإسلام قد توسعت ودخلت في الإسلام قبائل
كثيرة وتحالفت أخرى مع المسلمين أضف لذلك ضعف قريش اقتصاديا
وتزعزع مكانتها بين القبائل، لكل ذلك وبعد خيانة قريش قرر النبي ﷺ
السير إليهم فاتحا.

وعندما تهيأ الرسول ﷺ وصحبه للخروج دعا:

(اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها)^(٢).

وكان رسول الله ﷺ قد استدعى علي بن أبي طالب والزبير و أبا
مرثد ؓ فقال (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها امرأة من المشركين
معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين) فانطلقوا ووجدوها
حيث قال رسول الله ووجدوا لديها الكتاب كما قال النبي ﷺ فعادوا به^(٣).

^١ السيرة لابن هشام ٢ / ٤٠٣

(٢) الطبري ٢/١٥٥ والسيرة لابن هشام ٥/٥٢.

(٣) أنظر البخاري باب من نظر في كتاب من يحذر ٥/٢٣٠٩ برقم ٥٩٠٤.

وزيادة في الإخفاء والتمويه أرسل النبي ﷺ سرية من ثمانية أشخاص بقيادة أبي قتادة بن ربعي إلى (بطن أضم) وتوجهوا باتجاه الشام لتذهب الأخبار بتوجه الجيش الإسلامي إلى ذلك الاتجاه في الوقت الذي توجه النبي ﷺ بالجيش بالاتجاه المعاكس صوب مكة لتضليل الأعداء وصرف أنظارهم متخذاً كل ما من شأنه أن يحيط التحرك بالسرية والكتمان، (وكان خروجه ﷺ لعشر مضين من رمضان ومعه عشرة آلاف مقاتل، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء فشرب نهاراً ليراه الناس فأفطر حتى قدم مكة) (١)

وفي الطريق لقيه عمه العباس وقد خرج مهاجراً هو وعياله (٢). وكان بقاءه بمكة بأمر النبي ﷺ ليأتيهم بأخبار العدو، أما وقد انتهت مهمته فقد خرج مهاجراً إلى الله ورسوله.

وحين يصل الجيش الإسلامي مشارف مكة يأمر رسول الله ﷺ بإيقاد النيران، فأوقدوا عشرة آلاف نار في ليلة واحدة حتى ملأت الأفق فكان لمعسكرهم منظر يزرع الذعر بقلب عدوهم ويحبط معنوياتهم خصوصاً أنهم تفاجأوا بوصول المسلمين المفاجيء بعد أن خفي عليهم خبر تحرك المسلمين.

ومسلم باب فضائل أهل بدر ١٩٤٢/٤ برقم ٢٤٩٤.

(١) البخاري باب غزوة الفتح ١٥٥٩/٤ برقم ٤٠٢٩.

(٢) البداية والنهاية ٥٣١/٦ .

وجاء أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بالابواء الى النبي فأعرض عنهما فقالت له أم سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك أخی أشقى الناس بك (١)
 وقال على لابي سفيان: إئت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف عليه السلام ليوسف

﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِئِينَ ﴾

يوسف ٩١

فانه لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه.

ففعل ذلك أبو سفيان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ قَالَ

لَا تَرْيِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾

يوسف ٩٢.

فأنشد ابو سفيان:

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
 لكالمذج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أهدى فاهتدى
 هداني هاد غير نفسي ودلني على الله من طردته كل مطرد

فضرب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتني

كل مطرد.

١ / السيرة لابن هشام ٢ / ٤٠٠

(وفي الطريق إلى مكة جاء أبو سفيان فلما التقى بالعباس عم رسول الله أجاره وحمله معه إلى رسول الله ﷺ الذي أرجأ أمره إلى الغد، وفي اليوم التالي دخل على رسول الله ﷺ وكان يتوقع أن يوبخه الرسول أو يهينه أو يعاقبه، وكانت المفاجأة أن رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام، فاهتز أبو سفيان من المفاجأة وقال: بأبي أنت وأمي يا محمد ما أحلمك وأكرمك وأوصلك)^(١)، فلما أسلم أبو سفيان وهمّ لينصرف قال رسول الله ﷺ:

(ياعباس احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها)^(٢)... وذلك ليرى أبو سفيان قوة جيش المسلمين وما وصل إليه من عدة وعديد فيوقع في قلبه الفزع وينقله من خلاله إلى أهل مكة فتضعف همتهم عن المقاومة، فحبسه العباس حيث أمر رسول الله ﷺ ومرت القبائل على رياتها وأبو سفيان يسأل من هذه فيقول له العباس هذه قبيلة كذا، وهذه قبيلة كذا، حتى مرّ بهم رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحرق من الحديد، قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء فيقول له: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة^(٣)

(١) مسند أبي عوانة ١ ٢٨٤/٤ برقم ٦٧٦٨ .

(٢) المعجم الكبير ١٢/٨ .

٣ السيرة لابن هشام ٤٤٠/٢

وقال العباس لرسول ﷺ الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل
له شيئاً، فقال رسول الله ﷺ (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى
السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن).^(١)

(١) مسلم باب فتح مكة ١٤٠٧/٣ برقم ١٧٨٠ .

❁ دخول مكة:

لما وصل رسول الله ﷺ إلى ذي طوى وكان يضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله من الفتح، حتى إن شعر لحيته ليكاد يمس واسطة الرحل، وزع المهام فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وأمره أن يدخل مكة من أسفلها وقال: إن عرض لكم أحد من قريش فاحصدوهم حصدا حتى توافوني على الصفا، وجعل الزبير بن العوام على المجنبة اليسرى وكان معه راية الرسول ﷺ فأمره أن يدخل مكة من أعلاها وأن يغرز رايته بالحجون، وكان أبو عبيدة على الرجالة والحسر (الذين لا سلاح معهم) فأمره أن يأخذ بطن الوادي.

وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء.

الا ان سعدا حين وُجِّهَ داخلا، قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحلّ الحُرْمَةَ فسمعها عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة، ما نأمنُ أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالبٍ أدركهُ فَخْذُ الرَّايَةِ مِنْهُ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا (١)

(فأما خالد وأصحابه فقد لقيتهم مقاومة فقتل من المشركين اثنا عشر وانهزم الباقيون وقتل من المسلمين اثنان، ثم أقبل خالد يجوس مكة

^١ السيرة لابن هشام ٢ / ٤٠٦

حتى وافى رسول الله ﷺ على الصفا، وأما الزبير فنصب راية رسول الله ﷺ بالحجون عند مسجد الفتح).^(١)

وكان رسول الله ﷺ قد أعلم أهل مكة بأن من دخل داره أو دار أبي سفيان فهو آمن وهذا بمثابة إعلان بإفراغ الطرق من الناس وأن يلجأوا إلى بيوتهم ليتسنى لمقاتلي المسلمين أن يعرفوا عدوهم ويسلكوا طريقهم بدون خوف من أن يباغتهم عدو وحتى لا يضطروا إلى سفك الدماء. كما كان دخول مكة من أربعة محاور تصرف أضعف العدو وشتته فلم يمكنهم من التجمع لقتال المسلمين (٢)

ودخل الجيش الإسلامي إلى أم القرى ووصلت كل مجموعة قتالية إلى المكان الذي حدده لها رسول الله ﷺ واكتملت سيطرة جيش المسلمين على مكة.

ودخل رسول الله ﷺ المسجد والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله فاقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت (وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول قل جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد).^(٣)

(عن ابن عباس رضي الله عنه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحته وحول البيت اصنام مشدودة بالرصاص فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب بيده الى الاصنام ويقول

(١) أنظر الرحيق المختوم ص ٢٣٠، ٢٣١.

٢ السيرة لابن هشام ٢ / ٤٠٧

(٣) البخاري باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ٤ / ١٥٦١ برقم ٤٠٣ .

جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما اشار الى صنم في وجهه الا وقع لقفاه ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم الا وقع .

وفي ذلك قال تميم ابن اسد الخزاعي :

وَفِي الْأَصْنَامِ مُعْتَبَرٌ وَعِلْمٌ ... لِمَنْ يَرْجُو الثَّوَابَ أَوْ الْعِقَابَا ^١

ثم دخل البيت وكبر في نواحيه ثم صلى فعن عبد الله بن عمر قال أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة هو و أسامة بن زيد و عثمان بن طلحة وبلال بن رباح فأغلقها ومكث فيها فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله فقال جعل عمودين عن يمينه وعمودا يساره وثلاثة أعمدة ورائه ثم صلى وبينه وبين القبلة ثلاثة أذرع^(٢).

ثم ان رسول الله وقف على باب الكعبة فقال:

(لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده الا كل مآثره أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ شبيهه العمد السوط والعصى ففيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها في بطونها أولادها يا معشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم و آدم من تراب ثم تلا هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

^١ السيرة لابن هشام ٢ / ٤١٦

(٢) مسند أحمد ٢ / ١١٣ برقم ٥٩٢٧ ومسند الروباني ٢ / ١٦ برقم ٧٤٩ .

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

الحجرات: ١٣ .

ثم قال يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال:

﴿ قَالَ لَا تَأْتِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

﴿١٤﴾ يوسف: ٩٢ .

(اذهبوا فأنتم الطلقاء) (١)

وحين كان رسول الله ﷺ جالسا في المسجد جاءه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية، صلى الله عليك.

فقال رسول الله: اين عثمان بن طلحة ؟ فدعي له فقال له

(هاك مفطاحك يا عثمان اليوم يوم برّ ووفاء) (٢).

وكان هذا ما أراد رسول الخير أن يكونه يوم هذا الفتح العظيم يوم بر ووفاء.

وحان وقت الصلاة فصعد بلال فوق الكعبة و أذن للصلاة، أذن بصوت ملاً آفاق مكة، وبعد أن كان الأذان بالأمس همسا والصلاة في الخفاء، أصبح الأذان يملاً أرجاء مكة والصلاة بالعلن جمعا خلف رسول الله ﷺ.

(١) السيرة لابن هشام ٤١٣/٢ .

(٢) البداية والنهاية ٥٦٨/٦ .

ووقف أهل مكة يتربون ما عسى أن يفعل بهم، ومعلوم ما يفعل الفاتحون.

ثم أنهم سعوا بكل ما يستطيعون لأذية رسول الله ﷺ حتى هموا بقتله وأخرجوه وظلت محاولاتهم للقضاء عليه ومن معه... اليوم يتربون ما سيفعل بهم وهم من أرادوا قتله.

لكن نبي الرحمة وسيد الكرماء وإمام أهل الخير ﷺ يعلنها مدوية مملوءة كرما وعظمة (اذهبوا فأنتم الطلقاء)

فلا سبي ولا قتل ولا سلب مال، بل رحمة ومحبة ودعوة للإسلام... إلى النور إلى أعظم ما في الوجود.

كانت الرحمة والانسانية والمحبة التي أبداهها رسول الرحمة والتي جُبل عليها النبي الكريم الذي بعثه الله رحمة للعالمين، ذو القلب الكبير الذي اتسع حتى للكفار والمشركين محبة ورحمة وتضرع إلى الله ان يهتدوا.

كان للعفو النبوي الشامل عن أهل مكة، وعدم معاملتهم كفاتح يبحث عن ثأر ومغنم، وعفوه حتى عن بعض من أهدر دماءهم لذنوبهم وإجرامهم، أن دخل أهل مكة رجالا ونساء أحرارا وموالي في دين الله طواعية واختيارا فقد فتح النبي القلوب وتملك الأرواح فدخلوا في دين الله أفواجا.

(وحين كان بلال يؤذن للصلاة وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه فقال الحارث: أما والله لو أعلم

أنه حق لإتبعته فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد علمت الذى قلت ثم ذكر ذلك لهم فقال:

الحرث وعتاب نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك.^(١)

واجتمع أهل مكة للبيعة فجلس رسول الله ﷺ على الصفا يأخذ عليهم البيعة على الاسلام والسمع والطاعة لله ورسوله فيما استطاعوا. وبعد أن تمت بيعة الرجال أخذ بيعة النساء وهو جالس على الصفا وعمر أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه فبايعهن على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان، ولا يعصين في معروف، وقد بايعن رسول الله ﷺ من غير مصافحة فقد كان ﷺ لا يصافح النساء ولا يمس يد امرأة إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه.

فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً، فقال:

(يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة فلا يحل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، ولا يعضد فيها شجرًا، لم تحلل لأحد كان قبلي، ولا تحلل لأحد يكون بعدي، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة غضبًا على أهلها. ألا،

(١) عيون الأثر ٢ / ٢٠٠.

ثُمَّ قَدْ رَجَعَتْ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْعَائِبَ فَمَنْ قَالَ لَكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَدْ) قَاتَلَ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحِلِّهَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ اِرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقَتْلِ فَلَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ إِنْ نَفَعَ لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا لِأَدِيَّتِهِ فَمَنْ قَتَلَ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِنْ شَاءُوا فَدَمٌ قَاتِلِهِ وَإِنْ شَاءُوا فَعَقْلُهُ.

ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته
خزاعة^(١)

وأقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يعلمهم الإسلام ويرشدهم إلى الهدى والتقى، وهدم البيوت التي أقيمت للأوثان حول مكة وأرسل السرايا لتطهير الجزيرة منها والدعوة للإسلام، وبث السرايا فحطموا العزى، و مناة، و سواع، وأمر أهل مكة بكسر الأصنام التي في البيوت وصار واضحاً أن صلح الحديبية بشارة خير مكنت المسلمين من التفرغ لنشر الدين، فكان من ثمراته هذا الفتح العظيم الذي نقل المسلمين إلى صدارة الجزيرة وزعامتها فلم يبق إلا أن يأتي من لم يبايع فيبايع، ومن لم يسلم ليسلم، ويحمل الدعوة إلى العالم فقد عرف الكل أن الإسلام هو الدين الظاهر على ما سواه.

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٤١٦.

❁ اهدار دم كبار المجرمين

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم بدخول مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا أنه قد عهد في نفر سماهم بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري وعبد العزى بن خطل وعكرمة بن أبي جهل والحويرث بن نقيد بن وهب بن عبد بن قصي ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود وقينتا ابن خطل كانتا تغنيان وابن خطل، وسارة مولاة لبنى عبدالمطلب^(١)

(فأما ابن ابي سرح فكان ممن اسلم قبل ذلك وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش فلما كان يوم الفتح فر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة أرضعت أمه عثمان فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمأن الناس فاستأمنه له فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا أو مات إلى يا رسول الله فقال إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة أعين.

وكان بعد ذلك ممن حسن إسلامه ولم يظهر منه شيء ينكر عليه^(٢) (وأما ابن خطل فانما أمر بقتله فانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وبعث معه رجلا من الانصار وكان معه مولى لهم

^١ انظر السيرة لابن هشام ٤١٠/٢

^٢ انظر البداية والنهاية ٤ / ٢٩٦

يخدمه وكان مسلماً فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً فنام فاستيقظ ابن خطل ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركاً.

وكانت له قينتان فرتتا وقريبة وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي.

وحين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر فلما نزع جاءه رجل فقال ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه.

قال ابن شهاب ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً محرماً.

وأما عكرمة بن أبي جهل ففر إلى اليمن فاتبعته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فردته فأسلم وحسن إسلامه.

وأما الحويرث بن نقيد فكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقتله على بن أبي طالب يوم الفتح.

وأما مقيس بن صبابة فكان قد أتى النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً قبل ذلك ثم عدى على رجل من الأنصار فقتله بأخيه هشام ابن صبابة بعد أن أخذ الدية وكان الأنصاري قتل أخاه المسلم خطأً في غزوة ذي قرد وهو يرى أنه من العدو.

ثم لحق بمكة مرتداً فقتله يوم الفتح نميلة بن عبدالله الليني وهو ابن عمه.

وأما مقيس فارتد أيضا.

وأما هبار بن الاسود فهو الذى عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفهاء من قريش حين بعث بها أبو العاص زوجها إلى المدينة فأهوى إليها هبار هذا ونخس بها فسقطت على صخرة فألقت ما في بطنها واهراقت الدماء فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت سنة ثمان فقال عليه السلام إن وجدتم هبارا فاحرقوه بالنار ثم قال اقتلوه فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار.

فلم يوجد ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الزبير أنه لما أسلم وقدم مهاجرا جعلوا يسبونهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فانتهوا عنه.

وأما قينتا ابن خطل فرتنا وقريبة فقتلت إحداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للآخرى فأمنها فعاشت مدة ثم ماتت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأما سارة فاستؤمن لها أيضا فأمنها عليه السلام فعاشت إلى أن أوطأها رجل بفرسه بالابطح في زمن عمر فماتت. ^١ (واستجار بأبى هانئ بنت أبى طالب رجلان قيل هما الحرث بن هشام وزهير بن أبى أمية وقيل أحدهما جعدة بن هبيرة فأجارتها فأراد علي قتلها فدخلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى الضحى فذكرت ذلك له فأمضى جوارها وقال قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت.

^١ انظر السيرة لابن هشام ٤١٠/٢

وأسلمت أم هانئ يوم الفتح وهي شقيقة علي بن أبي طالب وعقيل
وجعفر وطالب وأمهم فاطمة بنت أسد تصبح: ابني ابي طالب وامها فاطمة
بنت أسد^١

❁ بعض أحداث الفتح الأعظم:

(أراد فضالة بن عمير بن الملوح الليثي قتل رسول الله ﷺ غدرا
وهو يطوف بالبيت فلما دنا قال رسول الله ﷺ (أفضالة)، قال فضالة: نعم
يا رسول الله، قال:

(ماذا كنت تحدث به نفسك)

قال: لاشئ كنت أذكر الله، فضحك النبي ﷺ ثم قال (استغفر الله)
ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده
عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه).^(٢)

وسرقت امرأة في مكة بعد الفتح ففرع قومها إلى أسامة بن زيد
يستشفعون، فلما كلمه أسامة تلون وجه رسول الله فقال (أتكلمني في حد
من حدود الله) فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام
رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال (فإنما أهلك
الناس من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم

^١ انظر السيرة لابن هشام ٢ / ٤١١

(٢) السيرة لابن هشام ٢ / ٤١٧

الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).^(١)

وهذا بناء تربوي وهدى نبوي يعلم رسول الله ﷺ الأمة قواعد العدل واحترام التشريع الإلهي وأن لا فرق بين قوي أو غني وضعيف أو فقير. وعن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه والأنصار تحته يقول بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة في قرينته، ورأفة بعشيرته قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضى، فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال (يا معشر الأنصار قلتم: أما الرجل فأدركته رغبة في قرينته، ورأفة بعشيرته) قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال (فما أسمى إذا، كلا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله واليكم، فالمحيا محياكم والممات مماتكم) فأقبلوا إليه بيبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الظن بالله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ (فان الله ورسوله ليصدقانكم ويعذرانكم)^(٢)

❁ من نتائج الفتح:

- (١) البخاري باب من شهد الحج ١٥٦٦/٤ برقم ٤٠٥٣ ومسند أبي عوانة ١
١١٧/٤ برقم ٦٢٣٧ .
- (٢) مسلم باب فتح مكة ١٤٠٦/٣ برقم ١٧٨٠. وصحيح ابن حبان ٧٥/١١ برقم
٤٧٦٠ .

واراد الله سبحانه ان تتهاوى سلطة الشرك بمكة فيسقط معها ذلك التهديد للمسلمين، فيأمن المسلمون جانب قريش ليصرفوا جهدهم لبناء مجتمع الخير بمكة كما بُني في المدينة، كنموذج يبهر القبائل ويشكل عامل جذب لدخولها في الاسلام.

وبزوال قريش زال تأثيرها على ما حولها من قبائل، فنتسابق على الدخول في الاسلام، ويتفرغ المسلمون للقضاء على ما بقي من جيوب الشرك في الجزيرة كمرحلة اولى يتبعها التوجه لمحاربتة خارج الجزيرة وقد أمنوا على ظهورهم من هجمة لقريش.

ثم ان المسلمين وضعوا في دستور المدينة انهم امة واحدة، والآن كبرت وتوسعت هذه الأمة، واصبحت قوة عظمية يصعب على القبائل القضاء عليها والغاء وجودها ومحاولات قريش السابقة دليل على ذلك. واصبح واضحا ان هذه القوة الإسلامية الصاعدة قد امتلكت اسباب النجاح في القضاء على الظلم وتحقيق مجتمع الخير وتوحيد القبائل لتحقيق ذلك ليس على مستوى الجزيرة العربية فحسب بل على مستوى العالم.

وكان كل نجاح للمسلمين لاحقا، لفتح مكة دور مهم في تحقيقه. ولأجل بناء مجتمع خير بمكة مبنياً على العدل والمساواة ترك رسول الله ﷺ فيهم معاذ بن جبل ليعلمهم الدين ويفقههم فيه، وعين ﷺ عتاب بن أسيد أميراً عليهم ليقوم الحق ويحكم بما يرضي الله ووفق شرعه، مما بنا نموذجاً للخير أفتع العرب بأن الإسلام هو دين الخير فدخل الناس فيه أفواجا.

❁ البعوث والسرايا لهدم بيوت الأوثان:

في فترة بقاء النبي ﷺ في مكة أزال الأصنام من الحرم المكي، وأزالها من النفوس وأمر كل من في بيته صنم ان يكسره ثم بعث سرايا الى المناطق المحيطة بمكة لكسر الأصنام، وهدم الوثنية والدعوة للاسلام.

❁ سرية خالد بن الوليد إلى العزى

لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان ليهدمها فخرج في ثلاثين فارسا من أصحابه حتى انتهوا إليها فهدمها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره.

فقال هل رأيت شيئا قال لا قال فانك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس فجعل السادن يصيح بها فضربها خالد فجز لها باثنتين ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد أيست أن تعبد ببلادكم أبدا وكانت بنخلة وكانت لقريش وجميع بنى كنانة وكانت أعظم أصنامهم وكان سدنتها بنو شيبان من بنى سليم^(١)

❁ سرية عمرو بن العاص إلى سواع

^١ السيرة لابن هشام ٤٣٦/٢ وعيون الأثر ٢٠٨/٢

في شهر رمضان سنة ثمان وهو صنم لهذيل ليهدمه قال عمرو فانتهيت إليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله على وسلم أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع قلت حتى الآن أنت على الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر قال فدنوت منه فكسرتة وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيئاً ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله^١

❁ سرية سعد بن زيد الأشهل إلى مناة

في شهر رمضان سنة ثمان وكانت بالمشلل وكانت لللاوس والخزرج وغسان فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن فقال السادن ما تريد قال هدم مناة قال أنت وذاك فأقبل سعد يمشى إليها وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال السادن مناة دونك بعض عصاتك ويضربها سعد بن زيد فيقتلها ويقبل إلى الصنم معه أصحابه فهدموه ولم يجدوا في خزانته شيئاً وانصرف راجعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لست بقين من شهر رمضان^٢

❁ سرية خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة من كنانة

وكانوا بأسفل مكة في شوال سنة ثمان.

^١ انظر مغازي الواقدي ١ / ٨٧٣ وعيون الأثر ٢ / ٢٠٨

^٢ انظر مغازي الواقدي ١ / ٨٧٣

(لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة بعثه إلى بنى جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والانصار وبنى سليم فانتهى إليهم قال ما أنتم قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأدنا فيها، قال فما بال السلاح عليكم قالوا إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فحفظنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح قال فضعوا السلاح قال فوضعوه فقال لهم استأسروا فاستأسر القوم فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفرقهم في أصحابه فلما كان في السحر نادى خالد من كان معه أسير فليذافه، والمذافة الاجهاز عليه بالسيف.

فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم.

وأما المهاجرون والانصار فأرسلوا أسراهم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع خالد فقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد وبعث على بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره.

وعند ابن إسحق في هذا الخبر أن خالداً قال لهم ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا فلما وضعوه أمر بهم عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف، وقد كان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك فقال له عبدالرحمن عملت بأمر الجاهلية في الإسلام فقال إنما تأرت بأبيك فقال عبدالرحمن كذبت قد قتلت قاتل أبي وإنما تأرت بعمك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال مهلاً يا

خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله
ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته.
وكان بنو جذيمة قتلوا الفاكه ابن المغيرة وعوف بن عبد عوف قبل
ذلك وقتل عبدالرحمن خالد بن هشام قاتل أبيه منهم.)^(١)

(١) انظر سيرة بن هشام ٢ / ٢٤٩ . ٤٣٠ و مغازي الواقدي ١ / ٨٧٦

● غزوة حنين:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَابَسْتُمْ مَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ التوبة: ٢٥ - ٢٧ .

لما فتح الله مكة على رسوله والمؤمنين، سارعت القبائل الصغيرة باعلان ولائها للإسلام مأخوذة بحجم وشجاعة القوة الإسلامية الصاعدة. اما القبائل الكبيرة والتي اعتزت بقوتها وبطشها فقد رأت بالمسلمين قوة تهدد مكانتهم واحست انه بعد سقوط قريش اصبح الطريق الى زعامة المنطقة فارغاً، وكان ذلك هو المنطق السائد بين قبائل المنطقة وميزانها لتقييم المتغيرات، وربما حسبت تلك القبائل ان دورها قد حان بعد ان أسقط المسلمون قريش وقضوا على قدراتها التوسعية وان المسلمين سيفرغون لهم فاجتمعت هوازن ببطونها وأجمعوا أمرهم على قتال المسلمين بعد ان اجتمع لهم عدد كبير وحشد هائل من المقاتلين (وولوا عليهم مالك بن عوف الأنصري، واجتمعت إليهم ثقيف كلها، ونصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال، فلما سمع رسول الله ﷺ بتجمعهم سار إليهم في الخامس من شوال)^(١).

(١) أنظر البداية والنهاية ٥/٧، ٦/٧ .

وكان عدد جيش المسلمين اثني عشر ألفا من المسلمين أما عدد هوازن ومن تحالف معها فكانوا ضعف عدد المسلمين أو أكثر، وحين خرج مالك بن عوف بهوازن جلب مع الجيش النساء وأطفالهم وأموالهم ونعمهم وشائهم حتى يقاتل الجيش باندفاع ولا يتراجع مخافة على أهله وأمواله من السبي، وحين بلغ ذلك رسول الله ﷺ تبسم وقال:

(تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله)^(١)

(وكان في جيش هوازن دريد بن الصمة من جشم شيخ كبير أعمى ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شجاعا مجريا ذو رأي في الحرب وحكمة.

فلما علم بخروج هوازن بنسائها واطفالها وكل أموالها تعجب من ذلك وسأل عنه، قال مالك: سقنا مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم. قال ولم ؟ قال أردت أن أجعل خلف كان رجل أهله وماله ليقاتل عنهم فانقض به ثم قال له دريد: راعى ضأن والله وهل يرع المنهزم شيء إنها إن كانت لك لم ينفحك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك.

يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة هوازن إلى نور الخيل شيئا ارفعهم إلى ممتع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الصبا على متون

(١) المستدرک علی الصحیحین ٩٣/٢ برقم ٢٤٣٣ و سنن أبي داود باب في

فضل الحرس في سبيل الله ٩/٣ برقم ٢٥٠١ .

الخيـل وإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك ألقاك ذلك وقد
أحرزت أهلك

قال والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك... والله لتطيعنني يا
معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن
يكون لدريد فيها ذكر أو رأى قالوا أطعناك فقال دريد ابن الصمة هذا يوم
لم اشهد مثله ولم يفتني ^١

وبعد دخول رسول الله ﷺ لمكة بتسعة عشر يوماً خرج في اثني
عشر ألف مقاتل، عشرة آلاف ممن خرجوا معه لفتح مكة، والفين من أهل
مكة واغلبهم حديثوا عهد بالاسلام، (وقد استعار من صفوان بن أمية مائة
درع بأداتها) ^٢

وخرج للقاء هوازن وثقيف في وادي حنين الذي يقع بين مكة
والطائف قريباً من الطائف وبينه وبين مكة ثلاثة أميال، بعد ان استعمل
على مكة عتاب بن أسيد.

(وكان البعض ممن في جيش المسلمين قد أعجبتهم كثرة عدد جيش
المسلمين ودخل الإعجاب نفوسهم فقالوا: لن نغلب اليوم من قلة). ^(٣)

كانت عند مالك بن عوف معرفة وافية بالأرض التي ستدور عليها
المعركة، فاستغل الظروف الطبيعية لصالح جيشه فأدخله إلى الوادي الذي
ستدور فيه المعركة ليلاً فنصب الكمائن في الطرق والمداخل والشعاب

^١ مغازي الواقدي ١ / ٨٨٨ ، ١ / ٨٨٩

^٢ مغازي الواقدي ١ / ٨٩٠

(٣) مجمع الزوائد باب غزوة حنين ٦/١٧٨. والسيرة لابن هشام ٥/١١٣ .

والمضايق ووزع مقاتليه بكمانن وأمرهم أن يرشقوا المسلمين بالنبال ثم يشدوا عليهم بقوة.

ولقد كادوا أن يقضوا على المسلمين لولا لطف الله وعنايته وتأييده لنبيه بالنصر .

(وصل المسلمون الى حنين ليلة الثلاثاء، وبالسحر عبأ رسول الله ﷺ جيشه وعقد الرايات وتقدموا صوب وادي حنين وقد أعطى: لواء المهاجرين: علي بن ابي طالب رضي الله عنه ولواء الأوس : أسيد بن حضير رضي الله عنه ولواء الخزرج: الحباب بن المنذر رضي الله عنه وراية المهاجرين: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وراية المهاجرين الثانية: عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجعل رسول الله ﷺ لكل بطن من الاوس والخزرج لواء وراية يحملها واحد منهم)^١

كانت خطة مالك بن عوف النصري ان تكون المبادرة لهم وان يباغتوا المسلمين بهجوم بغفلة، لأن الموقف الأقوى يكون لمن يبدأ الهجوم ويكون موقف المدافع أضعف.

وحين كان المسلمون ينحدرون دخولاً بالوادي فاجأهم العدو بسيل من النبال من كل مكان وبشكل مباغت فاظطربت صفوفهم وماج بعضهم

^١ مغازي الواقدي ١ / ٨٩٣

ببعض وتداخلت صفوفهم فترقّ المسلمون وتشتتوا وانسحب الكثير كلّ يطلب لنفسه النجاة ويأنت بوادر هزيمة منكورة.

وحين تشتت الجيش وانسحب وتراجع وتداخل، ثبت رسول الله ﷺ وما معه إلا قلة من المهاجرين وأهل بيته:

(علي بن ابي طالب، العباس بن عبد المطلب، ابو سفيان بن الحارث، نوفل بن الحارث، ربيعة بن الحارث، عتبة بن أبي لهب، الفضل بن العباس، عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، جعفر بن أبي سفيان بن الحارث، أيمن بن ام ايمن، ابو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، أسامة بن زيد).^(١)

وظهرت شجاعة رسول الله ﷺ وبما يعجز عنه الأبطال ذوو البأس، فقد طفق يركز بغلته باتجاه الكفار وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب

وأبو سفيان يأخذ بزمام بغلته، والعباس بركابه، يكفانها أن تسرع، فينزل رسول الله ﷺ فيستنصر ربه قائلاً: (اللهم أنزل نصرك) وأمر رسول الله عمه العباس . وكان جهير الصوت . أن ينادي أصحابه قال العباس فقلت بأعلى صوتي:

أين أصحاب السمرة ؟ قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا: يالبيك يا لبيك^(٢)،

(١) حياة الرسول المصطفى ٢ / ٥٢٢ .

(٢) مسلم باب غزوة حنين ٣/١٣٩٨ برقم ١٧٧٥ ومسند أبي عوانة ١ / ٢٧٦ برقم ٦٧٤٧ .

وتلاحقت كتائب المسلمين التي كانت تركت الميدان تعود وتجالد وتقاتل واشتد القتال، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ (هذا حين حمي الوطيس) ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال (انهزموا ورب محمد) قال العباس فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال فو الله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى أحدهم كليلا وأمرهم مديرا^(١).

وما هي إلا ساعات بعد رمي الحصيات حتى انهزم العدو هزيمة منكرة، ولما انهزم العدو تفرقت صفوفه، قسم إلى الطائف، وقسم إلى نخلة، وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النبي ﷺ إلى أوطاس مجموعة من المقاتلين يقودهم أبو عامر الأشعري فقاتلوهم حتى انكسر المشركون، وطاردت طائفة من فرسان المسلمين فلول المشركين الفارين إلى نخلة فدحروهم، أما فلول المشركين الذين لجأوا إلى الطائف فتوجه إليهم رسول الله ﷺ بعد أن جمع الغنائم .

(وكانت الغنائم:

السبي: ستة آلاف رأس، والإبل: أربعة وعشرون ألفا، والغنم: أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة)^(٢)

عن انس بن مالك رضي الله عنه يصف الذي حدث ويقول (لما انتهينا إلى وادي حُنينٍ وهو وادٍ من أودية تهامة له مضائق وشعاب فاستقبلنا

(١) مسلم باب غزوة حنين ١٣٩٨/٣ برقم ١٧٧٥ وصحيح ابن حبان ٥٢٤/١٥ برقم ٧٠٤٩ .

(٢) عيون الأثر ٢ / ٢١٩ ومغازي الواقدي ٩٤٤/١

من هوازن شيء لا والله ما رأيت مثله في ذلك الزمان قط من السواد والكثرة قد ساقوا نساءهم واموالهم وذراريهم ثم صفوا صفوفًا صفوفًا فجعلوا النساء فوق الابل وراء صفوف الرجال ثم جاءوا بالابل والبقر والغنم فجعلوها وراء ذلك لئلا يفروا بزعمهم . فلما رأينا ذلك السواد حسبناه رجالا كلهم فلما تحدرنا في الوادي ، فبيننا نحن فيه غَلَسَ الصَّبْحُ إن شعرنا الا بالكتائب قد خرجت علينا من مضيق الوادي وشعبه فحملوا حملة واحدة ، فانكشفت اول الخيل خيل سليم سُلَيْمٍ مولية فولوا ، وتبعهم اهل مكة وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شيء ، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وَالْتَقَتَ عن يمينه ويساره والناس منهزمون وهو يقول يا انصار الله وانصار رسوله انا عبد الله ورسوله صَابِرٌ ثم تقدم بحريته امام الناس فوالذي بعثه بالحق ما ضربنا بسيف ولاطَعْنَا بِرُمْحٍ حَتَّى هَرَمَهُمُ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَسْكَرِ يَأْمُرُ أَنْ يُقْتَلَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَجَعَلْتُ هَوَازِنُ تُوَلِّي وَثَابَ مَنْ انْهَزَمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَعْنَا بِرُمْحٍ حَتَّى هَرَمَهُمُ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَسْكَرِ يَأْمُرُ أَنْ يُقْتَلَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَجَعَلْتُ هَوَازِنُ تُوَلِّي وَثَابَ مَنْ انْهَزَمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^١

ومن حديث البراء بن عازب رضي الله عنه حين سأله رجل من قيس أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال (ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن ناس رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله

^١ مغازي الواقدي ١ / ٨٩٣

صلى الله عليه وسلم على بعلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحرث آخذ
بلجامها وهو يقول :

(انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب)^١

❁ سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذى الكفين

في شوال سنة ثمان لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى
الطائف بعث الطفيل ابن عمرو إلى ذى الكفين صنم عمرو بن حممة
الدوسي يهدمه وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا إلى
قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول: يا ذا
الكفين لست من عباد كا * ميلادنا أقدم من ميلاد كا أنا حششت النار في
فؤادكا قال وانحدر معه من قومه أربعمئة سراعا فوافوا النبي صلى الله
عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة، أيام وقدم بدابة ومنجنيق^٢

❁ غزوة الطائف: وهي امتداد لغزوة حنين حيث فرّ مالك بن عوف
النصري ومن بقي من فلول جيشه ومعظمهم من قبيلة ثقيف التي ناصر
هوازن في معركة حنين وانهزمت فلجأوا إلى الطائف متحصنين بها
مستفيدين من تحصين الطائف ومناعة أسوارها.

^١ مسند الامام احمد ٢٨١/٤ برقم ١٨٤٩٨

^٢ عيون الأثر ٢ / ٢٢٩

(حيث فرت فلول هوازن وثقيف إلى الطائف وتحصنوا بها فسار إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم ثلاثين ليلة أو قريبا من ذلك، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم فقدم المدينة فجاءه وفداهم في رمضان فأسلموا)^(١) ووقعت خلال فترة الحصار مقاذفات ومراماة بالنبال.

ونادى منادي رسول الله ﷺ (أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، فخرج إليهم ثلاثة وعشرون رجلا فأعتقهم رسول الله ﷺ).^(٢) (وكان المسلمون يستعملون المنجنيق في دك حصون الطائف)^(٣) لما طال الحصار ولم يصار إلى حسم الموقف بسبب رشق النبال وتهيء أهل الحصن بخزنها مئونة كافية ولأن المناطق المحيطة بالطائف صارت تحت سيادة الدولة الإسلامية ولم يعد لهم سيطرة خارج حصنهم) (استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديلي فقال: ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك).^(٤)

قال رسول الله ﷺ (إنا قافلون غدا إن شاء الله) فقال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ لا نبرح أو نفتحها فقال النبي: (فاغدوا على القتال)

فغدوا فقاتلوهم قتالا شديدا وكثر فيهم الجراحات فقال رسول الله ﷺ:

(١) البداية والنهاية ٧ / ٧٨ .

(٢) مغازي الواقدي ١ / ٩٣١

(٣) مغازي الواقدي ١ / ٩٢٨

(٤) البداية والنهاية ٧/٧٦ وتاريخ الطبري ٢/١٧٢ .

(إنا قافلون غدا إن شاء الله) فسكتوا، فضحك رسول الله ﷺ. (١)
 وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك.
 وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا:
 لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.
 فلما ارتحلوا واستقلوا قال قولوا:
 آييون تائبون عابدون، لربنا حامدون.
 وقيل يا رسول الله ادع الله على ثقيف قال:
 (اللهم اهد ثقيفا) ٢

❁ توزيع الغنائم:

حين رجع رسول الله ﷺ من حصار الطائف مكث في الجعرانة بضعة
 عشرة ليلة لا يقسم الغنائم ويتأنى بها يبتغي أن يقدم عليه وقد هوازن
 تائبين، فيحرزوا ويستعيدوا ما فقدوا.
 ولكنه لم يجئه أحد منهم.
 وذلك ما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن حين وفدوا عليه
 يسألونه رد الغنائم والسبايا (قد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون)
 ٣

(١) البخاري باب التيسم والضحك ٢٢٩٥/٥ برقم ٥٧٣٦ وكتاب السنن ٣٦٠/٢

ومغازي الواقدي ٩٣٧/١

٢ مسند الامام احمد ٣/٣٤٣ برقم ١٤٧٤٣ و سنن الترمذي ٧٢٩/٥ برقم ٣٩٤٢

٣ مغازر الواقدي ١ / ٩٥٠

(وكان صلى الله عليه وسلم حين وصل الجعرانة ورأى السبي وكانوا ستة
الاف ارسل بُسر ابن سفيان الخزاعي الى مكة ليجلب كسوة لكل سبي
فكسى اللسبايا جميعاً فما كان يخرج من السبايا احد الا عليه كسوة جديدة
)^١

وحين بدأ في تقسيم الغنائم كانت العطايا الكبيرة لحديثي العهد بالإسلام
وللذين لم يسلموا عسى أن يكون العطاء دافعا لإسلامهم ثم بعد أن يعرفوا
الإسلام من الداخل ويعيشوه فعسى أن يرسخ في قلوبهم ويحسن إسلامهم،
ومثل ذلك حصل قبل ذلك كثيرا، فكما روى أنس رضي الله عنه:

(إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام
أحب إليه من الدنيا وما فيها).^(٢)

وهذه الطريقة كانت تفلح مع الكثير، فلكل طريقة يجذب بها إلى طريق
الخير فهناك من يهتدي بالكلام و هناك من تجذبه المعجزة، وهناك من
يأتي بالكرم والسخاء المعجز، وكان رسول الله ﷺ طيب القلوب ويعطي
لكل ما يناسبه ويقنعه، فالمهم أن يهتدوا إلى الإسلام، وهذا صفوان بن
أمية يعبر عن ذلك فيقول (والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وأنه
لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى انه لأحب الناس إلي)^(٣)

^١ انظر مغازي الواقدي ١ / ٩٤٤

(٢) مسلم باب ما سئل رسول الله شيئا ٤/١٨٠٦ برقم ٢٣١٢ وسنن البيهقي ١٩/٧
برقم ١٢٩٦٧ .

(٣) أنظر مجمع الزوائد ٢٩/١٠ والسيرة لابن هشام ٥/١٧٦ .

وذلك ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله سعد ابن ابي وقاص (يا رسول الله أعطيت عبينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقَةَ الضمريّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقَةَ خير من طلاع الارض كلها مثل عبينة والأقرع ولكني تألفتُهما ليُسَلِّمَا ، ووكلت جعيل بن سراقَةَ الى إسلامه)^١

فأخرج رسول الله ﷺ الخُمس من الغنائم وأعطاه لمن ذكرنا، فكان يعطي الثلاثمائة من الإبل والمائتين أو المائة ثم الخمسين والأربعين، للرجل من قريش أو من قبائل العرب، ولم يعط الأنصار شيئاً وهم الذين قاتلوا وضحوا وثبتوا، وصار العطاء للذين فرّوا وما نصرُوا، لقد كان السبي ستة آلاف شخص والابل أربعة وعشرون ألفاً والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة فاستأنى وانتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي أن يقدم عليه وفدهم مسلمين ليرجع اليهم ما فقدوا. ولما تأخرت هوازن وثقيف، وقلّ الأمل بمجيئهم بدأ رسول الله بتوزيع الغنائم.

(وبدأ بالاموال قسمها وأعطى المؤلفَةَ قلوبهم أول الناس والمؤلفة قلوبهم كانوا اشرافاً من الناس يتألفهم او يتألف بهم قومهم فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الابل قال ابني يزيد قال اعطوه أربعين أوقية ومائة من الابل قال ابني معاوية قال اعطوه أربعين أوقية

^١ مغازي الواقدي ٩٤٤/١

ومائة من الابل، واعطى حكيم ابن حزام مائة من الابل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه وأعطى النضير بن الحارث ابن كلدة مائة من الابل وأعطى اسيد بن جارية الثقفى مائة من الابل وأعطى العلاء بن جارية الثقفى خمسين بغيرا وأعطى مخرمة بن نوفل خمسين بغيرا وأعطى الحارث بن هشام مائة من الابل وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الابل وأعطى صفوان بن أمية مائة من الابل وأعطى قيس بن عدى مائة من الابل وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الابل وأعطى سهيل بن عمر ومائة من الابل واعطى حويطب بن عبدالعزيز مائة من الابل وأعطى هشام بن عمرو العامري خمسين من الابل وأعطى الاقرع بن حابس التميمي مائة من الابل وأعطى عيينة ابن حصن مائة من الابل وأعطى مالك بن عوف مائة من الابل وأعطى العباس ابن مرداس أربعين من الابل فقال في ذلك شعرا فأعطاه مائة من الابل ويقال خمسين)^١

وإعطاء ذلك كله من الخمس وهو أثبت الاقاويل عندنا، (ثم أمر زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ثم فضلها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعاً من الابل أو أربعين شاة فإن كان فارساً أخذ اثني عشر بغيراً أو عشرين ومائة شاة وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يسهم له)^٢

ولم يكن الجميع يعرف ما يعرفه رسول الله ﷺ ، ولم يؤت أحد من الحكمة ما أوتي رسول الله ﷺ .

فمن حديث ابي سعيد الخدري :

^١ السيرة لابن هشام ٢ / ٤٩٢

^٢ مغازي الواقدي ١ / ٩٤٩

((ووجد الأنصار من ذلك في أنفسهم شيئا ولم يفهموا ما أريد من هذه القسمة، فدخل سعد بن عبادة على رسول الله وقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء.))

قال (فأين أنت من ذلك يا سعد)

قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي.

قال (فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة)

فلما اجتمعوا أتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم، ألم أنكم ضللا فهداكم الله؟ و عالة فأغناكم الله، وأعداء فألف بين قلوبكم؟) قالوا: بلى، الله ورسوله أمنّ وأفضل.

ثم قال (ألا تجيبوني يا معشر الأنصار)

قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله الله ورسوله المنّ والفضل

قال (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم و لصدقتم، أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فأسيناك، وأوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم لعاعة من الدنيا تألفت بها قوم ليسلّموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، فو الذي نفس محمد بيده لولا هجرتي لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء

الأنصار) فبكى القوم حتى أخللوا لحاهم وقالوا رضيونا برسول الله قسما
وحظا)) (١)

❁ وفد هوازن:

وبعد توزيع الغنائم قدم وفد هوازن وفيهم أبو برقان عم رسول الله ﷺ من
الرضاعة، فأسلموا وبايعوا، وقالوا لرسول الله ﷺ إن فيما أصبتم العمات
والخالات، وهن مخازي الأقوم، فخيرهم النبي ﷺ بين المال و بين السبي،
فاختاروا الأحساب وأن يرد إليهم نسائهم وأبنائهم، فقال ﷺ: (إذا صليت
الظهر فقوموا وأظهروا إسلامكم وقلوا نحن إخوانكم في الدين، ثم قولوا:
إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله أن يرد
إلينا سبينا).

ففعلوا،

أما المهاجرين والانصار فقد ارجعو ما بأيديهم وتنازلوا عنه بنفس طيبة
لإخوانهم في الله ، اما حديثوا العهد بالإسلام فقد تمنعوا وامسكوا الذي
بايديهم ، فوعدهم رسول الله ان يعرضهم ان ارجعوا السبايا بستة اضعافها
من اول فيء يمن الله به عليهم .

(وقدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعة عشر
رجلا ورأسهم زهير بن سرد وفيهم أبو يرقان هم رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الرضاعة فسألوه أن يمن عليهم بالسبي فقال أبناؤكم ونسأؤكم

(١) انظر مسند الامام احمد ٧٦/٣ برقم ١١٧٤٨ والبداية والنهاية ٩٧/٧ .

ونسأؤكم أحب اليكم أم أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئاً فقال أما مالى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم وسأسأل لكم الناس فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس وهنتموني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين وقد كنت استأنأت سبيهم وقد خيرتم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيئاً فمن كان عنده منهن شئ فطابت نفسه أن يرده فسييل ذلك ومن أبى فليرد عليهم وليكن ذلك فرضاً علينا ست فرائض من أول ما يفئ الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ولم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن فانه أبى أن يرد عجوزاً صارت في يديه منهم ثم ردها بعد ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسى السبي قبضية قبطية^١ وسرّ رسول الله ﷺ بإسلام هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مئة من الإبل.

^١ عيون الأثر ٢/٢٢٣

وسمع مالكٌ بذلك فخرج من الطائف فلقق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة أو بمكة فردّ عليه أهله وماله وأعطاه مئة من الإبل فأسلم، وقال يمدح رسول الله:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا أُجْنِدِي وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي عَدِي
وَإِذَا الْكُتَيْبَةُ عَرَدَتْ أَنْيَابُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرَبَ كُلَّ مُهَنَّدٍ
فَكَأَنَّهُ لَيْتٌ عَلَيَّ أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٍ فِي مَرْصَدٍ

وكان لهذه السياسة الحكيمة أثرها بتحول قبيلة هوازن وحلفائها إلى الإسلام حتى صاروا قوة إسلامية تحارب الوثنية والكفر.

❁ وقفة ... وتأمل:

مالك بن عوف النصرى عدو للرسول ﷺ والمسلمين، حاول جاهداً قتل رسول الله ﷺ والقضاء على دينه وبذل لأجل ذلك نفسه وماله واشترك بمعركة كان يمكن ان يُقتلَ فيها.

راهن على دمه ان يُسفك وعلى امواله ان تُفقد وأهله ان يُسيونَ، مقابل ان يقتل رسول الله ﷺ، لا بل ذهب أبعد من ذلك حين راح يحشد القبائل لقتل الرسول ﷺ والمسلمين.

فهل يمكن ان يكون حقداً فوق ذاك، أو كرهاً فوق ذاك ؟

ثم انه خسر معركته أمام رسول الله فصار جزائه القتل وسبي المال والأهل وبكل الأعراف وبكل القوانين، إلا بقانون رسول الله!!..

فجزائه ان يُعفى عنه ويُرد اليه أهله وتُعاد اليه أمواله،... وفوق ذلك يُعطى هدية من رسول الله مائة ناقة...مقابل، ان يُسلم ويدخل الجنة فيحوز على خير الآخرة، كل هذا وهو عدو.
اذا كان هذا فعلك مع عدوك يا رسول الله، فكم من الحب يحمل قلبك ياسيدي.

رسول الله يحب أعدائه وينفق كل ما يملك ليذهب عدوه الى الجنة.
ان رحمتك بعدوك وحبك لكل من حولك معجزة لا تصدقها العقول. صلى الله عليك وسلم كما ينبغي لك ياسيدي.

ومسألة اخرى توزيع الخمس حصّة رسول الله ﷺ من الغنائم على من معه، عطاء غير مألوف ولا معهود، انه تجاوز للكرم وبأعلى اشكاله، وفوق مستوى التصديق او التصور، انه الزهد وبأكمل اشكاله، انه يقين المقبل على الله والعارف بأن الدنيا لا تساوي شيئاً سوى عبادة الله ومحبته، لاشيء من هذه الدنيا يعلق بقلب الحبيب محمد ﷺ سوى حبه لله ومحبته للناس ان يهتدوا.

فسبحان الذي سوّك وبلغ بك هذا الكمال في الرحمة والمحبة والزهد.

❁ عمرة الجعرانة:

لما فرغ رسول الله ﷺ من تقسيم الغنائم أحرم للعمرة وخرج من الجعرانة معتمراً، وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنة بناحية مَرّ الظهران فلما أتم عمرته انصرف ﷺ راجعا الى المدينة وقد أتبعوه بباقي الفيء، فوصل المدينة لست بقين من ذي القعدة.

❁ من أحداث السنة الثامنة للهجرة:

مولد إبراهيم عليه السلام ابن رسول الله ﷺ من ماريه القبطية وإسلام كعب بن زهير صاحب قصيدة (بانث سعاد) في مدح رسول الله ﷺ والاعتذار إليه.

السنة التاسعة للهجرة:

بعد انتهاء العمرة وبعد ان ارتمت مكة بحضن الاسلام وبعد ان نور الهدى قلوب أهلها ومن حولها من قبائل هوازن وثقيف وما جاورها من قبائل ويطون، (استخلف رسول الله ﷺ على مكة عتاب بن أسيد، ومعه معاذ بن جبل يفقه الناس بدينهم ويشرح لهم تعاليم الاسلام ويُقرئهم القرآن) ^١ وعاد صلى الله عليه وسلم الى المدينة ليفتح صفحة جديدة من صفحات الجهاد وليمارس دورا جديدا من ادوار نشر الاسلام وتطبيق منهجه الكريم بين الناس .

مع بداية العام بدأ رسول الله يستقبل الوفود ويبث الدعوة يحملون الدعوة الى الله لمن لم تبلغه من قبل، وأرسل عماله الى القبائل والمناطق المختلفة يجمعون الصدقات ويأخذون الجزية، ويرسل سراياه على الذين في قلوبهم زيغ فوقفوا يحادون الله ورسوله.

(فما هو إلا ان استهل هلال المحرم من سنة ٩ هجرية بعث رسول الله ﷺ المصدقين . العاملين على الصدقات . الى القبائل، وهذه قائمتهم:

^١ السيرة لابن هشام ٢ / ٤١٦

- ١ . عيبنة بن حصن الى بني تميم
 - ٢ . يزيد بن الحصين الى أسلم وغفار
 - ٣ . عباد بن بشر الأشهلي الى سليم و مزينة
 - ٤ . رافع بن مكيث الى جهينة
 - ٥ . عمرو بن العاص الى بني فزارة
 - ٦ . الضحاك بن سفيان الى بني كلاب
 - ٧ . بشير بن سفيان الى بني كعب
 - ٨ . ابن اللثبية الأزدي الى بني ذبيان
 - ٩ . المهاجر بن أمية الى صنعاء (وخرج عليه الأسود العنسي وهو بها)
 - ١٠ . زياد بن لبيد الى حضرموت
 - ١١ . عدي بن حاتم الى طيء وبني أسد
 - ١٢ . مالك بن نويرة الى بني حنظلة
 - ١٣ . الزبيرقان بن بدر الى بني سعد (الى قسم منهم)
 - ١٤ . قيس بن عاصم الى بني سعد (الى قسم آخر منهم)
 - ١٥ . العلاء بن الحضرمي الى البحرين
 - ١٦ . علي بن أبي طالب الى النجران (لجمع الجزية والصدقة معاً)^(١)
- وكما بعث ﷺ عماله لأخذ الصدقات، استلزم الأمر بعث السرايا لبسط الأمن في الجزيرة وهذه السرايا:

(١) عيون الأثر ٢ / ٢٣٤

❁ سرية قطبة بن عامر بن حديدة

إلى خثعم بناحية بيشة قريبا من تربة في صفر سنة تسع قال ابن سعد قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبه في عشرين رجلا إلى حى من خثعم بناحية تبالة وأمره أن يشن الغارة فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم فجعل يصيح بالحاضرة ويحذرهم فضربوا عنقه ثم أقاموا حتى نام الحاضر فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعا وقتل قطبة بن عامر من قتل وساقوا النعم والنساء إلى المدينة وجاء سيل أتى فحال بينهم وبينه فما يجدون إليه سبيلا وكانت سهمانهم أربعة أبعرة والبعير يعدل بعشر من الغنم بعد أن أفرد الخمس.¹

❁ سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بنى كلاب في شهر ربيع الاول سنة تسع قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى القرطاء عليهم الضحاك ابن سفيان بن عوف بن أبى بكر الكلابي ومعه الاصيد بن سلمة بن قرط فلقوهم بالزخ زخ لاوة فدعوهم إلى الاسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم فلحق الاصيد أباه سلمة وسلمة على فرس له في غدير بالزخ ودعا أباه إلى الاسلام وأعطاه الامان فسبه وسب دينه فضرب الاصيد

¹ عيون الأثر ٢/٢٣٨

عرقوبى فرس أبيه فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على رمحه في الماء ثم استمسك حتى جاء أحدهم فقتله ولم يقتله ابنه الزخ^١

❁ سرية علقمة بن محرز المدلجى إلى الحبشة في شهر ربيع الآخر سنة تسع .

قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من الحبشة ترا أهم أهل جدة فبعث إليهم علقمة بن محرز في ثلثمائة فانتهى إلى جزيرة في البحر وقد خاض إليهم البحر فهرىوا منه.

فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهليهم فأذن لهم فتعجل عبد الله بن حذافة السهمى فيهم فأمره على من تعجل وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها ويصطنعون فقال عزمتم عليكم إلا تواتبتم في هذه النار فقام بعض القوم فتحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال اجلسوا إنما كنت أضحك معكم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه^٢

❁ سرية عكاشة بن محصن إلى الجباب أرض عذرة وبلى وكانت في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة^٣

^١ عيون الأثر ٢/٢٣٩

^٢ عيون الأثر ٢/٢٤٠

^٣ عيون الأثر ٢/٢٤٠

❁ سرية على بن أبي طالب رضى الله عنه إلى الفلّس صم طى ليهدمه في التاريخ قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفلّس ليهدموه فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر .

فهدموا الفلّس وحرقوه وملؤا أيديهم من السبى والنعم والشاء .

وفى السبى أخت عدى بن حاتم وهرب عدى إلى الشام ووجدوا في خزانة الفلّس ثلاثة أسياف رسوب والمخدم وسيف يقال له اليماتى وثلاثة أدرع . واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبى أبا قتادة واستعمل على الماشية والرقّة عبدالله بن عتيك .

وعزل للنبي صلى الله عليه وسلم صفيا رسوبا والمخدم ثم صار له بعد السيف الآخر وعزل الخمس وعزل آل حاتم فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة^١

❁ غزوة تبوك:

وهي آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ، سميت بغزوة العسرة لما ورد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (من جهز جيش العسرة فله الجنة) (٢)

^١ عيون الأثر ٢/٢٤١

(٢) البخاري ٣/١٠٢١ برقم ٢٦٢٦ .

ولقول أبو هريرة رضي الله عنه:

أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك ^(١).

وسميت بالعسرة للشدة التي لاقاها المسلمون في الإعداد للغزوة، وللطريق إلى أرض المعركة، فهي وقعت في جو شديد الحرارة وقد طابت الثمار، والظلال و حسن المقام، والطريق طويل وفيه مشقة وسط صحراء لاهية، مع قلة المئونة والماء، ونقص الدواب التي تحمل المقاتلين وقلة المال الذي ينفق على الجيش.

وسميت الغزوة بغزوة تبوك نسبة إلى اسم عين ماء وصلها المسلمون، فمن حديث معاذ بن جبل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار). ^(٢)
بعد ان أعلن القران النفير العام وأمر الجميع بالخروج في هذه الغزوة والجهاد بالنفس والمال في سبيل الله:

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ التوبة ٤١

وكانت استجابة الناس متفاوتة وحسب اختلاف إيمانهم واستعدادهم لطاعة الله والتزام أوامره واختلاف قدرتهم على التضحية. فكان منهم: أهل الفتنة الباحثون عن الأعذار:

(١) مسلم ١٢٦٩/٣ برقم ١٦٤٩ .

(٢) صحيح ابن حبان ٤٦٩/٤ وصحيح ابن خزيمة ٨٢/٢ برقم ٩٦٨ .

مثل الجد بن قيس من بني سلمة، اذ قال له رسول الله: يا جد هل لك العام في جلد بني الأصفر؟ فقال: يارسول الله أو تأذن لي ولا تقتني؟ فوالله لقد عرف قومي ان مامن رجل أشد عجبا بالنساء مني^١ والذي قال الله فيه:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ آذَنْ لِي وَلَا تَقْتِنِي ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤٩) . التوبة ٤٩

ومنهم المثبطون الذين سعوا لإقناع الناس بعدم الخروج مع رسول الله، والذين قال الله فيهم:

﴿ فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١) . التوبة ٨١

ومنهم من جاهر بالعداوة فلم يخرجوا ولم ينفقوا، وذهبوا اكثر من ذلك فكانوا يؤذون من انفق فيسخرن من الفقراء الذين ينفقون القليل، ويقولون عن من ينفق الكثير بأنه ينفق رياء ونفاقا، فيحولون بين الناس والانفاق لتجهيز الجيش، والذين قال الله فيهم:

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٩) . التوبة ٧٩.

^١ السيرة لابن هشام ٥١٦/٢

ومنهم من جاهر بنفاقه ورفضه الخروج مع رسول الله او الانفاق على
الغازين، اولئك الذين قال الله فيهم:

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا

يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ . التوبة ٨١

اختلفت مواقفهم وتشابهت قلوبهم حيث خلت من الايمان، فكلهم كاذبون
هالكون:

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ
وَسَيَّحَلَفُوا بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ

لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ . التوبة ٤٢

وفي الجهة الأخرى كان اهل الايمان الذين باعوا انفسهم واموالهم لله
وابتغاء مرضاته، جاهدوا بأنفسهم، وبدلوا أموالهم لتجهيز الجيش:

﴿ لَا يَسْتَعِذُّنَا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ . التوبة ٤٤

ثم هناك المؤمنون الفقراء الذين وهبوا ارواحهم لله لكن حالت ظروفهم
المادية دون الجهاد مع اخوانهم فكانوا يبكون المأ:

﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا
يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ

رَجِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِمْكُمْ

عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١١٨﴾ التوبة.

وكان هناك نفر من المؤمنين استزلهم الشيطان فتخلفوا لكنهم ندموا وعادوا الى الله فتاب الله عليهم وسجل سبحانه عفوهم عنهم:

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ وَضَاقتْ

عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ

هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ . التوبة ١١٨

لقد خرج رسول الله ﷺ فيها في رجب بعد حصار الطائف بستة أشهر في ما يقرب من ثلاثين ألف مقاتل.

وأما موقع تبوك فيقع شمال الحجاز يبعد عن المدينة (٧٧٨) ميلا حسب الطريق المعبدة في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قضاة التابعة لسلطان الروم آنذاك .

وكان من أسباب الغزوة أن معركة مؤتة حيث لم يتمكن فيها الجيش الروماني الكبير من الانتصار على ثلاثة آلاف من المسلمين أساءت لسمعة الجيش الروماني وأضعفت هيئته بين قبائل العرب المجاورة لهم وجعلها تفكر بالتححرر من التبعية للروم مما يهدد بالقضاء على النفوذ الروماني لاحقا في هذه المنطقة، ويقود هذه القبائل للتحالف مع المسلمين الذين فرضوا أنفسهم

كقوة ضاربة في الجزيرة.

لذا كانت فكرة القضاء على المسلمين تفرض نفسها كضرورة على قيصر وتزداد إلحاحا كل يوم، فلم يمضي على معركة مؤتة عام واحد حتى بدأ قيصر بتجهيز جيش من الرومان وقبائل العرب التابعة لهم خصوصا غسان وبتهيأ للقضاء على الدولة الإسلامية.

وقد بدأت أخبار هذا الحشد المعادي تصل إلى المدينة وتقض مضاجع المسلمين الذين كانوا يتوقعون في كل لحظة أن يباغتهم جيش الروم وغسان، حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليحدث (ونحن نتخوف ملكا من ملوك غسان ذكر لنا انه يريد أن يسير إلينا فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب فقال افتح افتح فقلت جاء الغساني فقال بل أشد من ذلك اعتزل رسول الله أزواجه).^(١)

وحمل التجار الأقباط القادمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن قيصر جمع جيشا كبيرا قوامه أربعون ألف مقاتل سلم قيادته لعظيم من عظماءهم، إضافة للقبائل المنتصرة من العرب.

ورغم صعوبة إعداد الجيش الإسلامي وتهيئته وصعوبة المسير به إلى حدود الروم، إلا انه وبالمقابل ليس من الحكمة انتظار الجيش الروماني وهو يجوب الجزيرة حتى يصل المدينة لأن أمرا كهذا سيوقظ الوثنية التي انسحقت قريبا وما زال لها جذور إضافة لقوى النفاق، حيث سيضربون مجتمعين دولة الإسلام إن هاجمهم الروم مما يجعل المسلمين بين فكي كماشة ومحاطين بأكثر من عدو، فتضيع على المسلمين كل فتوحاتهم

(١) البخاري باب تبتغي مرضاة أزواجك ١٨٦٧/٤ برقم ٤٦٢٩ .

وغزواتهم ويضيع جهد سنين من البناء والقتال والصراع لبناء دولة الإسلام.

فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن أعلن بالمسلمين التهيؤ للمسير لقتال الروم، وكان ﷺ يكني عن وجهته حين يتهيأ للغزو، أما في هذه الغزوة فقد صرح بجهة المسير بسبب بعد مكان القتال ومشقة المسير، حتى يهيء المسلمون ما يلزم لمثل هذه المسيرة ويأخذ كل منهم عدته. فتسابق المسلمون بالتجهز للمسير والقتال لصد الخطر عن بلادهم واعلاءً لراية الحق.

وأخذت القبائل والبطون تهبط إلى المدينة من كل صوب، ولم يتخلف إلا الذين في قلوبهم مرض وإلا ثلاثة نفر تخلفوا ثم تابوا فتاب الله عليهم، وبلغ الأمر بالضعفاء والعجزة ومن أقدتهم النفقة والقرعن الخروج أن يبكوا شوقاً إلى الجهاد وحسرة على أن لا يكونوا بصحبة رسول الله ﷺ يقاتلون في سبيل الله.

وحث رسول الله ﷺ الموسرين على تجهيز الجيش وإعانة المعسرين، فتقدم كل بما مكنه الله من خير، وكان أبو بكر الصديق سباقاً، فيضع كل ما يملك بين يدي رسول الله ﷺ، ويجيء عمر بنصف ماله، وعثمان تصدق ثم تصدق حتى بلغت صدقته تسعمائة بعير ومائة فرس وألف دينار نثرها في حجر النبي ﷺ ويتوالى المسلمون يدفعون الصدقات فحتى الفقراء تصدقوا بالقليل الذي يملكونه، وكان للنساء نصيب من الإنفاق فتبرعن حتى بالخلخال والقرط أو معضد وخاتم ابتغاء مرضاة الله.

وهذا ما يفعله الايمان بالقلوب، فالأنفس جُبلت على حب المال، (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) فكم من قتل وكم سرقة وكم من خيانة كانت بسبب المال، حتى يكاد المال يكون السبب الحيوي والأهم في تحديد العلاقات بين الناس، لكن، حب الله وما يفعله بالنفوس جعل الناس تتسابق لبذل المال، انه حب الله الذي حبيب الى الناس انفاق مالهم وبذله.

انها مفاهيم جديدة تتبع من محبة الله وشوق لرضاه...

وتحرك الجيش يوم الخميس شمالا يريد تبوك.

وكان جيشا كبيرا لم يسبق أن اجتمع للمسلمين مثله، جيش من المهاجرين والانصار واهل مكة والقبائل العربية الاخرى.

ولم يكن تجهيزه كاملا، فكان ثمانية عشر رجلا يعنقون بعيرا، و ما يحملونه من زاد قليل، كانوا يحملون القليل من الطعام والكثير من الإيمان.

ومضى الجيش على بركة الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما أراد الخروج خلف على بن أبي طالب على أهله فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه إلا استنقال وتخفيفا منه.

وعندما سمع علي بن ابي طالب رضي الله عنه طالب بذلك أخذ سلاحة ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف.

فقال يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استنقلتني وتخفت

منى فقال كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه

لا نبي بعدي

فرجع علي رضي الله عنه الى المدينة^١

وكان ابو خيثمة تخلف عن الخروج مع الجيش وبقي في المدينة.

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما إلى أهله في يوم حار فوجد امرأته في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيها ماء وهيات له فيه طعاما فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح (الشمس) والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيا وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهينا لي زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير ابن وهب إن لي ذنبا فلا عليك أن تخلف عني حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة قالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أولى لك يا أبا خيثمة)) أي دنوت من الهلكة ثم أخبر رسول الله صلى

^١ السيرة لابن هشام ٥١٩/٢ وعيون الأثر ٢٥٥/٢

الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له
١

وكان الصحابة اذا تخلف أحد يقولون تخلف فلان فيقول رسول الله دعوه
فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم.
وتأخر أبو ذر على بغيره.

فلما أبطأ عليه واحس بأنه سيؤخره عن الجيش اخذ متاعه فحمله على
ظهره وخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا ونزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض منازلهم فنظر ناظر من المسلمين فقال
يا رسول الله إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله
أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر يمشى وحده
ويموت وحده ويبعث وحده^٢

وهذا ما حدث حيث توفي أبو ذر وحيداً منفرداً .

(وفي بعض الطريق اشتد بالجيش العطش، فشكوا إلى رسول الله ﷺ
عطشهم فدعا الله فجاءت سحابة فأمطرت حتى ارتوى الجيش وحملوا
معهم)^(٣)

^١ السيرة لابن هشام ٥٣٢ / ٢ وانظر عيون الأثر ٢ / ٢٥٥

^٢ انظر عيون الأثر ٢ / ٢٥٦

^(٣) أنظر تاريخ الطبري ١٨١ / ٢ والسيرة لابن هشام ٥ / ١٩٥.

وفي الطريق قال رسول الله ﷺ تهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقيم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله، فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طي. (١)

(وفي بعض الطريق وأثناء استراحة الجيش، ضلّت ناقة رسول الله فخرج الصحابة يبحثون عنها، فقال رجل من المنافقين اسمه زيد بن اللصيت القينقاعي: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ:

((إن رجلا قال: هذا محمد يزعم انه يخبركم بأمر السماء ولا يدري أين ناقته؟ واني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها)) .

فذهبوا فجاؤا بها). (٢)

ومما أورده أبو سعيد الخدري رضي الله عنه لما كانت تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فذبحنا نواضحنا (إبلنا)، فأكلنا وأدمننا، فقال لهم رسول الله ﷺ (افعلوا) فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلوا قل الظهر (الإبل التي تحملهم). ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك، فدعا رسول الله بنطع . بساط من جلد - فبسطه، ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف الذرة،

(١) مسلم باب معجزات النبي ﷺ ١٧٨٥/٤ برقم ١٣٩٢ ودلائل النبوة للأصبهاني ١٧١/١ برقم ٢١٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١٩٥/٥ .

والآخر بكف التمر والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع في ذلك شيء يسير، ثم دعا عليه بالبركة، ثم قال (خذوا في أوعيتكم) فأخذوا بأوعيتهم حتى ما تركوا في المعسكر وعاء إلا ملئوه، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت منه فضلة، فقال رسول الله ﷺ (أشهد أن لا اله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة) (١)

❁ في أرض تبوك:

نزل الجيش الإسلامي بتبوك وهو مستعد للقاء العدو متغلبين على قلة الزاد والمؤونة بمحبتهم لله وما أعده لهم من عظيم عطائه وهو الكريم، ثم أليس بصحبة النبي ﷺ ما ينسي الجوع والعطش والبعد عن الأهل؟ أليست محبته زاد العاشقين.

أما الرومان ومن تحالف معهم فقد أخذهم الرعب فلم يجترؤا على التقدم، فتفرقوا داخل بلادهم، فكان لذلك أحسن الأثر في سمعة المسلمين العسكرية داخل الجزيرة وخارجها، وبما يفوق ما كانوا سيحصلون عليه لو التقى الجيشان.

ومكث رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوما يرهب العدو ويستقبل الوفود، بعد أن أيقنت القبائل التي تعمل لصالح الرومان أن اعتمادهم على سادتهم القدماء قد فات أوانه، فانقلبوا لصالح المسلمين.

(١) مسلم باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ٥٦/١ برقم ٢٧

وصحيح ابن حبان ٤٦٥/١٤ برقم ٦٥٣٠ .

❁ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر

دومة:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبدالمك رجل من كندة كان ملكا على دومة وكان نصرانيا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد إنك ستجده يصيد البقر. فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته فأنت البقر تحك بقرونها باب القصر فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا أحد فنزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان فركب وخرجوا معه بمطاردهم فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته وقتلوا أخاه وقد كان عليه قباء من ديباج مخصص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه.

وفيه قال عليه السلام لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا.

ثم إن خالدًا قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقت له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع إلى قريته^١ وقال أكيدر عن البقر والله ما رأيتها قط جاءتنا إلا البارحة ولقد كنت أضمر لها اليومين والثلاثة ولكن قدر الله.

^١ سبل السلام ٦٦/٤ و دلائل النبوة للاصبهاني ١٤٤/١ برقم ١٥٧

ودومة الجندل وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة.

ف عقد حكام المدن في أطراف الشام معاهدات صلح مع النبي ﷺ وآثروا دفع الجزية، فقد أرسل ملك أيله هدايا للنبي ﷺ وصالحه على الجزية، وكذلك فعل أكيدر ملك دومة الجندل وكتب رسول الله ﷺ معاهدات لكل من أهل جرباء وأذرح وأهل مقنا يؤدون بموجبها الجزية كل عام ويخضعون لسلطان المسلمين.

وقد قادت هذه المعاهدات إلى تأمين الحدود الشمالية للدولة الإسلامية وإنهاء السيطرة الرومانية على هذه المناطق وتحرير قبائلها من ذل الخضوع والتبعية لسلطان الروم...

وأدت سياسة النبي هذه ﷺ إلى إيجاد فاصل بين المسلمين وبين الروم بأمارات تدين للرسول بالطاعة وتخضع لحكم المسلمين أصبحت فيما بعد نقاط ارتكاز سهلت مهمة الجيوش الإسلامية في الفتوحات ونشر الإسلام، وعاد رسول الله ﷺ ومن معه إلى المدينة يحفهم نصر الله وحفظه، واستغرقت هذه الغزوة خمسين يوماً.

وكان لهذه الغزوة أثرها في نفوس أهل جزيرة العرب فأحسوا بقوة الإسلام وهيمنته على أرجاء الجزيرة، وارتفعت معنويات المسلمين، وانتهت مع انهيار النفوذ الروماني آمال المنافقين وأهل الكفر وقد أمر الله بالتشديد عليهم فنهى عن قبول صدقاتهم أو الصلاة عليهم أو الاستغفار لهم، وأمر بهدم وكر تأمرهم الذي سموه مسجداً.

❁ هدم مسجد ضرار:

﴿ وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالرِّصَادَا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَأَنْقَمَ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ
تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ مِثْبًا الْمَطْهَرِينَ ﴿١٠٨﴾ التوبة.

بنى المنافقون مسجدا بقاء ضرارا وتفريقا بين المسلمين ووكرا لمن
حارب الله ورسوله وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يصلي لهم فيه عند خروجه
للغزوة فأرجأهم لحين عودته، فلما أرجعه الله من تبوك وكان بينه والمدينة
يوم أو بعض يوم في منطقة أوان نزل جبريل الأمين يخبر النبي ﷺ بأمر
المسجد وانه بنى كوكر ظاهره الصلاة وباطنه لمحاربة الله ورسوله
والإسلام والتآمر عليهم، فبعث رسول ﷺ مالك بن الدخشم أخا بنى سالم
بن عوف ومعن بن عدى أخا بنى العجلان فقال انطلقا إلى هذا المسجد
الظالم أهله فاهدماه وحرقاه، فهدهما وأحرقاه^١

﴿ المخلصون ﴾:

بعد ان أرجع الله رسوله والمسلمين سالمين منتصرين الى المدينة
وبعد ان استقر الرسول جاءه المنافقون من الذين لم يأتروا بأمر الله ولم
يخرجوا معه في غزوته، جاءوه يحملون اعدارهم وكذبهم ويختلقون الأعذار
والاكاذيب عن اسباب منعته من الخروج، والله سبحانه وتعالى مطلع
عليهم يعلم خائنة أعينهم وما تخفي صدورهم وكان يُطلع نبيه على كذبهم.

^١ السيرة لابن هشام ٥٢٩/٢

وكان ثلاثة من المسلمين قد تخلفوا، لم يكن عندهم شك بالإسلام ولم ترتاب قلوبهم بصدق الدعوة وصدق الإسلام لكنهم لم يخرجوا في الغزوة.

وحين عاد الرسول الى المدينة... كان الثلاثة قبلها قد أحسوا بذنبهم فضاقت عليهم الأرض واحسوا ان لا ملجأ من الله الا باللجوء اليه وشعروا بأنهم فقدوا صفاء انفسهم وفقدوا لذة القرب من الله، فقدوا كل احساس بالسعادة حين علموا بأنهم جَفَوْا الله.

أما حين عاد الرسول صارت المشكلة اكبر فكيف سيقابلون حبيبهم رسول الله وماذا سيقولون وبماذا سيعتذرون؟

لم يجد المنافقون مشقة في الاعتذار اما اهل الصدق فما من عذر يشفع لهم، وما كان من أحد يعرف حجم ألمهم الذي بداخلهم، فيحملون صدقهم والمهم ويذهبون الى رسول الله.

ونهى رسول الله المسلمين ان يكلموا الثلاثة الذين تخلفوا:

كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي.

ويعتزلهم الناس.

وتظلم الدنيا بعيونهم ويشتد خوفهم ألا يسامحهم الله، كان المخلفون من أهل النفاق استعانوا بالكذب أمام رسول الله فلم يعاتب منهم أحدا وأرجأ امرهم الى الله، اما الثلاثة الصادقون، قاطعهم رسول الله والمسلمون ولم يكلمهم أحد واعتزلهم الجميع، فعاشوا مع المهم وأملهم بعفو الله والله تواب رحيم.

وتمتد مقاطعة الناس لهم اربعين ليلة ثم، تؤمر نسائهم بإعتزالهم، كان الألم كبيراً فرسول الله قريهم ينظرون اليه ولا يكلمهم. وبعد ان تتم على مقاطعتهم خمسون ليلة يجود عليهم الله بعفوه وتنزل لهم بشرى المغفرة (١)

ويحمل اليهم رسول الله بشرى العفو قرآناً أنزله الله التواب الرحيم، آيات معطرة بمغفرة من الله، ويقول رسول الله لأحدهم وكان وجهه يبقر من السرور: ((أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك))

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ . التوبة

🌟 نظرة على الغزوات:

(غزوات النبي ﷺ وسراياه وبعوثه إذا حلت وفهمت وفق قوانين الحروب وخلفياتها وآثارها تقود بشكل واضح لكون النبي ﷺ أعظم قائد عسكري عرفته الدنيا وأكثر القادة سداداً وأعمقهم فراسة وفتنة وتيقظاً، فلم يقم بأي غزوة إلا أن تكون أصوب وأنجح تصرف في وقتها وبما تقتضيه الحكمة

^١ انظر السيرة لابن هشام ٢ / ٥٣١

والحزم والشجاعة وتعبر عن فهم دقيق ورؤية صحيحة لمسار الأحداث واختيار لأمثل الحلول.

✽ وفي القتال كان أسلوبه الأمثل من حيث التعبئة والتعيين على المراكز الإستراتيجية، وإتباع أسلوب السرية في التحرك والمباغلة في القتال، واحتلال أفضل المواقع وأصوبها، واختيار أفضل خطة لإدارة القتال، فكان أسلوبه متميز بقيادة وفق أسلوب فريد غير ما عرفته الدنيا في القادة، أما في حنين وأحد، فضعف أفراد من الجيش، أو معصية بعض أفرادهم وعدم التزامهم بالأوامر وبالتعليمات قادت إلى ما حصل حينها.

وقد تجلت عبقريته ﷺ في هاتين الغزوتين عند هزيمة المسلمين، فثباته، والحكمة الفذة بعدم تمكين العدو من تحقيق أهدافه، في أحد، وتغيير مجرى الأحداث وقلب الهزيمة إلى نصر في حنين، رغم ما تتركه تلك الهزيمة من أثر ساحق على أعصاب القادة، تنمان عن عبقرية منقطعة النظير.

✽ هذا من حيث الإدارة والقيادة العسكرية، أما من حيث النتائج فقد استطاع بهذه الغزوات فرض الأمن وبسط السلام وإطفاء الفتنة وكسر شوكة الوثنيين وجرهم إلى المصالحة والسلام مما مكّن من تبليغ الرسالة إلى الناس.

✽ ومن ثمار هذه الغزوات أنها خلقت نخبة من القادة تتلمذت في مدرسة النبي ﷺ حملوا رسالة الإسلام إلى كل الدنيا وتفوقوا بإدارة العمليات

القتالية والتخطيط للحروب ضد جيوش الروم والفرس وسواهم ممن منعهم من إيصال الرسالة إلى الناس وتبليغ الهدى الرباني إلى الخلق رغم أسلوب تلك الجيوش المتميز وتفوقها بالعدد والعدة وعمق خبرتها العسكرية.

✽ وغير ✽ غاية القتال السائدة قديماً من قتل وتخريب وهتك حرمان وثورات واستيلاء على الأموال ونشر الفساد، إلى جهاد لتخليص المستضعفين والدفاع عن حقوقهم وتطهير الأرض من الغدر والخيانة، كان نقلاً للقتال من أسباب دنيوية تقوم على الطمع والغدر إلى قتال من أجل أسباب إلهية لتطبيق الخير والعدل والمساواة، لذلك وضع قواعد شريفة للقتال لا يسمح بالخروج عليها، فيبتدئ الجيش بدعوة الأعداء إلى الإسلام وترغيبهم بما عند الله، ثم لا غلو ولا غدر ولا تمثيل ولا قتل لوليد أو شيخ أو امرأة أو إهلاك للحرث أو النسل ولا قتل مدبر أو أسير، فالأساس في الإسلام بناء مجتمع بأخلاق فاضلة ومثل ومبادئ خير ورحمة و معالي الأخلاق يتحلى بها المسلمون في السلم والقتال وفي كل الظروف، الأساس خلق إنسان يؤمن بالله ويصنع للناس خيراً.^(١)

✽ ومن حيث الأسباب كانت الغزوات لدفع خطر المشركين الذين أرادوا القضاء على دولة الإسلام وبإسلوهم فليس من المعقول ان تحاور من جاء يحمل سيفاً ليقتل، المنطق ان تبعد أذاه وبالطريقة الأمثل ثم

(١) أنظر الرحيق المختوم ص ٤٢٥ - ٤٢٧ .

تحاوره وهذا ما شاهدناه جلياً في تعامل النبي مع أسراه، فحين كانوا يلقون سيوفهم مجبرين حينها كانت تبدأ عملية الحوار.
 أو كان القتال لتأديب أهل الغدر المحرضين على قتال المسلمين وناقضي العهود كما حدث مع اليهود.
 في هذه الحالات كان القتال دفاعاً عن النفس ولدفع القتل عن المسلمين.

كان الدور الذي كلف الله به نبيه محمد ﷺ هو الدعوة للإسلام وليس إجبار الناس على الدخول فيه وتلك سنة الله سبحانه وتعالى مع جميع رسله:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ . الأنعام ٤٨

﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ۚ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ . النمل ٩٢

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ . المائدة ٦٧

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾

الأعراف ٦٢

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ . الأعراف ٦٨

فعمل النبي صلى الله عليه وسلم ودوره كما الأنبياء من قبله
ايصال رسالة الله الى الناس بأنه لا اله الا الله، وقد اختار الله سبحانه
أكمل السبل بالدعوة اليه:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل ١٢٠ .

ومدهم بعد ذلك بسبل النجاح فأيدهم بالمعجزات ووسائل الاقناع
الطيبة وأمرهم بالصبر على أذى اعدائهم والاحتساب لله.

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ .

البقرة ٢١٣

وبعد الدعوة وإيصال الرسالة الى الناس فلكل امريء ما اختار
والانسان حر باختياره

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ . الكهف ٢٩

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾ . هود ٥٧

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا

مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ

يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٣٧) . البقرة ٢٧٢

ويبقى ايصال الدعوة لله الى الناس قائمة وهي أصل العلاقة حتى

مع الأعداء

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ

مَأْمَنَهُ ۗ . التوبة ٦

أصل الدور الذي كلف الله سبحانه به أنبيائه هو إيصال الأمر للناس بأنه مامن اله الا الله، والدعوة لعبادته وحده، هذا هو واجبهم. لكن أهل الباطل وأولياء الطاغوت واتباع الشيطان كانوا يحولون بين الرسل وبين إيصال هذه الرسالة الى الناس فكانوا يحولون دون وصول الدعوة بالقوة ويحاولون قتل الأنبياء او اسكاتهم. فكان القتال والجهاد.

قتال أهل الباطل الذين يحولون بين النبي ﷺ وتبليغ الرسالة.

فكان الأصل والمراد هو تبليغ رسالة الله إلى عباده وبعدها فمن شاء منهم أن يؤمن ومن شاء فليكفر، فقتال النبي ﷺ لتبليغ الدعوة لكنه لم يجبر أحد على الدخول في الإسلام.

فالعقيدة مستقرة في القلوب وكل قوى الأرض وجيوشه لا تغير ما بقلب المرء أو نيته.

لذلك كان الإدعاء بأن الإسلام انتشر بالسيف محض كذب أو قراءة خاطئة للتاريخ تتم عن جهل بالاسباب والنتائج في مفردات التاريخ.

❁ حج ابي بكر بالناس:

استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق على الحج فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده عليها ناجية بن جندب الاسلامي وساق أبو بكر خمس بدنات فلما كان بالعرج لقيه علي بن أبي طالب على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء فقال له أبو بكر استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ سورة براءة على الناس وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده فمضى أبو بكر فحج بالناس وقرأ علي بن أبي طالب سورة براءة في يوم النحر عند الجمرة ونبذ إلى كل ذي عهد عهده وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

ولما نزلت سورة براءة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ثم بعث إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أن لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته (١)

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كل موقف يقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادي بالناس:

لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهدته إلى مدته، ولا يحج بعد العام مشرك.

(١) السيرة لابن هشام ٥٤٥/٢

وبيّن لهم مدة الله التي ضرب على لسان نبيه أربعة أشهر يسبحون فيها حيث شاءوا فقالوا بل الآن لا نبتغي تلك المدة نبراً منك ومن ابن عمك إلا من الضرب والطعن فحج الناس عامهم ذلك فلما رجعوا أرغب الله المشركين فدخلوا في الاسلام طوعا وكرها.

وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهداً عاماً وعهداً خاصاً، فالعام: أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد في الأشهر الحرم فانقض ذلك بسورة براءة، والخاص: بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب إلى آجال مسماة ولذلك قال

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ التوبة: ٤ .

وكانت بداية سورة براءة قد اعلنت الحرب على الوثنيين ومنعت دخولهم البيت الحرام .

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ. فَإِنْ بُئْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ التوبة.

والذين لهم عهد مع رسول الله الى انقضاء عهدهم:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . التوبة ٤

وأهل من لا عهد بينهم وبين المسلمين حتى نهاية وانسلاخ الأشهر الحرم يكونون بعدها في حالة حرب:

﴿ فَإِذَا انسَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . التوبة ٥

﴿ قُدُومُ الْوَفُودِ لِلْبَيْعَةِ ﴾

بعد انتهاء الصراع بين النبي ﷺ وقريش وبعد فتح مكة، وبعد امتداد منطقة النفوذ الإسلامي لتشمل أغلب جزيرة العرب وحتى القبائل القريبة من الحدود مع الشام، بدأت قبائل العرب تتوافد على رسول الله ﷺ مبايعة ومعلنة دخولها في الإسلام طائعة لله أو متحالفة متصالحة على دفع الجزية.

وقد تكاثرت الوفود بعد غزوة تبوك حتى لكأن هذا العام عام الوفود ، وقد حفلت كتب التاريخ بتعداد هذه الوفود وبتفصيلاتها وبأسانيدها ورغم ان كثيراً مما نقلت كتب التاريخ لا تمتاز بالنقل الصحيح وفق اساليب التدوين الحديثة الا انه تبقى تلك الكتابات والنقل تحوي الكثير من المرويات عن الوفود صحيحة بالسند او الاخبار .

وحملت إلنا تلك الكتابات الكثر من المنهجية التربوية للرسول صلى الله عليه وسلم واسلوبه فى التعامل مع النفس البشرية بأسس تربوية قوومة ، إضافة لما تضمنته من وفقه شامل لأمر الدين والعقيدة بسبب تنوع أسئلة الوفود واستفساراتها فى مختلف أمور الدين .

كان رسول الله ﷺ يحسن استقبال الوفود ويكرم وفادتهم فكان يهيه لهم أماكن إقامة تلىق بالضيوف وكان يحرص أن يكونوا قريبين من المسجد حتى يروا صلاة النبى بالمسلمين ويسمعوا القرآن، ثم كان حرص رسول الله ﷺ على أن يتفقهوا فى الدين ويعرفوا الفقه والعبادات ويسمع أسئلتهم حتى يعودوا لأهلهم هادين مهديين، وسنسلط الضوء على قسم منها .

❁ قدوم ضمام بن ثعلبة:

عن أبى هريرة قال: بينما النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه متكئا (أو قال جالسا) جاءهم رجل من أهل البادية فقال أياكم ابن عبدالمطلب قالوا هذا الامغر المرتفق (الامغر الابيض مشرب حمرة، والمرتفق مثل المتكى) قال فدنا منه وقال إنى سائلك فمشئت عليك فى المسألة فقال سل عما بدى لك فقال أنشدك برب من قبلك ورب من بعدك الله أرسلك قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله الله أمرك أن تصلى خمس صلوات فى كل يوم وليلة قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله الله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم قال فأنشدك بالله الله أمرك أن يحج هذا البيت من استطاع إليه سبيلا قال

اللهم نعم قال فاني قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة وأما هذه الهناة فوالله إن كنا لنتنزه عنها في الجاهلية. والهناة الفواحش فلما أن ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل.

قال فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: ما رأيت أحدا أحسن مسألة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة.

وذكر ابن اسحق هذا الخبر وقال فيه إن ضماما قال لقومه عند ما رجع إليهم إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استتقذكم به مما كنتم فيه وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه قال فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما قال يقول عبدالله بن عباس فما سمعنا بوفاد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة^١

❁ قدوم وفد عبدالقيس:

وفيهم الجارود بن بشر بن المعلى وكان نصرانيا فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه إليه ورغبه فيه فقال يا محمد إنى قد كنت على دين وإنى تارك دينى لدينك أفتضمن لى دينى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا ضامن ان قد هداك الله إلى ما هو خير منه قال فأسلم وأسلم أصحابه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحملان فقال والله

^١ انظر السيرة لابن هشام ٥٣٧/٢

ما عندي ما أحملك عليه فقال يا رسول الله فان بيننا وبين بلادنا ضوال
من ضوال الناس أفنتبغ عليها إلى بلادنا قال لا إياك وإياها فانما تلك
حرق النار.

فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه وكان حسن الاسلام.
وقد أدرك الردة فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينه
الاول مع المغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر.
قام الجارود فتشهد شهادة الحق ودعا إلى الاسلام فقال أيها الناس
إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله
وأكفر من لم يشهد^١

❁ وفد عبد قيس: ان لهؤلاء القوم وفادتين على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، هذه وكانت في السنة الخامسة للهجرة والتي تشكلت من اربعة
عشر رجلاً والثانية التي تكلمنا عنها كانت في عام الوفود .
من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : ان وفد عبد قيس لما أتوا
النبي صلى الله عليه وسلم قال : من الوفد ؟ قالوا : ربيعة . قال مرحباً
بالوفد (او القوم) غير خزايا ولا ندامى قالو يا رسول الله صلى الله عليك
وسلم ان بيننا وبينك كفار مضر ، فمرنا بأمر ندخل به الجنة ونخبر به
من وراءنا وسألوا عن الاشرية فنهاهم عن اربع وامرهم بأربع امرهم
بالإيمان بالله قال تدرون ما الايمان بالله ؟ قالة الله ترسوله اعلم قالشهادة

^١ انظر السيرة لابن هشام ٥٧٥/٢

ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً رسول الله وإقام الصلاة
وايتاء الزكاة وصيام رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس ونهاهم عن
اربع عن الحنتم (جرار كان يحمل فيها الخمر) والدباء (القرع اليابس)
والنقير (جذع ينقر وسطه) والمزفت (الاوعية المطلية بالزفت) وربما قال
المقير (المطلي بالقيير) قال احفظوهن واخبروا بهن من وراءكم^١

❁ قدوم زيد الخيل بن مهلهل الطائي في وفد طيء:

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء فيهم زيد الخيل وهو
سيدهم فلما انتهوا إليه كلمهم وعرض عليهم الاسلام فأسلموا وحسن
إسلامهم.

وقال عليه الصلاة والسلام ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني
إلا رأيتَه دون ما قيل فيه إلا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما فيه.
ثم سماه زيد الخير^٢

❁ وفد تجيب:

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وهم من
السكون ثلاثة عشر رجلاً قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله

(١) صحيح البخاري ٢٩/١ برقم ٥٣ و مسند الامام احمد ٢٢٨/١ برقم ٢٠٢٠ (بلفظ
اتيناك من شقة بعيدة وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ولسنا نستطيع ان نأتيك الا في
شهر حرام)

(٢) انظر السيرة لابن هشام ٥٧٧/٢

عليهم فسّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأكرم منزلهم وقالوا:
يا رسول الله سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم.

قالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا.
فقال أبو بكر يا رسول الله ما وفد علينا وفد من العرب مثل ما وفد
به هذا الحى من تجيب.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان.
وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء فكتب لهم بها وجعلوا
يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
رغبة وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم.

فأقاموا أياما ولم يطلبوا اللبث فقبل لهم ما يعجلكم فقالوا نرجع إلى
من وراعنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامنا إياه وما
رد علينا.

ثم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعونه فأرسل إليهم
بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود قال هل بقى منكم أحد قالوا
غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنا قال فأرسلوه إلينا فلما رجعوا إلى
رحالهم قالوا للغلام انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض
حاجتك منه فانا قد قضينا حوائجنا منه وودعناه فأقبل الغلام حتى أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني امرؤ من بنى
أبذى.

قال الواقدي هو أبدي بن عدى وأم عدى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج واليها ينسبون.

يقول الغلام من الرهط الذين أتوك أنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي يا رسول الله قال وما حاجتك قال إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي وإن كانوا قدموا راغبين في الاسلام وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم وإني والله ما أعملني من بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي وأن يرحمني وأن يجعل غناي في قلبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل إلى الغلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه.

ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه فانطلقوا راجعين إلى أهليهم ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم بمنى سنة عشر فقالوا نحن بنو أبدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذي أتاني معكم قالوا يا رسول الله والله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله إنى لأرجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أو ليس يموت الرجل جميعا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله عزوجل في أيها هلك قالوا فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزده في الدنيا وأقنعه بما رزق.

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من أهل اليمن عن الاسلام قام في قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم أحد. وجعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به فكتب إلى زياد بن لبيد يوصيه به خيرا.

❁ رسالة ملوك اليمن:

وبعد رجوع النبي من تبوك قدم كتاب ملوك حَمِير وهم الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان بن قيل وهمدان بعثوه بيد رسولهم مالك بن مرة الرهاوي يتضمن اسلامهم وتركهم الشرك. وكتب اليهم رسول الله كتابا بين لهم فيه اصول الدين وأوامره ونواهيها، واعطى فيهم المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله اذا اعطوا ما عليهم من الجزية، وبعث اليهم رجالا أميرهم معاذ بن جبل ليقرئهم القرآن ويفقههم بالدين.

وعند نهاية السنة التاسعة للهجرة فإن الدولة الإسلامية امتدت من ساحل البحر الأحمر إلى ساحل الخليج العربي، ومن مناطق جنوب الأردن ومشارف الشام إلى سواحل اليمن وعمان¹

❁ وفد غامد:

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد غامد وهم عشرة فنزلوا في بقيع الغرقد وهو يومئذ أثل وطرفاء (نوعان من الشجر) ثم

¹ انظر السيرة لابن هشام ٥٨٨/٢

انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا عند رحلهم أحدثهم سنا فنام عنه وأتى سارق وسرق عيبة (مستودع الملابس) لاحدهم فيها أثواب له.

وانتهى القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه وأقروا له بالاسلام وكتب لهم كتابا فيه شرائع من شرائع الاسلام، وقال لهم: من خلفتم في رجالكم قالوا أحدثنا يا رسول الله قال فانه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم فقال أحد القوم يا رسول الله ما لاحد من القوم عيبة غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذت وردت إلى موضعها فخرج القوم سراعا حتى أتوا رحلهم فوجدوا صاحبهم فسألوه عما خبرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فرغت من نومي ففقدت العيبة فممت في طلبها فإذا رجل قد كان قاعدا فلما رأني ثار يعدو منى فانتهيت إلى حيث انتهى فإذا أثر حفر وإذا هو قد غيب العيبة فاستخرجتها فقالوا نشهد أنه رسول الله فانه قد أخبرنا بأخذها وأنها قد ردت فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وجاء الغلام الذي خلفوه فأسلم.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب فعلمهم قرآنا وأجازهم صلى الله عليه وسلم كما كان يجيز الوفود وانصرفوا.

❁ وفد بهراء:

عن كريمة بنت المقداد قالت سمعت أُمي ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب تقول قدم وفد بهراء من اليمن وهم ثلاثة عشر رجلا فأقبلوا

يقودون رواحهم حتى انتهوا إلى باب المقداد ونحن في منازلنا ببني حديلة فخرج إليهم المقداد ورحب بهم وأنزلهم وجاءهم بجفنة من حيس (طعام من تمر وسمن واقط) كنا قد هيأناها قبل أن يحلوا لنجلس عليها فحملها أبو معبد المقداد وكان كريما على الطعام فأكلوا منها حتى نهلوا ورُدَّت الينا القصة وفيها أكل فجمعنا تلك الأكل في قصعة صغيرة ثم بعثنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سدرة مولاتي فوجدته في بيت أم سلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضباعة أرسلت بهذا قالت سدرة نعم يا رسول الله قال ضعي ثم قال ما فعل ضيف أبي معبد قلت عندنا فأصاب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أكلوا هو ومن معه في البيت حتى نهلوا وأكلت معهم سدرة ثم قال اذهبي بما بقى إلى ضيفكم قالت سدرة فرجعت بما بقى في القصعة إلى مولاتي قالت فأكل منها الضيف ما أقاموا نرددها عليهم وما تغيض حتى جعل الضيف يقولون يا أبا معبد إنك لتنهلنا من أحب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين وقد ذكر لنا أن بلادكم قليلة الطعام إنما هو العلق (جمع علقه وهو ما يتبلغ به للعيش) أو نحوه ونحن عندك في الشبع، فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أكل منها أكلا وردها فهذه بركة أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل القوم يقولون نشهد أنه رسول الله وازدادوا يقينا وذلك الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما ثم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائزهم ثم انصرفوا إلى أهليهم.

واستمرت الوفود تتعاقب وتكثر معلنين دخول اقوامهم في الاسلام ومبايعين رسول الله، وراح النبي ﷺ يدير شؤون البلاد فيرسل الدعاة وينصب الولاة ويوقر ما تحتاجه البلاد من التنظيم.

وقد بلغت الوفود المبايعة ما يقرب من سبعين وفي بعض المصادر انها بضع وثمانون وفدا يمثل قبائل العرب.. وكان دخولا للناس أفواجا في دين الله.

❁ تخيير النبي ﷺ لزوجاته:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَأَفْضَلُ بَلْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ ٢٨ ﴾

﴿ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ٢٩ ﴾ . لأحزاب

(وقد دلت الأحاديث الصحيحة على نزول هاتين الآيتين كان بعد اعتزال رسول الله ﷺ نسائه بعد ان اقسام ان لا يدخل عليهن شهرا، فاعتزلهن في مشربة له.

واما سبب نزولها هو طلب زوجته ﷺ التوسعة عليهن في النفقة، فقد اخرج مسلم عن جابر قول رسول الله لأبي بكر وعمر ونسائه حوله ((هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلُنَنِي النَّفَقَةَ)) (١).

كانت الحياة المعيشية في بيوت رسول الله ﷺ تجري على وتيرة واحدة بالرغم من امكانية التوسع في بعض الأحيان، ونساء النبي من البشر

(١) مسند الامام احمد مسند جابر ٣ / ٣٢٨ برقم ١٤٥٥٥.

يرغبن بما يرغب به الناس ويشتهين ما يشتهيهم الناس، فقد كانت مساكنهم متواضعة بسيطة غاية البساطة مبنية من اللبن والطين وبعض الحجارة وسقوفها من جذوع النخل والجريد وغير عالية، ينالها الواقف اذا مد يده. اما الإضاءة: فلم يكن هناك مصباح يستضاء به.

اما الفراش الذي يأوي اليه رسول الله ﷺ فهو عبارة عن رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجانبه، يتكئ على وسادة من أدم حشوها ليف.

فقد كانت معيشتة تدل على الشدة، يقول انس بن مالك ما أعلم النبي رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله ولا أرى شاة سميماً . أزيل شعرها بالماء الساخن وشويت . عينه قط، وعن عائشة قالت: ان كنا ننظر الى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله نار، فيقول لها عروة بن الزبير: ماكان يعيشكم ؟ قالت: الأسودان: التمر والماء. ثم بعد فتح خيبر وفتح مكة رغب ان ينالهن حظ من التمتع بنعم الله. ولذلك جاءت مسألة التخيير.

وكان موقف نساء النبي أمهات المؤمنين موقفاً واحداً وحاسماً فقد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة. (١)

❁ وفاة رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول:

وتوفي عدو الله وعدو رسوله عبد الله بن أبي بن سلول والذي آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآذى المسلمين.

(١) انظر السيرة النبوية عرض وقائع ص ٨٥٧- ٨٥٨.

ويسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفنوه به.

فيفيض رسول الله بالرحمة وبحب الخير للكل.

فعن ابن عمر قال: لما توفي عبدالله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبدالله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فأعطاه، ثم سأله أن يصلى عليه.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال: يا رسول الله، تصلى عليه وقد نهاك الله عنه؟ فقال

رسول الله: إن ربي خيرني فقال: ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُكُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ

لَكُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. التوبة: ٨٠

" وسأزيد على السبعين "

فقال: إنه منافق أتصلى عليه؟ فأنزل الله عزوجل بعدها:

﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَمَا تُوُوا وَهُمْ فَاسْفُوتُونَ ﴾. التوبة ٨٤

❁ من أحداث العام التاسع:

وفاة النجاشي أصحابه وقد صلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب.

وفاة أم كلثوم رضي الله عنها بنت رسول الله زوجة عثمان بن عفان.

السنة العاشرة للهجرة:

عندما نزل التكليف من الله ﷻ لنبيه ﷺ بالقيام بأعباء الدعوة إلى الله (قم الليل إلا قليلا) و (قم فأنذر) فقام، وظل قائما أكثر من عشرين عاما يحمل على عاتقه عبء الأمانة الكبرى، عبء البشرية كلها وعبء العقيدة كلها وعبء الكفاح والجهاد في ميادين شتى.

✽ حمل أعباء الكفاح في ميدان الضمير البشري الغارق في أوهام الجاهلية وتصوراتها، والمكبل بالشهوات وأغلالها، حتى خلص هذا الضمير في بعض صحابته فعاشوا في دنيا النور والقرب من الله متقلبين في رحمته.

✽ عمد إلى معارك متلاحقة في ميدان جديد مع أعداء الدعوة إلى الله المتألبين عليها وعلى المؤمنين، مع الساعين إلى قتل هذه الغرسة الزكية وعلى هدم هذا النموذج العظيم من البناء في صور الصحابة.

✽ ولم يكد يفرغ من معارك الجزيرة مع أهل الشر وحماية النموذج المبارك للإنسان والمجتمع الجديد، كان الرومان يتهيئون للبطش بالدولة الجديدة من تخومها الشمالية.

✽ وفي أثناء ذلك لم تكن المعركة الأولى، معركة محاربة الشر ونوازه داخل النفس البشرية قد انتهت فظل يقاتل لتطهير النفوس وتصفيتها والارتقاء بها إلى دنيا الرضوان والقبول فكان مدرسة دائمة

العمل لتخريج أهل الصلاح والإيمان. كان همه أن يبني الإنسان المؤمن الإنسان العابد الذي لا تثقله الشهوات.

✽ وحين كان ﷺ يقاتل في كل هذه الميادين كان يعاني شظف من العيش والدنيا مقبلة عليه، وهو يجهد ويكابد والمسلمون يستروحون من حوله ظلال الأمن والراحة، كان في نصب وتعب دائم، وفي صبر جميل على هذا كله وفي قيام الليل وعبادة لربه مستمرة، وترتيل للقرآن، وتبتل إليه كما أمره أن يفعل.

✽ وكان طوال أكثر من عشرين عاما وهو مضطلع بأعباء الجهاد، ما كان يلهيه شأن عن شأن، حتى نجحت الدعوة في كل الميادين وبما يحير العقول. فقد دانت الجزيرة بالإسلام وزالت الجاهلية وكسرت الأصنام، وتردد صوت الآذان للصلوات عبر فضاء الصحراء، وتوجه القرآء بكل اتجاه يتلون آيات الكتاب ويعلمون الناس أحكامه.

وتوحدت الشعوب والقبائل المتناثرة وخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحورب الظلم وصار الكل إخوان متحابون، متمثلون بأحكامه ينشر الله فوقهم رايات المحبة وقد أذهب عنهم قيم الجاهلية فلا فضل لأحد إلا بالتقوى. وتحول قتال الأمس والسبي والثارات إلى محبة وتنافس للوصول إلى الله والفوز برضاه.

❁ وتحولت الجزيرة إلى نهضة مباركة ومانار للحضارة يشع على العالم ليخلص روح البشر من الوهم والخرافة والعبودية والرق والفساد والتحلل، ومن فوارق الطبقات واستبداد الحكام وأهل النفوذ والسلطة وقهر الإنسان واستعباده، فبشرت ببناء العالم على أسس من العفة والايجابية والبناء والحرية والثقة والإيمان والعدالة والكرامة وترقية الحياة (١)

لقد نجح رسول الله ﷺ الذي توجَّه الله هامته بسيادة الأولين والآخرين في كل تلك الميادين ونجح فوق ما يتمنى أي من العظماء لنفسه من النجاح، فلا يمكن أن يتصور أحد ما عانى وما صنع رسول الله ﷺ وما ارتقت إليه البشرية من خير ورقي حين كان يقاتل ليبنى، فجزاه الله عنا فوق ما نريد، وكما يريد، وكما يليق بكرم الله.

❁ حجة الوداع:

بعد أن نشر الله دينه الحنيف وبما بلَّغ به النبي ﷺ واستقرت دعائم الدولة الإسلامية ونجح النبي بخلق الانسان الجديد، الانسان المتحرر من الظلم والطمع والتكبر واتباع هوى الأنفس، الانسان المتوجه الى الله والساعي لرضاه والقرب منه، كان النبي ﷺ يحس إن مقامه في الدنيا لن يطول، وذاك ما نُحسّه من قوله لمعاذ بن جبل وهو يغادر إلى اليمن:

(١) أنظر الرحيق المختوم ص ٤٣٩، ٤٤٠.

(يا معاذ، انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري)^(١)...

لم يكن بقي إلا فريضة الحج بيّن ﷺ فَرَضَهَا وَسَنَّهَا وَمَنَّاكُهَا لِلْمُسْلِمِينَ.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. آل عمران ٩٧

عزم رسول الله ﷺ على الحج، فالحج ركن من أركان الإسلام، وأعلم الناس انه حاج، فتجهزوا، وذلك في شهر ذي القعدة سنة عشر للخروج معه.

وسمع بذلك من حول المدينة، فقدموا يريدون الحج معه ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، مد البصر، وخرج من المدينة نهارا بعد الظهر لخمس بقين من ذي القعدة، وخطبهم خطبة علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه ثم سار وهو يلبي.

وقد جمع ﷺ بين الحج والعمرة. وكان هذا إياحة للعمرة في أيام الحج. بلغ النبي وبيّن دعائم الاسلام وقواعده للناس وشرحها بالقول وعمل بها ليتعلمها المسلمون حتى لم يبق من أمور الاسلام وفرائضه وسننه إلا وشرّح اصوله وعمل به امام الناس ليتعلموه.

وفي حجة الوداع بيّن للناس شريعة الحج ومناسكه واركانه فتنزل الآية الكريمة إيذاناً باستكمال جميع جوانب الاسلام وتفاصيله:

(١) صحيح ابن حبان ٤١٤/٢ برقم ٦٤٧ وموارد الظمان ١/٦٢٠ برقم ٢٥٠٤.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

المائدة ٣

أدى النبي ﷺ مناسك الحج وعلم المسلمين المناسك، فاقام بمكة اربعة أيام، وفي اليوم الخامس وكان الخميس توجه ضحى بمن معه من المسلمين الى منى فنزل بها، ثم أتى عرفة في يوم الجمعة فخطب بالناس خطبة بليغة أعلمهم بحرمة يوم النحر وفضله عند الله، وحرمة مكة، وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله وسنة نبيه وأمرهم ألا يرجعوا بعده كفارا يتقاتلون وبين حُرمة الربا وخطورة التعامل به، وأن اللعن يصيب كلاً من آكله وشاهده وكتبه ومن له علاقة به من قريب أو بعيد، نظراً لآثاره السلبية على الفرد والمجتمع و إبطال ما كان من عادات قبيحة عند العرب في الجاهلية ومنها الثأر، و الدعوة إلى احترام النساء وإعطائهن حقوقهن، ودعوتهن للقيام بما عليهن من واجبات تجاه أزواجهن و دعوة المسلمين إلى أن يتمسكوا في كل زمان ومكان بكتاب الله وسنة نبيه محمد و التأكيد على أخوة المسلمين ووحدهم وحذر المسلمين من الاختلاف والتناحر بعده ،وطلب منهم الاحتكام والرجوع إلى القرآن الكريم وسنة النبي، قرر امامهم مبدأ المساواه بين الأمم، واهاب بهم ان يعرفوا ان قيمه الإنسان تقررهما تقواه،وقربه إلى الله، وليس عنصره فجميع الناس اخوان فهم أبناء ادم، وادم خُلِقَ من تراب، فلا عجرفه ولا غرور ولا تعصب عنصري، ومما جاء في الخطبة عن أبي بكر:

(إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم

ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان، أي شهر هذا؟) قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال (أليس ذا الحجة) قلنا بلى، قال (أي بلد هذا) قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال (أليست البلدة؟) قلنا بلى قال (فأي يوم هذا؟) قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى قلنا سيسميه بغير اسمه قال (أليس يوم النحر) قلنا بلى قال (فان دماءكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض، فليبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت).^(١)

وهذا نص خطبة الوداع التي ألقاها الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم عرفة من جبل الرحمة وقد نزل فيه الوحي مبشراً أنه "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحنتكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير.

(١) البخاري باب حجة الوداع ١٥٩٩/٤ برقم ٤١٤٤.

ومسلم باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ١٣٠٥/٣ برقم ١٦٧٩.

أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا - ألا هل بلغت اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وقضى الله أنه لا ربا. وإن أول ربا أبداً به عمي العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية - ألا هل بلغت اللهم فاشهد. أما بعد أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس إنما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليوطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله. وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان - ألا هل بلغت اللهم فاشهد أما بعد أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق. لكم أن لا يواطئن فرشهم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه

بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً - ألا هل بلغت.... اللهم فاشهد. أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئٍ مال لأخيه إلا عن طيب نفس منه - ألا هل بلغت اللهم فاشهد. فلا ترجعن بعدى كافراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت... اللهم فاشهد أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى - ألا هل بلغت.... اللهم فاشهد قالوا نعم - قال فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لو ارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من ثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم (١)

ولما قضى النبي الكريم مناسكه عاد إلى المدينة ليتم رحلة الجهاد والبناء ونشر دين الله.

(١) الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، المجلد الثاني.

السنة الحادية عشرة للهجرة:

بعث أسامة بن زيد الى تخوم البلقاء:

وهي آخر بعثة للنبي ﷺ.

لقد أمعن الروم بغطرتهم في محاولة ضرب الإسلام فجاءت الأخبار تحمل قتلهم لكل من أسلم في الأراضي التي يحتلوها.

ولكي لا تشعر القبائل الممتدة على الحدود مع الرومان بأنها تحت رحمة الروم ومن أجل إعادة الثقة لهذه القبائل بالإسلام ومن أجل تأديب الروم،

لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من

مهاجره أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالتهيؤ لغزو الروم.

فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال سر إلى موضع مقتل

أبيك فإوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحا على أهل أبنى

وحرّق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فان ظفرك الله فأقل اللبث فيهم

وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك.

فلما كان يوم الاربعاء بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فحمّ

وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد لاسامة لواء بيده ثم قال: اغز بسم

الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله.

فخرج بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الاسلمي وعسكر

بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الاولين والانصار إلا انتدب في

تلك الغزوة منهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد

بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم بن حريس.

فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين.

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما قاله بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في امارتي أسامة لقد طعنتم في امارتي اياه من قبله وايم الله ان كان لخليقا للامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة وإن كان لمن أحب الناس إلى وإنهما لمخيلان لكل خير - أي لمظنة لكل خير - فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته.

وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون إلى المعسكر بالجرف.

وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول انفذوا بعث أسامة. فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل أسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغموور وهو اليوم الذي لدوه فيه فطأطأ أسامة فقبله والنبي صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على اسامة قال اسامة فعرفت أنه يدعو لى ورجع اسامة إلى معسكره ثم دخل يوم الاثنين وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقا فقال له أغد على بركة الله فودعه أسامة وخرج إلى معسكره فأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب إذا رسول أمة أم

أيمن قد جاءه يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة فانتهاوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفى حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة ودخل بريدة ابن الحصيبي بلواء أسامة معقودا حتى أتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزته عنده فلما بويح لابي بكر أمر بريدة بن الحصيبي ان يذهب باللواء إلى بيت أسامة ليمضى لوجهه فمضى بهم إلى معسكرهم الاول فلما ارتدت العرب كلّم أبو بكر في حبس أسامة فأبى وكلّم أبو بكر أسامة في عمر أن يأذن له في التخلف ففعل فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة خرج أسامة فسار إلى أبنى عشرين ليلة فشن عليهم الغارة وكان شعارهم " يا منصور أمت " فقتل من أشرف له وسبى من قدم عليه وحرق في طوائفها بالنار وحرق منازلهم ونخلهم فصارت أعاصير من الدخاخين وأجال الخيل في عرصاتهم وأقاموا يومهم ذلك من تعبئة ما أصابوا من الغنائم وكان أسامة على فرس أبيه سبحة وقتل قاتل أبيه في الغارة وأسهم للفرس سهمين ولل فارس سهمًا وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل ثم أغذ السير فوردوا وادي القرى في تسع ليال ثم بعث بشيرا إلى المدينة بسلامتهم ثم قصد بعد في السير فسار إلى المدينة ستا وما أصيب من المسلمين أحد.

وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة يتلقونهم سرورا بسلامتهم، ودخل على فرس أبيه سبحة واللواء أمامه يحمله بريدة بن

الحصيب حتى انتهى إلى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف إلى بيته. (١)

❁ طلّح الفراق:

استشعر النبي الكريم قرب انتقاله إلى قرب ربه وبان ذلك من بعض تصرفات استلمتها قلوب بعض الصحابة الذين فهموا التلويح والتلميح والإشارة في بعض الآيات والأحاديث والأحداث.

ففي حجة الوداع قال ﷺ (خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)

ويوم عرفة قال ﷺ ((أيها الناس إني والله لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا بمكاني هذا)). (٢)

وحين ودع ﷺ معاذ بن جبل في ذهابه إلى اليمن قال ﷺ:

((يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري)) فبكى معاذ. (٣)

كما إن نزول (إذا جاء نصر الله والفتح...) أواسط أيام التشريق فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع. (٤)

وكذلك فهم الصحابة إن هذا نعي النبي.

(١) انظر عيون الأثر ٣٥٤/٢.

(٢) سنن البيهقي ١٥١/٥ برقم ٩٤٦٢ وسنن الدارمي ٨٦/١ برقم ٢٢٧.

(٣) صحيح ابن حبان ٤١٤/٢ برقم ٦٤٧ وموارد الظمان ٦٢٠/١ برقم ٢٥٠٤.

(٤) البداية والنهاية ٦/٨.

وفي أوائل صفر خرج النبي ﷺ إلى أحد فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات ثم انصرف إلى المنبر فقال (إني فرطكم على الحوض وان عرضه كما بين آيلة وجحفة، إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم) يقول عقبة بن عامر (راوي الحديث) فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر. (١)

وفي رواية البخاري قال (إني فرطكم، واني شهيد عليكم، واني والله لأنظر إلى حوضي الآن، واني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض واني ما أخاف أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) (٢)

وخرج ليلة إلى البقيع فاستغفر لهم وقال ﷺ:

((السلام عليكم يا أهل البقيع، ليهن لكم ما أصبحتم فيه، لو تعلمون ما نجاكم الله منه أقبلت فتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها). (٣)
وخطب بأصحابه فقال ﷺ ((عبد خير الله أن يؤتته زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختر ما عنده)) فبكى أبو بكر وبكى فقال فدينك بأبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به، وقال رسول الله ﷺ ((إن أمن الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر ولو كنت متخذاً

(١) مسلم باب إثبات حوض رآه ﷺ وصفاته ١٧٩٦/٤ برقم ٢٢٩٦.

(٢) البخاري باب أحد جبل يحبنا ونحبه ١٤٩٨/٤ برقم ٣٨٥٧.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٥٧/٣ برقم ٤٣٨٣، ومجمع الزوائد باب تخييره ﷺ

بين الدنيا والآخرة ٢٤/٩ .

خليلا لاتخذت أبو بكر خليلا ولكن اخوة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر)).^(١)

وعن أم المؤمنين عائشة قالت دعا النبي ﷺ فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم سارها بشيء فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارني النبي ﷺ أن يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني أنني أول أهل بيته يتبعه فضحكت.^(٢)

❁ بداية المرض:

في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة (١١) للهجرة وكان يوم الاثنين شهد رسول الله ﷺ جنازة في البقيع فلما رجع . وهو في الطريق أخذ صداع في رأسه وانتقدت الحرارة حتى إنهم كانوا يجدون سورتها فوق العصابة التي تعصب بها رأسه. وقد صلى النبي ﷺ بالناس وهو مريض (١١) يوما، وجميع أيام مرضه كانت (١٣) أو (١٤) يوما.

وعن عبد الله بن مسعود ؓ يقول: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت يا رسول الله انك لتوعك وعكا شديدا، قال (أجل إنني أوعك كما يوعك رجلان منكم) قلت ذلك بأن لك أجرين قال (أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيب أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها).^(٣)

(١) مسلم كتاب فضائل الصحابة ٤/١٨٥٤ برقم ٢٣٨ .

(٢) البخاري باب مرض النبي ووفاته ﷺ ٤/١٦١٢ برقم ٤١٧٠ .

(٣) البخاري باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول ٥/٢١٣٩ برقم ٥٣٢٤ .

وثقل رسول الله ﷺ المرض فجعل يسأل أزواجه (أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟) ففهم مراده، فأذن له يكون حيث شاء، فانتقل إلى عائشة يمشي بين الفضل بن عباس وعلي بن أبي طالب، عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتها ففضى عندها آخر أسبوع من حياته.

❁ الأيام الأخيرة:

ويوم الأربعاء قبل الوفاة بأيام، اتقدت الحرارة في بدنه واشتد به الوجع تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اشتد وجعه ﷺ فقال (أهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن . جمع وكاء ما يشد به رأس القرية . لعلي أعهد إلى الناس)، فأفعدناه في مخضب . ما يغسل به الثياب . لحفصة زوج النبي، ثم طفقنا نصب عليه حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم.^(١)

❁ آخر الوصايا:

وجاء في خطبته ﷺ (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)^(٢) و (لا تجعلن قبوري وثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد)^(٣)

(١) البخاري باب مرض النبي ﷺ ووفاته ١٦١٤/٤ برقم ٤١٧٨ .

(٢) البخاري ١٦١٤/٤ برقم ٤١٧٧ .

(٣) مجمع الزوائد ٢/٤ . مسند أبي يعلى ٣٣/١٢ برقم ٦٦٨١ .

ثم عرض نفسه للقصاص فقال (من كنت جلدت له ظهرا فهذا فليستقد منه، ومن شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أخذت منه مالا فهذا مالي) (١)

ثم أوصى بالأنصار خيرا

وفي الخميس قبل وفاته ﷺ بأربعة أيام وكان يغمى عليه عدة مرات، ومع ذلك أحب أن يفارق الدنيا وهو مطمئن على أمته أن لا تضل من بعده فأراد أن يكتب لهم كتابا مفصلا ليجمعوا عليه ولا يتنازعوا، فلما اختلفوا عنده عدل عن كتابة ذلك الكتاب وأوصاهم بأمر ثلاثة ذكر الراوي منها اثنين: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم به. (٢)

(ورغم شدة المرض كان ﷺ يصلي بالمسلمين حتى إذا كان يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام صلى بالناس المغرب فقرا فيها بالمرسلات عرفا، وعند العشاء زاد ثقل مرضه بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد، قالت عائشة فقال النبي ﷺ (أصلى الناس) قلنا لا يا رسول الله، وهم ينتظرونك، قال (ضعوا لي ماء في المخضب) ففعلنا فاغتسل، فذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال (أصلى الناس) ووقع ثانيا وثالثا ما وقع المرة

(١) المعجم الأوسط ١٠٤/٣ برقم ٢٦٢٩ .

(٢) البخاري باب جوائز الوفد ١١١١/٣ برقم ٢٨٨٨ . ومسلم ١٢٥٨/٣ برقم

١٦٣٧ .

الأولى من الاغتسال ثم الإغماء حينما أراد أن ينوء فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام (١٧ صلاة).^(١)

ومثل هذا ورد في حديث أم المؤمنين عائشة أن رسول الله ﷺ قال (مرؤا أبا بكر أن يصلي بالناس).^(٢)

وقد أوصى بحسن الظن بالله فقد روى جابر انه سمع النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول (لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن بالله الظن).^(٣)

ويوم السبت أو الأحد وجد رسول الله ﷺ في نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس فأجلساه إلى يساره فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله ﷺ والناس يقتدون بتكبير أبي بكر.

ويوم الأحد أعتق النبي ﷺ غلمانه وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده ووهب سلاحه للمسلمين، وجاء الليل فأرسلت عائشة رضي الله عنها بمصباحها إلى امرأة وقالت: أظري لنا في مصباحنا من عتك السمن، وكانت درع النبي ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من الشعير.

(١) الرحيق المختوم ص ٤٤٩

(٢) مسلم باب استخلاف الإمام ٣١٣/١ برقم ٤١٨ والبخاري ٢٣٦/١ برقم ٦٣٣

(٣) مسلم باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى ٢٢٠٥/٤ برقم ٢٨٧٧ وصحيح ابن

حبان ٤٠٤/٢ برقم ٦٣٨ .

❁ آخر يوم:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٤٤). آل عمران ١٤٤

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمَيِّتُونَ ﴾ (٣٠). الزمر ٣٠

روى أنس رضي الله عنه أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم ففاجأهم النبي صلى الله عليه وسلم كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم، فنكص أبو بكر على عقبيه، ليصل الصف، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج للصلاة، وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، وتوفي في ذلك اليوم. (١) ثم لم يأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة أخرى.

ودعا بفاطمة رضي الله عنها وودعها ثم الحسن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيرا، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن.

وظفق الألم يشتد ويزيد وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخبير حتى كان يقول صلى الله عليه وسلم (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخبير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم). (٢)

(١) البخاري باب من رجع القهقري في الصلاة ٤٠٣/١ برقم ١١٤٧.

(٢) البخاري باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ١٦١١/٤ برقم ٤١٦٥.

وعن أم المؤمنين عائشة قولها: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول (اللهم أعني على سكرات الموت).^(١)

وعن أنس رضي الله عنه آخر وصية الرسول ﷺ حين حضره الموت (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم) وما زال يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه.

وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها شخص بصر النبي ﷺ ثم قال

(في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى).^(٢)

وتسرب النبا، وأظلمت على المدينة أرجاؤها وآفاقها قال أنس:

((ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ)).^(٣)

ثم إن الله تعالى توفى نبيه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، حين اشتد الضحى، في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، عند تمام عشر سنين من الهجرة.

(١) المستدرک علی الصحیحین ٥٨/٣ برقم ٤٣٨٦.

والسنن الكبرى ١٣٤١/٤ برقم ٧١٠١.

(٢) البخاري ١٣٤١/٣ برقم ٣٤٦٧.

(٣) مسند الامام احمد ٢٤٠/٣ برقم ١٣٥٤٦.

وآخر ما رأوه رجال من أصحابه، في صلاتهم الصبح من يوم
الاثنين المذكور.

وانقطع الوحي بموته صلى الله عليه وسلم.

وصلى الناس عليه أرسالاً، لم يؤمهم أحد.

ودفن في بيت عائشة أم المؤمنين، نصف ليلة الأربعاء، بعد موته
بيوم ونصف يوم ونصف ليلة.

وغسله العباس، والفضل وقثم ابناه، وعلي بن أبي طالب، وأسامة
ابن زيد، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوس بن خولي،
أحد بني عوف بن الخزرج، من الأنصار بدري.

فكان أسامة وشقران يصبان الماء.

وكفن ﷺ في ثلاثة أثواب قطن سحولية بيض، ليس فيها قميص ولا
عمامة ولا سراويل ولا درع. أدرج فيها عليه السلام فقط.

وحفر له أبو طلحة الأنصاري، ولحد له في جانب القبر، وجبل
أسامة اللبن، ودلاه في قبره علي بن أبي طالب، والفضل وقثم ابنا
العباس، وشقران وأوس بن خولي.

(وبسطت تحته قطيفة له كان يفرشها في حياته. وقد قيل: إن عبد

الرحمن ابن الأسود الزهري أدخله معهم في قبره.)^(١)

وانقطع عن الأرض الوحي، وزال عن الدنيا نور أنار الجبال
والصحارى والنفوس والقلوب، وغرب جمال يحمل كل أشكال السعادة لم

(١) جوامع السيرة ١/٢٦٥.

تشهد له الدنيا مثيل، فأدمى القلوب، وسحق بفرقتة الأرواح، وبألقوة الصحابة كيف تحملوا ألم الفراق، كانوا عشاقاً ولقد تفنن الفراق في تعذيبهم،

يقول انس بن مالك رضي الله عنه:

((شهدته ﷺ يوم دخل المدينة، فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه، وشهدته يوم مات فما رأيت يوماً أفبح ولا أظلم من يوم مات فيه))^(١)

يقول رسول الله ﷺ (إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليذكر مصابه بي، فإنها من أعظم المصائب) ^(٢)

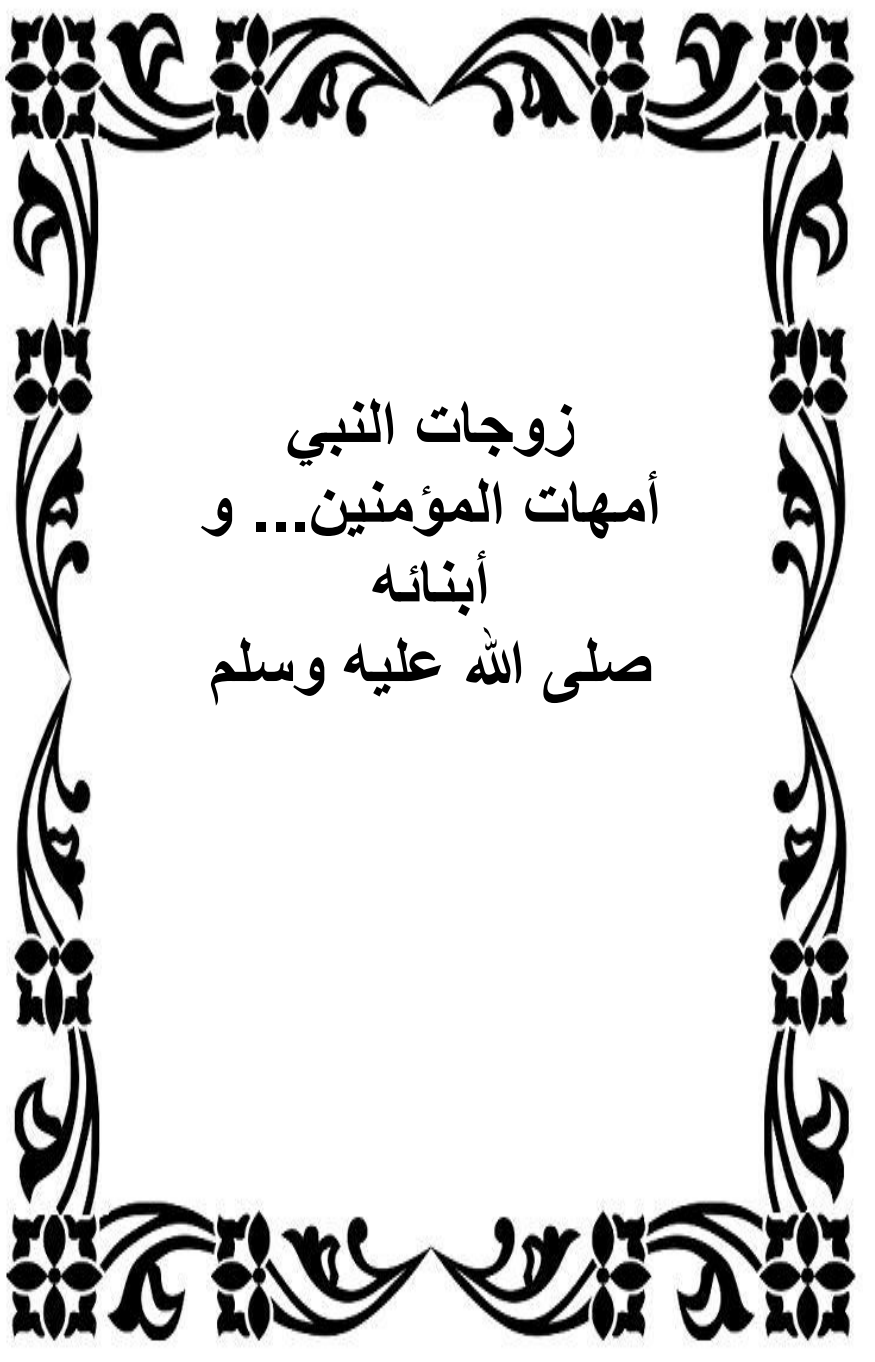
وبعد أن بلغ النبي الأمين ﷺ رسالة ربه وأرسى دعائم دولة لم يعرف التاريخ مثلها نشر برئوعها قيم الخير والمحبة والصلاح، ورعى رجالاً تكاملت فيهم أخلاق الإسلام العظيمة.

انتقل يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الأول للسنة الحادية عشر للهجرة إلى جوار ربه خير الخلائق وأمام الأنبياء وسيد الرسل حبيب الله محمد بن عبد الله ﷺ.

جزاه الله عنا خير ما جزا نبيا عن أمته.

(١) مسند الامام احمد ٣ / ٢٨٧ برقم ١٤٠٩٥.

(٢) سنن الدارمي باب وفاة النبي ﷺ ١ / ٥٣ برقم ٨٤.



زوجات النبي
أمهات المؤمنين... و
أبنائه
صلى الله عليه وسلم

أم المؤمنين، هو مصطلح إسلامي يُطلق على زوجات نبي الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد هذا اللقب في القرآن، حيث جاء في سورة الأحزاب:

﴿الَّتِي أُوتِيَ بِأَلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ . الأحزاب: ٦

لهن فضل ومزية عن بقية نساء المسلمين بنص القرآن الكريم في سورة الأحزاب أيضاً:

﴿يَسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ . الأحزاب: ٣٢

وفصل القرآن الكريم النساء التي أحلَّ الله لنبية الزواج بهن:

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْكُمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

الأحزاب: ٥٠

ام المؤمنين خديجة بنت خويلد

نسبها ونشأتها:

❁ نسبها ونشأتها :

هي خديجة رضي الله عنها ام المؤمنين واول من التحق بقافلة النور . ولدت في بيت مجد وعز قبل عام الفيل بخمسة عشر عاماً تقريباً ، في بيت من البيوت المعروفة والمشهود لها بالشرف فعرف عنها الحزم والجد والأدب لذلك كانت محط انظار علية الناس من قومها . (ابوها خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، و أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحة)^١ ويتقدم لها الخاطبون ، فتنزوج من (أبي هالة بن زرارة التيمي وتنجب له هالة وهند اللذين تشرفا بالإسلام والصحبة ولما مات عنها تزوجت من عتيق بن عابد بن عبد الله المخزومي الذي فارقتة بعد فترة)^٢ . وتتصرف السيدة خديجة رضي الله عنها لإدارة شؤون تجارتها ورعاية اموالها فكانت تستأجر الرجال ليتاجروا لها وتدفع لهم المال مضاربة)

^١ الاستيعاب ٤/ ١٩١٧ و نسب قريش ص ٣٣٠ و تاريخ الطبري ٣ / ١٧٥

^٢ انظر عيون الأثر ١ / ٥١

وذاك اسلوب بالتجارة والمشاركة أقره الإسلام) منشغلة عن جميع من تقدم لخطبتها من وجوه قريش ورجالها .

كانت كأغلب الموسرين من قريش يعملون بالتجارة فكانت لهم رحلتين كل سنة ، رحلة في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، وكما أشار إليها القرآن الكريم :

(لإيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢))^١

❁ اقتران الطهر بالوفاء :

ويوم سمعت باسم محمد ﷺ لأول مرة وما وصف به و ما بلغها من صدق حديثه، وعِظَمِ أمانته ، وكرم أخلاقه ، شعرت بشيء غامض يجذبها ويشدها إليه ... ربما هو ذلك القدر مع المجد ومع السمو وربما حظ عظيم لتكون سيدة نساء عصرها .

ومهما يكن فهي كانت على موعد مع الخير كله والسفر بدنيا النور نحو رضا الله وقربه حتى تكون واحدة من اربع نساء شهد لهن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالكمال بين النسوة فمما أخرجه الطبري في تفسيره عن ابي موسى الأشعري من حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع . ويزكر من هؤلاء الأربع . السيدة خديجة بنت خويلد)^٢ وانها رضي الله عنها خير نساء الأرض والسماء لحديث ابي كريب عن وكيع عن اسحاق عن عبد الله بن جعفر انه سمع علي بن ابي طالب رضي الله عنه

^١ سورة قريش

^٢ فتح الباري ٧ / ١٣٥ برقم ٣٦٠٤

بالكوفة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول (خير نساءها مريم بنت عمران
وخير نساءها خديجة بنت خويلد) ، قال ابو كريب و اشار وكيع الى
السماء والأرض^١ .

وترسل اليه تسأله ان يخرج بأموالها للتجارة الى الشام مع غلام لها يقال
له ميسرة على ان تعطيه أكثر مما تعطي غيره وتوصي ميسرة بأن لا
يخالفه ولا يعصي له أمراً .

وتذهب العير . وتعود القافلة وقد ربحت اكثر مما كان متوقفاً . ويرجع
ميسرة مذهباً مما سمع وما رأى ويروي لسيدته عن محمد ﷺ وهو مملوء
بحب محمد مشدوها به وكيف ان الراهب ببعض الطريق حين (نزل
ورسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة الراهب فاطلع الراهب الى
ميسرة بعد ان تمنع بالنبي فقال له : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه
الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من اهل الحرم ، فقال له
الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي ... وكان ميسرة فيما
يزعمون اذا كانت الهاجرة واشتدت الحر ، يرى ملكين يظلانه من الشمس
وهو يسير على بعيره)^٢

ويروي لها عن صدقه وحسن تعامله وعن مكارم اخلاقه يروي لها
عن الجمال والسناء والبهاء .. في هذه الرحلة ما تكلم النبي ﷺ كلمة عن
نفسه أبداً ؛ ولكنه كان صادقاً ، أميناً ، عفيفاً ، محباً ، حكيماً ، كل هذه
الفضائل رآها ميسرة ، وأخبر بها خديجة رضي الله عنها .

^١ صحيح مسلم ٤ / ١٤٤٦ برقم ٢٤٣٠

^٢ انظر السيرة لابن هشام ١ / ١٨٨

وتحس خديجة رضي الله عنها بروحها مشدودة الى هذا الفتى القرشي .
انه قدر يسوقها الى المجد لتحوز كل الخير .

تذكر بعض الروايات ان السيدة خديجة رضي الله عنها رأت بنفسها
الغمامة وهي تظلل النبي ﷺ عندما رجع اليها ، وكانت جالسة في غرفة
عالية مع بعض نساء قومها .

أثارها امر الغمامة وأثارها ما سمعت عن محمد ، وتداخلت الأفكار برأسها
، أرادت ان تثبت فذهبت الى ابن عم لها يدعى ورقة ابن نوفل وكان قد
تنصر وقرأ كتب اهل الكتاب فصار له معرفة بكثير من الأمور والأخبار

كانت تشعر بقرارة نفسها ان محمدا رجل ليس كباقي الرجال ، فالغمامة
آية من آيات الله ، أحست انه رجل مهياً لأمر كبير .
حملت تساؤلاتها وذهبت الى ابن عمها ورقة ، روت له ما رأت من أمر
الغمامة وما سمعته من غلامها ميسرة .

أنصت اليها ورقة باهتمام ثم قال : لئن كان هذا حقاً يا خديجة فإن
محمداً لنبي هذه الأمة ، وعرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر وهذا
زمانه .

قال ورقة ان لهذه الأمة نبي يُنتظر وهذا اوان ظهوره وقد يكون محمدا
النبي الموعود .

الدلائل والأحداث التي تسبق البعثة يسميها علماء السيرة بالإرهاصات ،
وهي معجزات لكنها قبل المبعث والنبوة ، فكأنها اشارات ودلائل للأخريين

تتبئهم بأن هذا الإنسان سيكون له شأن كبير وهذه الإرهاصات تهيئة للناس وتمهيد لتقبل الرسالة.

السيدة خديجة رأت من أمانته ، ومن كرمه ، ومن صدقه ، ومن عفته ، ومن استقامته ، ومن خورق العادات الشيء الكثير ، فكان قلبها متعلقاً بالنبى ، وقد امتلاً حباً له ، وإعجاباً به عليه الصلاة والسلام ، وكيف لا تحبه وهو أكمل الناس خلقاً وخلقاً ؟

وأحسن منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء

خُلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خُلقت كما تشاء

هو أكمل الناس خلقاً وخلقاً ، وأنصر الشباب وجهاً ، وأكملهم رجولةً ، ولكن أين السبيل إليه ؟ وما هي الوسيلة التي تقربها منه ؟ كيف تجعله يفكر في الزواج منها ويتقدم لخطبتها ؟ وقد جرت أعراف الناس وتقاليدهم أن تكون المرأة هي المخطوبة لا الخاطبة ...

فكيف الوصول اليه ؟ كيف الوصول اليه وهي التي رأت من عفته ما جعلها تعتقد انه لا يفكر بالنساء ولا بالزواج ، كان عليه الصلاة والسلام عفيفاً فلم يرتفع بصره يوماً ليقع على وجهها حتى وهو يتحدث اليها . كان عفيفاً ، لا ينظر بوجه النساء ، فكيف الوصول اليه ؟ كل الروايات اتفقت على ان السيدة خديجة رضي الله عنها هي التي خطبت رسول الله ﷺ بعد الذي رأت من فضائله ، وكماله ، ونزاهته ، واستقامته ، وأمانته ، وصدقته ، وعفاهه الشيء الكثير ، فراحت تبحث عن وسيلة لتصل بها الى قلبه .

تجاوزت السيدة خديجة كل الأعراف والتقاليد لتصل الى رسول الله ﷺ .
كان هناك ما يشدها الى النبي ، ربما النور الذي تلمّسه قلبها وشعرت به
روحها ، وربما يكون قدرها لتحوز الخير كله فتكون سيدة للنساء وأماً
للمؤمنين ، او توفيق من الله ولطف احاط بها لترتقي الى مصاف الذين
رضي الله عنهم من أهل القرب .

تمنت ام المؤمنين خديجة ان تقترن برسول الله ﷺ ، ومن من النساء لا
تتمنى ذلك ؟

وترسل اليه من يعرض عليه طلبها بالزواج منها ان شاء ...وهي التي
رفضت أن تتزوج أحداً ممن تقدّم لخطبتها وقد تقدّم لخطبتها قبل ذلك
كثير من أشرف مكة وساداتها ، كانوا حريصين على الاقتران بها ،
فطلبوها ، وبذلوا لها الأموال ؛ لشرفها ، وعقلها ، ونسبها ، ولجمالها
رضي الله عنها ،

وقد ألهمها الله تعالى أن تردّ خطأبيها جميعاً ، كي تكون زوجةً لسيد
الخلق وحبیب الحق سيدنا محمد ﷺ فهي كانت على موعد مع سعادة
الدنيا والآخرة .

ذكرت بعض المصادر ان خديجة ارسلت الى رسول الله ﷺ من يخبره
برغبتها بالزواج منه ، ثم انها صرّحت له بذلك بعد ان التقتة .
تحدثت السيدة خديجة مع بعض خاصّتها من النساء عن أمنيتها ،
ورغبتها في أن تصبح زوجةً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الحديث
مع صديقتها نفيسة بنت منية ، وطلبت منها أن تساعدتها في تحقيق

رغبتها ، وقامت بالدور المهم في التمهيد لهذه الخطبة المباركة ، وتحدثت أيضاً لأختها هالة بنت خويلد ، وكلفتها بالمهمة نفسها .

أما هالة فتحدثت مع عمار بن ياسر حين مر بها هو ورسول الله ﷺ فنادته ، فانصرف إليها ووقف له رسول الله ﷺ ، فسألته : أما لصاحبك هذا من حاجة في تزوج خديجة ؟

فينقل سؤالها الى ورسول الله ﷺ الذي قال له : بلى .

أما نفيسة فيروي ابن سعد في طبقاته :

(كانت خديجة بنت خويلد امرأةً حازمةً جادةً شريفةً مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذٍ أوسط قريشٍ نسباً ، وأعظمهم شرفاً ، وأكثرهم مالاً ، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك ، قد طلبوها وبنلوا لها الأموال ، تقول نفيسة : فأرسلتني دسيساً إلى محمد (كلفتني بمهمة) بعد أن رجع من غيرها في الشام فقلت : يا محمد ما يمنعك من أن تتزوج ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : ما بيدي ما أتزوج به ،

قلت : فإن كُفيت ذلك ؟ ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ، الا تجيب ؟ قال : فمن هي ؟ قلت : خديجة .

قال : وكيف لي بذلك ؟ قلت : علي قال : فانا اُفعل اذا)^١

ولما علمت رضي الله عنها برغبة النبي ﷺ بما أرسلت به إليه ، وأحست بموافقته عرضت نفسها عليه ، وبيّنت له الدوافع التي دفعتها إلى الزواج

^١ انظر الطبقات الكبرى ١ / ١٠٥

به ، فقالت : يا ابن عم ، إني قد رغبت فيك لقربانتك ، وصفتك في قومك .
أنت وسطٌ في قومك ، إنسان كامل . وأمانتك ، وحسن خُلُقِك ، وصدق
حديثك .

كانت ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها ممن يطمح الرجال بوصولهن
ويفخر بالاقتران بهن فقد تفردت بمزايا خصها الله بها وآثرها بها على نساء
عصرها فكانت الى جانب جمالها وحسنها عاقلة مشهود لها بالذكاء وسعة
العقل والرزانة والحكمة منذ صغرها وبما فرضت به احترامها على من
حولها .

ولما اشتغلت بالتجارة وتعاملت مع كافة انواع البشر تكشّف للناس حقيقة
نُبلها وطيب عنصرها وفطرتها النقية حينما رفضت التعامل بالربا الذي
كان شائعا بين تجار مكة حينها حتى لقبت ب (الطاهرة) لكثرة حبها
للخير وصناعة المعروف (فلطالما سعت بنفوذها ومالها لتشتري حرية
العبيد وتفك رقاب النساء من الرق وذل الاستعباد وتمنع عن المستعبادات
ارغامهن على البغاء اذ كان الدين بمكة الجاهلية ضرباً من الربا والرق
وكان الرجل يستدين ليتاجر ، فاذا خسر فإن الدين يتضاعف عليه
مضاعفات ربوية ، فاذا عجز عن السداد خسر حرите وأصبح عبدا للدائن
وكان من الاعراف الدنيئة التي كانت تشمئز منها خديجة . رضي الله عنها
. ان المدين يتنازل عن أمه او زوجته او ابنته للدائن ، وقد انقذت خديجة
رضي الله عنها بمالها واباء نفسها الكثيرات من نساء مكة من رقة

العبودية والربا والعهر^١
تحدث النبي ﷺ مع عمه أبي طالب في موضوع الخطبة وزواجه بالسيدة خديجة ، وأخبره بما حدث معه ، فوافق عمه على أن يتقدم لخطبتها ، وذهب عمه مع عشرة من وجوه بني هاشم إلى عمها عمرو بن أسد ، فخطبها منه ، فزوجه ، وقال : هذا الفحل لا يُدْعُ أنفه ، أي لا يرد طلبه .

وكان أبو طالب عم النبي قد القى كلمة ، وهذه الكلمة يسميها العلماء خُطبة النكاح ،

تحدث فيها عن الخاطب ، عن أخلاقه ، عن نسبه ، عن شرفه ، عن مكانته ، وتحدثت عن الزوجة المخطوبة ، عن كرمها ، وعن عظيم أخلاقها ، ثم تحدث عن المهر .

وبلنقي الطهر بالوفاء ويقترن سيد الخلق بالطاهرة العفيفة خديجة .
❁ البيت المبارك :

سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ام المؤمنين خديجة في بيتها .
كانت رضي الله عنها امرأة غنية ، فوظفت مالها وكل ما تملك لخدمة رسول الله ﷺ ودعوته ، فكان كل ما تملك في خدمة الإسلام والدعوة الى التوحيد .

^١ سيرة عطرة .. نساء صالحات ص ٧٢

عاش النبي ﷺ في بيتها فكانت خير زوجة لخير زوج فعاشا في سعادة ووافق ... ونالت رضا الله سبحانه وتعالى بشرفٍ كرمها الله به فكانت ام المؤمنين الأولى وزوجة رسول الله الأولى .

عاش النبي معها في بيتها

كانت رضي الله عنها غنية ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام في أمس الحاجة إليها، هو يدعو إلى الله في زمنٍ عصيب ، هيأت له البيت ، والمال ، هيأت له نفسها، وهيأت له السكن ، كانت عوناً له ، تصبره وتشد من أزره ، وظلت طوال ما يقرب من خمسة وعشرين سنة تلازم الحبيب المصطفى تنهل من أشرف منهل وترتوي من أعذب نبع تتقلب في دنيا النور المحمدي تتعلم من سيد البشر تتعلم من حنانه من علمه وكرمه وجميل اخلاقه ما جعلها ترتقي لتحوز السيادة فمما اورده الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه من حديث رسول الله ﷺ :

(خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد)^١

يقول رسول الله ﷺ يعبر عن نوعية العلاقة التي تربطه بخديجة ام المؤمنين : (إني رُزقتُ حبها)^٢

فمحببتها رزق ونعمة من الله سبحانه وتعالى أمدّ الله به نبيه . وهذا يعبر عن سعادة المصطفى جوار زوجته خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها . انها علاقة حب ورحمة ونعمة .

^١ صحيح مسلم ٤ / ١٨٨٦ برقم ٢٤٣٠ و مسند احمد بن حنبل ١ / ١٣٢ برقم ١١٠٩

^٢ صحيح مسلم ٤ / ١٨٨٨ برقم ٢٤٣٥

ربما يعبر وصف رسول الله ﷺ لنوعية العلاقة بينه وبين ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها بأنها رزق من الله فوجودها في حياته رزق ونعمة من الله ومنّة منه عز وجل ، فخديجة رضي الله عنها احاطت رسول الله ﷺ بالرعاية والحب ووفرت له كل اسباب الراحة في بيتها فجاءتها المكرمة الإلهية على لسان جبريل الأمين :

(أمرت ان أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)^١ .

أورد البخاري ومسلم في صحيحهما ما رواه ابو هريرة من حديث رسول الله ﷺ (أتى جبريل النبي فقال يا رسول الله هذه خديجة أتت ومعها انا وفيه ادم او طعام او شراب فإذا هي انتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب)^٢ وهل هناك أكبر من ان يُقرئ رب العالمين أحد عباده السلام ، وهل هناك أمنية فوق ذلك ؟ رب العزة والجلال يرسل أمين وحيه ليبشر أم المؤمنين ببيت في الجنة من قصب تكريماً لها وبشرى ، ربما لأنها اول من آمن لرسول الله وصدق برسالته وعملت خيراً واستقامت ، ثم ان مقامها في الجنة بعد ذلك مقاماً لا تسمع فيه صخباً ولا ينالها معه تعب فهي بذلت جهدها في نصره دين الله ، وجاهدت لتؤمن لرسول الله ﷺ حياة سعيدة بصبر وحكمة فكانت هادئة راجحة العقل ، زوجةً حين يحتاج زوجها لزوجة ، وحبوبةً حين يحتاج الحبيب وناصحةً أمينة حين يحتاج النصيحة

^١ البخاري ١٣٨٩ / ٣ برقم ٣٦٠٩ و مسند احمد ١ / ٢٠٥ برقم ١٧٥٨

^٢ البخاري ١٣٨٩ / ٣ برقم ٣٦٠٩ و مسلم ٤ / ١٨٨٧ برقم ٢٤٣٢

وصدراً يحمل كل حنان الأرض حين تمر به مشكلة كل ذلك ولم تكن صخابة ولم تدفعه ليصخب حين يتعامل معها ، حاولت ان تهوّن عليه مشقة الجهاد في سبيل نشر الخير بين الناس ، فأمنت له حياة هائلة وبيتاً ينسى فيه كل أذى المشركين خارجه، فكان أجراها من جنس عملها ، وعطاء الله أكبر وأكرم .

نجحت أمنا خديجة رضي الله عنها في بناء أسعد بيت وأنجح بيت ... بيت يرفرف عليه رضوان الله ومحبته يعيش فيه سيد الخلائق ومصطفى الرحمن من خلقه وفيه اول من أسلم من النساء خديجة الطاهرة وأسلمت بعدها جميع بناتها زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن ... ومن هذا البيت كان اول الفتيان اسلاما الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفيه زيد بن حارثة الصحابي حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عرف رسول الله ﷺ لزوجته خديجة قدرها وفضلها فكان وفياً لها حريصاً على خيرها فبادلها حبا بحب ووفاء بوفاء ، فلم يتزوج غيرها في حياتها وظل وفياً لذكراها بعد ان توفت .

عاش رسول الله ﷺ بعد زواجه من ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها ثمانية وثلاثين عاماً ، منها خمسة وعشرون مع خديجة وحدها ، وبعد وفاتها بقي على وفائه لذكراها مقيماً على حبا .

كانت اول بشارات الوحي ، انه كان اذا سار ما من حجر الا يقول له (السلام عليك يا رسول الله) وكان هذا شيء غير معتاد عليه في قوانين البشر ، والرسول بشر تسري عليه قوانين البشر لكنه سمي ببشريته حتى

صار سيد البشر وبلغ الكمال الانساني ... والبشر يضطربون اذا سمعوا صوتا ولم يروا بشراً ويضطربون لخوارق العادات وغريبها ... لكن خديجة سبحان من آتاها من العقل ومن النضج ومن بعد النظر وسعة الأفق ومن قوة القلب ما تحار العقول به ، وقفت الى جنبه صدرا حنوناً وقلبا كبيرا وعقلا راجحا وتطرح لزوجها ناموس الله وقانونه في خلقه ان الله خالق هذا الكون لا يفعل شرا بإنسان محسن ، بإنسان كريم ، بإنسان منصف وانك لتصل الرحم ، انك لتحمل الكل ، انك لتعين على نوائب الدهر انك صادق أمين وما كان الله ليفعل بك الا خيرا .

كانت رضي الله عنها قلبا كبيرا وصدرا واسعا وادراكا عميقا وقوة بالتحمل ويدا تعين حبيبها وتمسح عنه القلق والاضطراب وتعيد اليه هدوئه وصفائه ... وسكنا للنبي وعونا له... كانت وقفة مليئة بالعظمة والشموخ لا يستطيعها الا من خصه الله بلطفه وتوفيقه .

وكان صلى الله عليه وسلم يسكن الى هذه السيدة المصونة ويرتاح اليها ويطمئن لها، يبيتها بعض احزانه ، يسألها احيانا ، واذا رأى رؤيا قصها على السيدة خديجة فنتبته وتبشره وتسنده .

❁ في رحاب الإسلام :

وحين تم اللقاء والاتصال بين الأمينين أمين السماء وأمين الأرض وكلف الله نبيه بالرسالة وأمره بتبليغها كانت رضي الله عنها اول من آمن له واتبع النور الذي جاء به واول من وقف معه في صلاة وتعيش مع زوجها كل مراحل الصراع مع قوى الكفر وتتاضل معه لتبليغ الهدى وايصاله الى الجميع عسى ان يخرجوا الى دائرة النور والخير ...

وتتحمل جنبه كل ايداء قريش ومحاولات ائمة الكفر في ايقاف مسيرة الاسلام تشاطر زوجها ألمه ، وحسرتة على من لم يهتدي وتبذل كل ما تملك لنصرة النبي والاسلام . .

❁ الحكمة :

حياة ام المؤمنين رضي الله عنها نسيج متصل من حكمة وعقل راجح ، مبدأه اقترانها بسيد الخلق والعيش بجواره ، فحازت مجد الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

ومشهد من حياة ام المؤمنين وموقف وقفته مع رسول الله ﷺ تشد أزره وتسانده وتنبته ، ذلك الموقف حوى الحكمة بأسمى واعظم اشكالها .
فيوم جاءها صلى الله عليه وسلم مضطرب الفؤاد بعد لقاءه الأول بجبريل مشدوهاً من هول التكليف ومن رؤية جبريل بهيئته وصورته العظيمة وقد سد ما بين السماء والأرض ، يومها وقفت ام المؤمنين موقفاً ملاءه عقل راجح واطلقتها صرخة فيها كل الحكمة والحصافة مخففة من خشية رسول الله على نفسه (كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَنْتَ الصَّلِيُّ الرَّحِيمَ وَتَصَدَّقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكُلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) ^١

ثم انطلقت رضي الله عنها تمشي به الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان عالماً بالأديان لتحل لزوجها ما أشكل عليه من أمر النبوة .

^١ صحيح البخاري ٤ / ١٨٩٤ برقم ٤٦٧٠ و صحيح مسلم ١ / ١٤١ و صحيح ابن حبان ١ / ٢١٨

ثم وهي ممن كُمل من النساء اثبتت لرسول الله ان ما يأتيه ليس بشيطان ولا جن بل هو ملك كريم ، فقد شرعت تمتحن برهان الوحي لتنتب فؤاد زوجها .

فقالت : أي ابن عم هل أستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك ؟ قال : نعم قالت : فاذا جاءك فاخبرني به فجاءه جبريل كما كان يصنع فقال رسول الله ﷺ يا خديجة هذا جبريل قد جاءني ، قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى ، فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس على فخذي اليمنى ، فتحول صلى الله عليه وسلم وجلس على فخذا اليمنى ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس في حجري ، فتحول رسول الله ﷺ فجلس في حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ، قالت : هل تراه ، قال : لا ،

قالت : يا ابن عم اثبت وابشر انه لملك وما هذا بشيطان ¹ قد علمت برجاحة عقلها ان الملائكة تستحي والشياطين لا تستحي ، فثبتت وبشرت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

❁ طلاق ابنتها :

(وكان رسول الله ﷺ قد زوج عُنْبَةَ بن أَبِي لهب رُقِيَّةً أو أم كلثوم . فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى ، قالوا : إنكم قد فرغتم محمدا من هممه فَرَدُّوا

¹ سيرة ابن هشام ١ / ٢٣٩

عليه بناته فاشغلوه بهنّ . فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له فارق صاحبك
ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت قال : لا والله ، إني لا أفارقُ
صاحبتني ، وما أحبّ أن لي بامرأتي امرأة من قريش . ثمّ مشوا الى دار
أبي لهب ، فأجابهم .^١

(كانت رقية تحت عتبة بن أبي لهب وأختها ام كلثوم تحت أخيه عتيبة
فلما نزلت (تبت يدا أبي لهب وتب) قال لهما رأسي من رأسكما حرام إن لم
تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما)^٢
وطأقت ابنتا رسول الله ولم يكن زواجهما قد دخلا بهما ، اخرجهما الله من
يديهما كرامة لهما وهواناً لعتبة وعتيبة وليبدلهما الله خيرا منهما .

ولم يصدر منها رضي الله عنها ولا من البنات لفظة تشاؤم أو تبرم أن
ابتلاههم الله بفض هاتين الزيجتين ، ولم تقل خديجة ما يغضب زوجها ولم
تحمل له ملامة بطلاق ابنتيها ، لم تقل ما يؤذيه او يغضبه . بل صبرت
، ورأت أن حكمة الله اقتضت ، أن يبدهن بزواج أكرم وأخلق وأغنى
وأجمل مما كنّ يطمحن إليه .

وحين خلت أشهر من السنة الخامسة للهجرة اشتد البلاء على أصحاب
رسول الله ﷺ وجعل الكفار يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش
ويطرحونهم برمضاء مكة ويكونونهم بالنار ليردوهم عن دينهم ، فمنهم من
يفتن وقلبه مطمئن للإيمان ومنهم من تحمل أذى لا يحتمل واحتسب
وصبر .

^١ انظر سيرة بن هشام ١ / ٦٥٢

^٢ ذخائر العقبى ١ / ١٦٢

❁ الهجرة الى الحبشة :

(في رجب سنة خمس من النبوة هاجر اول فوج من الصحابة تنفيذاً لأمر رسول ﷺ الى الحبشة مكوناً من اثني عشر رجلاً واربع نسوة ، رئيسهم عثمان بن عفان ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وقد قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(هما اول اهل بيت يهاجر في سبيل الله بعد ابراهيم ولوط عليهما السلام)^١

فقد انعكس اذى قريش للصحابة اذى في قلب النبي الكريم ﷺ المملوء شفقة على أصحابه، الرحيم بالمؤمنين، فبحث بحرص شديد عما فيه أمنهم وراحتهم فلذلك أشار عليهم بالذهاب عند الملك العادل الذي لا يظلم عنده أحد ، ليأمن المسلمون على عقيدتهم ودينهم ، وكان الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم)^٢

وتقف ام المؤمنين خديجة تنظر الى ابنتها ترحل في دنيا المجهول ، تفارق اهلها ووطنها مهاجرة الى الله ... تودع ابنتها رقية وزوجها عثمان بقلب منقطر ودمع محتبس ونفس محتسبة . فهذا اول فراق واول سفر ، ويعلم الله ان كان بعده لقاء ، لكن ، ما دام في سبيل الله ونصرة لدينه فإنها تتقبله برضا .

❁ الحصار :

وحين احست قريش بأن اساليبها لم تجدي ، فالمسلمون لم يتراجعوا عن

^١ مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي ص ٩٢

^٢ نظرات في سيرة سيد السادات ص ٦٦

دينهم ، ودائرة المتبعين للدين الجديد ظلت تتسع ... وكل اساليبها لم تفلح بتضييق دائرة النور ، كان لزاماً ان تغير وسائلها لإيقاف الامتداد الاسلامي وان تسعى بطرق جديدة اكثر وحشية حتى لو قتلوا اهلهم وبأبشع اسلوب .

و تتفق قريش على حصار بني هاشم ، فألجأتهم الى شعب ابي طالب وتعاهدت الا تبيعهم ولا تشتري منهم ولا تزوجهم ولا تنتزوج منهم وفرضت على المسلمين الجوع القاتل والعطش .. وهذا رسول الله يصف بعضا مما مر به في سنين الحصار فيقول صلى الله عليه وسلم : (لقد أُخِفْتُ في الله وما يخاف احد ، ولقد أُذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال من طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه أبط بلال)^١

ويشتد الألم بالمسلمين ويزداد بهم الجوع ويفعل بهم ما لا يوصف ، وتختار ام المؤمنين خديجة ان تتحاز الى زوجها وتدخل الشعب بإرادتها لتعاني الم الجوع وضنك العيش ... وتبذل مالها لتؤمن الطعام وتدخله سراً الى المسلمين وتستعين على ذلك بابن اخيها حكيم بن حزام رضي الله عنه ، وكان حينئذٍ لا يزال على شركه فيشتري الطعام وينقله ليلاً الى الشعب .

^١ صحيح ابن حبان ١٤ / ٥١٥ برقم ٦٥٦٠ و الترغيب والترهيب ٤ / ٩٧ برقم ٤٩٧١

ويطول الحصار ويمتد لسنوات ثلاث ويفعل الجوع والألم بأمة المؤمنين فعله ... وحين اراد الله لهذا الحصار ان ينتهي كان الجوع والأذى يرسم نهاية لحياة هذه السيدة الفاضلة .

((عن انس بن مالك قال : جاء جبريل الى النبي وعنده خديجة رضي الله عنها فقال ان الله يقرئ خديجة السلام .
فقالت : ان الله هو السلام ، وعلى جبريل السلام ، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

فيالها من ام فقيهة تعلمت الأدب كله وتعايشت معه في بيت النبي الذي جمع الله له كل الفضائل والمناقب والمكارم
❁ الفراق :

وينتهي الحصار لكن آلامه لا تنتهي فقد خَلف آلاماً في القلوب وآثاراً في الأجساد التي هدها طول الجوع وظلم الأهل .

ويتوفى ابو طالب عم رسول الله ﷺ ، ويجد الحزن طريقه الى قلب النبي أظهر القلوب وأكثرها وفاءً ، فقد كان ابو طالب اباً وراعياً وحصناً وسنداً . وبعد قليل تلبي ام المؤمنين نداء ربها فتلتحق بالرفيق الأعلى مخلفة في قلب رسول الله المأ وفراًغاً لا تملأه زوجة بعدها .

تروي بعض كتب السيرة ان موتها كان بعد موت ابي طالب بثلاثة ايام ، في حين تذهب اخرى الا انها توفيت بعده بشهرين وخمسة ايام ، ومهما يكن فإن الفترة قصيرة بين وفاة ابي طالب ووفاة ام المؤمنين خديجة .

تروي كتب السيرة ان السيدة خديجة توفيت لعشر خلون من شهر رمضان ، وهي في سن الخامسة والستين .

توفيت رضي الله عنها سنة عشر من البعثة ، بعد خروج بني هاشم من الشعب ، ودفنت رضي الله عنها بالحجون في مكة ، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها ، ولم تكن صلاة الجنازة قد شرعت بعد .
وتتابعت الأحزان على النبي ﷺ بعد وفاتها حتى سمي العام الذي توفيت فيه بعام الحزن لشدة وقعه على القلب النبوي الشريف .
كان صلى الله عليه وسلم يفتقدها حين يعود لمنزله مهموماً فلا يجدها تلتقيه بوجهها المشرق وابتسامتها الهادئة وقلبها الحنون ، كانت رضي الله عنها قلباً كبيراً مليئاً بالحب وسندا وعونا وملجئاً ، كانت يداً تمسح عن القلب النبوي احزانه وتزيل عنه ألم التكذيب الذي يلاقيه به قومه من كفار مكة .

النبي ﷺ فقد ابتسامة الثقة والأمل التي كانت تستقبله بها ، فقد كانت كلمات التثبيت والتبشير التي تبثها فيه رضي الله عنها ذات أثر كبير في نفسه ، الآن تلاشت تلك الكلمات الحنونة واصبحت جزء من ذكرى توجب ألم الفراق .

تروي كتب السيرة ان هذه السيدة العظيمة ابتسمت له وهي تفارق الحياة ، ربما ابتسمت له لتواسيه بنفسها عن نفسها ، وربما ابتسمت وهي ترى مقامها في الجنة .

وأما خديجة رضي الله عنها لم تبشر بالجنة فحسب بل بُشرت بسيادة نساءها ، فمن حديث بن عباس الذي أورده الامام احمد بمسنده وابو يعلى والطبراني وهو حديث رجاله رجال الصحيح ان رسول الله (خط في الارض اربعة خطوط فقال : أتدرون ما هذا ؟ فقالوا الله ورسوله أعلم فقال

افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران واسية ابنة مزاحم زوجة فرعون)¹

❁ الوفاء بأروع اشكاله

وظل رسول الله ﷺ على حبه لخديجة رضي الله عنها حتى بعد انتقالها الى الرفيق الأعلى وظلت خديجة تملأ في قلب سيد الخلق بعد وفاتها ذات المكان الذي كانت تشغله وهي الى جنبه تشعره بحبها وتغمره بحنانها ... فكثيراً ما كان يذكرها ويمتدحها ويثني عليها ويستغفر لها الله ويعيش مع ذكراها حتى غارت منها زوج النبي أمنا عائشة رضي الله عنها ، ويوم أحس صلى الله عليه وسلم بأن زوجته ام المؤمنين عائشة تحاول ان تمس مكانتها لأنها غارت على النبي من كثرة ذكره لها والثناء عليها وامتنادحها ، وقلب النساء يتحسس ويغار على من يحب ومثل النبي معذورة من تغار عليه فهو قبلة الارواح ومحرابها تهفو اليه القلوب وتشتاقه وتهفو اليه ... يومها وقف بكل الوفاء يذود عنها وعن ذكراها ويعدد مزاياها ، فمن حديث عائشة الذي رواه الامام احمد ان ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (كان النبي اذا ذكر خديجة اثني عليها فأحسن الثناء فغرت يوماً فقلت ما اكثر ما تذكرها حمراء الشدق . أي تساقطت اسنانها واحمرت لثتها . قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها ، قال :

¹ مسند احمد ١ / ٣١٦ / برقم ٢٩٠٣

ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها ، آمنت بي إذ كفر بي الناس ،
وصدقتني إذ كذبني الناس ، وورزقني الله عز وجل ولداً إذ حرمني اولاد
النساء)^١

وكان صلى الله عليه وسلم وفيها حتى لمن كانت تحب زوجته خديجة
رضي الله عنها فكان اذا ذبح شاة او قسم اعطيات ذكر صويحبات
خديجة فابتدأ العطاء بهن وأجزل لهن ، لأن خديجة كانت تحبهن .
ويظل رسول الله ﷺ يحمل ذات الحب لخديجة وتظل ذكراها وكل ما يذكره
بها يحرك في قلبه الشريف اجمل صور الوفاء والحب بأظهر صوره ...
فيوم جاءت هالة اخت ام المؤمنين خديجة تستأذن للدخول على رسول ،
عرف من صوتها ما ذكره بالصوت الأحب والأقرب الى قلبه صوت
خديجة فيتهلل وجهه ويقول عسى ان يكون الصوت صوت هالة ، ففيما
ذكرته ام المؤمنين عائشة (استأذنت هالة بنت خويلد اخت خديجة على
رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال : (اللهم هالة
بنت خويلد)^٢

ويوم بدر وبعد ان انتصر المسلمون جاءت كل عشيرة تفتدي اسراها ،
وكان بين الأسرى ابو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ .
وارادت زينب ان تفتدي زوجها وفاءً منها له ورغبة في ان يُسلم فأرسلت
مالاً لفدائه فيه قلادة كانت امها خديجة قد البستها لها يوم زواجها .

^١ مسند احمد ٦ / ١١٧ برقم ٢٤٩٠٨ وفتح الباري ٧ / ١٣٧ و مجمع الزوائد ٩ / ٢٢٤

^٢ صحيح مسلم ٤ / ١٨٨٩ برقم ٢٤٣٧

وجيء بالمال والقلادة الى رسول الله ﷺ ، فلما وقعت عينا رسول الله ﷺ على القلادة رق لها رقعة شديدة وقال مستسماً أصحابه : ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها مالها ، فافعلوا ... قالوا نعم يا رسول الله .

لقد أثارت قلادة خديجة في نفس رسول الله ﷺ الذكريات، فكأنما هب إليه من هذه القلادة أريجاً من عطر خديجة، فحرك القلب الرحيم، بعدما كاد أن يقر بعد رحيل الحبيبة الكريمة، تلك المرأة التي رسم فضلها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم أجمل اشكال الحب وانعكس وفاءً بالقلب الكريم قلب رسول الله ﷺ فكان حبها ذكرى عصية على النسيان .

رق لها . فهي قلادة لامست يوماً نفس خديجة رضي الله عنها التي أعطته كل شيء... نفسها وجهدها ومالها وبيتها، وتركت له كل شيء ، ولم تمتن عليه بشيء .

رق لها رقعة شديدة، فأوشك أن يرسل عبرة حارة من عينيه الكريمتين، بيد أن العبرة لم تسيل على الخد إنما سالت إلى القلب، فأحس الناظرون بحرارتها في رفته الشديدة هذه . وأشفقوا عليه . وشرع يستنزل فيهم الكرم، ويستسمح أصحابه - وهو الكريم الأكرم - أن يطلقوا لزينب أسيرها .

وبكل أدب الدنيا وبكل خلقها الحسن يلتفت النبي ﷺ الى اصحابه يخيرهم ان شاءوا ان يطلقوا لها اسيرها ويترك الأمر لهم ولو شاء صلى الله عليه وسلم ان يأمرهم لما ترددوا في تنفيذ امره ، لكنه الخلق العظيم والأدب الجم الذي امتدحه به ربه عز وجل

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) سورة القلم

ويوم فتح الله مكة لرسوله وجند الرحمن ، أمر ﷺ ان تضرب له خيمة عند قبر خديجة ، ونصب راية المسلمين عند قبرها ، فكأنه اراد ان تشاركه فرحة النصر وفرحة النصر الكبير ، كانت رضي الله عنها حاضرة في قلبه الشريف ، ترك صلى الله عليه وسلم كل بيوت مكة - وكلها كان يتمنى ان يتشرف به - ونام عند قبرها ... هي التي أعطت مالها وجهدها وراحتها للإسلام وماتت قبل ان تشهد انتصاره ، فكأنه صلى الله عليه وسلم اراد لها ان تفرح بنصر الله .

وكأنما لما فتح مكة ، فتحت هي الأخرى قلبه فنكأت فيه ذكريات خديجة الغائرة ،

وكأنما جاء رسول الله اليها مسرعاً وقد اختلطت في قلبه عبرة الفراق وفرحة الفتح وصوت ام المؤمنين يصدح :

(لا يخزيك الله أبداً)

أم المؤمنين

سودة بنت زمعة

أول امرأة تزوجها الرسول بعد خديجة

وبها نزلت آية الحجاب

اسمها ونسبها:

هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد ود ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشية العامرية، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمر الأنصارية.

إسلامها:

كانت سيدة جليلة نبيلة ضخمة، من فواضل نساء عصرها. كانت قبل أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو، أخي سهيل بن عمرو العامري. ولما أسلمت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم معها زوجها السكران وهاجرا جميعاً إلى أرض الحبشة، وذاقت الويل في الذهاب معه والإياب حتى مات عنها وتركها حزينة مقهورة لا عون لها ولا حرفة وأبوها شيخ كبير.

زواجها:

في حديث لعائشة عن خولة بنت حكيم، أن خولة بنت حكيم السلمية رفيقة سودة في الهجرة إلى الحبشة وزوجها عثمان بن مظعون لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها: أنها صغيرة ويريد من هي أكبر سناً لتدبير شؤون بيته ورعاية فاطمة الزهراء. فعرضت الزواج من سودة بنت زمعة، فهي امرأة كبيرة وواعية، رزان ومؤمنة، وأن جاوزت صباها وخلت ملامحها من الجمال. ولم تكد خولة تتم كلامها حتى أثنى عليها الرسول صلى الله عليه وسلم - فأتى فتزوجها. تزوج النبي صلى الله عليه وسلم - بسودة ولديها ستة أبناء وكان زواجها في رمضان في السنة العاشرة من النبوة، بعد وفاة خديجة بمكة، وقيل: سنة ثمانية للنبوة على صدق قدره أربعمائة درهم، وهاجر بها إلى المدينة.

فضلها:

تعد سودة - رضي الله عنها - من فواضل نساء عصرها، أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم، وهاجرت إلى أرض الحبشة. تزوج بها الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت إحدى أحب زوجاته إلى قلبه، عرفت بالصلاح والتقوى، روت عن النبي أحاديث كثيرة وروى عنها الكثير. ونزلت بها آية الحجاب، فسجد لها ابن عباس. وكانت تمتاز بطول اليد، لكثرة صدقتها حيث كانت امرأة تحب الصدقة.

صفاتها:

لما دخلت عائشة رضي الله عنها بيت الرسول صلى الله عليه وسلم زوجة محبوبة تملأ العين بصباها ومرحها وذكائها، شاعت سودة أن تتخلى عن مكانها في بيت محمد صلى الله عليه وسلم فهي لم تأخذ منه إلا الرحمة والمكرمة، وهذه عائشة يدنيها من الرسول المودة والإيثار والاعتزاز بأبيها، وملاحة يهواها الرجل.

وقد أنس الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بمرحها وصباها في بيته فانقبضت سودة وبدت في بيت زوجها كالسجين، ولما جاءها الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً وسألها إن كانت تريد تسريحاً، وهو يعلم أن ليس لها في الزواج مأرب إلا الستر والعافية وهما في عصمة الرسول ونعمة الله، قالت سودة وقد هدأت بها غيرة الأنثى: يا رسول الله مالي من حرص على أن أكون لك زوجة مثل عائشة فأمسكني، وحسبي أن أعيش قريبة منك، أحب حبيبك وأرضى لرضاك.

ووطدت سوده نفسها على أن تروض غيرها بالتقوى، وأن تسقط يومها لعائشة وتؤثرها على نفسها، وبعد أن تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر جبراً لخاطرها المكسور بعد وفاة زوجها وسنها لم يتجاوز الثامنة عشر، هانت لدى سودة الحياة مع ضرتين نديتين كلتاها تعتر بأبيها، ولكنها كانت أقرب لعائشة ترضيها لمرضاة زوجها وكانت سوده ذات أخلاق حميدة، امرأة سالحة تحب الصدقة كثيراً، فقالت عنها عائشة - رضي الله عنها: اجتمع أزواج النبي عنده ذات يوم فقلن: يا رسول الله أيّنا أسرع بك لحاقاً؟ قال: أطولكن يداً، فأخذنا قصبه وزرعناها؟ فكانت زمعة أطول ذراعاً فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفنا بعد ذلك أن طول يدها كانت من الصدقة. عن هشام، عن ابن سيرين: أن عمر رضي الله عنه - بعث إلى سودة بفرارة دراهم، فقالت: في الغرارة مثل التمر، يا جارية: بلغيني الفتح، ففرقتها.

أعمالها:

روت سودة - رضي الله عنها - خمسة أحاديث، وروى عنها عبدالله بن عباس ويحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن سعد بن زاره الأنصاري. وروى لها أبو داود والنسائي وخرّج لها البخاري

وفاتها:

توفيت سودة في آخر زمن عمر بن الخطاب، ويقال إنها توفيت بالمدينة المنورة في شوال سنة أربعة وخمسون، وفي خلافة معاوية. ولما توفيت سوده سجد ابن عباس فقيل له في ذلك؟ فقال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: " إذا رأيتم آية فاسجدوا"، فأبي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها

الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سماوات سبع من حادثة الإفك. وهي (رضي الله عنها) بعلمها ودرابقتها ساهمت بتصحيح المفاهيم، والتوجيه لإتباع سنة رسول الله فقد كان أهل العلم يقصدونها للأخذ من علمها الغزير، فأصبحت بذلك نبراساً منيراً يضيء على أهل العلم وطلابه. تلکم هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، زوجة رسول الله وأفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالقرآن والحديث والفقه. ولدت بمكة المكرمة في العام الثامن قبل الهجرة، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية للهجرة، فكانت أكثر نساءه رواية لأحاديثه كانت من أحب نساء الرسول إليه، وتحكي (رضي الله عنها) عن ذلك فتقول ((فضلت على نساء الرسول بعشر ولا فخر: كنت أحب نساءه إليه، وكان أبي أحب رجاله إليه، وتزوجني لسبع وبنى بي لتسع (أي دخل بي)، ونزل عذري من السماء (المقصود حادثة الإفك)، واستأذن النبي صلى الله

عليه وسلم نساءه في مرضه قائلاً: إني لا أقوى على التردد عليكن فأذن لي أن أبقى عند بعضكن، فقالت أم سلمة: قد عرفنا من تريد، تريد عائشة، قد أذنا لك، وكان آخر زاده في الدنيا ربيقي، فقد استاك بسواكي، وقبض بين حجري و نحري، ودفن في بيتي)). توفيت (رضي الله عنها) في الثامنة والخمسين للهجرة

علمها وتعليمها:

تعد عائشة (رضي الله عنها) من أكثر النساء في العالم فقهاً وعلماً، فقد أحيطت بعلم كل ما يتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه. وكانت (رضي الله عنها) مرجعاً لأصحاب رسول الله عندما يستعصي عليهم أمر، فقد كانوا (رضي الله عنهم) يستفتونها فيجدون لديها حلاً لما أشكل عليهم. حيث قال أبو موسى الأشعري: ((ما أشكل علينا أصحاب رسول الله . حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً)). وقد كان مقام السيدة عائشة بين المسلمين مقام الأستاذ من تلاميذه، حيث أنها إذا سمعت من علماء المسلمين والصحابة روايات ليست على وجهها الصحيح تقوم بالتصحيح لهم وتبين ما خفي عليهم، فاشتهر ذلك عنها، وأصبح كل من يشك في رواية أتاه سائلاً.

لقد تميزت السيدة بعلمها الرفيع لعوامل مكنتها من أن تصل إلى هذه المكانة، من أهم هذه العوامل:

- ذكائها الحاد وقوة ذاكرتها، وذلك لكثرة ما روت عن النبي.
- زواجها في سن مبكر من النبي صلى الله عليه وسلم، ونشأتها في بيت النبوة، فأصبحت (رضي الله عنها) التلميذة النبوية.

• كثرة ما نزل من الوحي في حجرتها، وهذا بما فضلت به بين نساء رسول الله.

• حبها للعلم و المعرفة، فقد كانت تسأل و تستفسر إذا لم تعرف أمراً أو استعصى عليها مسألة، فقد قال عنها ابن أبي مليكة ((كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه)) ونتيجة لعلمها وفقهها أصبحت حجرتها المباركة وجهة طلاب العلم حتى غدت هذه الحجرة أول مدارس الإسلام وأعظمها أثراً في تاريخ الإسلام. وكانت (رضي الله عنها) تضع حجاباً بينها وبين تلاميذها، وذلك لما قاله مسروق ((سمعت تصفيقها بيديها من وراء الحجاب)) لقد اتبعت السيدة أساليب رفيعة في تعليمها متبعة بذلك نهج رسول الله في تعليمه لأصحابه. من هذه الأساليب عدم الإسراع في الكلام وإنما التأني ليتمكن المتعلم من الاستيعاب،. فقد قال عروة إن السيدة عائشة قالت مستكرة ((ألا يعجبك أبو هريرة جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله يسمعي ذلك، وكنت أسبح - أصلي - فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه ان رسول الله لم يكن يسرد الحديث كسرديكم)) كذلك من أساليبها في التعليم، التعليم أحياناً بالأسلوب العملي، وذلك توضيحاً للأحكام الشرعية العملية كالوضوء. كما أنها كانت لا تخرج في الإجابة على المستفتي في أي مسألة من مسائل الدين ولو كانت في أدق مسائل الإنسان الخاصة. كذلك لاحظنا بأن السيدة عائشة كانت تستخدم الأسلوب العلمي المقترن بالأدلة سواء كانت من الكتاب أو السنة. ويتضح ذلك في رواية مسروق حيث

قال ((كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن ؟ قالت: من زعم أن رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل (ولقد رآه بالأفق المبين. ولقد رآه نزلةً أخرى) فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله، فقال: (إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيتاه مهبطاً من السماء ساداً عظيماً خلقه ما بين السماء والأرض)) فقالت: أولم تسمع أن الله يقول لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) أو لم تسمع أن الله يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم. قالت: ومن زعم أن رسول الله كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، و الله يقول: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته). قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) قل

لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴿٦٥﴾ النمل: ٦٥.

وبذلك يتضح لنا بأن السيدة عائشة (رضي الله عنها) كانت معقلاً للفكر الإسلامي، وسراجاً يضيء على طلاب العلم. ولذكائها وحبها للعلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها ويؤثرها حيث قال (كامل

من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

السيدة المفسرة المحدثه:

كانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عالمة مفسرة ومحدثه، تعلم نساء المؤمنين ويسألها كثير من الصحابة في أمور الدين، فقد هيا لها الله سبحانه كل الأسباب التي جعلت منها أحد أعلام التفسير والحديث. وإذا تطرقنا إلى دورها العظيم في التفسير فإننا نجد أن كونها ابنة أبو بكر الصديق هو أحد الأسباب التي مكنتها من احتلال هذه المكانة في عالم التفسير، حيث أنها منذ نعومة أظافرها وهي تسمع القرآن من فم والدها الصديق، كما أن ذكائها و قوة ذاكرتها سبب آخر ونلاحظ ذلك من قولها (لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ومن أهم الأسباب إنها كانت تشهد نزول الوحي على رسول الله، وكانت (رضي الله عنها) تسأل الرسول عن معاني القرآن الكريم وإلى ما تشير إليه بعض الآيات. فجمعت بذلك شرف تلقي القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم فور نزوله وتلقي معانيه أيضا من رسول الله. وقد جمعت (رضي الله عنها) إلى جانب ذلك كل ما يحتاجه المفسر كقوتها في اللغة العربية وفصاحة لسانها و علو بيانها.

كانت السيدة تحرص على تفسير القرآن الكريم بما يتناسب وأصول الدين وعقائده، ويتضح ذلك في ما قاله عروة يسأل السيدة عائشة عن قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾

يوسف: ١١٠. قلت: أكَذِبُوا أم كُذِّبُوا؟ قالت عائشة: كُذِّبُوا، قلت: قد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن، قالت: أجل لعمرى قد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنُّوا أنهم قد كُذِّبُوا؟ قالت: معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بريها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بريهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء و استأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك. وفي موقف آخر يتضح لنا أن السيدة عائشة كانت تحرص على إظهار ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض بحيث كانت تفسر القرآن بالقرآن. وبذلك فإن السيدة عائشة تكون قد مهدت لكل من أتى بعدها أمثل الطرق لفهم القرآن الكريم. أما من حيث إنها كانت من كبار حفاظ السنة من الصحابة، فقد احتلت (رضي الله عنها) المرتبة الخامسة في حفظ الحديث وروايته، حيث إنها أتت بعد أبي هريرة، وابن عمر وأنس بن مالك، وابن عباس (رضي الله عنهم)، ولكنها امتازت عنهم بأن معظم الأحاديث التي روتها قد تلقنتها مباشرة من النبي صلى اله عليه وسلم كما أن معظم الأحاديث التي روتها كانت تتضمن على السنن الفعلية. ذلك أن الحجة المباركة أصبحت مدرسة الحديث الأول يقصدها أهل العلم لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وتلقي السنة من السيدة التي كانت أقرب الناس إلى رسول الله، فكانت لا تبخل بعلمها على أحدٍ منهم، ولذلك كان عدد الرواة عنها كبير. كانت (رضي الله عنها) ترى وجوب المحافظة على ألفاظ الحديث كما هي، وقد لاحظنا ذلك من رواية عروة بن الزبير عندما قالت له ((يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو ماراً بنا إلى الحج

فألقيه فسائله، فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً، قال عروة: فلقبته فسائلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيما ذكر أن النبي قال: إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم، ويبقى في الناس رؤوساً جهلاً يفتونهم بغير العلم، فيضلون و يضلون. قال عروة: فلم حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك و أنكرته، قالت: أحَدْتُكَ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ قال عروة: حتى إذا كان قابلاً، قالت له: إن ابن عمرو قد قدم فألقه ثم فاتحة حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم، قال: فلقبته فسائلته فذكره لي نحو ما حدثني به في مرّته الأولى، قال عروة: فلما أخبرتها بذلك قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص)). ولذلك كان بعض رواة الحديث يأتون إليها ويسمعونها بعض الأحاديث ليتأكدوا من صحتها، كما إنهم لو اختلفوا في أمر ما رجعوا إليها. ومن هذا كله يتبين لنا دور السيدة عائشة و فضلها في نقل السنة النبوية ونشرها بين الناس، ولولا أن الله تعالى أهلها لذلك لضاع قسم كبير من سنة النبي صلى الله عليه وسلم الفعلية في بيته عليه الصلاة و السلام.

السيدة الفقيهة:

تعد السيدة عائشة (رضي الله عنها) من أكبر النساء في العالم فقهاً وعلماً، فقد كانت من كبار علماء الصحابة المجتهدين، وكما ذكرنا سابقاً بأن أصحاب الرسول كانوا يستفتونها فتفتيهم، وقد ذكر القاسم بن محمد أن عائشة قد اشتغلت بالفتوى من خلافة أبي بكر إلى أن توفيت. ولم

تكتفٍ (رضي الله عنها) بما عرفت من النبي صلى الله عليه وسلم وإنما اجتهدت في استنباط الأحكام للوقائع التي لم تجد لها حكماً في الكتاب أو السنة، فكانت إذا سئلت عن حكم مسألة ما بحثت في الكتاب والسنة، فإن لم تجد اجتهدت لاستنباط الحكم، حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقولة عنها. فهاهي (رضي الله عنها) تؤكد على تحريم زواج المتعة مستدلة بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۗ﴾ (٥) ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۗ﴾ (٦) ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۗ﴾ (٧) ﴿المؤمنون: ٥ - ٧ .

وقد استقلت السيدة ببعض الآراء الفقهية، التي خالفت بها آراء الصحابة، ومن هذه الآراء:

١. جواز التنفل بركعتين بعد صلاة العصر، قائلة ((لم يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعتين بعد العصر)). وعلى الرغم من أنه من المعلوم أن التنفل بعد صلاة العصر مكروه، فقال بعض الفقهاء أن التنفل بعد العصر من خصوصياته صلى الله عليه وسلم.
٢. كما أنها كانت ترى أن عدد ركعات قيام رمضان إحدى عشرة ركعة مع الوتر، مستدلة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما سألها أبو سلمة بن عبدالرحمن ((كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ قالت: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن و طولهن، ثم يصلي أربعاً فلا

تسأل عن حسنهن و طولهن، ثم يصلي ثلاثا. فقلت يا رسول الله: ألتام قبل أن توتر؟ فقال: ((يا عائشة إن عيني تتامان ولا ينام قلبي)). فكان الصحابة (رضي الله عنهم) يصلونها عشرين ركعة، لأن فعل النبي لهذا العدد لا يدل على نفي ما عداه. وهكذا جمعت السيدة عائشة بين علو بيانها و راحة عقلها.

وفاتها:

توفيت السيدة عائشة (رضي الله عنها) وهي في السادسة و الستين من عمرها، بعد أن تركت أعمق الأثر في الحياة الفقهية و الاجتماعية والسياسية للمسلمين. وحفظت لهم بضعة آلاف من صحيح الحديث عن رسول صلى الله عليه وسلم، لقد عاشت السيدة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتصحيح رأي الناس في المرأة العربية، فقد جمعت (رضي الله عنها) بين جميع جوانب العلوم الإسلامية، فهي السيدة المفسرة العالمة المحدثة الفقيهة. وكما ذكرنا سابقاً فهي التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، فكانها فضلت على النساء.

كما أن عروة بن الزبير قال فيها(ما رأيت أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة). وأيضاً قال فيها أبو عمر بن عبد البر (إن عائشة كانت وحيدة بعصرها في ثلاثة علوم علم الفقه وعلم الطب وعلم الشعر) وهكذا فإننا نلمس عظيم الأثر للسيدة التي اعتبرت نبزاً منيراً يضيء على أهل العلم وطلابه للسيدة التي كانت أقرب الناس لمعلم الأمة

وأحبهم، والتي أخذت منه الكثير وأفادت به المجتمع الإسلامي.فهي بذلك
اعتبرت امتدادا لرسول الله.

ام المؤمنين

حفصة بنت عمر بن الخطاب

رضي الله عنها

هي حفصة بنت عمر أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضى الله عنهما، ولدت قبل المبعث بخمسة الأعوام. لقد كانت حفصة زوجة صالحة للصحابي الجليل (خنيس بن حذافة السهمي) الذي كان من أصحاب الهجرتين، هاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الأولين إليها فرارا بدينه، ثم إلى المدينة نصره لنبيه صلى الله عليه و سلم، و قد شهد بدرا أولا ثم شهد أحدا، فأصابته جراحه توفي على أثرها، و ترك من ورائه زوجته (حفصة بنت عمر) شابة في ريعان العمر، فترملت ولها عشرون سنة.

زواج حفصة من الرسول صلى الله عليه وسلم

تألم عمر بن الخطاب لابنته الشابة، وأوجعه أن يرى ملامح الترمل تغتال شبابها وأصبح يشعر بانقباض في نفسه كلما رأى ابنته الشابة تعاني من عزلة الترمل، وهي التي كانت في حياة زوجها تنعم بالسعادة الزوجية، فأخذ يفكر بعد انقضاء عدتها في أمرها، من سيكون زوجها لابنته

؟

ومرت الأيام متتابعة.. وما من خاطب لها، وهو غير عالم بأن النبي صلى الله عليه و سلم قد أخذت من اهتمامه فأسر إلى أبي بكر الصديق أنه يريد خطبتها. ولما تناولت الأيام عليه وابنته الشابة الأيم يؤلمها الترمل، عرضها على أبي بكر، فلم يجبه بشيء، ثم عرضها على عثمان، فقال: بدا لي اليوم ألا أتزوج. فوجد عليهما وانكسر، وشكا حاله إلى النبي صلى الله عليه و سلم، فقال: يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، يتزوج عثمان من هو خير من حفصة..؟

(عن سعيد بن المسيب قال أم عثمان من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمت حفصة بنت عمر من زوجها فمر عمر بعثمان رضى الله عنهما فقال هل لك في حفصة وكان عثمان قد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها فلم يجبه فنذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم هل لك في خير من ذلك أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان خيرا منها أم كلثوم.

وأمت يعنى تأيمت أي خلت من الزوج بموت أو طلاق، تقول منه أمت تتيم وأمت أنا.

وعن ربي بن خراش عن عثمان أنه خطب إلى عمر ابنته فرده فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلما راح إليه عمر قال يا عمر أدلك على خير لك من عثمان أدل عثمان على خير له منك قال نعم يا نبي الله قال تزوجني ابنتك وأزوج عثمان ابنتي.)^(١)

(١) ذخائر العقبى ١ / ١٦٥.

كان عمر لا يدري معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم.. لما به من هموم لابنته، ثم خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فزوجه عمر رضي الله عنه ابنته حفصة، وينال شرف مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم، ويرى نفسه أنه قارب المنزلة التي بلغها أبو بكر من مصاهرته من ابنته عائشة، وهذا هو المقصود والله أعلم من تفكير النبي صلى الله عليه وسلم بخطبة لحفصة بنت عمر رضي الله عنها.

وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بابنته أم كلثوم بعد وفاة أختها رقية، ولما أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة.. لقي عمر بن الخطاب أبا بكر.. فاعتذر أبو بكر إليه، وقال: لا تجد علي، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سره، ولو تركها لتزوجتها. وبذلك تحققت فرحة عمر وابنته حفصة.. وبارك الصحابة يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تمتد لتكرم عمر بن الخطاب بشرف المصاهرة منه عليه الصلاة والسلام، وتمسح عن حفصة آلام الترملة والفرقة. و كان زواجه صلى الله عليه وسلم بحفصة سنة ثلاث من الهجرة على صداق قدره ٤٠٠ درهم، وسنها يومئذ عشرون عاما

حفصة في بيت النبوة:

وقد حظيت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها - بالشرف الرفيع الذي حظيت به سابقتها عائشة بنت أبي بكر الصديق!!.. وتبوأ منزل الكريمة من بين (أمهات المؤمنين) رضي الله عنهن، وتدخل (حفصة) بيت النبي صلى الله عليه وسلم... ثلاثة الزوجات في

بيوتاته عليه الصلاة والسلام.. فقد جاءت بعد (سوده).. و(عائشة). أما سوده فرحبت بها راضية.. وأما عائشة والتي ملأ حب رسول الله قلبها فما كانت تطيق فراقه او الابتعاد عنه، فحارت ماذا تصنع مع هذه الزوجة الشابة.. وهي من هي! بنت الفاروق (عمر).. الذي أعز الله به الإسلام قديما.. وملئت قلوب المشركين منه ذعرا.

وسكنت عائشة أمام هذا الزواج المفاجئ وهي التي كانت تضيق بيوم ضررتها (سوده) التي ما اكثرثت لها كثيرا... فكيف يكون الحال معها حين تققطع (حفصة) من أيامها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ثلثها وتتضاءل غيرة عائشة من حفصة لما رأت توافد زوجات أخريات على بيوتات النبي صلى الله عليه وسلم... "زينب... وأم سلمة... وزينب الأخرى.. وجويرية... وصفية.." إنه لم يسعها إلا أن تصافحها الود... وتسر حفصة لود ضررتها عائشة... وينعمها ذلك الصفاء.

صفات حفصة - رضي الله عنها:

حفصة أم المؤمنين... الصوماء.. القوامه... شهادة صادقة من أمين الوحي (جبريل عليه السلام) !! ... وبشارة محققه: إنها زوجتك - يا رسول الله- في الجنة!!... وقد وعت حفصة مواظ الله حق الوعي.. وتأديت بأداب كتابه الكريم حق التأديب... وقد عكفت على المصحف تلاوة و تدبرا و تفهما و تأملا.. مما أثار انتباه أبيها الفاروق (عمر بن الخطاب) إلى عظيم اهتمامها بكتاب الله تبارك و تعالى !! مما جعله يوصي بالمصحف الشريف الذي كتب في عهد أبي بكر الصديق بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم.. و كتابته كانت على العرضة الأخيرة التي

عارضها له جبريل مرتين في شهر رمضان من عام وفاته صلى الله عليه
و سلم إلى ابنته (حفصة) أم المؤمنين.

حفظ نسخة القرآن المكتوب عند حفصة: الوديعة الغالية:

روى أبو نعيم عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه
قال: " لما أمرني أبوبكر فجمعت القرآن كتبتة في قطع الأدم وكسر
الأكتاف والعسب، فلما هلك أبو بكر رضي الله عنه- أي: توفي - كان
عمر كتب ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده- أي: على رق من نوع
واحد - فلما هلك عمر رضي الله عنه كانت الصحيفة عند حفصة زوجة
النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أرسل عثمان رضي الله عنه إلى حفصة
رضي الله عنها، فسألها أن تعطيه الصحيفة؛ وحلف ليردنها إليها،
فأعطته، فعرض المصحف عليها، فردها إليها، وطابت نفسه، وأمر الناس
فكتبوا المصاحف و قد امتاز هذا المصحف الشريف بخصائص الجمع
الثاني للقرآن الكريم الذي تم إنجازه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله
عنه، بمشورة من عمر بن الخطاب، و ذلك بعد ما استحر القتل في القراء
في محاربة (مسيلمة الكذاب) حيث قتل في معركة اليمامة (سبعون) من
القراء الحفظة للقرآن بأسره.. وخصائص جمع هذا المصحف نجملها فيما
يلي:

اولا: ان كل من كان تلقى عن رسول الله شيئا من القرآن أتى
وأدلى به الى زيد بن ثابت.

ثانيا: أن كل من كتب شيئا في حضرة النبي صلى الله عليه و سلم من القرآن الكريم أتى به إلى زيد.

ثالثا: أن زيدا كان لا يأخذ إلا من أصل قد كتب بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم .

رابعا: أن الجمع بعد المقارنة بين المحفوظ في الصدور، و المرسوم في السطور، و المقابلة بينهما، لا بمجرد الاعتماد على أحدهما خامسا: أن زيدا كان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد معه شاهدان على سماعه و تلقيه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم مباشرة بلا واسطة؛ فيكون بذلك هذا الجمع قد تم فيه التدوين الجماعي، و الثلاثة أقل الجمع سادسا: ان ترتيب هذا المصحف . الأول من نوعه . وضبطه، كان على حسب العرضة الأخيرة على رسول الله قبل انتقاله الى الرفيق الأعلى وقد شارك زيد في هذه المهمة العظيمة (عمر بن الخطاب) فعن عروة بن الزبير أن أبا بكر قال لعمر و زيد: " اعدا على باب المسجد، فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه " ..!! قال الحافظ السخاوي في (جمال القراء): " المراد انهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن.

ولما أجمع الصحابة على أمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان في جمع الناس على مصحف إمام يستسخون منه مصاحفهم.. أرسل أمير المؤمنين عثمان إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف.

تلك هي الودیعة الغالیة !!... التي أودعها أمير المؤمنین عمر بن الخطاب عند ابنته حفصة أم المؤمنین.. فحفظتها بكل أمانة.. ورعتها بكل صون... فحفظ لها الصحابة ... والتابعون وتابعوهم من المؤمنین إلى یومنا هذا ... وإلى أن یرث الله الأرض ومن علیها.. ذلك الذکر الجمیل الذی تذكر فیہ كلما تذاکر المسلمون جمع المصحف الشریف فی مرحلتيه ... فی عهد الصدیق أبی بكر ... وعهد ذی النورین عثمان... وبعد مقتل عثمان... إلى آخر أيام علي... بقيت حفصة عاكفة على العبادة صوامه قوامه ... إلى أن توفیت فی أول عهد معاوية بن أبی سفيان ... وشيخها أهل المدينة إلى مئاها الأخير فی البقیع مع أمهات المؤمنین رضي الله عنهن .

أم المؤمنین

زينب بنت خزيمة

أم المساکین

مرّت كنسمة رقیق على بیت رسول الله ﷺ ... لم تترك أثراً كبيراً فی الحياة الاجتماعیة لأنها لم تمكث طويلاً ، لكنها تركت أثراً فی القلوب ، نجمة لمعت فی سماء البیت النبوی ثم مضت سريعاً .

وكثير من الاحداث لا تقاس بعمرها الزمني بل بعمق أثرها ومستوى التغيير الذي أحدثته .

اجتمع لهذه الصحابية الجلييلة في اسمها أمومتين فكانت أما للمساكين وأماً للمؤمنين .

❁ نسبها الشريف ولقبها :

أبوها : خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر .

أمها: هند بنت عوف بن زهير بن حماسة بن جرش بن أسلم .

أكرم عجوز في الأرض أصهاراً.

فهند بنت عوفٍ هذه أم كل من :

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، زوج رسول الله ﷺ .

وأسماء بنت عميس الخثعمية ، زوج أبي بكر الصديق وجعفر وعلي ابن أبي طالب.

وأروى بنت عميس الخثعمية ، زوج حمزة بن عبد المطلب.

وأم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية، زوج العباس بن عبد المطلب .

ولبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية، وهي أم خالد بن الوليد.

وكانت زينب بنت خزيمة أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها، و لقبها

في الجاهلية أم المساكين، واجمعت المصادر على وصفها بالطيبة والكرم

والعطف على الفقراء والمساكين واطعامهم والرحمة بهم والعطف والانفاق عليهم

في الجاهلية والإسلام، ولا يكاد اسمها يذكر في أي كتاب إلا مقرونا بلقبها

الكريم أم المساكين.

❁ بداية اللقاء مع النور :

ولدت السيدة زينب رضي الله عنها في مكة قبل البعثة النبوية بثلاث عشرة سنة تقريباً .

ومع نزول التكليف بالرسالة والدعوة الى الاسلام على النبي محمد ﷺ وافقت تعاليم الاسلام ما كانت عليه من صفاء ونقاء وحب للخير والعطاء وكرم نفس ورحمة ، فسارعت الى الدخول في دائرة النور والهدى حيث أسلمت قبل دخول النبي الى دار الأرقم كمركز للدعوة ، فكانت رضي الله عنها من السابقين الأولين ، وعاشت في رحاب الاسلام فزاد عطاءها وصار لرحمتها بالفقراء والمساكين والأيتام سببا اكبر وأهم حيث ارتبط برضا الله والسعي اليه .

❁ زوجها :

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد زوج السيدة زينب رضي الله عنها قبل دخولها لبيت النبي أما للمؤمنين وزوجة لرسول الله ﷺ .

ففي الوقت الذي ذكرت بعض المصادر انها كانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف الذي استشهد بمعركة بدر .

ذهبت مصادر اخرى الى انها كانت تحت عبد الله بن جحش الذي استشهد يوم أحد .

ويرجع سبب اختلاف كتاب السير والتاريخ بمعرفة تفاصيل حياة السيدة زينب رضي الله عنها الى قصرِ فترة بقاءها في البيت النبوي الشريف مما لم يمكن كتاب السيرة من رصد حياتها .

❁ في بيت النبي :

ويستشهد عن السيدة زينب زوجها ، فتعيش مع وحدتها ومرارة الترمل وحزن فقد الزوج ، وتمتد اليد النبوية الشريفة لتمسح عنها حزنها وتبدد عنها ظلمة احزانها بنور رحمته .

ففي نهاية العام الثالث من الهجرة كانت السيدة زينب على موعد مع خير الدنيا والآخرة ، حيث يخطبها سيد الخلق رسول الله ﷺ ، فتجعل أمرها الى رسول الله في شأن زواجها وتوكل اليه حرية التصرف بتزويجها .

حينما خطبها النبي قالت له: إني جعلت أمر نفسي إليك ، يعني وهبت نفسها للنبي، وهذا زيادة في التعبير عن بالغ الرضا والامتثال، وعن عميق السرور الذي غمر قلبها الوديع، فتزوجها النبي عليه الصلاة والسلام وتنتقل أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الى بيت النبي زوجة لخير الخلق وأماً للمؤمنين .

ومع اقترابها بالنبي والعيش في ظل انواره ورحمته واخلاقه هامت في دنيا الرضوان وفي عالم من الود والمحبة والعطف وزادت سعادتها بزيادة رحمتها للمساكين تهيم روحها نشوة وهي تسمع الى الحبيب المصطفى يقول : (أيما مسلم كسا ثوباً على عري ، كساه الله تعالى من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلم على ظمأ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم)¹

❁ الرحيل :

وبعد دخول ام المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها الى بيت النبوة ببضعة أشهر تفاوت تقديرها بين ثلاثة أشهر وثمانية أشهر انتقلت ام المؤمنين زينب بنت خزيمة الى جوار ربها ، توفيت وهي شابة في الثلاثين من عمرها .

¹ سنن البيهقي الكبرى ٤ / ١٨٥ برقم ٧٥٩٤

وهي أول زوجات النبي التي توفيت في حياته ﷺ بعد السيدة خديجة رضي الله عنها.

❁ قيمة الأثر وعمره :

عمر الانسان لا يقاس بالسنين ، فالسنين التي عاشها الانسان تعبر عن عمره الزمني ، وقد تكون بلا قيمة فعلية ، بل هناك العمر الفعلي ، وهو مقدار الأثر والفائدة والخير التي تركها الانسان ، وتلك لا تقاس بالزمن بل بالأثر الذي تركته .

سعد ابن معاذ عاش في ظل الاسلام ستة أعوام ، واهتز لموته عرش الرحمن ، ستة أعوام ، ولكن قيمتها كبيرة وثقلها كبير ، فارتقى الصحابي سعد بهذه السنين الست ما لم يرتقي غيره بمئة عام . العبرة ليست بالسنين .

مما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه خرجت سرية من المسلمين في حصار خيبر عشية فتحها فأسروا عبدا أسودا معه غنم يرعاها فجاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه النبي ﷺ ما شاء الله أن يكلمه فقال الرجل إني قد آمنت بك وبما جئت به فكيف بالغنم يا رسول الله فإنها أمانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك ، قال أحصب وجوهها ترجع إلى أهلها فأخذ قبضة من حصى أو تراب فرمى بها وجوهها فخرجت تسير حتى دخلت كل شاة إلى أهلها ، ثم تقدم إلى الصف فأصابه سهم فقتله ولم يصل الله سجدة واحدة ، ولم يتعبد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلوه الخباء ، فادخل خباء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ دخل عليه ثم خرج فقال :

(لقد حسن إسلام صاحبكم لقد دخلت عليه وان عنده لزوجين من الحور العين)^١

ومما يرويه شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجل من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمن به واتبعه فقال: أهاجر معك؟ فأوصى به بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ شيئاً فقسمه، وقسم للأعرابي فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرى ظهورهم فلما جاء دفعوه إليه فقال ما هذا ؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله النبي ﷺ فأخذه فجاء به النبي صلى الله عليه وسلم : فقال ما هذا ؟ قال : (قسم قسمته لك) قال ما على هذا أتبعك ، ولكن أتبعك على أن أرمى ها هنا (وأشار إلى حلقه) بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال (إن تصدق الله يصدقك) فلبثوا قليلاً ثم قاموا في قتال العدو ، فأتي به يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : (أهو هو) قالوا نعم ، قال (صدق الله فصدقته) ، فكفنه النبي ﷺ في جيبته ثم قدمه صلى عليه وكان من دعائه :

(اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك ، قتل شهيداً ، وأنا عليه شهيد)^٢
المسألة قد تتعلق بالإخلاص أو الصفاء مع الله أو عمق المحبة ، وربما غير ذلك ، المهم ان الأمر لا يقاس بعمره الزمني ولا بالسنين .
ولذلك ارتقت ام المؤمنین زينب رضي الله عنها بهذه الأشهر ما شاء لها الله عز وجل ان ترتقي حتى خصها الله بالزواج من خير خلقه ، ويذكر خالد ومحبة في قلوب ابناءها من المؤمنین الى يوم القيامة

^١ المستدرك على الصحيحين ١٤٨/٢ برقم ٢٦٠٩ . ودلائل النبوة للأصبهاني ١٨٨/١ برقم ٢٤١

^٢ المستدرك على الصحيحين ٦٨٨/٣ برقم ٦٥٢٧ . والسنن الكبرى ١/٦٣٤ برقم ٢٠٨٠

أم المؤمنين
هند أم سلمة المخزومية
بنت زاد الרכب - رضي الله عنها

نسبها:

هي هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية بن المغيرة، أم سلمة (ويقال أن اسم جدها المغيرة هو حذيفة، ويعرف بزاد الרכب). وهي قرشية مخزومية، وكان جدها المغيرة يقال له: زاد الרכب، وذلك لجوده، حيث كان لا يدع أحدا يسافر معه حامل زاده، بل كان هو الذي يكفيهم. وقد تزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي.

فضلها:

تعدُّ أم سلمة من أكمل النساء عقلا وخلقا، فهي وزوجها أبو سلمة من السابقين إلى الإسلام، هاجرت مع أبي سلمة إلى أرض الحبشة، وولدت له ((سلمة)) ورجعا إلى مكة، ثم هاجرا معه إلى المدينة. فولدت له ابنتين وابنا أيضا، وكانت أول امرأة مهاجرة تدخل المدينة. ومات أبو سلمة في المدينة من أثر جرح في غزوة أحد، بعد أن قاتل قتال المخلصين المتعشقين للموت والشهادة. وكان من دعاء أبي سلمة: (اللهم

أخلفني في أهلي بخير)، فأخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على زوجته أم سلمة، فصارت أمًا للمؤمنين، وعلى بنيها: سلمة، وعمر، وزينب، فصاروا رباب في حجره المبارك صلى الله عليه وسلم، وذلك سنة أربع للهجرة.

كما كانت تعد من فقهاء الصحابة ممن كان يفتي، إذ عدها ابن حزم ضمن الدرجة الثانية، أي متوسطي الفتوى بين الصحابة رضوان الله عليهم، حيث قال: (المتوسطون فيما روي عنهم من الفتوى: عثمان، أبو هريرة، عبد الله بن عمرو، أنس، أم سلمة...) إلى أن عدهم ثلاثة عشر، ثم قال: (ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير).

زواج أم سلمة من النبي صلى الله عليه وسلم:

عندما انقضت عدتها بعث إليها أبو بكر يخطبها فلم تتزوجه، وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم إشفاقا عليها ورحمة بأيتامها أبناء وبنات أخيه من الرضاعة. فقالت له: مثلي لا يصلح للزواج، فإني تجاوزت السن، فلا يولد لي، وأنا امرأة غيور، وعندني أطفال، فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم خطابا يقول فيه: أما السن فأنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا أرضاني. فأرسلت أم سلمة ابنها عمر بن أبي سلمة ليزوجها بالرسول صلى الله عليه وسلم ولما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة حزنت عائشة رضي الله عنها حزنا شديدا لما ذكروا لها من جمال أم سلمة وقالت لما رأتها: والله أضعاف ما وصفت لي في الحسن

والجمال. وكان رسول الله إذا صلى العصر دخل على نسائه فبدأ بأُم سلمة وكان يخدمها بعائشة رضي الله عنهن.

صفاتُها وأخلاقُها:

كان لأُم سلمة رأي صائب أشارت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، وذلك أن النبي - عليه الصلاة والسلام - لما صالح أهل مكة وكتب كتاب الصلح بينه و بينهم وفرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم حلقوا. فلم يبق منهم رجل بعد أن قال ذلك ثلاث مرات. فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت له أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فقام - عليه الصلاة و السلام - فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة فنحر بدنته ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا كناية عن سرعة المبادرة في الفعل () وتعد أم سلمة خير مثال يجب على أمهات وزوجات اليوم الاحتذاء به من خلال تربيتها لأولادها التربية الأخلاقية الكريمة. وكانت خير زوجة وأم صالحة، تملك العقل الراجح، والشخصية القوية، وكانت قادرة على اتخاذ قراراتها بنفسها، وتتسم شخصيتها بحسن الأخلاق والأدب، وهذا ما يندر في كثير من الأمهات والزوجات في وقتنا الحالي. كالعناية بالزوج، والنظر في أمور الأطفال، ومساعدة الزوج في أصعب الأوقات، وتقدير حال زوجها كل هذا نفتقده في أمهات وزوجات اليوم.

دور أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في رواية الحديث:

روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها الكثير الطيب، إذ تعد ثاني راوية للحديث بعد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إذ لها جملة أحاديث قدرت حسب كتاب بقي بن مخلد ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً (٣٧٨). اتفق لها البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثاً، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر. ومجموع مروياتها حسب ما ورد في تحفة الأشراف مائة وثمانية وخمسون حديثاً.

محتوى مروياتها رضي الله عنها: كان وجود أم المؤمنين أم سلمة، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما خاصة بين الصحابة، وتأخر وفاتهما بعد النبي صلى الله عليه وسلم من العوامل المهمة التي جعلت الناس يقصدونهما خاصة للسؤال والفتيا، وبعد وفاة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سنة (٥٨هـ)، تربعت أم سلمة رضي الله عنها على سدة الرواية والفتيا لكونها آخر من تبقى من أمهات المؤمنين، الأمر الذي جعل مروياتها كثيرة، إذ جمعت بين الأحكام والتفسير والآداب والأدعية، والفتن.... إلخ.

إن مرويات أم سلمة معظمها في الأحكام وما اختص بالعبادات أساساً كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج. وفي أحكام الجنائز، وفي الأدب، وفي ستر العورة، وفي رفع الرأس إلى السماء عند الخروج من البيت، والمرأة ترخي من إزارها ذراعاً، وروت في الأشربة، والنهي عن عجم النوى طبخاً وخط النبيذ بالتمر... وفي النكاح، روت زواجها، وفي الإحداد والرضاع... كما روت في المغازي، والمظالم والفتن، في الجيش الذي يخسف به، وفي المهدي، وروت في المناقب في ذكر علي وذكر

عمار. وهذا يدل على قوة حافظتها أم سلمة واهتمامها بالحديث - رضي الله عنها

تلاميذها:

نقل عنها مروياتها جيل من التلاميذ رجالاً ونساء، من مختلف الأقطار، حيث روى عنها . رضي الله عنها . خلق كثير - فمن الصحابة: أم المؤمنين عائشة، وأبو سعيد الخدري، وعمر بن أبي سلمة، وأنس بن مالك، وبريدة بن الحصين الأسلمي، وسليمان بن بريدة، وأبو رافع، وابن عباس - رضي الله عنهم - ومن التابعين، أشهرهم: سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وشقيق بن سلمة، وعبد الله بن أبي مليكة، وعامر الشعبي، والأسود بن يزيد، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، شهر بن حوشب، نافع بن جبير بن مطعم... وآخرون - ومن النساء: ابنتها زينب، هند بنت الحارث، وصفية بنت شيبة، وصفية بنت أبي عبيد، وأم ولد إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعمرة بنت عبد الرحمن، وحكيمة، رميثة، وأم محمد ابن قيس ومن نساء أهل الكوفة: عمرة بنت أفعى، جسرة بنت دجاجة، أم مساور الحميري، أم موسى (سرية علي)، جدة ابن جدعان، أم مبشر.

وفاة أم سلمة - رضي الله عنها:

"كانت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، آخر من مات من أمهات المؤمنين، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين، لم تلبث بعده إلا

يسيراً، وانتقلت إلى الله تعالى سنة (٦٢هـ)، وكانت قد عاشت نحوًا من تسعين.

أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها

السيدة زينب بنت جحش امرأة من عليّة نساء قريش، هذب الإسلام نفسها، وأضاء قلبها بنوره وضيائه، واكسبها التقوى والخلق الكريم، فأصبحت درة من الدرر المكنونة نادرة الوجود، وتعتبر سيدة من سيدات نساء الدنيا في الورع والتقوى والجود والتصدق، وقد غدت أما من أمهات المؤمنين بزواجها من النبي ((صلى الله عليه وسلم))، ومما زادها شرفاً وتقديراً وذكرها عند المؤرخين على طول الدهر ذكر قصة زواجها في القرآن الكريم، وبسببها أنزلت آية الحجاب، فرفعت مكانتها وعلت منزلتها في محارب العبادة، وكانت أواهرة حليلة، تصوم النهار وتقوم الليل، وكانت سخية اليد، تجود بكل ما لديها دون أن تبخل أو تتوانى في تقديم العون للفقراء والمحتاجين حتى غدت مثالا عظيما في الكرم والجود والخلق الكريم، وقد لقيت بألقاب عديدة منها: أم المساكين، ومفزع الأيتام، وملجأ الأرمال، فهي امرأة سبّاقة إلى فعل الخيرات، ولها سيرة ندية عطرة في تاريخنا الإسلامي، وبهذا تعتبر السيدة زينب رضي الله عنها - قدوة عظيمة لكل مسلمة تحتذي بأخلاقها وخصالها النبيلة، و تقتفى أثرها،

ويتهدي بهديها؛ ليكون ذلك سببا لها في الفوز برضا الله تعالى ورضا رسوله ((صلى الله عليه وسلم)).

اسمها ونسبها:

زينب بنت جحش بن رياح بن يعمر بن مرة بن كثير بن غنم بن دوران بن أسد بن خزيمه، وتكنى بأُم الحكم. من أخوالها حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - الملقب بأسد الله وسيد الشهداء في غزوة أحد، والعباس بن عبد المطلب الذي اشتهر ببذل المال وإعطائه في النوائب، وخالتها صفية بنت عبد المطلب الهاشمية، أم حوارى النبي ((صلى الله عليه وسلم)) الزبير بن العوام الأسدي. ولها إخوان هما عبد الله بن جحش الأسدي صاحب أول راية عقدت في الإسلام وأحد الشهداء، والآخر أبو أحمد واسمه عبد بن جحش الأعمى، وهو أحد السابقين الأولين ومن المهاجرين إلى المدينة، أما أمها فهي أميمة بنت عبد المطلب عمه الرسول ((صلى الله عليه وسلم))، اختها حمنة بنت جحش من السابقات إلى الإسلام. ولدت السيدة زينب - رضي الله عنها - في مكة المكرمة قبل الهجرة بأكثر من ثلاثين سنة، وقيل أنها " ولدت قبل الهجرة بسبع عشرة سنة". وقد نشأت السيدة زينب بنت جحش في بيت شرف ونسب وحسب، وهي متمسكة بنسبها، ومعتزة بشرف أسرتها، وكثيرا ما كانت تفتخر بأصلها، وقد قالت مرة: "أنا سيدة أبناء عبد شمس.

إسلامها:

كانت زينب بنت جحش من اللواتي أسرعن في الدخول في الإسلام، وقد كانت تحمل قلباً نقياً مخلصاً لله ورسوله، فأخلصت في إسلامها، وقد تحملت أذى قريش و عذابها، إلى أن هاجرت إلى المدينة المنورة مع إخوانها المهاجرين، وقد أكرمهم الأنصار وقاسموهم منازلهم وناصروهم أموالهم وديارهم

أخلاق السيدة الفاضلة وأعمالها الصالحة:

تميزت أم المؤمنين زينب بمكانة عالية وعظيمة، وخاصة بعد أن غدت زوجة للرسول و أمّاً للمؤمنين. كانت سيدة صالحة صوامة قوامة، تتصدق بكل ما تجود بها يدها على الفقراء والمحتاجين والمساكين، وكانت تصنع وتدبغ وتخرز وتبيع ما تصنعه وتتصدق به، وهي امرأة مؤمنة تقية أمينة تصل الرحم.

كرم السيدة زينب بنت جحش وعظيم إنفاقها:

وهناك العديد من المواقف التي تشهد على عطاء أم المؤمنين زينب بنت جحش الكبير، وتؤكد على جودها وكرمها، والذي تغدقه على المحتاجين بلا حدود. " أخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله: " أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً" قالت: فكن (أمهات المؤمنين) يتناولن أيتهن أطول يداً، قالت: وكانت أطولنا يداً زينب؛ لأنها تعمل بيدها وتتصدق. وفي طريق آخر: قالت عائشة: فكننا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة الرسول ((صلى الله عليه وسلم)) نمد أيدينا في الجدار نتناول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذ أن

النبي ((صلى الله عليه وسلم)) إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صناع اليمين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله. عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كانت زينب تغزل الغزل وتعطيه سرايا النبي - صلى الله عليه وسلم - يخيطنون به ويستعينون به في مغازيهم وموقف آخر على بذلها المال وتصدقها به " ما حدثت به برزة بنت رافع فقالت: لما خرج العطاء، أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها، فلما أدخل إليها قالت: غفر الله لعمر بن الخطاب، غيري من أخواتي كانت أقوى على قسم هذا مني، قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله واستترت منه بثوب ثم قالت: صبوه واطرحوا عليه ثوبا، ثم قالت لي: ادخلي يديك واقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان من ذوي رحمها وأيتام لها، فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب فقالت برزة لها: غفر الله لك يا أم المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا المال حق، قالت زينب: فلكم ما تحت الثوب فوجدنا تحته خمسمائة وثمانين درهما، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله ((صلى الله عليه وسلم))، ما رأيت امرأة خيرا في الدين من زينب، أتقى الله، وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة - رضي الله عنها.

عن عبد الله بن شداد ان رسول الله قال لعمر ((ان زينب بنت جحش أواهة " قيل: يا رسول الله، ما الأواهة؟ قال: " الخاشعة المتضرعة" و " إن ابراهيم لحليم أواه منيب.

وقالت عائشة فيها: " لقد ذهبت حميدة، متعبدة، مفزع اليتامى والأرامل." قال ابن سعد - رحمه الله-: " ما تركت زينب بنت جحش - رضي الله عنها - درهما ولا ديناراً، و كانت تتصدق بكل ما قدرت عليه، وكانت مأوى المساكين.

رواية زينب للحديث الشريف:

كانت السيدة زينب - رضي الله عنها - من النساء اللواتي حفظن أحاديث الرسول ((صلى الله عليه وسلم)) ، وقد روت - رضي الله عنها - أحد عشر حديثاً، واتفق الإمامان البخاري ومسلم لها على حديثين منها. لقد روى عنها العديد من الصحابة؛ منهم: ابن أخيها محمد بن عبدالله بن جحش، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، ومذكور مولاها. وروى عنها أيضاً الكثير من الصحابييات منهن: " زينب بنت أبي سلمة وأمها أم المؤمنين أم سلمة، وأم المؤمنين رمة بنت أبي سفيان المعروفة بأم حبيبة - رضي الله عنها - ، وأيضاً كلثوم بنت المصطلق. ومن الأحاديث الشريفة التي رويت عنها - رضي الله عنها - " عن حميد بن نافع، عن زينب بنت أبي سلمة: " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على الميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً. ومما أخرجه البخاري " عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش أن رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) دخل عليها يوماً فزعا يقول: " لا إله إلا الله، ويل للعرب، من شر اقتراب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها - قالت

زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: " نعم إذا كثر الخبث.

ام المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

نشأة جويرية أم المؤمنين:

هي برة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك من خزاعة، كان أبوها سيد وزعيم بني المصطلق. عاشت برة في بيت والدها معززة مكرمة في ترف وعز وفي بيت تسوده العراقة والأصالة، وفي حداثة سنها تزوجت برة من مسافع بن صفوان أحد فتيان خزاعة وكانت لم تتجاوز العشرين من عمرها .

بدايات النور:

بدأ الشيطان يتسلل إلى قلوب بني المصطلق ويزين لهم بأنهم أقوياء يستطيعون التغلب على المسلمين، فأخذوا يعدون العدة ويتأهبون لمقاتلة المجتمع المسلم بقيادة الرسول ((صلى الله عليه وسلم)) فتجمعوا لقتال رسول الله ((صلى الله عليه وسلم))، وكان بقيادتهم سيدهم الحارث بن أبي ضرار، وقد كانت نتيجة القتال انتصار النبي صلى الله عليه وسلم وهزيمة بني المصطلق في عقر دارهم. فما كان من النبي إلا أن سبى كثيرا من

الرجال والنساء وكان مسافع بن صفوان زوج جويرية من الذين قتلتهم السيوف المسلمة وقد كانت السيدة جويرية بنت الحارث من النساء اللاتي وقعن في السبي ف وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري رضي الله عنه، عندها اتفقت معه على مبلغ من المال تدفعه له مقابل عتقها لأنها كانت تتوق للحرية.

زواج جويرية من الرسول ((صلى الله عليه وسلم)):

شاعت الأقدار أن تذهب السيدة جويرية إلى رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) فرأتها السيدة عائشة أم المؤمنين فقالت تصفها: كانت حلوة ملاحه. فو الله ما رأيتها على باب حجرتي إلا كرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت. جاءت جويرية رسول الله وقالت: "أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، ف وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبني على نفسه تسع أوراق فأعني على فكاكي ولأن بني المصطلق كانوا من أعز العرب دارا وأكرمهم حسبا ولحكمة النبي ((صلى الله عليه وسلم)) قال لجويرية: فهل لك في خير من ذلك قالت: " وما هو يا رسول الله ؟". قال: "أقضي عنك كتابتك وأتزوجك وكانت قبل قليل تتحرق طلبا لاستنشاق عبير الحرية، ولكنها وجدت الأعظم من ذلك. ففرحت جويرية فرحا شديدا وتألقت وجهها لما سمعته من رسول الله ((صلى الله عليه وسلم))، ولما سوف تلاقيه من أمان من بعد الضياع والهوان فأجابته بدون تردد أو تلعثم: " نعم يا رسول الله". فتزوجها النبي ((صلى الله عليه وسلم)) وأصدقها ٤٠٠ درهم قال أبو عمر القرطبي في الاستيعاب: كان اسمها برة فغير رسول ((صلى الله عليه عليه

وسلم)) اسمها وسماها جويرية. فأصبحت جويرية بعدها أما للمؤمنين
وزوجة لسيد الأولين والآخرين ((صلى الله عليه وسلم))

بركة جويرية:

وخرج الخبر إلى مسامع المسلمين فأرسلوا ما في أيديهم من السبي
وقالوا متعاضمين: هم أصهار رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)). فكانت
بركة جويرية من أعظم البركات على قومها. قالت عنها السيدة عائشة -
رضي الله عنها - : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني
المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة منها.

صفاتهما وأهم ملامحها:

كانت السيدة جويرية من أجمل النساء، كما أنها تتصف بالعقل الحصيف والرأي السديد الموفق الرصين، والخلق الكريم والفصاحة ومواقع الكلام كما كانت تعرف بصفاء قلبها ونقاء سريرتها، وزيادة على ذلك فقد كانت واعية، تقية، نقية، ورعة فقيهة، مشرقة الروح مضيئة القلب والعقل.

الذاكرة القانئة:

راحت السيدة جويرية تحذو حذو أمهات المؤمنين في الصلاة والعبادة وتقتبس من الرسول ومن صفاته وأخلاقه الحميدة حتى أصبحت مثلاً في الفضل والفضيلة. فكانت أم المؤمنين جويرية من العابدات القانئات السابحات الصابرات، وكانت مواظبة على تحميد العلي القدير وتسبيحه وذكره.

ناقلة الحديث:

حدث عنها ابن عباس، وعبيد بن لسباق، وكريب مولى ابن عباس ومجاهد وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي وجابر بن عبد الله. بلغ مسندها في كتاب بقي بن مخلد سبعة أحاديث منها أربعة في الكتب الستة، عند البخاري حديث وعند مسلم حديثان. وقد تضمنت مروياتها أحاديث في الصوم، في عدم تخصيص يوم الجمعة بالصوم، وحديث في الدعوات في ثواب التسبيح، وفي الزكاة في إباحة الهدية للنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان المهدي ملكها بطريق الصدقة، كما روت في العتق وهكذا وبسبعة أحاديث شريفة خلدت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث

رضي الله عنها اسمها في عالم الرواية، لتضيف إلى شرف صحبتها للنبي صلى الله عليه وسلم وأمومتها للمسلمين، تبليغها الأمة سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم، ما تيسر لها ذلك. ومن الأحاديث التي أخرجها الإمام البخاري رحمه الله عن قتادة عن أيوب عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة فقال: " أصمت أمس " ؟ قالت: لا، قال: "تريدين أن تصومي غدا"؟ قالت: لا، قال: "فأطري"، وهذا يدل على كراهية تخصيص يوم الجمعة بالصوم والنهي عن صيامه.

وفاتها:

عاشت السيدة جويرية بعد رسول الله راضية مرضية، وامتدت حياتها إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان. وتوفيت أم المؤمنين في شهر ربيع الأول من السنة الخمسين للهجرة النبوية الشريفة، وشيع جثمانها في البقيع وصلى عليها مروان بن الحكم .

ام المؤمنين

صفية بنت حَيٍّ . سيدة قريظة وبنى النضير

رضي الله عنها

نسبها: هي صفية بنت حبي بن أخطب بن شعبة بن ثعلبة بن عبيد بن

كعب الخزرج

ابائها من بني اسرائيل يصل نسبها الى هارون نبي الله اخو موسى

كليم الله.

وأما برة بنت سموءل.

كانت رضي الله عنها عند زوجها كنانة بن أمية احد زعماء قومه
وشاعرهم.

كراهية قوم السيدة صفية رضي الله عنها للرسالة الاسلامية:

كانت رضي الله عنها سيدة بني قريظة والنضير.

ابوها زعيم اليهود وعالم من علمائهم وكان يعلم يقيناً بأن محمد
صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله منذ قدومه الى المدينة، لكنه استكبر
لأن النبي عربي النسب وليس من اليهود كما كان يحب ويتمنى.

وتروي ام المؤمنين صفية موقفاً لأبيها يبين عدائه لنبي الله:

(فعن صفية بنت حبي بن أخطب أنها قالت كنت أحبّ وُلدِ أبي إليه
والى عمي أبي ياسر لم ألقهما قطّ مع وُلدِ لهما إلا أخذاني دونه. قالت
فلما قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، ونزل فُباءً، في بني
عمرو بن عوف، غدا عليه أبي، حبي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن
أخطب، مُعلّسين. قالت فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت
فأتيتا كالتين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت فهششتُ إليهما كما
كنت أصنع فوالله ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمّ. قالت
وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب: أهو هو؟ قال
نعم والله قال أتعرفه وتنبئه؟ قال نعم قال فما في نفسك منه؟ قال
عداوته والله ما بقيت.)^(١)

(١) السيرة لابن هشام ١ / ٥١٩.

وكان ابو ياسر بن أخطب عم ام المؤمنين ذهب الى رسول الله ﷺ
بين قدومه الى المدينة المنورة وسمع منه وحادثه، ثم رجع الى قومه فقال:
يا قوم اطيعوني فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون فاتبعوه ولا
تخالفوه.

فانطلق اخوه حيي بن اخطب وهو يومئذ سيد يهود بني النضير
فجلس الى رسول الله ﷺ وسمع منه، ثم رجع الى قومه وكان فيهم مطاعاً
فقال: أتيت من عند رجل والله لا ازال له عدو ابداً.
فقال له اخوه ابو ياسر: يا بن أم اطعني في هذا الأمر واعصني فيما
شئت بعده لا تهلك، قال: لا والله لا اطيعك ابداً.

واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه.

زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأمة المؤمنين صفية:

رفض يهود خيبر دعوة الأمن والتعايش بسلام التي وثقها رسول الله
منذ دخوله المدينة وسعى اليه من خلال دستور المدينة وجسدها من خلال
علاقته بهم والآخرين، ورفضوا كل دعوة حب ومحبة، لا بل جاهدوا في
قتال النبي والمسلمين وحرصوا على ذلك وبذلوا الأموال وأعدوا المؤامرات
للقضاء على الاسلام وقتل النبي ﷺ.

فكان حتمية حربهم للقضاء على خطرهم ووئد فتنتهم وابعاد أذاهم.

ونصر الله جنده وفتحت خيبر.

وكان من بين الأسرى صفية بنت حيي.

ووقعت السيدة صفية في نصيب الصحابي دحية بن خليفة الكعبي.

ويجيء أحد الصحابة الى رسول الله ﷺ ويقول له بأن صفية سيدة نساء قومها وابنة سيد قومه وانها لا تصلح الا ان تكون في حصة رسول الله إكراما لها.

ويوافق رسول الله ﷺ.

ويستبدل دحية سبيته بغيرها.

ويعرض رسول الله الاسلام على صفية فتسلم.

ثم يعرض ﷺ عليها الزواج فتقبل فيعتقها صلى الله عليه وسلم ويتزوجها ويجعل عتقها صداق زواجها.

حتى اذا كان بسد الصهباء راجعا الى المدينة من خيبر، جهزتها له أم سليم فأهدتها اليه من الليل، فأصبح ﷺ عروسا بها، وأولم عليها بحيس من التمر والسمن والسويق، وأقام ﷺ عليها ثلاثة أيام في الطريق بيني بها.

وتحظى صفية بشرف الزواج من النبي ﷺ وتكون اماً للمؤمنين. ولم يكن عتقه إياها ﷺ وتزوجها بدعاً في ذلك؛ وإنما كان موقفاً جانب الإنسانية فيه هو الأغلب والأسبق وكانت سياقاً مع مواقف النبي صلى الله عليه وسلم المليئة بالرحمة التي شملت أحبائه واعدائه جميعاً. فلم يكن هذا الموقف إعجاباً بصفية وجمالها؛ ولكنه موقف الإنسانية النبيلة التي يعبر عنها السلوك النبيل بالعفو عند المقدرة والرحمة والرفق بمن أوقعتهن ظروف الهزيمة في الحرب في حالة الاستضعاف والمذلة لا سيما وقد أسلمن وحسن إسلامهن.

ثم ان الاسلام يحفظ للانسان مكانته ويزيدها.

فمن كان شريفاً قبل اسلامه يزداد شرفاً بالإسلام ومن كان عزيزاً قبل اسلامه فسيزداد عزة بعد الإسلام.

والسيدة صفية رضي الله عنها كانت سيدة نساء قومها قبل اسلامها وابنة سيد رجالهم، وزوجها كنانة بن الحقيق سيد من سادات قومه وشاعرهم.

فكان لها ان تزداد شرفاً على شرفها وعزا فوق عزا ويرفع الاسلام قدرها، فكان زواجها من سيد البشر ورسول الله اليهم.

ويرى رسول الله ﷺ بوجه زوجته صفية خضرة فقال: ما هذا؟ قالت: يارسول الله، رأيت قبل قدومك علينا كأن القمر زال من مكانه وسقط في حجري، ولا والله ما أذكر من شأنك شيئاً، فقصصتها على زوجي فلطم وجهي وقال: تمنين هذا الملك الذي بالمدينة؟

ولما دخل عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً فوجدها تبكي وعند سؤالها اخبرته بأن السيدة عائشة والسيدة حفصة قد تفاخرن بأنهن قرشيات أو عربيات، وهى ذات أصل يهودي، قال لها: ألا قلت: وكيف تكونان خيرًا منى وزوجي "محمد" وأبى "هارون" وعمى "موسى" فهدأت ورضيت.

كان محبا لها حلما معها مكرما لها.

ومما يذكر عن اهتمامه ﷺ بها انها رضي الله عنها جاءته مساء في احدى ليالي العشر الأواخر من رمضان وهو معتكف في المسجد لتزوره، فتحدثت معه ساعة، ثم حين ارادت الانصراف قام معها ليوصلها.

فلما كان قرب باب المسجد قرب سكن ام سلمة مر به رجلان من الأنصار فسلما عليه فقال ﷺ لهما على رسلكما هذه صفة بنت حيي، قالوا سبحان الله يارسول الله، وكبر عليهما ذلك، فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما.

ملاح من شخصيتها رضي الله عنها:

كانت رضي الله عنها من عاقلات وقتها وبظهر صفاء ذهنها وقوة فطنتها في تذكرها لما كان من أحداث في طفولتها وصبابها مما قادها لعرفة صدق النبي وبما مهد لإسلامها لاحقا.

ثم ان رسول الله ﷺ أقسم على صدقها حين قالت لرسول الله ﷺ وهو في مرضه الذي مات فيه: والله يانبي الله لوددت ان الذي بك بي.

فغمزها أزواج رسول الله، فأبصرهن، فقال ﷺ: مضمن.
قلن من أي شيء؟

قال من تغامزنكن بها، والله انها لصادقة.

حياتها رضي الله عنها وزهدا بعد وفاة رسول الله ﷺ: ظلت ام المؤمنين

وفية لرسول الله ملتزمة بسنته بعد وفاته متمسكة بهديه الشريف.

وقد بلغ من حلمها وعقلها ان جارية لها ذهبت الى عمر بن الخطاب زمن خلافته فقالت له ان صفة تحب السب وتصل اليهود.

فأرسل اليها عمر وسألها فقالت: أما السب فإني لم احبه منذ ان أبدلني الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فإني أصلها.

ثم قالت للجارية ما حملك على ذلك ؟ قالت الشيطان قالت اذهبي فانك حرة.

وقد كان لها اروع المواقف في وقوفها مع ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان في وجه الفتنة.

فعن كنانة قال كنت أقود بصفية لترد عثمان، فلقبها الأشر ف ضرب وجه بغلتها فمالت فقالت ردوني لا يفضحني هذا.

ثم وضعت معبراً بين منزلها ومنزل "عثمان"، تنقل إليه الطعام والماء بعد أن منع المحاصرون عن الخليفة الماء والطعام.

وموقفها هذا يبين حرصها على رأب الصدع بين المسلمين وكرهها لشق عصا الطاعة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مرويات أم المؤمنين صفية رضي الله عنها:

روت عن رسول الله وروى عنها ابن أخيها ومولياها كنانة ويزيد بن متعب، وعلي بن الحسين بن علي، ومسلم بن صفوان، واسحاق بن عبد الله بن الحارث.

وتوفيت السيدة "صفية" في خلافة "معاوية بن أبي سفيان" سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ ميلادية ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين.

أم المؤمنين

ام المؤمنين ام حبيبة

رضي الله عنها

نسبها:

هي رملة - رضى الله عنها- بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأما صفية بنت أبى العاص عمه عثمان بن عفان، بنت أبى سفيان كبير مشركى مكة وأشد أهلها خصومة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه.

هجرتها الى الحبشة وثباتها:

خرجت رملة وهي حامل بابنتها حبيبة وزوجها عبيد الله بن جحش معاً مهاجرين بإسلامهما فى الهجرة الأولى إلى الحبشة، وكما هو معروف أن الحبشة فى عهد النجاشى كانت هى المهجر الآمن للفارين بدينهم من المسلمين حتى يخلصوا من بطش المشركين بهم وعدوانهم عليهم؛ فإذا هم يجدون فى - ظل النجاشى - رعاية وعناية لما كان يتمتع به من حس إيمانى جعله يرحب بأتباع النبى الجديد الذى بشرت بمقدمه كتبهم على لسان عيسى بن مريم- عليه السلام - كما تحدث القرآن عن ذلك فى سورة الصف فى قوله:

(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ).

لكن أم حبيبة بنت أبى سفيان كانت وحدها التى تعرضت لمحنة قاسية لم يتعرض لمثلها أحد من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة. ذلك أن زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلن ارتداده عن الإسلام ودخوله فى النصرانية وما أصعب وأدق حال امرأة باتت فى محنة مضاعفة: محنتها فى زوجها الذى ارتد وخان..

ومحنتها السابقة مع أبيها الذي فارقتة مغاضبة إياه في مكة منذ دخلت في دين الإسلام. وفوق هاتين المحنتين كانت محنة الاعتزاب حيث لا أهل ولا وطن ثم كانت محنة حملها بالوليدة التي كانت تنتظرها والتي رزقت بها من بعد وأسمتها " حبيبة " .. كان هذا كله أكبر من عزم هذه المسلمة الممتحنة من كل ناحية والمبتلاة بالأب الغاضب والزوج الخائن!!

وثبتت أم حبيبة على عقيدتها وصدقت مع الله، ولم يكن سهلا ان تخالف المرأة زوجها وتخالف عقيدته، لكنه هدى الله وتثبيته وتأييده وعنايته.

وسخر لها الله من لطف الرعاية وسخائها ما يسر العين ويهون الخطب، وعادت بنت أبي سفيان تحمل كنية جديدة، وبدل أن كانت " أم حبيبة " أصبحت " أم المؤمنين " وزوج سيد المسلمين - صلوات الله وسلامه عليه.

زواج النبي من رملة أم المؤمنين:

رأت أم حبيبة في منامها كأن هاتفا يناديها يا أم المؤمنين ففرغت وأولتها بأن رسول الله سيتزوجها.

وما ان انقضت عدتها حتى وجدت رسول ملك الحبشة ببابها يستأذن، وكانت أبرهة جارية النجاشي والتي تقوم على ثيابه ودهنه تخبرها بأن النجاشي يقول لها ان رسول الله يخطبها ويسألها عن رأيها.

فرحت أم حبيبة وقالت للجارية بشرك الله بالخير وأعطتها كل ما لديها من حلي واساور وزينة.

وانابت خالد بن سعيد بن العاص وكيلاً عنها للزواج.

الحكمة من زواج النبي بأُم حبيبة:

ليس سهلاً على المرأة ان تخالف زوجها فالمعهود ان الرجل يقرر غالباً وتتبع المرأة زوجها واذا اضفنا لذلك انها بدار غربة ووحيدة وعلاقتها بأهلها مقطوعة سنعرف المرارة التي عاشتها ام حبيبة وحجم معاناتها فكأنها فقدت كل شيء كانت تحلم به.

ولولا فضل الله ورحمته لما استطاعت هذه المرأة التي تكالبت عليها هذه المشكلات والهموم والصعاب من ان تثبت وتستقيم على الاسلام. وتأتي النجدة من الله ويأتيها التكريم وبأكثر مما تتمنى وتحلم. فهاهو سيد الخلق يعوض صبرها بأن يأتي خاطباً، ويثمر صبرها فرجاً وخيراً.

وعادت أم حبيبة إلى "المدينة" في العام السابع من الهجرة لتعيش في بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - مع أمهات المؤمنين، وأحتفلت "المدينة" بهذه المناسبة، وصنع خالها "عثمان بن عفان" وليمة حافلة، نحر فيها الذبائح وأطعم الناس.

وكانت خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأُم حبيبة بنت أبي سفيان نعم الإنقاذ والنجدة لهذه المسلمة المبتلاة في الغربة؛ عوضتها عن الزوج الخائن برعاية سيد البشر صلى الله عليه وسلم؛ وعوضتها عن غضب الأب "أبي سفيان" برعاية الزوج الحاني الكريم صلوات الله عليه. كما كانت هذه الخطبة في مردودها السياسي . لكمة كبيرة لرأس الكفر في مكة أبي سفيان بن حرب الذي كان تعقيبه على زواج محمد لابنته هو

قوله: " إن هذا الفحل لا يجده أنفه "؛ كناية عن الاعتراف بأن محمداً لن تتال منه الأيام ولن يقوى أهل مكة - وهو على رأسهم - على هزيمته والخلاص منه لأنه ينتقل كل يوم من نصر إلى نصر. كان هذا الاعتراف من أبي سفيان بخطر محمد وقوته كأنه استشفاف لستر الغيب أو كما يقول المعاصرون:

تنبؤ بالمستقبل القريب وتمام الفتح.

وموقف ام حبيبة المليء بمحبة الله ورسوله والمليء بالعظمة حين جاء ابوها الى مدينة رسول الله قبل غزوة فتح مكة.

فلما دخل ابو سفيان المدينة جاء ابنته أم المؤمنين أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه، فقال يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ،^(١)

كان المقياس الذي وزنت به أم المؤمنين أم حبيبة الأمور: هل كان ابو سفيان مع الله ورسوله ام ضدهما؟ فمن يحادد الله ورسوله فلا قرابة معه ولا قرب، فالحب في الله وله وكذا البغض.

فهل يمكن ان يكون الحب في الله فوق هذا، وهل يمكن أن يكون المقياس والميزان أعظم من هذا؟

وتحيط عناية الله مرة اخرى بهذه المرأة التي أحبت الله اكثر من سواه. وينتصر الإسلام ويرتفع لواء التوحيد ويدخل الناس في دين الله أفواجاً.

(١) الرسول ص ٢٨.

وفى مناخ النصر العظيم..

كانت هى سيدة غمرتها السعادة الكبرى بانتصار الزوج ونجاة الأب والأهل من شر كان يوشك أن يحيط بهم.

مروياتها:

روت رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ ما عدّه (بقيّ بن مخلد) خمس وستين حديثاً.

ولها في مجموع الكتب الستة تسعة وعشرون حديثاً.

واتفق لها البخاري ومسلم على حديثين.

روى عنها اخواها معاوية وعنبسة وابن اخيها عبد الله بن عتبة بن ابي سفيان وعروة بن الزبير وشتير بن شكل وشهر بن حوشب وابو سفيان بن سعيد بن الأخنس وهي خالته، وابو صالح ذكوان السمان وصفية بنت شيبه وزينب بنت ابي سلمة.

وحديثها رضي الله عنها عن تحريم الربيبة واخت المرأة وحديثها

ايضاً في فضل السنن الراتبه قبل الفرائض وبعدهن مشهور.

حياتها بعد النبي صلى الله عليه وسلم:

عاشت رضي الله عنها بعد رسول الله ثلاثاً وثلاثين سنة متمسكة

بهديه سائرة على سنته. مشاركة للمسلمين في كل مواقفهم.

وفي أيام الفتنة زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه قال

المسلمون لو جئتم بأمة المؤمنين عسى ان يكف المحاصرون اذاهم عن خليفة رسول الله.

فجاءت ام حبيبة رضي الله عنها تركب بغلة بيضاء في محفة.
فلما وصلت رضي الله عنها صرفوا وجه البغلة عن البيت وصدوها
مما اظطرها للعودة.

وكانت صلتها بأمهات المؤمنين طيبة تقوم على المحبة.
وحين حضرته الوفاة ارسلت الى من كانت منهن على قيد الحياة
كل على حدة وقالت لها انه ربما وقع بيننا ما يقع بين الضرائر من
مشاكل، فإني اسامحك وارجو من الله ان يغفر لي ولك ما كان بيننا.
وفي سنة اربع واربعين توفيت ام المؤمنين عن ست وثمانون سنة وفي
خلافة اخيها معاوية بن أبي سفيان.

أم المؤمنين
ميمونة بنت الحارث الهلالية
رضي الله عنها

هي آخر زوجاته - صلى الله عليه وسلم - تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم أثناء عمرة القضاء في العام السابع من الهجرة، ودخل عليها بعد خروجه من مكة في ذي القعدة سنة (٥٧هـ) في مكان قريب من "مكة" يسمى "سرف" قرب "النتعيم" على مقربة من مكة حيث يكون بدء الإحرام للمعتمرين من أهل مكة والمقيمين بها..

وقيل: إنه لما جاءها الخاطب بالبشرى قفزت من فوق بغيرها وقالت: البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنها هي التي وهبت نفسها للنبي والتي نزل فيها قوله تعالى: (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين..) كانت آخر أمهات المؤمنين وآخر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه.

نسبها:

ميمونة بنت الحارث بن حزن بن جبير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال.

وأما: هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماسة بن حمير. واخواتها من أمها وأبيها: أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث وهي زوجة العباس عم رسول الله، ولبابة الصغرى عصماء بنت الحارث زوج

الوليد بن المغيرة وهي ام خالد بن الوليد، وعزة بنت الحارث وكانت تحت زياد بن عبد الله بن مالك.

واختها لأمها: أسماء بنت عميس وكانت تحت جعفر بن أبي طالب وولدت له عبد الله وعون.

كانت للسيدة ميمونة ام المؤمنين مكانة مهمة بين امهات المؤمنين، فهي اخت ام الفضل زوجة العباس عم النبي، وخالة القائد خالد بن الوليد وخالة ابن عباس الذي روى عنها سبعة أحاديث. وانفرد لها البخاري بحديث ومسلم بخمسة. وجميع ما روي لها ثلاثة عشر حديث.

وقد وصفها رسول الله وأخواتها بالمؤمنات فيما رواه ابن عباس من حديث رسول الله الأخوات مؤمنات: ميمونة زوج النبي، وام الفضل بنت الحارث، وسلمى امرأة حمزة، وسلمى بنت عميس هي اختهن لأمهن.

زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بميمونة ام المؤمنين:

لما تأيمت ميمونة عرضها العباس على النبي للزواج بها، فتنزجها صلى الله عليه وسلم وبنى بها بسرف على بعد عشرة أميال من مكة سنة سبع للهجرة في عمرة القضاء وقد أصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم.

وكان في هذا الزواج حكمة حيث كان من نتائج هذه المصاهرة لبني هلال كسب تأييدهم وكسب تعاطفهم وودهم وشجعهم على الدخول في الإسلام طواعية واختيارا.

مروياتها:

روت أم المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وروى لها إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن عباس، ومولاه سليمان بن مسار، وعبد الله بن سليط، وابن أختها عبد الله بن شداد بن الهاد، وابن أختها عبد الله بن عباس وابن أخيها عبد الرحمن بن السائب الهلالي.

وعاشت السيدة "ميمونة بنت الحارث" طويلاً بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم وأوصت أن تدفن في "سرف" وهو المكان الذي جمعها بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ودخل عليها فيه، فلما ماتت سنة (٥١هـ) صلى عليها ابن أختها "عبد الله بن عباس"، وأوصى الذين يحملونها بالترفق بها حتى أرقدوها حيث أحببت.

وكانت له صلى الله عليه وسلم سرية واحدة هي مارية القبطية أهداها له ألمقوقس وكانت من بنات الملوك وهي أم إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم.

لم تحظ بشرف لقب أم المؤمنين، لكنها حظيت بشرف أمومتها لإبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم، وشرف الزواج والصحة

زوجاته إحدى عشرة. القرشيات منهن ست، هن:
خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي
بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم سلمة، وأم حبيبة.
والعربيات من غير قريش أربع، هن:
زينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، وزينب بنت
خزيمة، وميمونة بنت الحارث.
وواحدة من غير العرب وهي صفية بنت حيي من بني إسرائيل.
وتبقى مارية القبطية وهي من مصر.
وتوفيت اثنتان من زوجات النبي محمد حال حياته، وهما خديجة
بنت خويلد وزينب بنت خزيمة
وقد مات صلى الله عليه وسلم عن تسع من زوجاته وهن:
سودة بنت زمعة، عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر بن
الخطاب، أم حبيبة بنت أبي سفيان، زينب بنت جحش، أم سلمة هند بنت
أمية، ميمونة بنت الحارث، جويرية بنت الحارث، صفية بنت حيي. رضي
الله عنهن.

أبناء النبي صلى الله عليه وسلم

القاسم، زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة، عبد الله، إبراهيم.

القاسم:

أكبر أبنائه وبه يكنى... توفي وهو ابن سنتين.

زينب:

أكبر بناته صلى الله عليه وسلم..ولدت بعد القاسم.

أدركت الإسلام وهاجرت وكانت أول بنات النبي صلى الله عليه وسلم زواجا، تزوجها أبو العاص بن الربيع بن خالتها هالة بنت خويلد وولدت له علي و إمامة.

توفيت بالمدينة سنة ثمان للهجرة.

رقية:

ولدت بعد زينب سنة ثلاث وثلثين من عمر النبي صلى الله عليه وسلم.

خطبها عتبة بن أبي لهب وفارقها قبل أن يدخل بها ثم تزوجها عثمان بن عفان وولدت له في الحبشة عبد الله الذي توفي صغيراً توفيت بالمدينة يوم بدر.

أم كلثوم:

خطبها عتيبة بن أبي لهب «أخو عتبة الذي خطب أختها رقية» ولم يدخل بها.

زوّجها النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان بعد وفاة أختها رقية، ولم تلد له. توفيت بالمدينة سنة تسع للهجرة.

فاطمة:

أصغر بناته صلى الله عليه وسلم وهي سيدة نساء أهل الجنة. تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وولدت له حسن وحسين وبننتين: زينب و أم كلثوم.

توفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر. وهؤلاء الخمسة رضي الله عنهم ولدوا قبل أن يكرم الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة.

عبد الله:

آخر أبنائه صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها، توفي وهو صغير.

إبراهيم:

ولد بالمدينة من سريته ماريه القبطية سنة تسع للهجرة. توفي وهو بن ثمانية عشر شهرا.



النبي

في عيون الصحابة

وصفه

صلى الله عليه وسلم

و قبسات من نور أخلاقه الشريفة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أحصهما
قول الله عز وجل في إبراهيم: رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن
تبعني فإنه مني.

وقال عيسى عليه السلام: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم
فإنك أنت العزيز الحكيم.

فرغ يديه وقال أمتي أمتي وبكى.

فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد وريك أعلم فسله ما
يبكيك. فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما قال وهو أعلم.

فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل:

إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك.

(رواه مسلم ١ / ١٩١ برقم ٢٠٢)

ويسألون... لماذا تحبون رسول الله ؟

سؤال يلح به من لا يعرفك يا سيدي يا رسول الله، يعجبون من حبنا، ونعجب من قلته، فمهما عظم حبك في قلوبنا فلن نوفيك حقك، فكل الحب أمام قدرك يا عظيم القدر قليل.

أفلا تحن إلى مثلك يا سيدي القلوب.

ألا تمتلئ الأرواح بالشوق إلى لقائك وأنت الذي أعلاك ربك فأعطاك الكمال بكل خلق وزاد.

وسأورد للسائلين حادثة، ومع انها ليست الأكبر، فكل ما فيك يا سيدي كبير، إلا إنها قد تلقي في قلب من لم يلتقيك يا سيد الناس بعض ما قد يقربه من معرفتك - وان كانت معرفتك يا رسول الله لطف من الله وفضل -

خرج النبي ﷺ إلى الطائف وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلا، سارها ماشيا على قدميه جيئة وذهابا ومعه مولاه زيد بن حارثة، يدعو أهلها لما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، ذهب إليهم يدعوهم إلى النور والهدى إلى عبادة الله سبحانه، ومكث فيهم ﷺ عشرة أيام لم يدع أحد منهم إلا جاءه و كلمه وعرض عليه الإسلام، فكان جوابهم أن قالوا له: أخرج من بلادنا، وأغروا به سفهائهم و عبيدهم، يسيونه وبصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس يرمونه بالحجارة وبكلمات سفيهة، ورجموا قدميه حتى اختضب نعلاه بالدماء وطاردوه ثلاثة أميال.

ويجلس بعدها ﷺ في بستان، يملؤه حزن عليهم ألا يهتدوا رغم الذي فعلوه به وهو يدعوهم إلى الجنة.

وبعد كل هذه الشدة وهذا الألم تحدّث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:

((فانطلقت - وأنا مهموم - على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن المنازل - فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك. وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (وهما جبلا مكة والجبل الذي يقابله) قال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئاً)^(١)

فهل يتخيل أحد أن هناك هذا القدر من العفو أو هذا القدر من المحبة أو هذا القدر من العظمة، أفلا يحق للأرواح أن تهيم في محراب حبك سيدي وأنت تكابد ما تكابد وتعاني من الألم ما لا يطاق لتخرجنا من الكفر بإذن الله إلى الإيمان وكلما ازدادوا في إيدائك ازددت عفوا ومحبة.

وسأورد مثلاً آخر مع ان كل ما في رسول الله مؤشر لعظمة أو دليل سمو وسبب لأن نحبه أكثر.

(١) صحيح مسلم باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤٢٠ برقم

كان رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدفوعاً بكل ظلام الكفر والتكبر والعلو فأوغل في إيذاء رسول الله ولم يترك فرصة لإيقاع الأذى بالرسول ﷺ إلا انتهزها ولولا دفع الله سبحانه وتعالى وعنايته بنبيه لتمكن المنافق من إيقاع الأذى بالرسول ﷺ وبما يصل لقتله. فكم من خطة وضعها مع كفار قريش للقضاء على الاسلام أفسلها الله، ثم كم أغرى يهود المدينة وخبير بحرب الرسول ﷺ والمسلمين متنقلاً بين يهود قريظة والنضير وخبير ليزيدهم حقداً على حقدهم وكم اجتمع معهم بظلام ليلٍ والشيطان يبارك لهم مسعاهم لوأد الاسلام والقضاء عليه. وهو الذي انسحب بثلاث الجيش وعلى مرأى من العدو في غزوة أحد ليوهن المسلمين ويشتت عزمهم، لكن الله سلم. ثم سؤلت له نفسه المليئة بكره النبي ﷺ ان يتقول على زوجة رسول الله وعرضه أم المؤمنين فأورث النبي حزناً والمأ. وفي الرجوع من غزوة بني المصطلق تجاوز كل حدود الأدب مع رسول الله الذي أعلى الله مكانه وقدره فقال: سمّن كلبك يأكلك، وحين الرجوع الى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل.

ولله العزة ومن أعزه من عباده.

وكثير غير ذلك من التعريض والغمز مما تستشعره القلوب ويخلف فيها المأ وحزن.

وتطول قائمة محاولات الشر من بن أبي، ولا يوقفها الا الموت.

يموت المنافق لتطوي صفحة من صفحات الأذى عن رسول الله ﷺ،

وينتقل بن أبي الى عالم آخر وتنقطع كل صلة له بالدنيا.

ويأتي ابن المنافق عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول يطلب من النبي ﷺ ثوبه ليكفن به بن أبي مخافة ان يمسه عذاب القبر فيبادر الرسول ﷺ فينزع ثوبه ليكفونوا به عدوه.

لم تكن ترتجى من بن أبي فائدة ولم يكن من رجاء ان يسلم وينصلح فقد انتقل من الدنيا، لذلك كان تصرف رسول الله ﷺ ينبع من خوفه على بن أبي من عذاب القبر.

ثم يفيض المصطفى حنانا ورحمة على أعدى أعدائه فيصلي عليه ويستغفر له الله.

يتوسل رسول الله ﷺ بربه ان يسامح بن أبي ويدخله الجنة.

فهل نسيت ياسيدي يا رسول الله أذى بن أبي، أم تجاوزته...

أم انت بعلوك وسموك تترفع عن الحقد...

أم تراك يا سيدي محظ محبة ورحمة فلا تعرف الا الحب حتى مع

أعدائك فتمنى ان يدخل الله الجنة من أراد ان يقتلك وآذى أحبابك ؟

((مما ورد في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه:

لما توفي بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله الى رسول الله ﷺ

فسأله ان يعطيه قميصه ان يكفن فيه أباه، فأعطاه.

ثم سأله ان يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه.

فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أتصلي عليه

وقد نهاك الله ان تصلي عليه ؟

فقال ﷺ: انما خيرني الله فقال إستغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر

لهم سبعين مرة، وسأزيد على السبعين.

قال: انه منافق !

فصلى عليه)) (١)

وفي رواية البخاري للحادثة وكما يرويهما عمر رضي الله عنه انه
قال لرسول الله ﷺ:

يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا كذا، وكذا وكذا،
أعدد عليه قوله.

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخّر عني يا عمر.

فلما أكثرت عليه قال:

اني خيرت فاخترت، لو أعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له
لزدت عليها قال: فصلى عليه (((٢)

فهل يسألون بعدها لماذا نحبك يا سيدي

وهل سيعجبون من كثرة حبنا لك

ام سيعجبون . إن عرفوك . من قلته ؟

وهل سيظنون يسألون لماذا نحبك يا سيدي يا رسول الله ﷺ.

(١) مسلم باب من فضائل عمر ٤ / ١٨٦٥ برقم ٢٤٠٠.

(٢) البخاري باب إستغفر لهم او لا تستغفر لهم ٤ / ١٧١٥ برقم ٤٣٩٣.

التعلق بالحبيب صلى الله عليه و سلم

أوتي النبي ﷺ جمال في الخلقه وكمال في الأخلاق أورثه حباً
انعكس في القلوب تعلقاً وعشاقاً وإجلالاً، فهام بحبه كل من عرفه حتى
ملك قلوبهم والعقول.

أحاط به الرجال إحاطة المحبين بالمحبوب... تعلقت قلوبهم بجميل
نوره، فحفظوا كل ما قال وكل حركة وكل فعل... تركوا بيوتهم وأولادهم
ولازموه، فما كانت النفوس تسكن إلا إليه والأرواح تعيش في حضرته
عيشة سلام وصفاء.

فهذا الصحابي زيد بن الدثنة ﷺ الذي أسره الكفار هو والصحابي
خبيب ﷺ وباعوهما لقريش ليقتلوهما، يقف لحظة إعدامه والسيوف مشرعة
لقتله يجيب على أبي سفيان الذي سأله: أيسرك أن محمداً عندنا نضرب
عنقه وانك في أهلك

فيقول: لا والله ما يسرني إنني في أهلي وان محمداً في مكانه الذي
هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه.

يقول أبو سفيان ما رأيت في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب
محمد محمداً. (١)

(١) تاريخ الطبري باب ذكر الأخبار في السنة الرابعة للهجرة ٧٩/٢، والسيرة النبوية
باب ذكر يوم المرجع ١٢٦/٤ .

فأي حب وأي عشق يقبل راضياً أن يقتل دون أن تصيب شوكة قدم الحبيب المصطفى ﷺ فهل عرف التاريخ مثل هذا الحب لأحد.

وهذا عروة بن مسعود الثقفي الذي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مفاوضاً في الحديبية يصف لقريش علاقة الصحابة رضي الله عنهم بالنبي قائلاً: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً.

والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم أمراً ابتدروا أمره وإذا تواضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له.^(١)

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: دخل علينا النبي فقال عندنا (قال من القيلولة) فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين، قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب.^(٢)

كان حبه ﷺ لغة الوجود، اتسع قلبه الشريف لكل فأحبه الكل. ولم يكن حب النبي ﷺ مقصوراً على البشر.

فمن حديث الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال:

(١) البخاري كتاب الشروط باب في الجهاد والمصالحة ٩٧٦/٢ برقم ٢٥٨١، وسنن البيهقي الكبرى ٩/٢٢٠.

(٢) مسلم باب طيب النبي ﷺ والتبرك به ١٨١٨/٤ برقم ٢٣٣١.

كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يسند ظهره إليها.

فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبراً، فبنوا له منبراً له عتبتان.
فلما قام على المنبر ليخطب حنة الخشبة إلى رسول الله ﷺ
فقال انس وأنا في المسجد الخشبة حنة حنين الولد، فما زالت تحن
حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاحتضنها فسكنت.
وكان الحسن ﷺ إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد
الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى اله عليه وسلم شوقاً إليه
مكانه من الله فأنتم أحق أن تتشاقوا إلى لقائه. (١)

(١) - البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٣/١٣١٤ برقم
٣٣٩٢،

والأحاديث المختارة ٣/٣٩٣ برقم ١١٩٢، وصحيح ابن حبان ٤٣٦/١٤ برقم
٥٠٧

صفة النبي

صلى الله عليه وسلم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه يصف رسول الله

صلى الله عليه وسلم:

أزهر اللون

كأن عرقه الوَلْوؤُ

إذا مشى تكفأُ

ولا مسست حريرة ولا ديباجة ألين من كف رسول الله

صلى الله عليه وسلم

ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صحيح مسلم

باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك به

٤ / ١٨١٥ برقم ٢٣٣٠

اسمه:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ (الفتح ٢٩).

✽ وقال رسول الله ﷺ: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحي به الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي (١)

✽ وقال رسول الله ﷺ: ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش، ولعنهم؟ يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمد (٢)

✽ وقال رسول الله ﷺ: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم،

✽ وقال ﷺ: سمو باسمي، ولا تكونوا بكنييتي، فإني إنما جعلت قاسمًا أقسم بينكم (٣)

(١) مسلم ٤ / ١٨٢٨ برقم ٢٣٥٤.

(٢) البخاري ٣ / ١٢٩٩ برقم ٣٣٤٠.

(٣) البخاري ٣ / ١١٣٣ برقم ٢٩٤٦.

فضائله:

لا يعلم فضل النبي الا الله الذي رفع ذكره وقرن اسم نبيه مع اسمه في الشهادة والأذان وامتدحه في القرآن.

وهذه شذرات من تفضيل الحبيب المصطفى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾
الأحزاب: ٤٥ - ٤٧.

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾
الأحزاب: ٤٠.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾
الأنبياء: ١٠٧.

وقال الحبيب المصطفى ﷺ:

﴿ أنا أول من يقرع باب الجنة (١) ﴾

﴿ أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصدّق نبي من الأنبياء ما صدّقت، وإن نبيًا من الأنبياء ما صدقه من أمته إلا رجل واحد. (٢) ﴾

(١) صحيح ابن حبان ١٤ / ٤٠١ برقم ٦٤٨١.

(٢) مسلم ١ / ١٨٨ برقم ١٩٦.

✽ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تتشق عنه الأرض،
وأول شافع ومشفع بيدي لواء الحمد تحتي آدم فما دونه. (١)

✽ أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع
ومشفع. (٢)

✽ فضلت على الأنبياء بسيت: أعطيت جوامع الكلم، وتُصرت بالرعب،
وأُحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُرسلت إلى
الخلق.
كافة، وخُتم بي النبيون. (٣)

✽ إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا
موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يدخلونها ويعجبون له، ويقولون:
هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين. (٤)

✽ إني عند الله في أم الكتاب خاتم النبيين، وأدم عليه السلام لمنجدل في
طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا

(١) مجمع الزوائد ٨ / ٢٥٤.

(٢) مجمع الزوائد ٨ / ٢٥٤.

(٣) صحيح ابن حبان ١٤ / ٣١١ برقم ٦٤٠١.

(٤) البخاري ٣ / ١٣٠٠ برقم ٣٣٤٢.

أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين ترين (المنجدل: ملقى على الأرض).^(١)

كلامه:

قال الله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاضِلٌ صَاحِبِكُمْ وَمَا عَوَىٰ ۝٢ وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم ١-٤.

كان النبي ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، ونصاعة لفظ وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، وأوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم السنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي، لذلك كان يقول لعبد الله بن عمرو: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق.

﴿يقول رسول الله ﷺ: ((بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينما أنا نائم رأيتني أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي)).^(٢)﴾
﴿وكان كلامه ﷺ يبين فصل ظاهر يحفظه من جلس إليه، وقد ورد في الحديث الصحيح: كان يُحدِّث حديثاً لو عدَّه العادُّ لأحصاه.

(١) صحيح ابن حبان ١٤ / ٣١٣ وفتح الباري ٤ / ١٢٧ برقم ٥٨٣.

(٢) مسند الامام احمد ٢ / ٢٦٤ برقم ٧٥٧٥.

وعن انس بن مالك رضي الله عنه: كان صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثاً لِنُعْقَلُ عنه. (١)

✽ عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان حديث رسول الله ﷺ فصلاً تفهمه القلوب. (٢)

✽ عن جابر بن سمرة كان رسول الله ﷺ لا يضحك إلا تَبَسُّماً، وكنت إذا نظرت إليه قُلْتُ أكحل العينين وليس بأكل (٣)

✽ وعن عبد الله بن الحارث قال: ما رأيتُ أحداً أكثر تبسُّماً من الرسول ﷺ (٤)

وكان رسول الله ﷺ لا يُحَدِّثُ حديثاً إلا تَبَسَّمَ وكان من أضحك الناس وأطيبهم نفساً.

وكان ﷺ إذا ضحك بانث نواجذه أي أضراسه من غير أن يرفع صوته، وكان الغالب من أحواله التَّبَسُّم.

يقول خارجة بن زيد: كان النبي ﷺ أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه، وكان كثير السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يعرض

(١) سنن الترمذي ٦٠٠/٥ برقم ٣٦٤٠.

(٢) فتح الباري ٥٧٨/٦.

(٣) مسند الامام أحمد ٩٧/٥ برقم ٢٠٩٥٥.

(٤) سنن الترمذي ٦٠١/٥ برقم ٣٦٤١.

عن تكلم بغير جميل، كان ضحكه تبسماً، وكلامه فصلاً، لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم، توقيراً له واقتداءً به.
قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضحك كاد يتلألاً في الجدر. (١)

❁ قال جابر بن سمرة رضي الله عنه:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه والى القمر فلهو كان أحسن في عيني من القمر. (٢)
❁ وعن الحسن بن علي رضي الله عنه قال سألت هند بن أبي هالة التميمي وكان وصافاً عن حلية النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمًا مفخمًا يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع واقصر من الشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر إن انفردت عقيصته (٣) فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة اليسرى إذا هو وفره، أزهر اللون واسع الجبين، أزج الحواجب (٤) سوابغ (٥) قرن بينهما عرق يدره الغضب (٦)، أقنى العرنيين (١) له

(١) مصنف عبد الرزاق ٣ / ٣٢٨ برقم ١٤٥٥٥.

(٢) سنن الدارمي باب في حسن النبي صلى الله عليه وسلم ٤٤/١ برقم ٥٧.

(٣) (الشعر المظفور).

(٤) (مرفقهما مع تقوس وغزارة شعر).

(٥) (كاملات).

(٦) (يحركه نافر الغضب فيمتلئ دماً).

يلعوه يحسبه من يتأمله أشم^(٢) كث اللحية^(٣) سهل الخدين^(٤) ضليع
الفم^(٥) أشنب مفلج الأسنان^(٦) دقيق المسرية^(٧) كأن عنقه جيد
دمية^(٨) في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن^(٩) متماسك سواء
البطن والصدر، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين^(١٠)^(١١)

✽ وعن البراء رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً مربوعاً بعيد ما بين
المنكبين عظيم الجمة إلى شحمة اليسرى عليه حلة حمراء ما
رأيت شيئاً قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم.^(١٢)

✽ ومن حديث الإمام علي رضي الله عنه يصف النبي صلى الله عليه وسلم:
إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبيب، وإذا التفت التفت معاً بين
كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفاً وأشرحهم

-
- (١) مرتفع أعلى الأنف .
 - (٢) مرتفع قصبه الأنف .
 - (٣) رقيقة وغير طويلة وعظيمة .
 - (٤) مابهما نتوء وارتفاع .
 - (٥) عظيم الفم .
 - (٦) عذب الأسنان بهما بياض وبريق) و(بين أسنانه تباعد) .
 - (٧) شعر الصدر .
 - (٨) عنق مصور .
 - (٩) مملوء الجسم .
 - (١٠) عريض الظهر .
 - (١١) المعجم الكبير ١٥٥/٢٢ برقم ٤١٤ .
 - (١٢) مسلم باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ٤/١٨١٨ برقم ٢٣٣٧ .

صدراً وأصدق الناس لهجة والينهم عريكة وأكرمهم عشرة، من
رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله
ولا بعده مثله. (١)

❁ وقد سأل رجل البراء ؓ أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف
قال لا، مثل القمر. (٢)

❁ وعن أنس ؓ انه قال:

ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت
ريحاً قط أو عرفاً قط أطيب من طيب أو عرف النبي ﷺ. (٣)

❁ وقال البراء ؓ يصف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه
اللؤلؤ.

إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريره ألين من كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكة ولا عنبرة
أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٤)

(١) سنن الترمذي باب ما جاء في صفة النبي ﷺ ٥/٥٩٩ برقم ٣٦٣٨، والسيرة
النبوية ٤٨/٢.

(٢) سنن الترمذي ٥/٥٩٩ برقم ٣٦٣٦.

(٣) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ٣/١٣٠٦ برقم ٣٣٦٨.

(٤) مسلم كتاب الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه ٤/١٨١٥ برقم
٢٣٣٠.

❁ وقالت أم معبد الخزاعية تصف النبي صلى الله عليه وسلم

لزوجها حين مر بخيمتها مهاجراً:

(رأيت رجلاً ظاهر الوضوء، أبلج الوجه^(١)، لم تبعه نحلة^(٢))
ولم تزر به صقلة^(٣)، وسيمٍ قسيم^(٤)، في عينيه دعج^(٥)، وفي
أشفاره وطف^(٦)، وفي صوته صَهْل^(٧)، وفي عنقه سطع^(٨)، وفي
لحيته كثائة^(٩)، أزج أقرن^(١٠)، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم
سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأجلاهم
وأحسنهم من قريب، حلو المنطق، فصل لا تذر ولا هذر^(١١)، كأن
منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة^(١٢)، لا يأس من طول، ولا
تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصين، فهو أنضر الثلاثة

(١) (أي مشرق الوجه).

(٢) (أي نحول الجسم).

(٣) (أنه ليس بناحلٍ ولا سمين).

(٤) (أي حسن وضيء).

(٥) (أي سواد).

(٦) (طويل شعر العين).

(٧) (حدّة الصوت مع بحة وحسن).

(٨) (طول).

(٩) (كثرة شعر).

(١٠) (حاجباه طويلان ومقوسان ومتصلان).

(١١) (كلامه بين وسط ليس بالقليل ولا بالكثير).

(١٢) (ليس بالطويل البائن ولا بالقصير).

منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله،
وإن أمر تبادروا لأمره، محشود محفود^(١)، لا عابس ولا مفند^(٢)^(٣)
❁ ومن حديث أبو هريرة يصف النبي ﷺ إذا مشى مع
أصحابه:

ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأنما الشمس تجري في
وجهه.

وما رأيت أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأن الأرض تطوى
له، إنا لنجهد أنفسنا وأنه لغير مكترث^(٤).
❁ وحين سئل أبو هريرة عن صفة النبي ﷺ قال:

(أحسن الصفة وأجملها، كان ربة إلى الطول ما هو بعيد ما
بين المنكبين^(٥)، أسيل الخدين^(٦) يخلو الشعر أكحل العينين
أهدب الأشفار^(٧))، إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها ليس لها

(١) (أي عنده جماعة من أصحابه يطيعونه).

(٢) (غير عابس الوجه، وكلامه خالٍ من الخرافة).

(٣) مجمع الزوائد ٢٧٩/٨ والمعجم الكبير ١٠٥/٧ .

(٤) مسند الامام أحمد ٣٨٠/٢ برقم ٨٩٣٠ .

(٥) (عريض أعلى الظهر).

(٦) (ليس فيهما نتوء أو ارتفاع).

(٧) (الرموش).

أخمص، إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة، وإذا ضحك كاد يتلألاً، لم أر قبله ولا بعده مثله (١)
عن مخرش الكعبي رضي الله عنه قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانه ليلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة، فاعتمر وأصبح بها كبئت. (٢)
قال البراء رضي الله عنه:

ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
شعره يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين ليس بالطويل ولا بالقصير. (٣)

وصف هند بن أبي هالة لرسول الله حين سأله الامام الحسن بن علي ان يصفه:

كان صلى الله عليه وسلم، ضخم الكراديس، أنور المتجرد موصول مابين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري اليدين والبطن مما سوى ذلك، أشعر اليدين والمنكبين واعالي الصدر، رحب الراحة سبط القصب شثن الكفين والقدمين سائر الأطراف خمصان الأخصمين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، اذا زال زال قلعا وتخطى تكفيا ويمشي

(١) الجامع لمعمر بن راشد باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٩/١١ والجامع الصغير للسيوطي ٢٧/١ برقم ٩ .

(٢) السنن الكبرى ٤٧٤/٢ برقم ٤٢٣٤، ومصنف أبي شيبة ٢٣١/٣ برقم ١٣٧٣٠ .

(٣) مسلم كتاب الفضائل باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ١٨١٨/٤ برقم ٢٣٣٧ .

هونا، ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صلب واذا التفت التفت
معا.

خافض الطرف نظره الى الأرض اطول من نظره الى السماء جل
نظره الملاحظة بسوق اصحابه، يبدر من لقيه بالتحية.

وقال يصف منطقته صلى الله عليه وسلم:

كان رسول الله ﷺ متواصل الأحران، دائم الفكرة، ليست له راحة،
ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه -
لا بأطراف فمه- ويتكلم بجوامع الكلم، فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير
دمتاً ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئاً، ولم
يكن يذم ذواً - ما يطعم- ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق
بشيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها وإذا أشار أشار
بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض
طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

وكان يخزن لسانه إلا عما يعنيه. يؤلف أصحابه ولا يفرقهم، يكرم
كريم كل قوم، ويؤليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير
أن يطوى عن أحد منهم بشره.

ينفق أصحابه - ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن
ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهته، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل
مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا
يجاوزه إلى غيره الذي يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم
نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن - لا يميز لنفسه مكاناً - إذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق متقاربين. يتفاضلون عنده بالتقوى، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤين فيه الحرم - لا تخشى فلتاته - يتعاطفون بالتقوى، يوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة، ويؤنسون الغريب.

كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مدّاح، يتعافل عما لا يشتهي، ولا يقنط منه قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء والإكثار وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا. لا يتنازعون عنده الحديث .

من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة

في المنطق، ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يطلب
الثناء إلا من مكافئ (١)

✽ عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وما على
وجه الأرض رجل رآه غيري قال: فكيف رأيته؟ قال: كان أبيض
مليحاً مقصداً.

✽ وعن أنس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ أزهر اللون ليس بأبيض
أمهق ولا آدم. (٢)

والأزهر: هو الأبيض المستتير المشرق، وهو أحسن الألوان.

✽ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه
وسلم أبيض مشرباً بياضه حمرة. (٣)

✽ عن كعب بن مالك رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ ذا سرّ
استتار وجهه حتى كأنه قطعة قمر (٤)

✽ وعن أبي إسحاق قال: سئل البراء أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟
قال: لا، بل مثل القمر (٥)

(١) مجمع الزوائد باب وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ٨ / ٢٧٣.

(٢) البخاري ٣ / ١٣٠٢ برقم ٣٣٥٤.

(٣) مسند الامام احمد ١ / ١١٧ برقم ٩٤٧.

(٤) البخاري باب صفة النبي ﷺ ٣ / ١٣٠٤ برقم ٣٣٦٣

ومسند الامام احمد ٣ / ٤٥٨.

(٥) البخاري باب صفة النبي ﷺ.

وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان (مقمرة)، وعليه حُلَّة حمراء، فجعلتُ أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى القمر، فإذا هو عندي أحسنُ من القمر.

✽ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيل^(١) الجبين شديد سواد الشعر أكحل العين أهدب)^(٢)

✽ عن البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ وعليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه^(٣)

✽ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان ﷺ أجلى الجبهة، إذا طلع جبينه من بين الشعر، أو طلع في فلق الصبح، أو عند طفل الليل، أو طلع بوجهه على الناس تراءوا جبينه كأنه ضوء السرج المتوقد يتلألأ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة.

✽ كان النبي ﷺ أكحل العينين أهدب الأشفار إذا وطئ بقدمه وطئ بكتفها ليس له أخمص إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة.

وكان ﷺ "إذا نظرت إليه قلت أكحل العينين وليس بأكحل".^(١)

(١) (الأسيل: هو المستوي).

(٢) مصنف عبد الرزاق ١١ / ٢٥٩ برقم ٢٠٤٩٠.

(٣) البخاري باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ٣ / ١٣٠٣ برقم ٣٣٥٨.

ومسلم باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ٤ / ١٨١٨ برقم ٢٣٣٧.

✽ وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

عظيم العينين، هَدِبُ الأَشْفَارِ، مشرب العينين بحمرة.

ومعنى مشرب العينين بحمرة: أي عروق حمراء رقاق. وتلك من

صفاته صلى الله عليه وسلم التي يجدها أهل الكتاب في كتبهم.

✽ وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم، ضليع الفم^(٢) جميله، وكان من أحسن عباد الله شفيتين

وألطفهم ختم فم.

وكان وسيماً أشنب^(٣) أبيض الأسنان مفلج بعيد ما بين ثنايا

والرباعيات، أفلج الثنيتين^(٤) إذا تكلم "رُئِي كالنور يخرج من

بين ثناياه.

✽ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم أفلج الثنيتين، إذا تكلم رُئِي كالنور يخرج من بين ثناياه)

(٥)

(وأفلج الثنيتين أي متفرق الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، اثنتان فوق

واثنتان تحت.)

(١) ت سنن الترمذي ٥ / ٦٠٣ برقم ٣٦٤٥.

(٢) (أي واسع الفم).

(٣) (في أسنانه رقة وتحديد).

(٤) (أي الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، اثنتان من فوق واثنتان من تحت).

(٥) مجمع الزوائد ٨ / ٢٧٩.

﴿أقنى العرنين﴾^(١) له نور يعلوه يحسبه من يتأمله أشم^(٢) ولم يكن أشماً
وكان مستقيماً^(٣).^(٤)

﴿كأن عنقه صلى الله عليه وسلم إبريق فضة،

إذا نظر علاه البهاء وإذا صمت علاه الوقار﴾^(٥)

﴿عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

((كان النبي ﷺ بعيد ما بين المنكبين))^(٦)

والمنكب هو مجمع العضد والكتف. والمراد بكونه بعيد ما بين المنكبين أنه
عريض أعلى الظهر ويلزمه أنه عريض الصدر مع الإشارة إلى أن بُعد ما
بين منكبيه لم يكن منافياً للاعتدال. وكان كنفاه عريضين عظيمين .

﴿عن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه يصف رسول الله صلى
الله عليه وسلم:

((اذا مشى تكفاً كأنما يمشي في سعد واذا التفت التفت جميعاً،

شثن الكفّين والقدمين))^(٧).

(١) (مرتفع أعلى الأنف).

(٢) (مرتفع قصبه الأنف).

(٣) (أقنى أي طويلاً في وسطه بعض ارتفاع، مع دقة أرنبته والأرنبة هي ما لان
من الأنف).

(٤) (المعجم الكبير ٢٢ / ١٥٥ برقم ٤١٤).

(٥) (مجمع الزوائد ٨ / ٢٧٩).

(٦) (مسلم كتاب الفضائل باب صفة النبي ﷺ ٤/١٨١٨ برقم ٢٣٣٧).

(٧) (مسند الامام احمد ١ / ٨٩ برقم ٦٨٤٠).

وشثن الكفين تعني ضخم الكفين.

✽ وعن هند بن ابى هالة يصف رسول الله ﷺ:

((رحب الراحة سبط القصب شثن الكفين والقدمين))^(١)

لذا كان النبي ﷺ رحب الراحة (أي واسع الكف) كفه ممثلة لحمًا، غير أنها مع غاية ضخامتها كانت ليّنة أي ناعمة.

✽ وعن أنس رضي الله عنه قال: ما مسست حريزًا ولا ديباجًا ألين من كف النبي صلى الله عليه وسلم.^(٢)

✽ وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى البطحاء...

وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه، فيمسحون بها وجوههم.

قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك.^(٣)

✽ وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال:

صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله، وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحدًا واحدًا. قال: وأما أنا فمسح خدي.

قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جونة عطار.^(٤)

(١) مجمع الزوائد باب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ٨ / ٢٧٣.

(٢) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ٣/١٣٠٦ برقم ٣٣٦٨.

(٣) البخاري باب صفة النبي ٣/١٣٠٤ برقم ٣٣٦٠.

(٤) فتح الباري ٦ / ٥٧٣.

✽ عن جابر بن سمرة قال: رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل بيضة الحمامة لونها لون جسده. (١)

✽ عن ابن عمر رضي الله عنه قال:

كان خاتم النبوة في ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البندقة من لحم مكتوب عليه محمد رسول الله (٢)

✽ عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشا تكفأ، وما مسست ديباجاً ولا حريزاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة النبي ﷺ. (٣)

وعن أنس أيضاً قال: "دخل علينا رسول الله ﷺ فقال (أي نام) عندنا، فعرق وجاءت أُمِّي بقرورة فجعلت تَسَلْتُ العَرَقَ، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: ((يا أم سُلَيْم ما هذا الذي تصنعين؟))

قالت: يا نبي الله عرقك أريد أن ادوف به طيبي (٤)

وكان ﷺ إذا صافحه الرجل وجد ريحه، وإذا وضع يده على رأس صبي فيظل يومه يُعَرَفُ من بين الصبيان بريحه على رأسه.

(١) صحيح ابن حبان ١٤ / ٢٩٠ / برقم ٦٣٠١.

(٢) صحيح ابن حبان ١٤ / ٢١٠ / برقم ٦٣٠٢.

(٣) مسلم باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك به ٤ / ١٨١٥ برقم ٢٣٣٠.

(٤) مسند الامام أحمد ٣ / ٢٨٧ برقم ١٤٠٩١.

يقول جابر بن سمرة: ما سلك رسول الله ﷺ طريقاً فیتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه، وقد كنت صبياً - فمسح خدي فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار.

وقفة... مع أخلاقه الشريفة

أخلاق النبي ﷺ بلغت الكمال في كل خير، أدب أثنى عليه رب العزة في قرآنه.

فحبب ﷺ إلى النفوس وتعلقت به القلوب وصار قائداً استنار بنور ربه، فهوته الأفتدة وتبعه الرجال إلى دين الحق حتى صار الدخول فيه أفواجا.

ولا يُذكر من خُلق النبي ﷺ إلا ومضات تنبئ عن مظاهر كمال ومجد لا يستطيع وصفه الواصفون على حقيقته، أو الإحاطة بكماله العالمون.

فهو أعظم من عرفه الوجود وسيد الخلائق ومصطفى الرحمن... انه عين الكمال الذي خص به الرحمن حبيبه.

اتسع قلبه للجميع، واتسع صدره لكل، وفاض على الجميع بسيل حب واحترام وتقريب، الكل مقرب في حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى إن الصحابي عمرو بن العاص وغيره يسألون النبي ﷺ أي الناس أحب إليك^(١).

فالكل كان مقرب عند الرسول ﷺ ومحبوب.

كان الكل يعتقد أن له الحب الأكبر في القلب النبوي الشريف وأن الحب الذي يلقاه في قلب الرسول لا يمكن أن يكون فوقه حب لشدة عطفه صلى الله عليه وسلم وحنانه.

(١) صحيح ابن حبان ٣٢٦/١٥ برقم ٦٩٠٠، وفتح الباري ٢٦/٧.

كان عليه الصلاة والسلام يفيض حباً وحناناً ورحمة شملت
حتى الكفار الذين كاد يذهب نفسه الشريفة حسرة عليهم ألا يؤمنوا.
ويوم خبير حين أخبر النبي ﷺ انه سيعطي الراية رجلاً
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتناول لها الجميع كما يقول
سعد^(١)...

وبات الناس ليلتهم أيهم يعطى وغدوا كلهم يرجونه^(٢).
كان للجميع متسع في القلب الشريف.

أولم يقل ﷺ: (بعثت لأتمم صالح الأخلاق)^(٣)
بلغ من حلمه واتساع صدره ما يحدث به انس ﷺ حيث
يقول:

(خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي افأً

(١) مسلم باب فضائل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٧١/٤ برقم
٢٤٠٤.

(٢) البخاري كتاب الجهاد والسير باب من أسلم على يديه رجل ١٠٩٦/٣ برقم
٢٨٤٧.

(٣) المستدرک على الصحيحين كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة
٦٧٠/٢
برقم ٤٢٢١.

قط، ولا قال لي لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا(١)

ويقول عنه خادمه: كان رسول الله أحسن الناس خلقاً (٢).

ويقول البراء رضي الله عنه :

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً. (٣)

وحين سال سعيد ابن هاشم أم المؤمنين عائشة رضي الله

عنها فقال:

يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت:

أليس تقرأ القرآن. قال بلى. قالت فان خلق نبي الله ﷺ القرآن

(٤).

كان عليه الصلاة والسلام رءوفاً رحيماً يختار لأمته أهون

السبل وأيسرها في

الحلال ويقول عليه الصلاة والسلام: إنما أنا رحمة مهداة(٥).

تقول الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما خير

رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اخذ أيسرهما، ما لم

يكن إثماً. فان كان إثماً كان ابعد الناس عنه.

(١) مسلم كتاب الفضائل باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ١٨١٨/٤ برقم ٢٣٠٩.

(٢) مسلم كتاب الفضائل ١٨٠٥/٤.

(٣) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ١٣٠٣/٣ برقم ٣٣٥٦.

(٤) المستدرک على الصحيحين كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة ٦٧٠/٢

برقم ٤٢٢٢ .

(٥) المستدرک على الصحيحين ٩١/١ برقم ١٠٠. وسنن الدارمي ٢١/١ برقم ١٥.

وما أنتم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم
الله بها (١).

ولما دخل ﷺ فاتحاً بإذن الله منصوراً. أطلقها ﷺ مع الذين
آذوه وقتلوا أحبابه واجتهدوا ليقتلوه أطلقها مدوية مملوءة رحمة
ومحبة لا يؤتها إلا من بعثه الله رحمة وهدى: اذهبوا فأنتم
الطلقاء. (٢)

بالعظمة الخلق النبوي الكريم الذي أدهش العقول بكرمه، بل
انه ﷺ لم يجعل من متاعهم شيئاً قليلاً أو كثيراً فيئاً (٣) أو غنيمة.
وعند الحديث عن الكرم، تسموا أخلاقه صلى الله عليه وسلم
فوق ما يتصور المرء من حسن الكرم أو يتخيل فهل يعقل أن
إنساناً لم يقل لسائل لا طول حياته... إن هذا وحده معجزة تشهد
بأنه نبي.

يقول جابر ابن عبد الله رضي الله عنه:

ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا (٤).

(١) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ١٣٠٦/٣ برقم ٣٣٦٧.

ومسلم باب مباحته للأثم واختياره من المباح أسهله ١٨١٣/٤ برقم ٢٣٢٧.

(٢) سنن البيهقي الكبرى باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة ١١٨/٩، وفتح الباري
١٨/٨.

(٣) الرد على سيرة الأوزاعي باب المسلم يدخل دار الحرب بأمان ١٠٨/١.

(٤) مسلم باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه ١٨١٨/٤ برقم
٢٣١١.

ويقول انس رضي الله عنه محدثاً عن كرم رسول الله:
أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه.
فأتى قومه قال أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاء
من لا يخاف فقراً^(١).

فهذا البدوي الذي ألف الكرم واعتاده في نفسه وقومه يعجب
من كرم النبي صلى الله عليه وسلم ويعتبره اعجازاً حتى عند أهل الكرم وأرباب
السخاء.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما:

كان رسول الله أجود الناس بالخير.

وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، إن جبريل عليه
السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ فيعرض
عليه صلى الله عليه وسلم القرآن. فإذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير
من الريح المرسلة^(٢).

أما شجاعته صلى الله عليه وسلم فكان صناديد المسلمين وفرسانهم الذين
ولدوا في ساحات الوغى وعاشوا، وامتهنوا القتال والغزو كانوا
يحتمون بالنبي إذا حمى الوطيس.

فهذا أسد المشارق والمغرب الأمام علي ابن أبي طالب
الذي يخشى الرجال في الوغى بأسه يقول صلى الله عليه وسلم:

(١) مسلم باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا ١٨١٨/٤ برقم ٢٣١٢.

(٢) مسلم كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا ١٨١٨/٤ برقم

كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم، إتقينا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا يكون أحد منا أدنى إلى القوم منه. (١)
و عن البراء رضي الله عنه:

كنا والله إذا حمي البأس نتقي به، وان الشجاع منا الذي
يحاذي به. (٢)
يقول أنس رضي الله عنه:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان
أشجع الناس. (٣)

ويكفي من شجاعته صلى الله عليه وسلم ورباطة جأشه مما لا يستطيعه
الرجال بقائه صلى الله عليه وسلم في مكة حين هاجر المسلمون إلى الحبشة فراراً
من أذى قريش، بقائه وحيداً يجاهر بالدعوة إلى الله ويعبد الله أمام
الجميع ووسط قريش.

ورغم هذه الخصال الشريفة، والكمال الذي بلغه في كل
خير، كان عليه الصلاة والسلام شديد التواضع شديد الحياء.
فهذا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يصف النبي صلى الله عليه وسلم وحيائه:
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها.
وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه. (٤)

(١) المستدرک علی الصحیحین ١٥٥/٢ برقم ٢٦٢٣ .

(٢) مصنف أبي شيبة باب غزوة حنين ٤١٦/٧ برقم ٣٦٩٨٣ .

(٣) مسلم باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

(٤) مسلم كتاب الفضائل باب كثرة حياء النبي صلى الله عليه وسلم ١٨٠٩/٤ برقم ٢٣٢٠ .

كان وجهه الشريف مرآة صافية لما في أطهر قلب وأزكى روح، وجه صادق ككل الذي في النبي الصادق ﷺ.

يقول كعب ابن مالك ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر. (١)

وكان ﷺ لا يُسمِّي رجلاً ذكر عنه شيء يكرهه، بل يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، وبشير إلى الخطأ إشارة ولا يسمي الفاعل.

وما عرف للنبي إلا الخير ﷺ متوجهاً إلى الله سبحانه بعبادة لا يعرف غيرها إلا الله... كل حياته لله، وللدعوة إليه سبحانه، وفي ذات الوقت متوجهاً بكليته إلى الخلق يعلمهم ويرببهم ويفيض عليهم نوراً ومحبة، يقودهم إلى رضوان من الله ورحمة، فكان العبد المنقطع لله، والمربي الذي يقود أحبابه إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

اللهم صلّ على سيدنا محمد وأنزله المنزل المقرب منك
يوم القيامة

وأجزه اللهم عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته...
ولك الحمد يا الله كما تريد، وفوق ما نريد...
حمداً يرضيك وترضى به عنا.

(١) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ١٣٠٥/٣ برقم ٣٣٦٣.

ومسلم كتاب التوبة باب توبة كعب ابن مالك وصاحبيه.

شِعْرُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فِي مَرَثِيَّتِهِ الرَّسُولِ:

بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدٍ مُبِيرٍ وَقَدْ تَعَفُّو الرِّسُومَ وَتَهَمُّدُ
وَلَا تَمْتَحِي الْأَيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ بِهَا مَنْبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمٍ وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ

بِهَا حُجْرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا
مَعَارِفُ لَمْ تَطْمَسُ عَلَى الْعَهْدِائِهَا
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكَى الرَّسُولَ فَاسْعَدَتْ
يُذَكِّرُنَ آلاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى
مُفْجَعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ
أَطَالَتْ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جُهِدَهَا
فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ
وَبُورِكَ لَحْدُ مِنْكَ ضَمْنٌ طَيِّبًا
تَهِيلُ عَلَيْهِ التَّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنٍ
لَقَدْ غَيَّبُوا حُلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً
وَرَاخُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيَّهُمْ
يُبْكُونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكٍ
تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقُّ جَاهِدًا
عَفْوٌ عَنِ الرِّلَاتِ يَقْبَلُ عُدْرَهُمْ

وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمَلِهِ
 فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى
 عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُنْتَى جُنَاحَهُ
 فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ التَّوَرِ إِذْ غَدَا
 فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
 وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحُرْمِ وَحَشَا بِقَاعُهَا
 قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا
 وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ
 وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ تَمَّ أَوْحِشَتْ
 فَبِكَيْ رَسُولِ اللَّهِ يَا عَيْنَ عِبْرَةٍ
 وَمَا لِكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي
 فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدَّمْعِ وَأَعُولِي
 وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا، يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا
 كُحِلَتْ مَا فِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
 جَزَعًا عَلَى الْمُهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا
 يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعُدُ
 وَجْهِي يَفِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لِيَتَّبِنِي
 غَيْبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْعَرْقَدِ

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٦٦٧ - ٦٦٨ .

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ
فَظَلَلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا
أَأَقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا
فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيِّ الْمُهْتَدِي
مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوَلِّدْ
يَا لَيْتَنِي صَبَّحْتُ سَمَّ الْأَسْوَدِ
فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدٍ^(١)

وهذه بعض قصائد تألفت بنور مدحه صلى الله عليه وسلم
ولأمير الشعراء أحمد شوقي نصيب في محبة سيد الخلائق وإمام
الرسل الكرام، يتفجر بقصيدته ريم على القاع التي عارض بها قصيدة
البوصيري:

(١) السيرة لابن هشام ٢ / ٦٦٩.

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ
أَحَلَّ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ
لَمَّا رَنَا حَدَّثْتَنِي النَّفْسُ قَائِلَةً
يَا وَيْحَ جَنْبِكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي
جَحَدْتُهَا وَكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَيْدِي
جُرْحُ الْأَحِبَّةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمِ
يَا لَأَيْمِي فِي هَوَاهُ وَالْهَوَى قَدَرٌ
لَوْ شَفَقَكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْزِلْ وَلَمْ تَلْمِ
يَا نَفْسُ دُنْيَاكَ تَخْفِي كُلَّ مُبْكِيَةٍ
وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا حُسْنٌ مُبْتَسِمٌ
هَامَتْ عَلَى أَثَرِ اللَّذَاتِ تَطْلُبُهَا
وَالنَّفْسُ إِنْ يَدْعُهَا دَاعِي الصَّبَا تَهِمُ

إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ
فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرٍ مُعْتَصِمِ
أَلْقَى رَجَائِي إِذَا عَزَّ الْمُجِيرُ عَلَيَّ
مُفَرِّجِ الْكَرْبِ فِي الدَّارَيْنِ وَالْغَمِّ
وَإِنْ تَقَدَّمَ ذُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ
قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عِبْرَةَ النَّدَمِ
لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ

يُمْسِكُ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللَّهِ يَغْتَمِّمُ
مُحَمَّدٌ صَفْوَةَ الْبَارِي وَرَحْمَتُهُ
وَبُغْيَةَ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْ نَسَمٍ
وَصَاحِبُ الْحَوْضِ يَوْمَ الرُّسُلِ سَائِلَةٌ
مَتَى الْوُرُودُ وَجَبْرِيلُ الْأَمِينُ ظَمِي
سَنَاؤُهُ وَسَنَاهُ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ
فَالْجِرْمُ فِي فَلَكٍ وَالضَّوْءُ فِي عِلْمٍ

فَاقَ الْبُدُورَ وَفَاقَ الْأَنْبِيَاءَ فَكَمَ
بِالْخُلُقِ وَالْخَلْقِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ عِظَمٍ
جَاءَ النَّبِيِّونَ بِالْآيَاتِ فَاِنْصَرَمَتْ
وَجِئْتَنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرِمٍ
آيَاتُهُ كُلَّمَا طَالَ الْمَدَى جُدُدٌ
يَزِينُهُنَّ جَلالُ الْعِتْقِ وَالْقَدَمِ
يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً
حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهْمِ
بِكُلِّ قَوْلٍ كَرِيمٍ أَنْتَ قَائِلُهُ
تُحِي الْقُلُوبَ وَتُحِي مَيِّتَ الْهَمَمِ
أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ
وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ النِّقْوَا بِسَيِّدِهِمْ

كَالشُّهْبِ بِالْبَدْرِ أَوْ كَالْجُنْدِ بِالْعَلَمِ
صَلَّى وَرَأَىكَ مِنْهُمْ كُلَّ ذِي خَطَرٍ
وَمَنْ يَفُزْ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمِ

جُبَّتِ السَّمَاوَاتِ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ
عَلَى مُنَوَّرَةِ دُرِّيَّةِ اللُّجَمِ
حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُ لَهَا
عَلَى جَنَاحٍ وَلَا يُسْعَى عَلَى قَدَمٍ
وَقِيلَ كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رَبِّتَيْهِ
وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ
وَضَاعَفَ الْقُرْبُ مَا قُلِدْتَ مِنْ مَنِّ
بِلَا عِدَادٍ وَمَا طُوِّقَتْ مِنْ نَعَمٍ
يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي
وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي
الْبَدْرِ دُونَكَ فِي حُسْنٍ وَفِي شَرَفٍ
وَالْبَحْرِ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمٍ
شُمُّ الْجِبَالِ إِذَا طَاوَلَتْهَا انْخَفَضَتْ
وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ مَا وَاسَمَتْهَا تَسِيمِ
تَهْفُو إِلَيْكَ وَإِنْ أَدْمَيْتَ حَبَّتْهَا
فِي الْحَرْبِ أَفْنِدَّةُ الْأَبْطَالِ وَالْبُهَمِ

مَحَبَّةُ اللَّهِ أَلْقَاهَا وَهَيْبَتُهُ
عَلَى إِبْنِ أَمْنَةٍ فِي كُلِّ مُصْطَدِمٍ
كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّفْعِ بَدْرٌ دُجَى
يُضِيءُ مُلْتَمِتًا أَوْ غَيْرَ مُلْتَمِتٍ
بَدْرٌ تَطَلَّعَ فِي بَدْرِ فَعُورَتُهُ
كَغُرَّةِ النَّصْرِ تَجْلُو دَاجِي الظُّلَمِ
إِنْ قُلْتَ فِي الْأَمْرِ «لَا» أَوْ قُلْتَ فِيهِ «نَعَمْ»
فَخَيْرَةُ اللَّهِ فِي «لَا» مِنْكَ أَوْ «نَعَمْ»
يَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ مَا أَرَدْتَ عَلَى
نَزِيلِ عَرْشِكَ خَيْرِ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ
مُحِي اللَّيَالِي صَلَاةً لَا يُقَطُّعُهَا
إِلَّا بِدَمْعٍ مِنَ الْإِشْفَاقِ مُنْسَجِمٍ
مُسَبِّحًا لَكَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُحْتَمِلًا
ضُرًّا مِنَ السُّهْدِ أَوْ ضُرًّا مِنَ الْوَرَمِ
رَضِيَّةً نَفْسُهُ لَا تَشْتَكِي سَأْمًا
وَمَا مَعَ الْحُبِّ إِنْ أَخْلَصْتَ مِنْ سَأْمِ

وللشاعر الإسلامي الباكستاني

محمد إقبال

قصيدة يتغنى بها بحب الرسول المصطفى

صلى الله عليه وسلم

لغة الكلام كما رأيت على فمي

خجلى ولولا الحب لم أتكلم

يا مظهر التوحيد حسبي أنني

أحد الشداة الهائمين الحوم

ما حيلة الشعراء زاد غناؤهم

رهياً لدى هذا الجمال الأعظم

كل المعاني إن وُصِفَتْ تضاءلت

وتحيرت في كُنْهك المتلثم

إن الذي سواك في تنزيله

وقاك وصفاً بالثناء الأكرم

سبقت محبته مجيئك للورى

في عالم الغيب الكبير الأقدم

يا نور يوم وُلدت قامت عرّة
للأرض إذ أمسّت لنورك تنتمي

الكوكب الأرضيّ حين وطنته
أمسى حصاه يتيه فوق الأنجم

وعلى هدى الأقدار قام محمّد
لله فيه سرائر لم تُعلم

متجرداً من كل جاه ظاهرٍ
وبغير جاه الله لم يستعصم

صلى عليه الله في سُبُحاته
ما راح يجمع صحبه بتكتم

يمشي على حذر وينشر هديه
رشداً من الذكر العزيز المحكم

ما كان عن رهبٍ ولا عن خيفة
لكن على قدرٍ خفي ملهم

حتى أفاض الله وانتشر الهدى

ومضى يهيب بكل قلب مسلم

ودعا فكان الله عند دعائه
يا هذه الدنيا لأحمد فاسلمي

وامشي وراء محمد وكفى به
نوراً يضيء هدىً لكل ميمم

صلى عليه الله نوراً هادياً
متعبداً في غاره لم يسأم

قدر حبه ولا مفر للقلوب قصيدة
للشاعر الجزائري محمد جربوعة

طبشورة صغيرة

ينفخها غلام

يكتب في سبورة

"الله والرسول والإسلام"

يحبه الغلام

وتهمس الشفاه في حرارة

تحرقها الدموع في تشهّد السلام

تحبه الصفوف في صلاتها
يحبه المؤتمر في ماليزيا
وفي جوار البيت في مكّته
يحبه الإمام

تحبه صبيّة
تتصدّ العقيق في أفريقيا
يحبه مزارع يحفر في نخلته (محمد)
في شاطئ الفرات في ابتسام

تحبه فلاحه
ملاح الصعيد في سحنتها
تذكره وهي تذرّ قمحها
لتطعم الحمام

يحبه مولّه
على جبال الألب والأنديز
في زفروسفي جليد القطب
في تجمّد العظام

يذكره مستقبلاً
تخرج من شفافه الحروف
في بخارها تختال
في تكبيرة الإحرام

تحبه صغيرة من القوقاز
في عيونها الزرقاء مثل بركة
يسرح في ضفافها اليمام

يحبه مشرد
مُسترجع
ينظر من خيمته
لبائس الخيام

تحبه أرملة
تبلى الرغيف من دموعها
في ليلة الصيام

تحبه تلميذة (شطورة) في (عين أزال) عندنا
تكتب في دفترها
إلا الرسول أحمدا
وصحبه الكرام

وتسأل الدمية في أحضانها
تهوينه ؟
تهزها من رأسها لكي تقول: إي نعم
وبعدها تنام

يحبه الحمام في قبابه
يطير في ارتفاع الأذان في أسرابه
ليدهش الأنظار

تحبه منابر حطمها الغزاة في آهاتها
في بصرة العراق
أو في غرورني
أو غزة الحصار

يحبّه من عبَدَ الأحجارَ في ضلاله
وبعدها كسرها وعلق الفؤوس في رقابها
وخلفه استدار
لعالم الأنوار
يحبّه لأنّه أخرجّه من معبد الأحجار
لمسجد القهاز

يحبّه من يكثر الأسفار

يراه في تكسر الأهوار والأمواج في البحار
يراه في أجوائه مهيمنا
فيرسل العيون في اندهاشها
ويرسل الشفاه في همساتها :
"الله يا قهار!"

وشاعر يحبه
يعصره في ليله الإلهام في رهبتِه
فتشرق العيون والشفاه بالأنوار
فتولد الأشعار
ضوئية العيون في مديحه
من عسجد حروفها
ونقط الحروف في جمالها
كأنها أقمار

يحبه في غربة الأوطان في ضياعها الثوار
يستخرجون سيفه من غمده
لينصروا الضعيف في ارتجافه
ويقطعوا الأسلاك في دوائر الحصار
تحبه صببة تذهب في صويحاتها
لتملاً الجراز

تقول في حياتها
"أنقذنا من وأدنا"
وتمسح الدموع بالخمار

تحبه نفسٌ هنا منفوسةٌ
تحفر في زنزانةٍ
بحرقة الأظفار :
"محمدٌ لم يأتِ بالسجون للأحرار".
تتكسر الأظفار في نقوشها
ويخجل الجدار

تحبه قبائلٌ
كانت هنا ظلالها
تدور حول الناز
ترقص في طبولها وبينها
كووسها برغوة تدار
قلائد العظام في رقابها
والمعبد الصخريُّ في بخوره
همهمة الأحباز
تحبه لأنه
أخرجها من ليلها

لروعة النهار

تحبه الصحراء في رمالها
ما كانت الصحراء في مضارب الأعراب في سباسب القفار ؟
ما كانت الصحراء في أولها ؟
هل غير لاتٍ وهوى
والغدرِ بالجوازِ ؟
هل غير سيفٍ جائرٍ
وغارةٍ وثائرٍ ؟

تحبه القلوبُ في نبضاتها
ما كانت القلوب في أهوائها من قبله ؟
ليلى وهندا والتي (.....)
مهتوكَة الأستازِ
وقرية الخمر في تمايلِ الخمّازِ ؟ !

تحبه الزهور والنجوم والأفعال والأسماء والإعرابُ
والسطور والأفلام والأفكارُ
يحبّه الجوريّ والنسرِين والنوازُ
يحبّه النخيل والصفصاف والعرعازُ
يحبّه الهواء والخريف والرماد والتراب والغبارُ
تحبه البهائم العجماء في رحمته

يحبه الكفارُ
لكنهم يكابرون حبهُ
ويدفنون الحب في جوانح الأسرارِ

تحبهُ

يحبه

نحبه

لأننا نستنشق الهواء من أنفاسهِ
ودورة الدماء في عروقنا
من قلبه الكبير في عروقنا تُدارُ
نحبهُ

لأنه الهواء والأنفاس والنبضات والعيون والأرواح والأعمارُ
نحبه لأنه بجملة بسيطة :
من أروع الأقدار في حياتنا
من أروع الأقدارُ
ونحن في إسلامنا عقيدة
نسلم القلوب للأقدارُ

قصيدة للشاعر نزار قباني في مدح رسول الله

عز الورود وطال فيك أوام
وأرقت وحدي والأنام نيام

ورد الجميع ومن سناك تزودوا
وطردت عن نبع السنى وأقاموا

ومنعت حتى أن أحوم ولم أكد
وتقطعت نفسي عليك وحاموا

قصدوك وامتدحوا ودوني اغلقت
أبواب مدحك فالحروف عقام

أدنوا فأذكر ما جنيت فأنتهي
خجلا تضيق بحملي الأقدام

أمن الحضيض أريد لمسا للذرى
جل المقام فلا يطال مقام

وزري يكبلني ويخرسني الأسى

فيموت في طرف اللسان كلام

يممت نحوك يا حبيب الله في

شوق تقض مضاجعي الآثام

أرجو الوصول فليل عمري غاية

أشواكها الأوزار والآلام

يا من ولدت فأشرقنت بربوعنا

نفحات نورك وانجلي الإظلام

أأعود ظمئنا وغيري يرتوي

أيرد عن حوض النبي هيام

كيف الدخول إلى رحاب المصطفى

والنفس حيرى والذنوب جسام

أو كلما حاولت إمام به

أزف البلاء فيصعب الإلمام

ماذا أقول وألف ألف قصيدة
عصماء قبلي سطرت أقلام

مدحوك ما بلغوا برغم ولائهم
أسوار مجدك فالدنو لمام

ودنوت مذهولا أسيرا لا أرى
حيران يلجم شعري الإحجام

وتمزقت نفسي كطفل حائر
قد عاقه عمن يحب زحام

حتى وقفت أمام قبرك باكي
فتدفق الإحساس والإلهام

وتوالت الصور المضيئة كالرؤى
وطوى الفؤاد سكينه وسلام

يا ملء روعي وهج حبك في دمي
قبس يضيء سريرتي وزمام

أنت الحبيب وأنت من أروى لنا
حتى أضاء قلوبنا الإسلام

حوربت لم تخضع ولم تخشى العدى

من يحمه الرحمن كيف يضام

وملأت هذا الكون نورا فاخترت

صور الظلام وقوضت أصنام

الحزن يملأ يا حبيب جوارحي

فالمسلمون عن الطريق تعاموا

والذل خيم فالنفوس كئيبة

وعلى الكبار تطاول الأقرام

الحزن أصبح خبزنا فمساءنا

شجن وطعم صباحنا أسقام

والياس ألقى ظله بنفوسنا

فكأن وجه النيرين ظلام

أنى اتجهت ففي العيون غشاوة

وعلى القلوب من الظلام ركام

الكرب أرقنا وسهد ليلنا
من مهده الأشواك كيف ينام

يا طيبة الخيرات ذل المسلمون
ولا مجير وضيعت أحلام

يغضون ان سلب الغريب ديارهم
وعلى القريب شذى التراب حرام

باتوا أسارى حيرة وتمزقا
فكأنهم بين الورى أغنام

ناموا فنام الذل فوق جفونهم
لا غرو ضاع الحزم والإقدام

يا هادي الثقلين هل من دعوة
تدعى بها يستيقظ النوام

قصيدة للشاعر العراقي خليل ابراهيم العيثاوي

في مدح الرسول محمد

صلى الله عليه وسلم

ما بال قلبك يُستفز فتكظّم
وإذا استشاط بك الحنين كعهده
أتراك من حجر قددت وجلمداً
أولم تكن كالنحل بين وروده
أوما دعتك الى التصابي خولة
فعلام تنكر من غدوت مولهاً
أكذا الوفاء وانت كنت أميره
ياقوم، ما بي فوق ما أسطيعه
عشقٌ يهز بعنف سطوته فما
عشقٌ أرى فيه الحبيب مجسماً
تسمو عقول الناطقين حروفه
كالبدر بل كالشمس بل أسمى منهما
هو ذا الحبيب فان همست بذكره
وإذا بليلى قمت ادعو باكياً
أجد الكلام عصية الفاظه
فتجيني كفاه تمسح أدمعي

ويقال عنك بما يُقال فتكتم
فتشده شداً، اليك وتلجم
صوان، لا يذبو ولا يتهدم
متنقلاً، دوماً يروح ويقدم
ودعتك ليلى والرباب ومريم
زمناً به، وبه بصحوك تحلم
وأدته؟ ماذا عساک ستزعم
من بعضه حتى العظام تهشم
يبقي ويكتسح اللبيب ويُرغم
بجلالهِ وكمالهِ يترنم
ويتنهُ زهواً اذا حواها المعجم
قدراً، بلى وهو الأجل الأكرم
ضحجّ الملائكة الكرام وسلموا
متضرعاً، كالناسكين أدمدم
وأظلّ مبهوراً به أتلعثم
طيفاً فألثمها، وينطق أبكم

يا ملهم الشعراء نظماً راقياً
يامن عليك الله صلى قبلنا
هاقد أتيتك تائباً مستغفراً
كن لي الى رب السما ياسيدي
هبنني بجدك خادمٌ لخويدمِ
فأحس من زهوي وفخري انني

لولاك ما نظموا فأنت الملهم
يامن بنا انت الرؤوف الأرحم
مما جنيت ومسرفاً أتظلم
سببا فغيرك لا يصح ويُعدم
أرسلته يوماً لنعلك يرزم
الشهب تحسد منصبي والأنجم



المصادر والمراجع

القران الكريم

١. الأحاديث المختارة: أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد ابن احمد
الحنبلي المقدسي
تحقيق: عبد الملك ابن عبد الله ابن دهيش
مكتبة النهضة . مكة المكرمة ط ١
٢. أخبار مكة: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي
تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش
دار خضر . بيروت ط ٢ ١٤١٤
٣. الاعجاز الطبي في السنة النبويّة: د. كمال المويل
دار ابن كثير
- ٤ . الاعجاز العلمي في الاسلام: محمد كامل عبد الصمد
دار المصرية اللبنانية ط ٤ ١٩٩٧ م
٥. البداية والنهاية: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر
ابن كثير القرشي الدمشقي
تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن الترك
هجر للطباعة والنشر - مصر ١٩٩٧ م
- ٦ . البيان والتعريف: إبراهيم ابن محمد الحسيني
تحقيق: سيف الدين الكاتب

- دار الكتاب العربي . بيروت
٧. التاج الجامع للأصول في احاديث الرسول : الشيخ منصور علي
ناصف
- دار الفكر بيروت ١٩٨٦ م ط ١
٨. تاريخ الطبري: محمد ابن جرير الطبري
دار الكتب العلمية . بيروت ط ١
٩. الترغيب والترهيب: عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري
تحقيق: إبراهيم شمس الدين
دار الكتب العلمية . بيروت ط ١ ١٤١٧
١٠. حياة الرسول المصطفى: العميد عبد الرزاق محمد أسود
الدار العربية للموسوعات . بيروت
١١. الجامع لأحكام القرآن(المشهور بتفسير القرطبي):
أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي
دار إحياء التراث العربي . بيروت
١٢. الجامع لمعمر ابن راشد: معمر ابن راشد الأزدي
تحقيق: حبيب الأعظمي
المكتب الإسلامي . بيروت ط ٢
١٣. جوامع السيرة: علي ابن أحمد ابن سعيد الأندلسي
تحقيق: احسان عباس
دار المعارف . مصر ط ١ ١٩٠٠ م

١٤. دلائل النبوة للأصبهاني: إسماعيل ابن الفضل التيمي

الأصبهاني

تحقيق: محمد محمد الحداد

دار طيبة الرياض ط ١

١٥. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: الحافظ محب الدين احمد

بن عبد الله الطبري

مكتبة القدسي القاهرة ١٣٥٦ هجرية

١٦. الرحيق المختوم: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

دار إحياء التراث العربي . بيروت ط ٢

١٧. الرد على سيرة الأوزاعي: يعقوب ابن إبراهيم الأنصاري

تحقيق: أبو الوفا الأفغاني

دار الكتب العلمية . بيروت

١٨. الرسول: سعيد حوى

دار الكتب العربي . دمشق ط ٣ ١٩٧٤م

١٩ . الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة:

دار ابن حزم للطباعة والنشر

٢٠. روضة الأنوار في سيرة النبي المختار: الشيخ صفي الرحمن

المباركفوري.

وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة

المملكة العربية السعودية ط ١

٢١. زاد المعاد: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب
المعروف بابن القيم
المطبعة المصرية ط ١
٢٢. زوجات النبي: سعيد أيوب
دار الهادي بيروت ط ١ ١٩٩٧م
٢٣. سبل السلام: محمد ابن إسماعيل الصنعاني الأمير
تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي
دار إحياء التراث العربي . بيروت ط ٤
٢٤. سنن ابن ماجة: محمد ابن يزيد أبو عبد الله القزويني
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
دار الفكر . بيروت
٢٥. سنن أبي داود: سليمان ابن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي
دار الفكر . بيروت
تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد
٢٦. سنن الترمذي: محمد ابن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي
تحقيق: احمد محمد شاكر
دار إحياء التراث العربي . بيروت
٢٧. السنن الكبرى: احمد ابن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي
تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسرون حسن
دار الكتب العلمية . بيروت ط ١

٢٨. السنن الكبرى للبيهقي: احمد ابن الحسين ابن علي ابن موسى

أبو بكر البيهقي

تحقيق: محمد عبد القادر عطا

مكتبة ابن ألباز مكة المكرمة م ١٩٩٤

٢٩. سنن النسائي: ابو عبد الرحمن احمد شعيب النسائي

تحقيق: عبد الفتاح ابو غدة

دار المطبوعات الإسلامية حلب ط ٢

٣٠. السيرة النبوية: عبد الملك ابن هشام ابن أيوب الحميري

تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد

دار الجبل . بيروت الطبعة الأولى

٣١. السيرة النبوية لابن كثير: الامام أبي الفداء اسماعيل بن كثير

تحقيق: مصطفى عبد الواحد

دار المعرفة . بيروت ١٩٧١

٣٢. السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي

دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة ط ٧ ١٩٨٧ م

٣٣. السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمال

والسير

محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٦ م

٣٤. السيرة النبوية دروس وعبر: د. مصطفى السباعي

أنوار دجلة . بغداد ٢٠٠٥ م

٣٥. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: د. محمد علي

الصلابي

دار المعرفة . بيروت ط ٣

٣٦. صحيح ابن حبان: محمد ابن حبان احمد التيمي البستي

تحقيق: شعيب الأرنؤوط

مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢

٣٧. صحيح ابن خزيمة: محمد ابن اسحق ابن خزيمة أبو بكر السلمي

النيسابوري

تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي

المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٠ م

٣٨. صحيح البخاري: محمد ابن إسماعيل أبو عبد الله البخاري

تحقيق: د. مصطفى ديب البغا

دار ابن كثير بيروت ط ٣

٣٩. صحيح مسلم: مسلم ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري

دار إحياء التراث العربي . بيروت

تحقيق: د. محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٠. الطب الشعبي: د. أمين رويحه

طبعة عتيقة مخرومة الأوائل

٤١. الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منبغ الزهري

تحقيق : احسان عباس

دار صادر بيروت ط ١ ١٩٦٨ م

٤٢. فتح الباري: احمد ابن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب
دار المعرفة بيروت ١٣٧٩

٤٣. فضائل الصحابة: احمد ابن حنبل أبو عبد الله الشيباني
تحقيق: د. وصي الله محمد عباس
مؤسسة الرسالة بيروت ط ١ ١٩٨٣م

٤٤. كتاب الأمة /أعلام النساء: عمر رضا كحالة

٤٥. كتاب السنن: أبو سعيد بن منصور الخراساني

تحقيق: حبيب الرحمن

الدار السلفية . الهند ط ١ ١٩٨٢م

٤٦. مجمع الزوائد: علي ابن أبي بكر الهيثمي

دار الريان للتراث / دار الكتاب العربي

القاهرة / بيروت ١٤٠٧

٤٧. مجموعة محاضرات الأستاذ عمرو خالد

٤٨. محاضرات تاريخ الأمم: الشيخ محمد الخضري بك

المكتبة التجارية الكبرى بمصر ط ٨

٤٩. مختصر سيرة الرسول: الشيخ عبد الله ابن محمد النجدي

المطبعة السلفية، الروضة بمصر ١٣٧٩هجري

٥٠. المستدرك على الصحيحين: محمد ابن عبد الله أبو عبد الله

الحاكم النيسابوري

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا

دار الكتب العلمية . بيروت ط ١

٥١. مسند أبي عوانة ١: أبي عوانة يعقوب بن اسحاق الاسفرائيني

تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي

دار المعرفة بيروت ط ١ ١٩٩٨

٥٢. مسند أحمد: الأمام أحمد ابن حنبل أبو عبد الله الشيباني

مؤسسة قرطبة . مصر

٥٣. مسند الروباني: محمد ابن هارون الروباني

تحقيق: أيمن علي أبو يمان

٥٤.

مؤسسة قرطبة. القاهرة ط ١

مسند الشهاب: محمد ابن سلامة ابن جعفر القضاعي .

تحقيق: حمدي عبد المجيد السلف

مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢

٥٥. مصنف أبي شيبة: أبو بكر عبد الله ابن محمد ابن أبي شيبة

تحقيق: كمال يوسف الحوت

مكتبة الرشد الرياض ط ١

٥٦. مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني

تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي

المكتب الإسلامي بيروت ط ٢ ١٤٠٣ هجرية

٥٧. مع المصطفى: الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

دار الكتاب العربي بيروت ط ١ ١٩٧٢ م

٥٨. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني

تحقيق: طارق بن عوض الله و عبد المحسن إبراهيم الحسيني

دار الحرمين القاهرة ١٤١٥ هجرية

٥٩. المعجم الكبير: سليمان بن احمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني

تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي

مكتبة العلوم والحكم الموصل ط ٢ ١٩٨٣ م

٦٠. المغازي : محمد عمر الواقي

تحقيق د. مارسدن جونس

عالم الكتب بيروت ط ٣ ١٩٨٤ م

٦١. المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير الغضبان

مكتبة المنار - الأردن ط ٣

٦٢. نيل الأوطار: محمد ابن علي ابن محمد الشوكاني

دار الجبل . بيروت ١٩٧٣

٦٣. نساء أهل البيت: أحمد خليل جمعة

اليمامة للطباعة و النشر و التوزيع

بيروت ١٩٩٤

٦٤. موسوعة أمهات المؤمنين: عبد الصبور شاهين

الزهراء للإعلام العربي ١٩٩١ م

٦٥. الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان: محمود شريف بسيوني
دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣ م



فهرست الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع	ت
٥	الإهداء	١
٧	المقدمة	٢
١٣	لماذا الاهتمام بالسيرة النبوية	٣
٢٢	نظرة على الوضع والديني والإجتماعي للعالم وجزيرة العرب	٤
٢٥	الحضارات السائدة قبل البعثة المحمدية	٥
٢٧	العرب قبل البعثة الشريفة	٦
٢٨	الحالة السياسية	٧
٣٢	الحالة الدينية	٨
٣٥	السيرة الزكية قبل النبوة	٩
٣٧	النسب الشريف	١٠
٣٩	القبيلة	١١
٤١	مولده	١٢
٤٣	الرضاعة	١٣
٤٥	حياته	١٤
٤٧	زواجه	١٥
٤٩	ابنائه من السيدة خديجة	١٦
٥٠	أخلاقه	١٧
٥١	أول نزول الوحي بالنبوة والرسالة	١٨

٥٧	السيرة العطرة قبل الهجرة	٢٠
٥٩	الدعوة الى الله سرّاً	٢١
٦٥	الدعوة الى الله جهاراً	٢٢
٦٧	مكابرة زعماء قريش	٢٣
٧١	محاربة الاسلام	٢٤
٧٢	الحيلولة بين الناس وسماع القران	٢٥
٧٤	محاولات جديدة لقريش	٢٦
٧٧	الهجرة الى الحبشة	٢٧
٨٣	لماذا الهجرة	٢٨
٧٨	إسلام الأشدّيين حمزة وعمر	٢٩
٩٣	المقاطعة والحصار	٣٠
٩٦	عام الأحزان	٣١
٩٨	الرسول في الطائف	٣٢
١٠٣	الإسراء والمعراج	٣٣
١٠٧	السعي بالدعوة بين القبائل والأفراد	٣٤
١٠٩	بيعة العقبة الأولى	٣٥
١١٢	بيعة العقبة الثانية	٣٦
١١٧	طلائع الهجرة	٣٧
١٢١	هجرة النبي وصاحبه	٣٨
١٣٣	السيرة المنورة بعد الهجرة	٣٩

١٤٠	حالة المجتمع في المدينة عند الهجرة	٤٠
١٤٤	السنة الأولى للهجرة	٤١
١٤٤	بناء المسجد	٤٢
١٤٦	المؤاخاة بين المهاجرين والانصار	٤٣
١٥٠	الوثيقة (دستور المدينة)	٤٤
١٥٩	السنة الثانية للهجرة	٤٥
١٦٢	غزوة الإبواء أو ودان	٤٦
١٦٣	غزوة بواط	٤٦
١٦٣	غزوة العشيرة	٤٨
١٦٤	سرية عبد الله بن جحش	٤٩
١٦٧	غزوة بدر الكبرى	٥٠
١٨٥	غزوة بني سليم بالكدر	٥١
١٨٦	غزوة بني قينقاع	٥٢
١٨٨	غزوة السويق	٥٣
١٨٩	غزوة ذي أمر	٥٤
١٨٩	مقتل كعب بن الأشرف	٥٥
١٩١	السنة الثالثة للهجرة	٥٦
١٩١	سرية القردة	٥٧
١٩٢	غزوة أحد	٥٨
٢١٨	غزوة حمراء الأسد	٥٩

٢٢١	السنة الرابعة للهجرة	٦٠
٢٢١	سرية أبي سلمة	٦١
٢٢٢	بعث عبد الله بن أنيس الى خالد الهذلي	٦٢
٢٢٣	يوم الرجيع	٦٣
٢٢٤	بئر معونة	٦٤
٢٢٧	غزوة بني النضير	٦٥
٢٣٠	غزوة نجد	٦٦
٢٣١	غزوة بدر الثانية	٦٧
٢٣٥	السنة الخامسة للهجرة	٦٨
٢٣٥	غزوة دومة الجندل	٦٩
٢٣٧	غزوة الأحزاب	٧٠
٢٥٢	غزوة بني قريظة	٧١
٢٥٥	مقتل سلام بن حقيق	٧٢
٢٥٧	السنة السادسة للهجرة	٧٣
٢٥٨	سرية محمد بن سلمة	٧٤
٢٦٠	غزوة بني لحيان	٧٥
٢٦١	غزوة الغابة	٧٦
٢٦٢	سرية عكاشة بن محصن	٧٧
٢٦٢	سرية ابي عبيدة بن الجراح	٧٨
٢٦٣	سرية زيد بن حارثة	٧٩

٢٦٣	سرية الخبط	٨٠
٢٦٣	غزوة بني المصطلق	٨١
٢٦٣	ارجافات المنافقين	٨٢
٢٦٧	حديث الإفك	٨٣
٢٧٣	وقعة الحديبية والفتح المبين	٨٤
٢٨١	بيعة الرضوان	٨٥
٢٨٢	صلح الحديبية	٨٦
٢٨٥	رد أبي جندل	٨٧
٢٨٦	المعاهدة بين النصر والهزيمة	٨٨
٢٨٨	التفريج عن المستضعفين	٨٩
٢٩٠	امتناع النبي عن رد المهاجرات	٩٠
٢٩٠	مكاتبة النبي للملوك والأمراء	٩١
٢٩٢	نسخ من كتب ورسائل النبي للملوك والأمراء	٩٢
٢٩٢	كتاب النبي الى النجاشي	٩٣
٢٩٣	كتاب النبي الى هرقل	٩٤
٢٩٣	كتاب النبي الى كسرى فارس	٩٥
٢٩٥	كتاب النبي الى المقوقس	٩٦
٢٩٦	كتاب النبي الى المنذر بن ساوى	٩٧
٢٩٧	كتاب النبي الى هوزة صاحب اليمامة	٩٨

٢٩٧	كتاب النبي الى ملك عمان	٩٩
٢٩٨	السنة السابعة	١٠٠
٢٩٨	غزوة خيبر	١٠١
٣٠٦	ومما وقع في غزوة خيبر	١٠٢
٣٠٨	الشاة المسمومة	١٠٣
٣٠٩	صدى فتح خيبر وما حولها	١٠٤
٣٠٩	سرية ابان بن سعد	١٠٥
٣١٠	غزوة ذات الرقاع	١٠٦
٣١١	والله يعصمك من الناس	١٠٧
٣١٢	عمرة القضاء	١٠٨
٣١٦	صدى عمرة القضاء	١٠٩
٣١٩	السنة الثامنة	١١٠
٣١٩	غزوة مؤتة	١١١
٣٢٧	سرية ذات السلاسل	١١٢
٣٢٨	غزوة فتح مكة دخول مكة	١١٣
٣٤١	اهدار دم كبار المجرمين	١١٤
٣٤٥	بعض أحداث الفتح العظيم	١١٥
٣٤٦	من نتائج الفتح	١١٦
٣٤٧	البعوث والسرايا لهدم بيوت الأوثان	١١٧
٣٤٨	سرية خالد بن الوليد الى العزى	١١٨

٣٤٨	سرية عمرو بن العاص الى سواع	١١٩
٣٤٩	سرية سعد بن الأشهل الى مناة	١٢٠
٣٤٩	سرية خالد بن الوليد الى جذيمة من كنانة	١٢١
٣٥١	غزوة حنين	١٢٢
٣٥٧	غزوة الطائف	١٢٣
٣٥٩	توزيع الغنائم	١٢٤
٣٦٢	وفد هوازن	١٢٥
٣٦٥	عمرة الجعرانة	١٢٦
٣٦٩	غزوة تبوك	١٢٧
٣٨٠	في أرض تبوك	١٢٨
٣٨٢	هدم مسجد ضرار	١٢٩
٣٨٣	المخلفون	١٣٠
٣٨٥	نظرة على الغزوات	١٣١
٣٩٠	حج أبي بكر بالناس	١٣٢
٣٩٢	قدوم الوفود للبيعة	١٣٣
٣٩٣	قدوم وفد عبد القيس	١٣٤
٣٩٣	قدوم ضمام بن ثعلبة	١٣٥
٣٩٥	قدوم زيد الخيل في وفد طيء	١٣٦
٣٩٦	قدوم وفد تجيب	١٣٧
٣٩٨	رسالة ملوك اليمن	١٣٨

٣٩٩	قدوم وفد غامد	١٣٩
٤٠٠	قدوم وفد بهراء	١٤٠
٤٠١	تخيير النبي لزوجاته	١٤١
٤٠٣	وفاة رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول	١٤٢
٤٠٤	السنة العاشرة	١٤٣
٤٠٧	حجة الوداع	١٤٤
٤١٢	السنة الحادية عشرة للهجرة	١٤٥
٤١٢	بعث أسامة بن زيد	١٤٦
٤١٦	طلّاع الفراق	١٤٧
٤١٨	بداية المرض	١٤٨
٤١٩	الأيام الأخيرة	١٤٩
٤١٩	آخر الوصايا	١٥٠
٤٢٢	آخر يوم	١٥١
٤٢٧	الملحق الأول زوجات النبي وأبنائه	١٥٢
٤٣٥	أم المؤمنين خديجة بنت خويلد	١٥٣
٤٣٨	أم المؤمنين سودة بنت زمعة	١٥٤
٤٤٢	أم المؤمنين عائشة بنت الصديق	١٥٥
٤٥١	أم المؤمنين حفصة بنت عمر	١٥٦
٤٥٨	أم المؤمنين زينب الهلالية	١٥٧

٤٦٠	أم المؤمنين أم سلمة	١٥٨
٤٦٦	أم المؤمنين زينب بنت جحش	١٥٩
٤٧١	أم المؤمنين جويرية	١٦٠
٤٧٦	أم المؤمنين صفية بنت حيي	١٦١
٤٨٢	أم المؤمنين أم حبيبة	١٦٢
٤٨٩	أم المؤمنين ميمونة	١٦٣
٤٩٣	أبناء النبي	١٦٤
٤٩٧	النبي في عيون الصحابة	١٦٥
٥٠٠	ويسألون لماذا تحبون رسول الله	١٦٦
٥٠٥	التعلق بالحبيب	١٦٧
٥٠٨	صفة النبي	١٦٨
٥٣٦	وقفة مع أخلاقه الشريفة	١٦٩
٥٤٣	شهادة غير المسلمين في محمد صلى الله عليه وسلم	١٧٠
٥٥٩	شعر حسان بن ثابت في رثاء النبي	١٧١
٥٦٤	قصائد تألفت في مدحه صلى الله عليه وسلم	١٧٢
٥٨٥	المصادر	١٧٣
٦٠٣	الفهرس	١٧٤

